الشيعة والتصحيح :

الصراع بين الشيعة والتشيع

العلامة الدكتور موسى الموسوي

عام ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م

الاهداء

هذا كتاب يدافع عن الاسلام والانسان والعقل
ابتغيت به وجه الله ورضاه وعونه وغفرانه
وقصدت به الشيعة في كل زمان ومكان
فالى كل من يتبع نداء التصحيح ويسعى لاحلال مبادئه واهدافه
اهدي هذا الكتاب

تقديم

كلمة لابد منها

بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله

وبعد ان ولدت ونشأت وترعرعت في بيت الزعامة الكبرى للطائفة الشيعية ودرست وتأدبت على يد اكبر زعيم وقائد ديني عرفه تاريخ التشيع منذ الغيبة الكبرى (١) وحتى هذا اليوم وهو جدنا الامام الاكبر السيد ابو الحسن الموسوي الذي قيل فيه :

« انسى من قبله واتعب من بعده » (٢)

في مثل هذه البيئة المليئة بكل ما قيل ويقال في التشيع والشيعة وبكل الظروف والملابسات التي كانت تحكى عن الخلاف الطائفي بين الشيعة والسنة والذي دام قروناً وقرونا، كنت اعيش الام الخلافات المريرة بين الشيعة والفرق الاسلامية الاخرى واشاهد عواقبها الوخيمة عن كثب وفي ظل خطوات جريئة وعزومة كان جدنا الامام الاكبر يخطوها لتخطي الصعوبات في ارساء العلاقات الصحيحة بين الشيعة والسنة للوصول الى الوحدة الكبرى بين الطائفتين والتي كانت تصطدم بالسياسات الاستعمارية الحاكمة في العالم الاسلامي تساندها عقول متحجرة واناس متعصبون ومتاجرون بالطائفية البغيضة، بدأت ادرك خطورة المهمة وقداستها في نفس الوقت.

وقد زاد ايماني بها عندما بدأت اعرف ان السبب في قتل والدي بين صلاة المغرب والعشاء في الحضرة العلوية في النجف الاشرف وعلى يد مجرم في لبوس رجل الدين الذي ذبحه كالكبش وهو يصلي في المحراب، انما كانت خطة استعمارية لكي تثني السيد ابو الحسن عن خطواته الاصلاحية ولكن السيد ابو الحسن احتمل المصيبة صابرا محتسبا لله وضرب اروع الامثال في تلقين المصلحين درسا لا زال التاريخ الشيعي لا ينساه الا وهو العفو عن القاتل الذي قتل فلذة كبده واعز الناس الى قلبه وذلك ليثبت ان قلب المصلح لا تزلزله العواصف ولا تضعفه المصاعب ولا تتحكم فيه الاحقاد والثارات وانه يبقى

١ـ الغيبة الكبرى تعني غيبة الامام المهدي الثاني عشر عند الشيعة الامامية الذي غاب عن الانظار في عام ٣٢٩ هجري. راجع فصل الامام المهدي.

٢ـ قائل هذا الكلام هو الامام الراحل الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء رحمه الله.

كالطود الشامخ يذود عن العقيدة التي يريد إرساءها في المجتمع ولدى الفرد.

وبعد كل هذا كان من الطبيعي ان تتكون لدي فكرة الانطلاق نحو تصحيح الشيعة في بعض عقائدها او اعمالها ولا سيما تلك التي سببت الخلاف مع الفرق الاسلامية الاخرى والتي كانت بحد ذاتها تتناقض مع روح الاسلام والمنطق السليم وهي كما اعتقد كانت ولم تزل وبالا على المذهب الشيعي حيث ادت الى تشويه سمعته ومسخ معالمه في العالم الاسلامي بل وفي العالم كله.

واعتقد في الوقت نفسه ان سرد الاسباب لا يكفي لحل المعضلة فحسب بل لا بد من تقديم حلول عملية اطلب من الشيعة في كل ارجاء الارض ان يلتزموا بها اذا ارادوا خير الدنيا والاخرة معا، وقد وصلت الى نتيجة حاسمة في تتبعي للخلاف بين الشيعة الامامية والفرق الاسلامية الاخرى هو ان الخلاف بينهما ليس بسبب الخلافة بعد رسول الله (ﷺ) او ان الامام علياً اولى بالخلافة من غيره، لانني ارى الشيعة الزيدية وهي تؤلف طائفة كبيرة تربو على الملايين تعتقد باحقية علي بالخلافة بعد الرسول الكريم ولكن الوئام والاخوة والمحبة يسود بينها وبين اهل السنة والجماعة. فاذاً ان السبب الاساسي في الخلاف بين الشيعة الامامية والفرق الاسلامية الاخرى ليس هو موضوع الخلافة بل هو موقف الشيعة من الخلفاء الراشدين وتجريحهم اياهم، الامر الذي لا نجده عند الشيعة الزيدية وبعض الفرق الاخرى ولو اكتفت الشيعة الامامية بسلوك الزيدية لقلت الخلافات ولضاقت مساحة الشقاق، ولكن الشيعة الامامية وقعت في الخلفاء الراشدين تجريحاً وانتقاصاً فكانت الفتنة.

وقد كنت ادعو الله في اناء الليل واطراف النهار ان يلهمني العلم والبصيرة ويمنحني القوة والتوفيق لاداء رسالة التصحيح التي كنت اصبو اليها منذ سني الشباب فكانت نتيجة تلك الدعوات الصالحات هي كتابي هذا :
(**الشيعة والتصحيح : الصراع بين الشيعة والتشيع**) الذي اقدمه اليوم الى الشيعة في كل زمان ومكان.

انه نداء للشيعة مبعثه الايمان المطلق بالله وبرسالة الاسلام الخالدة وبقوة المسلمين وكرامة الانسان. انه نداء يدعو الى الطرق الاصلاحية الكبرى لمحاولة انهاء الخلاف الطائفي بين الشيعة والفرق الاسلامية الاخرى الى الابد والى ان تقوم الساعة. انها صرخة لله ولاستيقاظ الشيعة من نوم عميق دام

ألفاً ومائتي عام،انها قصة الصراع المرير بين المسلمين حتى يومنا هذا . انه نداء العقل والايمان الى الشيعة كي تنفض عن نفسها غبار السنين وتثور ثورة لا هوادة فيها ولا انتظار على تلك الزعامات المذهبية التي سببت لها هذا التخلف الكبير في الحياة الدينية والفكرية والاجتماعية وهكذا يدفعني اعتقادي وواجبي أن اوصي ملايين الشيعة واؤكد عليهم قراءة هذا الكتاب :

«فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل
انما أنا من المنذرين.» النمل ٩٢

صدق الله العظيم

الامامة والخلافة

بدأ الصراع بين الشيعة والتشيع عندما حرفت الشيعة معنى التشيع من حب الامام علي واهل البيت الى ذم الخلفاء الراشدين وتجريحهم بصورة مباشرة، وتجريح الامام علي واهل بيته بصورة غير مباشرة.

الامامة والخلافة

فكرة الخلافة حتى القرن الرابع الهجري
الشيعة والتشيع
الانحراف
التصحيح

عقيدة الشيعة الامامية في الخلافة

كلما تعمقت في الشيعة والتشيع وعقائد الامامية اجد ان هناك هوة عظيمة تفصل بين الشيعة والتشيع قد تصل في بعض الاحيان الى التناقض الصارخ حيث ارى بوضوح ان التشيع شيء والشيعة شيء آخر وكلما تعمقت في تاريخ الصراع بين الشيعة والتشيع تتجلى امامي العصور الثلاثة التي انبثق فيها هذا الصراع مبتدئاً بالعصر الاول وهو عصر ظهور الصراع الفكري بعد الغيبة الكبرى الذي مهد الطريق للعصر الثاني وهو ظهور الدولة الصفوية على يد مؤسسها الشاه اسماعيل الصفوي في عام ٩٠٧ هجري وتأسيس الدولة الشيعية في ايران. ومن ثم العصر الثالث والاخير وهو عصر الصراع الذي نشاهده في حياتنا المعاصرة بين الافكار الشيعية الحديثة والتشيع، تلك الافكار التي عصفت بالمجتمع الشيعي وادت الى نتائج حزينة خطيرة لا تحتملها الارض ولا السماء.

ولكي نضع النقاط على الحروف في رسالتنا الاصلاحية هذه لا بد من طرح الافكار بصورتها الحقيقية ومن ثم إنارة الطريق لكي يكون القاريء على بينة من امره.

الامامة هي الحجر الاساسي في المذهب الشيعي الامامي وهكذا في المذهب الزيدي والاسماعيلي (١) ومنها يتفرع كل ما هو مثار للجدل والنقاش مع الفرق الاسلامية الاخرى. فالشيعة الامامية تعتقد ان الخلافة في علي بعد رسول الله (ص) ومن بعد علي في اولاده حتى الامام الثاني عشر الذي هو محمد بن الحسن العسكري الملقب بالمهدي وان رسول الله (ص)

---

١ ـ الزيدية تعتقد ان الامامة تتفرع من زيد بن علي بن الحسين ابن علي، والاسماعيلية تعتقد ان الامامة تتفرع من اسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق.

المح إلى خلافة علي من بعده في مواطن كثيرة ونصَّ على ذلك في مواطن اخرى اشهرها في موقع يسمى (غدير خم) عند رجوعه من حجة الوداع حيث عقد البيعة لعلي وقال:

« من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.»

كان ذلك في يوم الثامن عشر من ذي الحجة عام ١٢ بعد الهجرة والشيعة تحتفل بهذا اليوم في كل مكان تتواجد فيه وتطلق على هذا اليوم اسم (عيد الغدير).

اما الفرق الاسلامية الاخرى فترى ان الرسول الكريم (ص) ذهب الى الرفيق الاعلى ولم يستخلف احدا من بعده بل جعل الامر شورى بين المسلمين نزولا عند نص الكتاب في الايتين الكريمتين:

« وامرهم شورى بينهم.» الشورى ٢٧

« وشاورهم في الامر.»آل عمران ١٥٩

هذا هو ملخص الخلاف بين الفريقين. ولكل فرقة اراؤها وادلتها حيث الف علماء الفريقين في هذا الموضوع مئات الكتب المطولة والمختصرة، ولم تنفع تلك الكتب بطولها وعرضها في زحزحة الشيعة عما تعتقدها في الخلافة او زحزحة السنة عما تراها اولى بالاتباع. غير ان المشكلة القصوى هي ان هذا الخلاف الفكري لم يتوقف عند هذا الحد بل اتخذ شكلا خطيراً كلما مرت السنوات و بعد العهد عن عصر الرسالة. ولو ان الخلاف بقي محصوراً عند هذا الحد لكان الخطب هيناً، والعالم الاسلامي لم يشاهد في تاريخه الطويل كثيرا من المحن والمصائب التي حلت به بسبب المتفرعات من فكرة الخلافة والخلاف فيها. وكما اشرنا بصورة مقتضبة في مقدمة الكتاب هو ان الخلاف الفكري تجاوز حدود البحث العلمي والاختلاف في الرأي بل اتخذ طابعاً حاداً وعنيفاً عندما بدأت الشيعة تجرح الخلفاء الراشدين وبعض امهات المؤمنين وذلك بعبارات قاسية وعنيفة لا تليق بان تصدر من مسلم نحو مسلم ناهيك ان تصدر من فرقة اسلامية نحو صحابة الرسول (ص).وازواجه صحابة لهم مكانة كبيرة في قلوب المسلمين، وازواج للنبي عبر الله عنهن بامهات المؤمنين.

وهنا ظهر على ساحة الخلاف عدم التكافؤ بين الفريقين في طريقة التفكير والعقيدة فالفرق الاسلامية كلها تحب عليا وتكرمه شأنه شأن الخلفاء الذين

سبقوه وتحترم اهل بيت رسول الله (ص) وتصلي عليهم في الصلاة في كل صباح ومساء. ولكن الشيعة لها موقف آخر من خلفاء المسلمين ، موقف فيه العنف والقسوة والكلام الجارح.

فكانت النتيجة ظهور رد فعل عنيف من قبل علماء الفرق الاسلامية الاخرى للدفاع عن اعز واكرم خلفائهم. فألَّف ودوَّن كتاب السنة وعلماؤها في الشيعة الكتب المطولة والمختصرة معيرة اياها بالكفر مرة وبالخروج عن الاسلام مرة أخرى وهكذا شغلت فكرة الخلافة حيزا كبيرا من الكتب الاسلامية عند الفريقين، ولا زالت الاقلام تكتب والمؤلفات تنشر وكأن المسلمين بكل طبقاتهم لا يواجهون مشكلة في هذه الدنيا المليئة بالاحداث والمكاره الا مشكلة الخلافة فحسب.

لكن الحيرة كل الحيرة هي الطريقة التي اتبعتها الشيعة في معالجتها لمشكلة الخلافة فهي تتناقض كل التناقض مع سيرة الامام علي وسيرة اولاده من ائمة الشيعة. ولذلك تتملكني الحيرة والدهشة عندما ارى ان شعار الشيعة هو حب الامام علي واولاده ولكنهم يضربون عرض الحائط سيرة علي والائمة من ولده.

وهنا اود ان اتحدث مع الشيعة بلغتهم وفي نطاق معتقداتهم كي تكون حجة عليهم ولذلك فلابد من القول انني اواجه امرين متناقضين احدهما **التشيع** والآخر **الشيعة**. ومن هنا بدأت استنتج أن ذلك الصراع الذي حدث بين الشيعة والتشيع بعد الغيبة الكبرى مباشرة هو السبب الاساسي لكل الانحرافات التي حدثت في الفكر الشيعي بعد الغيبة الكبرى والى يومنا هذا . ونحن نعتقد ان ذلك الانحراف سبب الشقاق بين الشيعة وسائر الفرق الاسلامية والذي سنفصله في هذا الكتاب كلا في فصل خاص به.

فكرة الخلافة في عهد الرسول (ص).

اذا درسنا موضوع الخلافة في عصر الرسول (ص) وبعد وفاته بصورة مستفيضة لوصلنا الى نتيجة مؤكدة لا يختلف عليها اثنان، هي أن فكرة الأولوية والأفضلية لخلافة النبي الكريم ظهرت بعد وفاته مباشرة فهذا هو عباس ابن عبد المطلب يخاطب الامام علياً عندما كان مشغولا بتجهيز النبي (ص) وكفنه :

« اعطني يدك لابايعك حتى يقول القوم عم
رسول الله بايع ابن عم رسول الله.»

فيقول له الامام:

« وهل يطمع فيها طامع غيري ثم انني لا اريد ان
ابايع من وراء رتاج.»

واجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة لينظروا في امر الخلافة وقالت الانصار للمهاجرين:

« منا امير ومنكم امير.»

وكادت تحدث فتنة بين المجتمعين لولا ان الخليفة عمر ابن الخطاب حسم الامر وبايع ابا بكراً، فبايعه المسلمون بعد ذلك. وترك سعد ابن عبادة شيخ الخزرج الاجتماع غاضباً لانه كان يرى نفسه اولى بالخلافة من غيره، وتخلف الامام علياً عن البيعة بعض الوقت الا أنه بايع الخليفة الجديد ابا بكراً وهو راض عن البيعة مقبل عليها. غير ان فكرة الاولوية كانت تراود نفس الامام ومعه السيدة فاطمة الزهراء وبعض صحابة الامام وبني هاشم حتى ان الخليفة عمر ابن الخطاب قال لابن عباس وهو يشير الى علي:

« اما والله ان كان صاحبك هذا اولى الناس بعد
رسول الله (ص) الا انا خفناه على اثنين حداثة
السن وحبه بني عبد المطلب.»(١)

ومرة اخرى نستمع الى الخليفة عمر ابن الخطاب وهو على فراش الموت يشير الى الامام علي ويقول:

« والله لو وليتموه امركم لحملكم على المحجة
البيضاء.» (٢)

ومن هنا يمكن القول ان فكرة التشيع لعلي بالمعنى الذي اشرنا اليه ظهرت بعد وفاة النبي (ص) واستمرت حتى القرن الثالث الهجري حيث كان التشيع

١ــ شرح نهج البلاغة ج١، ص ١٢٤
٢ــ شرح نهج البلاغة ج١، ص ٦٤

يعني ان الامام علياً اولى بالخلافة واحق بها من غيره ولكن المسلمين نزولاً لاوامر القرآن الكريم الذي يقول:

« وامرهم شورى بينهم.»آل عمران ١٥٩

ارتضوا ابا بكر خليفة والامام ارتضاه كما ارتضاه غيره وبايعه كما بايعه غيره وهكذا كان موقفه مع الخليفتين عمر ابن الخطاب وعثمان ابن عفان فبايعهما واخلص لهما في المشورة والرأي.

التشيع في القرن الثاني الهجري

منذ اوائل القرن الثاني للهجرة اخذت فكرة التشيع تمثل مذهبا فقهيا هو مذهب اهل البيت وقد تجلى هذا المذهب في زمن انبثقت فيه المذاهب الفقهية الكبيرة الاسلامية الاخرى كالمذهب المالكي والشافعي والحنفي والحنبلي، وتجلت مدرسة اهل البيت في مدرسة الامام الصادق الامام السادس للشيعة الامامية. وقد كانت الفكرة التي تساند مذهب اهل البيت هي الفكرة القائلة بانه اذا كان الامام علياً اولى بالخلافة من غيره فأولاده ومن ثم حفيده الامام جعفر بن محمد الصادق الذي كان يعتبر من من افقه فقهاء عصره اجدر بان يتبّع في مسائل الدين وشؤونه من غيره من الفقهاء. وهكذا ظهرت المدرسة الفقهية الجعفرية الى الوجود في عهد الامام الصادق الذي كان يلقي محاضراته ودروسه في الفقه وفي علوم اخرى على تلاميذه في المدينة المنورة انذاك. ولا بد من الاشارة الى ان التشيع لعلي واهل بيته بدأ يأخذ شكلا خطيراً بعد مقتل الامام الحسين الذي احدث رد فعل عنيف في العالم الاسلامي وكانت نتيجته المباشرة حدوث ثورات متتاليات ادت الى سقوط الدولة الاموية ومن بعدها المروانية وقيام الخلافة العباسية. وكما نعلم فقد حدثت ثورات متتاليات باسم التشيع لعلي واهل بيته منها ثورة المختار وثورة مصعب بن زبير وثورة زيدبن علي بن الحسين التي انتهت الى استشهاده واستشهاد صحبه، كما ان الثورة التي قطف ثمارها العباسيون والتي اطاحت بالخلافة الاموية في المشرق الاسلامي الى الابد قد بدأت باسم التشيع لاولاد علي واهل بيت رسول الله (ص) وابو مسلم الخراساني كان يدعو لأهل البيت في ابان القيام بثورته ولكنه انحاز الى العباسيين في قصة معروفة جاء ذكرها في كتب التاريخ.

وكان ائمة الشيعة في عهد الخلفاء العباسيين يتمتعون باحترام عظيم لدى المسلمين كما ان فكرة الاولوية والاحقية في خلافتهم كانت تراود كثيرا من الناس، فلولا الرأي العام الاسلامي باحقية اهل البيت بالخلافة لما اختار المأمون العباسي الامام علي الرضا ولياً للعهد، غير ان الرضا توفي في عهد المأمون واستمرت الخلافة في العباسيين. فاذاً ان فكرة التشيع لعلي واهل بيته والتي كانت تظهر بمظاهر مختلفة في المجتمع الاسلامي انذاك كان لها انصارها المتحمسين. ونستنتج من كل هذه المقدمات ان فكرة التشيع كانت موجودة في القرون الثلاثة الاولى بعد الهجرة، وهذه الفكرة كانت تنحصر في النقاط التالية:

اولا: ان علياً اولى بالخلافة من غيره ولكن المسلمين بايعو الخلفاء الراشدين وعلي بايعهم ثم بايع المسلمون علياً بعد عثمان فلا غبار على شرعية خلافة الخلفاء الراشدين من ابي بكر الى علي.

ثانياً: اظهار العداء للامويين وذلك لموقف معاوية من علي ومقتل الامام الحسين في فاجعة الطف وسب الخلفاء الامويين علياً على المنابر زهاء خمسين عاما الى ان قام بالامر عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموي فنهى عن سب الامام.

ثالثاً: الرجوع الى اهل البيت في الاحكام الشرعية والمسائل الفقهية.

رابعاً: اهل البيت ولا سيما الائمة من اولاد الحسين اولى بالخلافة من الامويين والعباسيين.

بداية الانحراف في الفكر الشيعي

وبعد الاعلان الرسمي عن غيبة الامام المهدي في عام ٣٢٩ هجري حدثت في التفكير الشيعي امور غريبة ادعوها بالصراع بين الشيعة والتشيع او عهد الانحراف، وكانت اولى هذه الامور في الانحراف الفكري ظهور الاراء القائلة بأن الخلافة بعد الرسول (ص) كانت في علي وبالنص الالهي وان الصحابة ما عدا نفر قليل منهم خالفوا النص الالهي بانتخابهم ابا بكر. كما ظهرت في الوقت نفسه اراء اخرى تقول ان الايمان بالامامة مكمل للاسلام وحتى ان بعض علماء الشيعة اضافوا الامامة والعدل الى اصول الدين الثلاثة التي هي:

التوحيد، النبوة والمعاد وقال بعضهم بأنها من اصول المذهب وليس من اصول الدين وظهرت روايات تنقل عن ائمة الشيعة فيها تجريح بالنسبة للخلفاء الراشدين وبعض ازواج النبي.

ومن الجدير بالذكر انه حتى في خلافة معاوية بن ابي سفيان وعندما كان يامر بسب الامام علياً على المنابر وحتى بعد مقتل الامام الحسين وظهور الثورات الداعية الى الاخذ بالثأر وفي العهود التي كان التشيع يعصف بالخلافة الاموية ويقصم ظهرها ويمهد الطريق للخلافة العباسية لم نجد اثرا لدى المتشيعين لعلي واهل بيته للاراء الغريبة التي ظهرت فجأة في المجتمع الاسلامي بعد الغيبة الكبرى. تلك الاراء التي ساهم بعض رواة الشيعة وبعض علماء المذهب في بثها ونشرها وغرسها في عقول الساذجين من ابناء الشيعة. وظهرت في الوقت نفسه فكرة التقية التي كانت تأمر الشيعة بان تعلن شيئاً وتضمر شيئاً اخراً وذلك لحماية الاراء الحديثة التي كانت بحاجة الى الكتمان سواء لنشرها او لحمايتها من السلطة الحاكمة. ولكي يكون لهذه الاراء الغريبة رصيد ديني لا يجوز التشكيك فيها نسبت رواة الشيعة تلك الروايات الغريبة الى ائمة الشيعة ولا سيما الى الامامين الباقر والصادق. ولتثبيت صحة تلك الروايات وعدم الخوض في مضامينها وقبولها كما ذكرت فقد ظهرت فكرة عصمة ائمة الشيعة في ذلك العهد لكي تكون رصيداً آخراً يجعل من تلك الروايات الغريبة روايات مقدسة لا تخضع للنقاش والجدل والبحث والنقض. وقد افردنا لتلك الاراء الغريبة الدخيلة والتي لها علاقة مباشرة بتكوين المذهب الشيعي فصولا خاصة سنناقشها فيما بعد في هذا الكتاب، اما الآن فلنعد الى مبحث الامامة والخلافة لكي نناقش المتغيرات التي احدثها الرواة وعلماء المذهب فيها بعد الغيبة الكبرى.

ان المتتبع المنصف للروايات التي جاء بها رواة الشيعة في الكتب التي الفوها بين القرن الرابع والخامس الهجري يصل الى نتيجة محزنة جداً وهي ان الجهد الذي بذله بعض رواة الشيعة في الاساءة الى الاسلام لهو جهد يعادل السموات والارض في ثقله. ويخيل الي ان اولئك لم يقصدوا من رواياتهم ترسيخ عقائد الشيعة في القلوب بل قصدوا منها الاساءة الى الاسلام وكل ما يتصل بالاسلام. وعندما نمعن النظر في الروايات التي رووها عن ائمة الشيعة وفي الابحاث التي نشروها في الخلافة وفي تجريحهم لكل صحابة الرسول (ص) ونسفهم لعصر الرسالة والمجتمع الاسلامي الذي كان يعيش في ظل

النبوة لكي يثبتوا احقية علي واهل بيته بالخلافة ويثبتوا علو شأنهم وعظيم مقامهم نرى ان هؤلاء الرواة ـ سامحهم الله ـ اساءوا للامام علي واهل بيته بصورة هي اشد وانكى مما قالوه ورووه في الخلفاء والصحابة. وهكذا تشويه كل شيئ يتصل بالرسول الكريم (ص) وبعصره مبتدئاً باهل بيته ومنتهياً بالصحابة. وهنا تأخذني القشعريرة وتمتلكني الحيرة واتساءل: أليس هؤلاء الرواة من الشيعة ومحدثيها قد اخذوا على عاتقهم هدم الاسلام تحت غطاء حبهم لأهل البيت ؟

ماذا تعني هذه الروايات التي نسبها هؤلاء الى أئمة الشيعة وهم صناديد الاسلام وفقهاء اهل البيت ؟

وماذا تعني هذه الروايات التي نسبوها الى ائمة الشيعة وهي تتناقض مع سيرة الامام علي واولاده الائمة وكثير منها يتناقض مع العقل المدرك والفطرة السليمة ؟

وانني لا اشك ان بعضاً من رواة الشيعة ومحدثيها ومن ورائهم بعض فقهاء الشيعة قد امعنوا في هذا التطاول على أئمة الشيعة وفي وضع روايات عنهم عندما اعلن رسميا بحدوث الغيبة الكبرى. ونقل عن الامام المهدي قوله :

« من ادَّعى رؤيتي بعد اليوم فكذبوه.»(١)

وهكذا سدت الابواب كلها للاتصال بالامام وللسؤال عن صحة الروايات التي نسبت اليه والى اجداده الائمة الطاهرين. وهكذا خلا الجو للمتربصين بالتشيع والاسلام معاً فصفَّروا ونقَّروا وكتبت اقلامهم ما شاءت وما ارتأت.

ولكي اكون واضحا اود ان اضع النقاط على الحروف وابدأ بالخلافة لكي نرى ان ما رووه في حق الخلفاء وصحابة الرسول (ص) يصطدم اصطداما كبيرا بسيرة الامام علي واهل بيته. ونرى بعد ذلك كيف ان هؤلاء الرواة وبعض علماء الشيعة لتعزيز ارائهم ولتفنيد مواقف الامام الصريحة واهل بيته التي تفند ما نسبوه اليهم ناقضوا مواقف الامام علي والائمة من بعده بصورة ملتوية ظاهرها مليح وباطنها قبيح لكي يثبتوا ارائهم حسب اهوائهم.

---

١ ـ سيرة الائمة الاثنى عشر ج ٣، ص ٥٧٠، هاشم الحسين

موقف الامام علي من الخلافة

قلنا قبل قليل أن التشيع كان يعني حب الامام علي وأهل بيتة وإعطاءه حق الأولوية في الخلافة واعطاء اولاده مثل هذا الحق من بعده ولا اعتقد أن هناك احد لا يعرف الأسباب الدافعة الى هذا الاعتقاد فالامام علي ترعرع ونشأ في بيت الرسول الكريم (ص) وهو يحدثنا عن تلك النشأة بقوله :

« وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة. وضعني في حجره وانا ولد يضمني الى صدره ويكنفني الى فراشه ويمُسني جسده ويشُمني عرفه وكان يمضغ الشي ثم يلقُمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل.»(١)

ويستمر الامام في بيان منزلته عند رسول الله (ص) ويقول :

« ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فاراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وانا ثالثهما. ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة. ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت : يا رسول الله ما هذه الرنة ؟فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته، انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك وزير وانك لعلى خير.»

ولنستمع الى الامام مرة اخرى وهو يقول:

« ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وان رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفي فامررتها على وجهي، ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة اعواني. فضجت الدار

١ــ نهج البلاغة ج ٢، ص ١٥٧

والأفنية ملأ يهبط وملأ يعرج وما فارقت سمعي
هيمنة فهم يصلون عليه حتى واريناه في
ضريحه. فمن ذا احق به مني حيا وميتا، فانفذوا
علي بصائركم.» (١)

وهذا هو الامام علياً يصف نفسه وموقعه من رسول الله (ص) مرة اخرى في كتاب بعثه الى واليه في البصرة عثمان بن حنيف جاء فيه :

« وانا من رسول الله كالصنو من الصنو والذراع
من العضد.»

وبعد كل هذا فالامام هو زوج الزهراء وابا الحسنين وبطل المسلمين ومن اعظم بناة الاسلام ودافع عن الرسول الكريم ورسالته بقلبه ولسانه ودمه وعرقه وهو بعد غلام لم يبلغ الحلم وقد شاء الله انه تكون شهادته حيث كان مولده فقد ولد علي في بيت الله واستشهد في بيت الله.

وقد تكتمل الصورة المشرقة لعلي وجهاده وموقعه من قلب الاسلام عندما نعلم علم اليقين وحسب الاحاديث المتواترة الصحيحة التي رواها رواة الشيعة والسنة على السواء في حب الرسول الكريم (ص) لعلي وتقديره اياه، فالنبي زوجه فاطمة الزهراء بامر من السماء ورفض اولئك الذين تقدموا لخطبتها بقوله:

« انما انتظر بها القضاء.»

وعندما نزل القضاء تم ذلك الزواج الميمون بين علي وفاطمة.

وفي غزوة الخندق يصف النبي الكريم علياً بجملتين تضاهيان كل الاحاديث التي رويت عنه في فضائل علي، حقاً ان كل حرف من تلك الكلمات الخالدات المشرقات يعتبر وساماً نبوياً ينصبه محمد (ص) على صدر علي بن ابي طالب انه وسام اعطى الجهاد والاخلاص والتفاني والايمان بالله موقعه السرمدي في حياة الدهر وتخليد العظماء. والجملتان صدرتا عن الرسول في خلال ساعة او اكثر منها بقليل، وذلك عندما ذهب علي ليلتقي بعدو الاسلام وبطل المشركين عمرو بن عبدود والذي كان يبارز لوحده جماعات ورجالا قال (ص):

« اللهم برز الاسلام كله الى الشرك كله.»

١ـ نهج البلاغة ج ٢، ص ١٧٢

وعندما وقع عمرو صريعا بسيف علي قال (ص) :

« ضربة علي يوم الخندق افضل من عبادة
الثقلين.» (١)

ان المتتبع لحياة الرسول الكريم والامام يصل الى نتيجة اكيدة وهي ان الوشائج التي كانت تربط محمداً (ص) بعلي كانت اقوى بكثير من وشائج القربى انها صلات روحية مترابطة متماسكة اصلها في السماء وفرعها في قلبي الرسول (ص) وابن عمه ولذلك لا نستغرب ابداً عندما نلمس في علي نفحات من نفحات النبي فهذا هو رسول الله (ص) يدافع عن رسالته بكلمته الخالدة التي قالها للمشركين:

« والله لو وضعتم الشمس عن يميني والقمر عن
يساري لاترك هذا الامر ما فعلت.»

وهذا هو علي يدافع عن ايمانه بالله ويقول:

« فوالله لو اعطيت الاقاليم السبعة وما تحت
افلاكها ان اعصى الله في نملة اسلبها جلب
شعيرة ما فعلت.»

وبعد كل ما ذكرناه ورويناه فقد يكون من الطبيعي ان يرى علي نفسه اولى بخلافة محمد (ص) من غيره. ومن الطبيعي ايضا ان تعتقد فئة من الناس بذلك وتتحمس لها اشد التحمس، وتجد الفكرة لها مؤيدين وانصارا.كما ان من الطبيعي ايضا ان نقرأ في قلب محمد (ص) ولسانه ما يدل على استخلاف علي بعد وفاته.

الامام علي يؤكد شرعية بيعة الخلفاء

ولكن هل يعني كل هذا وهذا هو بيت القصيد وحجر الاساس في كل ما يتعلق بالامامة وشؤونها المتفرعة منها ان هناك نصاً إلهياً بتعيين علي لخلافة الرسول (ص) ام انها رغبة شخصية من رغبات رسول الله الخاصة ؟ الامام علي كان يقول لا نص عليه من السماء وصحابة علي والذين عاصروه كانوا يعتقدون بذلك ايضا وقد استمر هذا الاعتقاد حتى عصر الغيبة الكبرى وهو العصر الذي حدث فيه التغيير في عقائد الشيعة وقلبها رأساً على عقب.

١ــ اخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ، ص ٣٢ « لمبارزة علي لعمرو افضل من اعمال امتي الي يوم القيامة.»

ومرة اخرى نقول ان هناك فرقاً كبيراً بين ان يعتقد الامام علي والذين كانوا معه انه اولى بخلافة الرسول الكريم (ص) من غيره ولكن المسلمين اختاروا غيره وبين ان يعتقد ان الخلافة حقه الالهي ولكنها اغتصبت منه. والآن فلنستمع الى الامام علي وهو يحدثنا عن هذا الامر بكل وضوح وصراحة ويؤكد شرعية انتخاب الخلفاء وعدم وجود نص سماوي في امر الخلافة.

« انه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد.

وانما الشورى للمهاجرين والانصار. فان اجتمعوا على رجل وسموه اماما كان ذلك لله رضى. فان خرج من امرهم خارج بطعن او بدعة ردوه الى ما خرج منه. فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين.» (١)

وقبل أن أتحدث عن موقف الامام علي بالنسبة للخلفاء الذين سبقوه وقبل أن نسهب في هذا الامر ونستشهد باقوال اخرى للامام حيث ان لهذا الموقف اهميته القصوى في كشف الحقيقة وانارة الواقع لا بد من التفصيل حول رغبات النبي الشخصية وذلك الجانب السماوي الذي كان يصدع به بامر من الله وبوحي منه.

الفصل بين الاوامر الالهية ورغبات النبي الشخصية

ان فصل هذين الجانبين في الشخصية المحمدية (ص) يساهم مساهمة كبيرة في اعطاء صورة واضحة عن الجانب الالهي والشخصي في رسول الله (ص). واذا علمنا ان النبي الكريم كان يحاول جاهدا للتفريق بين الجانب الالهي في اقواله وما يصدر عنه من اقوال واعمال لا صلة لها بالسماء لعرفنا عظمة النبي وعظمة نفسه الكريمة. فالقرآن الكريم عندما يتحدث عن النبي (ص) بهذه الايات البينات :

« وما ينطق عن الهوى. ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى.» النجم ٣،٤،٥

---

١ ــ نهج البلاغة ج ٣، ص ٧

لا شك انه يقصد بذلك انه (ص) عندما يقرأ القرآن ويبلغ المسلمين بالايات الالهية وبالاحكام المنزلة عليهم انما ينطق بالوحي وبكلام الله المنزل على قلبه. وهذا هو شرط الايمان بالاسلام وبرسالة محمد (ص) وبالقرآن المنزل عليه.

ولكن القرآن الكريم حتى يبين الفرق الاساسي بين ما هو رغبة من رغبات النبي الخاصة وما هو امر الهي قد حسم الموقف بصورة واضحة وصريحة في ايات العتاب وفي ايات النهي عن امور كان النبي (ص) يرغب الاتيان بها ولنقرأ معاً هذه الايات البينات :

١ـ « يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس.» المائدة ٦٧

٢ـ « واذكر ربك اذا نسيت.» الكهف ٢٤

٣ـ « سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى.» الأعلى ٦،٧

٤ـ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر.» آل عمران ١٧٦

٥ـ « ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين.» الحجر ٨٨

٦ـ « وما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض.» الانفال ٦٧

٧ـ « عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين.» التوبة ٤٣

٨ـ « وما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم.»التوبة ١١٣

٩ـ « واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه.» الاحزاب ٣٧

١٠ـ « يا أيها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي

مرضاة ازواجك والله غفور رحيم.» التحريم ١

١١ـ « عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك
لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من
استغنى فأنت له تصدى وما عليك الا يزكى
وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه
تلهى كلا انها تذكرة.» عبس ١ ـ ١١

١٢ـ « قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما
الهكم اله واحد.»الكهف ١١٠

١٣ـ « انك ميت وانهم ميتون.» الزمر ٣٠

ان من يتدبر في هذه الايات البينات سيعلم علم اليقين ان القرآن الكريم يؤكد تأكيدا قاطعا على ان رسول الله (ص) لم يكن ملكا ولا عنصرا سماويا ولا موجودا خارج نطاق هذا الكون وطبائعه انما هو بشر مثل سائر البشر كان ياكل وينام ويصح ويمرض ويحب ويكره ويتزوج وينجب الاطفال حسب الناموس الطبيعي للكون فيسري عليه من التفاعل الطبيعي كل ما هو يسري على سائر افراد البشر. ومن الواضح جدا ان التأكيد على هذا الجانب في رسول الله (ص) انما كان ليثبت للناس ان كل ما يصدر من النبي لا يعني انه وحي او كلام الهي او امر سماوي. اما الناحية الالهية في وجود النبي وهي الاتصال بالمبدأ الاعلى فكان يؤكدها شخص النبي (ص) عندما كان ينزل عليه الوحي ويطلب من كتبة الوحي ان يدونوا قول الله تعالى. ويبدو واضحا للمتتبع لاخلاق الرسول الكريم (ص) كما قلنا قبل قليل انه كان يسعى جاهدا لتأكيد الفصل بين الجانب السماوي والارضي في شخصه وهذه كانت من اكبر السمات الدالة على قوة النبي النفسية وصدقه في الرسالة واخلاصه لربه وعظمة شخصيته وهي خصال لا تضاهيها خصال اي رسول من رسل السماء واي عظيم من عظماء الارض. فهذا الدور البارز العظيم الذي كان يؤديه ليظهر بالمظهر الذي خصه به ربه وبالصفات التي وصفه بها الهه (فهو بشر يأكل الطعام ويمشي في الاسواق)ولكنه بشير ونذير ارسله الله للعالمين. فعندما كانت تنزل عليه ايات العتاب كان يقرأها على الناس من موقع الامين القوي وعندما كانت تنزل عليه ايات الثناء كان يقرأها من موقع العبد المطيع، فلم ير النبي في نفسه انتقاصا عندما تلى على المسلمين ايات العتاب التي نزلت عليه كما لم يظهر عليه الخيلاء والتكبر عندما تلى ايات الثناء التي انزلها الله على قلبه.

وهكذا كانت ايات العتاب والتحذير تعطي للرسول (ص) قوة لا تقل عن قوة ايات المدح والثناء فلا غرو انه (ص) تلقى من ربه كلمات لم تنزل قط على من سبقوه من اولي العزم من الرسل.

« وانك لعلى خلق عظيم.» القلم ٤

ولم يقتصر دور الرسول البارز في فصل موقعه السماوي من البشري الى هذا الحد فحسب بل تجاوزه الى ابعد ما يمكن للمرء ان يتصوره، فعندما هابه رجل من الاعراب التقى به قال له (ص) :

« هون عليك انما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد.»

وهذه العظمة الروحية في نكران الذات تتجاوز افاق الارض والسماء وتتجلى في اعظم مظاهرها عندماكسفت الشمس في يوم وفاة ابنه ابراهيم فقال الناس :

« انكسفت الشمس لوفاة ابن رسول الله (ص).»

وسمع الرسول (ص) ما قاله القوم فصعد المنبر وخاطب المسلمين بقوله :

« ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله لا
تنكسفان لموت احد وانما مات ابراهيم بقضاء
وقدر من الله.»

وهكذا كان النبي (ص) يدفع عن نفسه مظاهر القدسية وهالاتها ليثبت عبوديته لله وانه بشر لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضررا.

« قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضرا.» يونس ٤٩

ويزيد النبي في العبودية والعبادة حتى انزل الله عليه قوله :

« طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى.» طه ١_٢

الحرية الفكرية والاجتماعية في عهد الرسول (ص)

لكن الوجه الآخر المكمل لهذه السيرة النبوية يتجلى في شيء اخر هو الحرية الفكرية والاجتماعية التي منحها الرسول الكريم لاصحابه وللمسلمين. حقاً ان المرء ليطأطئ رأسه خضوعاً وخشوعاً لعظمة رسول الله (ص) عندما يتابع عصر الرسالة وما فيها من الحريات الفكرية والاجتماعية التي منحها الرسول (ص) لاصحابه وللمسلمين وهذا هو الجانب المكمل للطريقة التي كان يتبعها الرسول الكريم للفصل بين شخصيته كرسول الله وكمحمد بن عبد الله. ولو ان المتتبعين والمحققين للتاريخ درسوا هذه الناحية في عصر الرسالة وهذا الجانب من سياسة النبي الاجتماعية لسهل عليهم فهم كثير من الغوامض التاريخية المتعلقة بعصر الرسول (ص) وبعد وفاته، ولحلت كثيراً

من الخلافات الفكرية والمذهبية بين المسلمين التي انتهت الى اراقة الدماء تارة والي الشتم والتنابز بالالقاب تارة اخرى.

لقد منح الرسول (ص) صحابته والمسلمين من الحرية الفكرية والاجتماعية والمساواة منذ ابان دعوته وعند انتشارها وحتى اخر يوم من حياته ما لم نجده في اي عصر اخر ولدى اية امة اخرى ولم نجده حتى في عصرنا هذا لدى ارقى الامم ديموقراطية وحرية. ولا اعتقد انه يوجد في تاريخ الديموقراطية والمساواة قديما وحديثا ان سيد قوم ومؤسس امة وقائد فكر يجلس مع صحابته في صورة دائرية لكي لا يكون لمجلسه الصدر والذيل ويكون كل فرد في ذلك المجلس مساوياً مع رسول الله (ص) في جلسته حتى ان الاعرابي عندما كان يدخل الى مجلس الرسول فلا يميزه بين الصحابة كان يسأل : من هو محمد ؟
فكان الصحابة يشيرون اليه (ص)

ويكفي لذلك العصر فخرا وجلالا ان بروتوكولات الديموقراطية في عصر الفضاء قلدت فكرة المائدة المستديرة لاجتماع الملوك والرؤساء من مجلس الرسول العربي.

والنبي اذا صافح رجلا كان يمسك بيد الرجل حتى يرسلها صاحبها احتراما منه لذلك الرجل. وكان (ص) كما وصفه علي بن ابي طالب يأكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه. ولعل هذه الديموقراطية والحرية تجلت في اكبر صورها عندما كان الكثير من الناس يستغلونها ويخرجون عن حدود الادب وطوره بالنسبة للقائد الالهي. وكان الرسول (ص) يحتمل ذلك بصبر واناة وابتسامة حتى ان نزل امر الله على المسلمين معاتباً اياهم في ذلك. ولكن حتى الآيات الالهيه لم تنه نهياً قاطعاً من كيفية تعامل الناس مع الرسول (ص) بل القى الملامة عليهم ووصفهم بالجهل، او وضعت ضريبة غير ملزمة لاولئك الذين يخرجون عن الاحترام اللائق بالنسبة لرسول الله (ص) ولكن الله لم يحرم شيئاً من ذلك ولنقرأ معاً هذه الايات البينات :

١ــ « يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض، ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون. ان
الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك

الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى. لهم مغفرة واجر
عظيم. ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون. ولو انهم صبروا حتى تخرج
اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم.»
الحجرات ٢ ـ ٥

٢ـ « يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان
لم تجدوا فان الله غفور رحيم.» المجادلة ١٢

واعتقد ان من الضرورة بمكان ان اثبت في هذا الفصل حادثة اخرى وقعت في حياة النبي الكريم وكانت لها صلة مباشرة بزوجته السيدة عائشة ام المؤمنين الا وهي قصة الافك.

ان المتتبع لقصة الافك يتضح امامه صورة كاملة للحرية التامة التي كان المسلمون يتمتعون بها في الفكر والتعبير والكلام، فكل من يقرأ تاريخ تلك الحقبة يعلم علم اليقين ان اشاعة الافك عندما انتشرت في المدينة واصبحت حديث الناس في مجالسهم ونواديهم وكانت تلك الاخبار المحزنة تصل الى سمع رسول الله لم يصدر منه (ص) ما يوحي بالغضب على صحابته او اهل المدينة. ولاشك ان الرسول (ص) كان يعلم زيف التهمة الموجهة الى ام المؤمنين وهي اعز ازواجه بعد السيدة خديجة الكبرى، وابنة صاحبه في الغار ومن اقرب الصحابة اليه. ولكنه اراد ان لا يستعمل صلاحية القائد او يحد من صلاحية الامة في التعبير عن الكلام. فالتاريخ لا يشير قط الى ان الرسول (ص) طلب من أصحابه أن يكفوا عن حديث الأفك او انه اعترض عليهم في القول او صدر منه ما يشعر المسلمين بانه غاضب عليهم لما يقال في همس وعلن في ام المؤمنين، او انه اجرى تحقيقاً مع المشتبه بامرهم في اشاعة الافك وكان للنبي في المدينة اعداء الداء تتجسد في الجالية اليهودية ومن المنافقين والمتربصين به وبكل ما يحيط به. فلم يتخذ النبي وجود الاعداء بين ظهور المسلمين ذريعة ليطلب من اهل المدينة الكف عن حديث الافك حتى يهونوا عليه ولا يثخنوا في الجراح بل بالعكس من كل هذا عالج الافك بالصبر حتى انه (ص) شاور علي ابن ابي طالب وزيد بن حارثة وبعض الصحابة في الطريقة التي ينبغي عليه ان يعالج ذلك الامر ولكن ليس مع الافاكين بل مع ام المؤمنين.

ومع ان الوطأة كانت شديدة على السيدة عائشة وعلى ابيها واسرتها، فهزلت ومرضت ولزمت الفراش، وكان هذا اللغط الاجتماعي الغريب يعصر قلبها كلما تصورت ما يقول عنها الآفكون الا ان كل ذلك لم يغير من سياسة النبي العظيم في الحد من اطلاق الحريات الاجتماعية او حمل الناس على السكوت وعدم الخوض في ما يدور في مجالس المدينة ونواديها. وهنا ظهرت المشيئة الالهية وارادته البالغة فوضعت حدا سماوياً للاحاديث الجارحة والاتهامات الباطلة التي ينسبها البعض الى البعض بلا دليل او شاهد او بينة فانزل الله على قلب رسوله (ص) :

« ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه
شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما
اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب
عظيم .» النور ١٠

وهكذا برأ الرحمن ساحة السيدة عائشة ووضع سبحانه وتعالى حداً للحريات الكلامية الجارحة التي فيها اساءة للناس وحط من كرامتهم.

وهنا نريد ان نستنتج شيئاً اهم من هذه الحادثة وهو ان المجتمع الذي يصل فيه التعبير عن الرأي وحرية الكلام سواء اكان ذلك صحيحا او سقيما الى هذه المرحلة بحيث لا يرعى فيه حرمة رسول الله (ص) الذي انقذهم من الضلال والهلاك وهداهم الى خير الدنيا والآخرة وخير البركات حتى ان نزلت ايات التأديب بحق الناس في ذلك المجتمع.

هل يمكن للنبي (ص) ان يحمل مجتمعا مثل هذا على امر وهو مكره عليه الا اذا كان ذلك الامر من الله وبنص من كتابه، فحينئذ كانت الحريات الفكرية والاجتماعية كلها تتبخر امام الاوامر الالهية ويصبح الفرد والمجتمع امام اوامر الله ونواهيه عبادا مطيعين منقادين لا يسعهم الا الامتثال لامره والعزوف عن نواهيه.

لقد كان باستطاعة النبي الكريم ان يخلق مجتمعا من المسلمين يطيع ارادته الشخصية لا يحيد عنها اذا امرهم بها، ولكن مثل هذا الامر كان مناقضاً للرسالة التي جاء لاجلها الا وهي الغاء كل العبوديات والتقاليد المتعلقة بها ما عدا عبادة الله الواحد الاحد. وكما نعلم فان الاسلام قد جاء ومحمداً قد بعث للقضاء على كل الرواسب والافكار الجاهلية التي كانت اهم مظاهرها عبادة الفرد للفرد واطاعة الفرد للفرد، وهكذا اخرج الاسلام الناس من ظلمات العبودية

الفكرية والجسدية الى حيث النور والحرية، ولذلك كان المجتمع الاسلامي الفتي يرى في الدين الجديد كل مقومات الحياة وكرامة الفرد والانسان. انها الرسالة السماوية التي جعلت من ذلك المجتمع الطبقي المؤلف من السادة والعبيد مجتمعا موحدا يتألف من اناس كلهم سواسية امام الله لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى.

« ان أكرمكم عند الله اتقاكم.» الحجرات ١٣

وكان من نتائج الخروج من عبودية الاصنام والالهة المتفرقة والتخلص من سادة قريش والدخول في عبادة الله الواحد الاحد تلك الحرية التي انعمها الله على المسلمين والتي بفضلها بدأ المجتمع الاسلامي الجديد ينعم بحرية الرأي والتعبير والفكر ما دام لم يكن في تلك الحرية غضب الله وسخطه. وعندما اراد المجتمع الاسلامي ذلك ان يتجاوز القيود المفروضة عليه في التعبير عن الرأي لم يمنعهم الرسول (ص) من ذلك حتى لا يعيد الى اذهانهم دور الاطاعة لسادة القوم وكبراءه بل انتظر في ذلك امر السماء ونزول الوحي، وجاء الامر الالهي يقيد المسلمين بالالتزام بالاخلاق الفاضلة وبعدم اشاعة الفحشاء في الذين آمنوا :

« ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين
« آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا ولآخرة.» النور ١٨

كما امرهم بالالتزام بحرمة المسلمين وعدم الاساءة اليهم بالكلام الجارح والسب المقذع :

« يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى
ان يكونوا خيراً منهم، ولا نساء من نساء عسى
ان يكن خيراً منهن، ولا تلمزوا انفسكم ولا
تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان،
ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون. يا ايها الذين
آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم،
ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا، ايحب
احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتاً فكرهتموه، واتقوا
الله ان الله تواب رحيم. » الحجرات ١١ـ١٢

وهكذا تظهر عظمة رسول الله (ص) بكل قداستها وجلالها حيث لا يريد لامته ومجتمعه الا ما يريده الله لهم.

وهنا اعود لموضوع الخلافة واقول، اذا كان النبي (ص) لم يدافع عن زوجته في اخطر اتهام وجهته اليها عصبةجاءتبالافك وهو يعلم انها بريئة منه كل البراءة حتى لا يعيد الناس الى دور الجاهلية واطاعة السادة والكبراء بدون ضابط ومبرر، فلم يكن من المعقول ان يرغم امته على قبول خليفة هو يرتضيه لهم اذا لم يكن في ذلك امر الهي.واذا كان الرسول (ص) يرغب رغبة شخصية ان يكون علياً خليفة من بعده كما تدل على ذلك الاحاديث التي رواها الفريقان باسانيدهما الصحيحة لكنه لم يرغم امته على قبول ذلك الخليفة بنفس الطريقة التي لم يرغم الناس فيها على ان يكفوا عن حديث الافك في اعز ازواجه ولم يرغمهم في الكف عن معاملته بصورة لا تليق برسول الله (ص) عندما كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوته او يتناجون بين يديه حتى ان نزلت الآيات الكريمات التي امرت الناس بالتأدب والاحترام للنبي الذي اطلق للناس حرية استغلها البعض استغلالا غير حسن وكريم.

ومرة اخرى نلقي نظرة فاحصة على عهد الرسول الكريم والحرية التي كان المجتمع الاسلامي الفتي ينعم بها الى درجة تجاوزت الحدود ووصلت الى مرحلة خطيرة اغضبت رسول الله (ص)لانها كانت خروجا على التقاليد المرعية والمتبعة في اطاعة القائد الاعلى اثناء القتال فقد اجمع ارباب السير ان رسول الله (ص) لما مرض مرض الموت دعا اسامة بن زيد بن حارثة فقال له :

> « سر الى مقتل ابيك فاوطئهم الخيل فقد وليتك
> على هذا الجيش، وان ظفرك الله بالعدو فاقلل
> اللبث وبث العيون وقدم الطلائع.»

فلم يبق احد من وجوه المهاجرين والانصار الا كان في ذلك الجيش، منهم ابو بكر وعمر فتكلم قوم وقال :

> « يستعمل هذا الغلام على جلة من المهاجرين
> والانصار. »

فغضب رسول الله (ص) لما سمع ذلك وخرج عاصبا رأسه فصعد المنبر وعليه قطيفة فقال :

> « يا ايها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في
> تأمير اسامة، لئن طعنتم في تأمير اسامة فقد
> طعنتم في تأميري اباه من قبل. وايم الله انه كان
> خليقا بالامارة وابنه من بعده لخليق بها، وانهما

لمن احب الناس الي فاستوصوا به خيرا فانه من
خياركم. »

وهكذا نرى بوضوح ان قلب رسول الله صلى الله عليه وآله كان اكبر من ان يأمر بمعاقبة قوم طعنوا في القيادة التي اختارها لجيشه وتجاوزوا على صلاحيات القائد الاعلى الذي هو في الوقت نفسه رسول الله (ص) ومؤسس امة وباني مجد وقائد عسكري عظيم حيث يصفه الامام علي بقوله :

« كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله فلم يكن
منا اقرب الى العدو منه.»

مثل هذا الرسول العظيم وامام هذه البادرة الخطيرة لم يزجر ولم يهدد ولم يتهم بالفسق او الخروج عن الاسلام احدا من الذين طعنوا في امارة اسامة وكل ما قاله في اخر عتابه :

« واستوصوا به خيراً فانه من خياركم.»

كل هذا حتى يثبت للمسلمين ان اختياره لاسامة لم يكن بأمر من الله ولا علاقة لهذا الاختيار بالسماء والوحي بل انه اختيار شخصي ينبع من كفاءة اسامة وحبه له لقيادة جيش المسلمين، وان غضبه صلى الله عليه وآله للمقالة التي قالوها لا يحملهم مسؤلية اخروية او عذابا الهيا، ولذلك ختم كلامه صلى الله عليه وآله معددا الاسباب التي كانت وراء اختياره للقائد الشاب وطلب من المسلمين ان يسيروا وراءه.

ونذكر هنا رواية رواها ابن عباس عن الخليفة عمر صريحة كل الصراحة في موقف الصحابة نحو الرغبات الشخصية لرسول الله (ص) والاوامر الالهية التي كان يصدع بها، فقد روى ابن عباس قال :

« خرجت مع عمر الى الشام في احدى خرجاته
فانفرد يوما يسير على بعير فاتبعته.»

فقال :

« يا ابن عباس اشكو اليك ابن عمك سألته ان
يخرج معي فلم يقبل ولم ازل اراه واجدا، فيم
تظن موجدته ؟»

فقلت :

« يا امير المؤمنين انك لتعلم.»

قال :

« اظنه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة.»

قلت:

« هو ذاك انه يزعم ان رسول الله اراد الامر له.»

فقال :

يا ابن عباس واراد رسول الله (ص) الامر له فكان ماذا اذا لم يرد الله تعالى ذلك. ان رسول الله اراد ذلك واراد الله غيره فنفذ مراد الله تعالى ولم ينفذ مراد رسول الله. أوكلُّ ما أراد رسول الله كان ؟ انه اراد اسلام عمه ولم يرده الله فلم يسلم.»(١)

وبعد كل ما اثبتناه فان وجود نص الهي في موضوع الخلافة يصطدم بخمس عقبات رئيسية كل واحدة منها تكفي لهدم الفكرة من اساسها وهذه العقبات الخمسة هي :

أ ــ صحابة الرسول (ص) وموقفهم من الخلافة.

ب ــ اقوال الامام في الخلافة.

ج ــ بيعة الامام مع الخلفاء واعطاء الشرعية لخلافة الخلفاء الراشدين.

د ــ اقوال الامام في الخلفاء الراشدين.

هـ ــ اقوال ائمة الشيعة في الخلفاء الراشدين

أ ــ صحابة الرسول (ص) وموقفهم من الخلافة

لقد اعطينا صورة واضحة المعالم عن عصر الرسالة في الصفحات السابقة وبينا مدى الحرية الفكرية والاجتماعية التي كانت تحكم انذاك المجتمع الاسلامي الفتي واستشهدنا بالآيات الكريمات التي وردت في تقييد تلك الحريات الكلامية والاجتماعية التي كانت فيها ايذاء للنبي وتجريح للمسلمين. ويجب علينا ايضا ان نذكر بوضوح وصراحة ان الصورة التي رسمناها لذلك المجتمع الاسلامي الفتي انما كانت صورة عامة لكل الطبقات التي أجتمعت في المدينة وحواليها وحول الرسول (ص) بما فيهم المنافقين والمؤلفة قلوبهم وغيرهم من ضعفاء الايمان الذين يخاطبهم الله بقوله :

«قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا. ان الله

١ــ شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد ج ٣، ص ١١٤.

غفور رحيم انما المؤمنون الذين امنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
في سبيل الله اولئك هم الصادقون. قل اتعلمون
الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات والارض
والله بكل شيء عليم. يمنون عليك ان اسلموا قل لا
تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان ان كنتم صادقين.» الحجرات ١٤ ـ ١٧

ان من يتدبر في هذه الآيات الكريمات يعلم علم اليقين انه في ضمن الأكثرية التي اشرنا اليها كانت توجد تلك الصفوة المختارة من صحابة رسول الله التي مشت تحت راية الرسول (ص) ودافعت عن الاسلام بدمها ومالها واشتركت معه (ص) في بناء مجد الاسلام والدفاع عن الاخطار التي احدقت به. انهم كبار الصحابة من المهاجرين والانصار الذين كانوا مع النبي في السراء والضراء يلازمونه ملازمة الظل لصاحبه حتى يكون لهم اسوة في حياتهم ويحمونه من الاعداء والمتربصين بالاسلام. وهناك صورة مشرقة نيرة لهذه الصفوة المختارة من امة محمد (ص) في القرآن الكريم تعني كل كلمة منها صفاء ذلك العصر وعظمته وجلالته وروعته واخلاص الصحابة وتفانيهم في الاسلام وفي الدفاع عن الرسول (ص) ولنقرأ معا هذه الآية الكريمة :

« محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار
رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من
الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من اثر
السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في
الانجيل كزرع اخرج شطئه فآزره فاستغلظ
فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم
الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة واجراً عظيما.» الفتح ٢٩

وهناك وصف آخر لهذا العصر المشرق ولصحابة رسول الله (ص) يذكرها الامام علي ونثبته هنا :

« لقد رأيت اصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما
ارى احدا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً
وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم

وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر
معادهم، كأن بين اعينهم ركب المعزي من طول
سجودهم، اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل
جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح
العاصف خوفاً من العقاب ورجاء العقاب.» (١)

ولنستمع الى الامام وهو يصف مرة اخرى صحابة رسول الله (ص) ومدى ايمانهم المطلق واللامحدود بنبيهم وبرسالته :

« ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله
نقتل ابائنا وابنائنا واخواننا واعمامنا وما يزيدنا
ذلك الا ايماناً وتسليما. ومضيا على اللقم.
وصبراً على مضض الالم. وجداً في جهاد العدو.
ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان
تصاول الفحلين. يتخالسان انفسهما ايهما يسقي
صاحبه كأس المنون. فمرة لنا من عدونا ومرة
لعدونا منا. فلما رأى الله صدقنا انزل بعدونا
الكبت وانزل علينا النصر حتى استقر الاسلام
ملقياً جرانه ومتبوئاً اوطانه. ولعمري لو كنا نأتي
ما اتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضر للايمان
عود. وايم الله لتحتلبنها دما ولتتبعنها ندما.» (٢)

وهنا لا بد من هذا السؤال، هل ان مثل هذه الصحابة التي اثنى عليهم الله هذا الثناء العظيم ومدحهم الامام عليا بهذا الوصف الكبير، خالفوا النص الالهي في امر ورد فيه تشريع من الله وهم حماة التشريعات الالهية ومنفذيها، وقد ضحوا بالغالي والرخيص لاجلها ولا سيما لو كان لذلك التشريع صلة مباشرة بمصالح المسلمين ومستقبل امرهم وارساء القواعد التي بعث رسول الله (ص) لارسائها؟

وبعد كل هذا و نحن نؤدي رسالة التصحيح في هذا الكتاب بعيدة عن الاهواء والعصبيات وتقاليد الاباء والامهات، انها رسالة موجهة الى الطبقة المثقفة واصحاب الافكار الحرة من ابناء الشيعة الذين عليهم عقدت الامال في

١ــ نهج البلاغة ج ١، ص١٩
٢ــ نهج البلاغة ج١،ص ١٠٤

السير وراء التصحيح، ولذلك ارى ان اعرج على البند الثاني وهو قول الامام علي في الخلافة لنرى بوضوح كيف ان الامام كان يقول بصراحة انه لا نص هناك من الله في الخلافة.

ب ـ اقوال الامام علي في الخلافة

يقول الامام عليا :

« دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون امراً له وجوه والوان، واعلموا اني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ولم اصغ الى قول القائل وعتب العاتب وان تركتموني فانا كأحدكم ولعَلّي اسمعكم واطيعكم لمن وليتموه امركم، وانا لكم وزيراً خير لكم مني اميرا.»(١)

ولنستمع الى الامام مرة اخرى وهو يخاطب اهل الشورى قبل بيعة عثمان :

« ولقد علمتم اني احق الناس بها من غيري والله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين، ولم يكن فيها جور الا علي خاصة، التماساً لاجر ذلك وفضله. »(٢)

وهذا هو الامام يجيب بعض اصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وانتم احق به ؟

« وقد استعلمت فاعلم اما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الاعلون نسباً والاشدون برسول الله صلى الله عليه وآله نوطا، فانها كانت اثرة شحت عليها نفوس وسخت عنها نفوس قوم اخرين والحكم لله والمعود اليه القيامه. »(٣)

ولنقرأ معاً نصوصاً اخرى للامام فيها وضوح وصراحة في رغبته عن الخلافة وانه كان يدفعها عن نفسه دفعاً ولكنه كان يعتقد بانه احق من غيره بها، ولم يذكر الامام ان هناك نصاً من الله وتشريعاً الهي ورد في الخلافة، يقول الامام :

« والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في

---

١ ـ نهج البلاغة ج ١، ص ١٨٢
٢ ـ نهج البلاغة ج ١، ص ١٢٦
٣ ـ نهج البلاغة ج ٢، ص ٦٤

الولاية اربة، ولكنكم دعوتموني اليها وحملتموني
عليها، فلما افضت الي نظرت الى كتاب الله وما
وضع لنا وامرنا بالحكم به فاتبعته وما استسن
النبي صلى الله عليه وآله فاقتديته. » (١)

ويقول في مكان آخر:

«فأقبلتم الي اقبال العود المطافيل على اولادها
تقولون البيعة البيعة، قبضت كفي فبسطتموها
ونازعتكم يدي فجاذيتموها. »(٢)

ويتحدث الامام مرة اخرى في كتاب بعثه الى مالك الاشتر جاء فيه :

« فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي
ان العرب تزعج هذا الامر من بعده صلى الله عليه
وآله عن اهل بيته ولا انهم منحوه عني من بعده
فما راعني الا انثيال الناس على ابن ابي قحافة
يبايعونه فامسكت يدي. »(٣)

وبعد ان قرأنا هذه العبارات الواضحات فيإعتقاد الامام بأولويته في الخلافة بعد رسول الله (ص) لا بد وان نقرأ ايضاً ما قاله في شرعية الخلفاء الذين سبقوه حتى نعلم مدى ايمان الامام واعتقاده بصحة وشرعية بيعتهم.

يقول الامام :

« انها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر ولا يستأذن
فيها الخيار، الخارج منها طاعن والمروي فيها
مداهن. » (٤)

ويقول في مكان اخر :

« الا وانكم قد نفضتم من حبل الطاعة وثلمتم
حصن الله المضروب عليكم بأضراب الجاهلية.
فان الله سبحانه وتعالى قد امتن على جماعة هذه
الامة فيما عقد بينهم من حبل الالفة التي ينتقلون
في ظلها ويأوون الى كنفها بنعمة لا يعرف احد

١ــ نهج البلاغة ج ٢، ص ١٨٤
٢ــ نهج البلاغة ج ٢، ص ٢٠
٣ــ نهج البلاغة ج ٣، ص ١١٩
٤ــ نهج البلاغة ج٣، ص ٨

من المخلوقين لها قيمة، لانها ارجح من كل ثمن واجل من كل خطر. واعلموا بأنكم صرتم بعد الهجرة اعراباً وبعد الموالاة احزابا. ما تتعلقون من الاسلام الا باسمه ولا تعرفون من الايمان الا رسمه. »(١)

ولنستمع الى الامام مرة اخرى وهو يؤكد شرعية الخلافة والامامة بعد ان اجتمعت الامة عليها اجماعاً مصغراً حيث يجب على عامة المسلمين والاكثرية الغائبة اطاعة الخليفة المنتخب :

« ولعمري لئن كانت الامامة لا تنعقد حتى يحضرها عامة الناس فما الى ذلك سبيل. ولكن اهلها يحكمون على من غاب عنها، ثم ليس للشاهد ان يرجع ولا للغائب ان يختار. » (٢)

ج ــ بيعة الامام مع الخلفاء والتأكيد على شرعية الخلفاء الراشدين

لقد اسهبنا في ذكر النصوص الواردة من الامام علي حول الخلافة وعدم ذكر كلمة واحدة بوجود نص الهي فيها والآن لا بد ان نعرج على موضوع آخر وهو اذا كانت الخلافة بنص سماوي وكان هذا النص في علي، هل كان بامكان الامام ان يغض النظر عن هذا النص ويبايع الخلفاء ويرضخ لامر لم يكن من حقهم ؟

لقد علل علماء الشيعة في الكتب العديدة التي الفوها بيعة الامام علي مع الخلفاء بامرين : فهناك من ذهب الى ان الامام علياً بايع الخلفاء خشية منه على ضياع الاسلام وايجاد الفرقة التي كانت تؤدي الى هدم الاسلام، فلذلك ترك حقه ورضخ لخلافة خلفاء غصبوا حقه . والتعليل الثاني انه بايع الامام الخلفاء خشية منه على نفسه وعمل بالتقية التي سنطرق الى ذكرها في مواطن عديدة.

اما الذين عللوا بيعة الامام بالخوف على الاسلام من الضياع لان الناس كانوا على حديث عهد بالاسلام ولم يكن الاسلام بعد صلب العود فيدحضه

١ــ نهج البلاغة ج ٣، ص١٥٤

٢ــ نهج البلاغة ج ٢، ص ٨٦

بيعة علي مع عثمان التي كانت في عصر امتدت فيه الخلافة الاسلامية من الشرق حتى بخارى ومن الغرب حتى شمال افريقيا، وكانت الخلافة الاسلامية تحكم اكبر رقعة من الارض المسكونة في ذلك العصر.

وبعد فان اغرب الامور واعظمها خطراً في مبحث الخلافة والتي لم يتحدث عنها كل من اسهب فيها من رواة الشيعة وعلمائها ومن الفرق الاسلامية الاخرى هي انهم لم يبحثوا الخلافة الالهية بصورة مستقلة عن الامام علي ولا عن الخلفاء الذين سبقوه بل ربطوها ربطاً وثيقاً بالاشخاص والاسماء. ويدهشني ويحيرني حقاً هذا التحوير في الخلافة لانها اذا كانت تبحث بصورة مستقلة عن شخص علي لكانت تصطدم بعقبة كبيرة تنسف كل القواعد التي بنيت في عصر الصراع بين الشيعة والتشيع.

واذا كانت الخلافة تبحث حقاً في العقيدة الاسلامية بغض النظر عمن هو المراد بأن يتولاها لما واجه المسلمون ما واجهوه من الحيرة والضياع في شؤون الخلافة وما ترتبت عليها. وهذا هو بيت القصيد لما اريد ان اذهب اليه وهو ان الخلافة بعد الرسول(ص) وان شئت فقل الامامة اذا كانت بنص الهي وفيها امر من السماء سواء أكان علي هو المراد بتوليها او غير علي لكانت كل المبررات والاقاويل التي ذكرتها رواة الشيعة وعلماء المذهب الامامي (والتي تنصب كلها على ان الامام علي بايع الخلفاء الذين سبقوه للحفاظ على الاسلام من الضياع وخوفاً من ارتداد الناس بعد الرسول او للتقية) تذهب ادراج الرياح وتصبح هباءاً منبثا، لان الخلافة عندما تكون بنص الهي وبأمر من الله لا يستطيع احد مهما كان مقامه او منزلته في الاسلام ان يقف ضدها او يخالفها للمبررات التي يتصورها او يعتقد بها فلم يكن باستطاعة علي او غير علي من الصحابة ان يوقف نصاً الهياً صدر بالوحي.

فاذا كان محمد وهو رسول الله (ص) لا يستطيع ولا يحق له ان يتلكأ في اداء الرسالة الالهية او يخفيها كما صرحت بذلك الآية الكريمة :

« يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم
تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من
الناس.» المائدة ٦٧

فكيف يستطيع من هو دون مرتبة الرسول (ص) ان يغض النظر عن النص الالهي او يخفيه، وهل هناك امر الهي اكثر صراحة ووضوحاً لابلاغ الرسالة والوحي من الايات الكريمات التاليات:

« وان تكذبوا فقد كذبت امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين.» العنكبوت ١٨

« فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظاً ان عليك الا البلاغ.» الشورى ٤٨

« فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز، او جاء معه ملك، انما انت نذير والله على كل شيء وكيل.» هود ١٨

ان ربط الخلافة بالخليفة وعدم التفريق بينهما هو الذي مهد الطريق للرواة من الشيعة كما قلنا ان يدونوا ما شاؤوا في ابان عصر الصراع بين الشيعة والتشيع، فالامام لم يكن مشرعاً ولم يكن يدعي ذلك، ولا اجتهاد امام النص حتى ان يجتهد امام نص الخلافة ويسكت عنها كما انه لا يستطيع ان ينقضه لانه هو موضوع ذلك النص.

فالخلافة اذا كانت الهية وسماوية كانت حقاً عاماً للمسلمين ودستوراً سماوياً لهم بغض النظر عن الشخص الذي يتولاها.

ومع كل ما فصلناه في الخلافة وانها لو كانت بالنص الالهي لم يستطع احد مهما كان شأنه ان يعمل خلافها او يتجاهلها او ينكرها، الا اننا امام فئة كبيرة من علماء المذهب الشيعي وقد اغفلوا هذا الامر اغفالا، ولذلك ذهبوا الى تأويل بيعة الامام بالتقية او الخوف او انه ارغم على امر لا يعتقد به وخلاف ارادته.

وهنا يأتي دور اولئك الذين ارادوا تحطيم الامام علياً وشخصيته والطعن فيه بصورة غير مباشرة، وهكذا تحطيم كل ما يتعلق بعصر الرسالة وصحابة الرسول (ص) لان الطريق الوحيد في اظهار عصر الرسالة بما فيه كبار صحابة رسول الله بالمظهر القاتم هو اعطاء صورة عن خروج ذلك المجتمع الاسلامي عن اوامر الله الصريحة. وهذا الامر يتوقف على تصوير الخلافة في علي بنص الهي ومخالفة الصحابة كلهم لهذا النص مع علمهم بذلك وابلاغ الرسول (ص) اياهم ثم اعطاء صورة عن الامام علي وهو صاحب الحق في صورة رجل مخادع مداهن مجامل كان مع الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه طيلة خمسة وعشرين عاماً في ظاهر الامر كمستشار امين وكصديق حميم مطنباً في مدحهم وقائلا خير الكلام بحقهم ولكنه في واقع الامر غير معتقد بما يقول وغير مؤمن بما يفعل حتى انه زوج ابنته ام كلثوم لعمر ابن الخطاب وهو مرغم

عليه، وسمى اولاده أبا بكر وعمر وعثمان وهو غير راض عن تسميتهم، وهكذا دواليك.

هذه خلاصة ما كتبه بعض علماء الشيعة ورواه بعض رواة احاديث الشيعة ـ سامحهم الله ـ عن الامام علي نصاً وتلويحا. ولست ادري ماذا يكون موقف هؤلاء يوم القيامة اذا احتكم الامام ربه فيهم، كما اني اعتقد جازما ان بين هؤلاء الاكثرية توجد فئة غير قليلة ساهمت في تغيير مسار الفكر الاسلامي الموحد الى طريق الشقاق والنفاق ولضرب الاسلام والمسلمين بما فيهم علي وعمر، مع انهم في ظاهر الامر كانوا يظهرون بمظهر حماة المذهب الشيعي، الا ان الغرض كان هدم المذاهب كلها وان شئت فقل الطعن في الاسلام. فحتى في اوائل القرن الرابع الهجري وهو عصر الغيبة الكبرى لا نجد اي اثر لفكرة اغتصاب الخلافة من الامام علي او انها حق الهي اغتصب منه، او ان صحابة رسول الله (ص) اشتركوا وساهموا فى ذلك الامر، وهكذا وكما قلنا تغيرت فكرة الاولوية بخلافة علي الى فكرة الخلافة الالهية ومخالفة النص الالهي.

ولا شك ان دخول الفلسفات اليونانية الى الفكر العربي والافكار الفلسفية الاخرى التي لعبت دوراً كبيراً في تأسيس المدرستين الاعتزالية والاشعرية كانت وراء الصراع بين الشيعة والتشيع واظهار الشيعة بالمظهر الذي نحن عليه الآن. ولاشك ايضاً ان عرض الخلافة بالصورة التي عرضها علماء المذهب مستندين على روايات رواة الشيعة كان سبباً لانعزال المذهب الشيعي عن سواه وابتعاده عن المذاهب الاخرى محتفظاً بحالة انعزالية وهجومية بعيدة عن كل الفة وانسجام مع الفرق الاسلامية الاخرى. وكان لا بد لابقاء المذهب محصوراً على الطائفة وعدم الانسجام بينها وبين الفرق الاخرى هو ايجاد حالة من التنافر تمنع كل تقارب وتقريب مع الآخرين ولذلك اخذت الشيعة تسلك طريق تجريح الخلفاء الراشدين وذمهم مستندة على الروايات التي وضعها الرواة على لسان ائمة الشيعة مخلفة وراءها من الخراب والدمار ما لا يحصيه الا الله.

ونحن هنا نتحدث مع الشيعة بالمنطق الشيعي البحت ولذلك نثبت اقوالا للامام علي في حق الخلفاء الراشدين ثم نستشهد بما يقول الامام عن نفسه ثم نسأل انفسنا، هل ان مثل هذا الامام بايع الخلفاء وهو مرغم عليه وغير راض

عنه او انه خادع المسلمين في عمله والخلفاء في بيعته، وهل انه قال كلاماً لا يعتقد فيه وعمل عملا لا يؤمن به ؟

احقاً ان الشيعة تحب علياً وهي التي نسبت اليه مثل هذه الامور او انها سلكت هذا الطريق الشائك حتى تثبت حقها في استلام السلطة وتأسيس الدولة ولو ادى ذلك الى التضحية بسمعة علي وجلالة قدره وعظمة نفسه وعلو مقامه ؟

د ــ اقوال الامام علي في الخلفاء الراشدين

ولنستمع الى الامام علي وهو يتحدث عن الخليفة عمر ابن الخطاب:

« لله بلاء عمر فقد قوَّم الامد. وداوى العمد. خلف الفتنة. واقام السنة. ذهب نقي الثوب. قليل العيب. اصاب خيرها. وسبق شرها. ادى الى الله طاعته. واتقاها بحقه. رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي فيها الضال ولا يستيقن المهتدي.»(١)

ومرة اخرى يخاطب الخليفة عندما استشاره في الخروج الى غزو الروم بنفسه:

« انك ان تسر الى هذا العدو بنفسك. فتلقهم بشخصك فتنكب. لا تكن للمسلمين كانفة دون اقصى بلادهم وليس بعدك مرجع يرجعون اليه. فابعث اليهم رجلا مجرباً واحفز معه اهل البلاء والنصيحة. فان اظهر الله فذاك ما تحب. وان تكن الاخرى كنت رداء للناس ومثابة للمسلمين.»(٢)

ويستشير الخليفة عمر ابن الخطاب علياً ابن ابي طالب مرة اخرى للشخوص لقتال الفرس بنفسه فينصح الامام الخليفة بعدم الخروج ويقول له :

« والعرب اليوم وان كانوا قليلا فهم كثيرون بالاسلام وعزيزون بالاجتماع. فكن قطباً واستدر الرحى بالعرب واصلهم دونك نار الحرب... ان الاعاجم ان ينظروا غداً يقولوا... هذا اصل العرب... فاذا قطعتموه استرحتم. فيكون ذلك اشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك... واما ما ذكرت

١ــ نهج البلاغة ج ٢، ص ٢٢٢

٢ــ نهج البلاغة ج ٢، ص ٢٨

من عددهم فانّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة
وأنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة.» (١)

وهذا هو الامام علي يتحدث مع الخليفة عثمان ابن عفان ويصفه بصفات الصحابي المقرب الى رسول الله (ص):

« ان الناس ورائي وقد استنفروني بينك وبينهم.
والله ما ادري ما اقول لك. ما اعرف شيئاً تجهله.
ولا ادلك على امر لا تعرفه. انك لتعلم ما نعلم. وما
سبقناك الى شيء فنخبرك عنه. ولا خلونا بشيء
فنبلغكه. وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا
وصحبت رسول الله (ص) كما صحبنا. وما ابن
ابي قحافة ولا ابن الخطاب اولى بعمل الحق منك.
وانت اقرب الى رسول الله (ص) وشيجة رحم
منهما. وقد نلت من صهره ما لم ينالا. فالله الله
في نفسك. فانك والله ما تبصر من عمي ولا تعلم
من جهل.» (٢)

ومرة اخرى يتحدث الامام حول الخليفة عثمان مع ابن عباس فيقول :

« يا ابن عباس ما يريد عثمان الا ان يجعلني جملا
ناضحاً بالغرب. اقبل وادبر. بعث الي ان اخرج ثم
بعث الي ان اقدم. ثم هو الآن يبعث الي ان اخرج.
والله لقد دفعت عنه حتى خشيت ان اكون
آثما.» (٣)

ويذكر الامام علي موقفه من الخليفة عثمان ابن عفان في كتاب بعثه الى معاوية ابن ابي سفيان يقول فيه:

« ثم ذكرت ما كان من امري وامر عثمان، فلك ان
تجاب عن هذه لرحمك منه، فاينا كان اعدى له
واهدى الى مقاتلة. امن بذل له نصرته فاستقعده
واستكفه. امن استنصره فتراخى عنه وبث

١ــ نهج البلاغة ج ٢، ص ٣٠
٢ــ نهج البلاغة ج ٢، ص ٤٨
٣ــ نهج البلاغة ج ٢، ص ٢٣٣

المنون اليه... وما كنت لاعتذر من اني كنت انقم
عليه احداثاً، فان كان الذنب ارشادي وهدايتي له
فرب ملوم لا ذنب له.» (١)

وهذا هو ابو سفيان شيخ الامويين يزور الامام علياً في داره ويقول له :

« غلبكم على هذا الامر ارذل بيت في قريش. اما
والله لاملئنها خيلاً ورجلاً، اعطني يدك لابايعك.»

فيقول له الامام :

« ما زلت عدو الاسلام واهله فما ضر ذلك
الاسلام واهله شيئاً انا رأينا ابا بكر اهلا لها انما
تريد الفتنة.» (٢)

فان كان هذا هو موقف الامام من الخلفاء الراشدين وهو يصرح بذلك فهل نستطيع ان نقول ان الامام كان يظهر شيئاً ويضمر شيئاً آخر ؟ معاذ الله من ذلك. فان كان الامام يريد ان يظهر شيئاً ويضمر شيئاً آخر لما كان له ذلك الموقف الذي لا ينساه تاريخ الانسان الى الابد، انه موقف صدق واخلاص وايمان من رجل هو مع الحق والصدق قبل كل الاعتبارات وبعدها ويضحي في سبيلهما مهما كانت التضحيات غاليات، ففي يوم الشورى عرض عبد الرحمن بن عوف على الامام علي الخلافة بقوله :

« ابايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة
الشيخين.»

فقال الامام :

« كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي.»

فكرر عبد الرحمن ابن عوف المقالة نفسها وكرر الامام الاجابة نفسها الى ثلاث مرات ثم انحاز عبد الرحمن الى عثمان وعرض عليه الخلافة بالصورة التي عرضها على الامام فقبلها عثمان وتمت البيعة له.

فهل علي الذي يغض النظر عن خلافة اسلامية كان لواؤها يرفرف على اكبر رقعة من الارض المسكونة في ذلك التاريخ لاجل كلمة واحدة هي (نعم) وهو لا يريد الايفاء بها يجامل او يخادع او يقول شيئا ويضمر غيره او يبايع

١ـ نهج البلاغة ج٣، ص ٣٠

٢ـ علي امام المتقين ـ عبد الرحمن الشرقاوي ج ١، ص ٦٦

الخلفاء ويقول في مدحهم الكلام الكثير ويقف معهم موقف الناصح الامين وهو لا يعني كل هذا ؟

ومع ان هذه الصورة الرائعة المشرقة لموقف الامام علي في تلك اللحظة الخالدة في تاريخ الاسلام تكفي عن الاسهاب في فضائل علي وصدقه واخلاصه وعزوفه عن الدنيا، ولكننا نسجل هنا بعض الاقوال الصادرة عن الامام حول نفسه واخلاصه وتفانيه في الله، يقول الامام :

« فوالله لو اعطيت الاقاليم السبعة وما تحت افلاكها على ان اعصى الله في نملة اسلبها جلب شعيرة، ما فعلت. وان دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها.»(١)

ويقول الامام في مكان آخر :

« هذا ماء آجن، ولقمة يغص بها آكلها، ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه. فان اقل يقولوا حرص على الملك، وان اسكت يقولوا جزع من الموت. هيهات بعد اللتيا والتي، والله لا ابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه.»(٢)

ويقول في ضمن رسالة بعثها الى والي البصرة عثمان ابن حنيف جاء فيها :

« فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا. ولا ادخرت من غنائمها وفرا. ولا اعددت لبالي ثوبي طمرا.....اقنع من نفسي بأن يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر وجشوبة العيش، او ابيت مبطاناً وحولي بطون غرثى واكباد حرّى. فهيهات ان يقودني هواي الى تخير الاطعمة ولذائذها ولعل بالنجد او اليمامة من لا طمع له بالقرص ولا عهد له بالشبع.....وكأني بقائلكم يقول : ان كان هذا قوت ابن ابي طالب لقعد به

١ــ نهج البلاغة ج ٢، ص ٢١٨

٢ــ نهج البلاغة ج ١، ص ٤٠

الضعف عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان. الا
وان الشجرة البرية اصلب عوداً والروائع الخضرة
ارق جلودا، وانا من رسول الله صلى الله عليه
وآله كالصنو من الصنو والذراع من العضد.
فوالله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت
عنها.»(١)

ويقول الامام في مكان آخر :.

« والله لئن ابيت على حسك السعدان مسهدا.
واجر في الاغلال مصفدا. أحب الي من ان القى
الله ورسوله (ص) يوم القيامة ظالماً لبعض
العباد وغاصباً لشيء من الحطام.» (٢)

وهذا هو عبد الله ابن عباس يدخل على علي بذيقار فيرى الامام يخصف نعله
فيسأله الامام : ما قيمة هذا النعل ؟
فيقول: لا قيمة لها يا امير المؤمنين.
فيقول الامام:

« والله لهي احب الي من امارتكم الا ان اقيم حقاً
او ادفع باطلا.»

ولا بد ان اذكر ايضا موقف الامام علي من السيدة عائشة بعد حرب الجمل فقد كرّم الامام السيدة ام المؤمنين واكرمها اكراماً يليق بزوجة الرسول (ص) حينما اعادها من ساحة الحرب مصحوبة بعدد من النساء القرشيات.

اما الشيعة فلن تغفر للسيدة عائشة خروجها على الامام في تلك الحرب، وهذا هو سبب موقفها المعارض لام المؤمنين. ولست اريد ان اذكر في هذا المجال المبررات التي ذكرها انصار السيدة عائشة في تبريرهم لخروجها على الامام، ولا الاراء التي ذكرها علماء الشيعة في تبرير موقفهم المناهض لام المؤمنين، فهذه امور معروفة ذكرت في عشرات المجلدات من الكتب ولا فائدة من تكرارها فنحن في غنى عنها، ولكنني اريد انهاء هذا الصراع الفكري بالمنطق الشيعي البحت، وهو ان الامام برأ ساحة السيدة عائشة من الحرب

١ـ نهج البلاغة ج٢، ص ٢٢٠

٢ـ نهج البلاغة ج٢، ص ٢١٦

التي قادتها، والامام هو الخليفة الذي كان يقضي بين الناس بالحق ولا يحيد عنه قيد انملة. فاذا كان الامام قد القى اللوم على فئة استغلوا سذاجة ام المؤمنين واخرجوها من دارها لتقود حركة مناهضة للخليفة المنتخب والشرعي، فيعني هذا ان السيدة عائشة بريئة من كل ما يتعلق بحرب الجمل وذيولها في نظر الامام، ولذلك امر باكرامها وارجاعها الى المدينة بالصورة التي اجمعت عليها كتب التاريخ ليثبت برائتها من تلك الحرب في نظر القاضي العادل الذي هو الامام. فلا يحق لاحد ان يطعن او يجرح السيدة عائشة متحدياً عمل الامام ورأيه الذي يؤكده بصريح العبارة عندما يتحدث عن حرب الجمل واخفاق ام المؤمنين في قيادتها فيقول :

« ولها. (اي للسيدة عائشة) بعد حرمتها الاولى
والحساب على الله تعالى.» (١)

وفي مواطن كثيرة يلقي الامام علياً المسؤلية على الذين استغلوا حرم رسول الله (ص) وجروها ورائهم حسب تعبيره. (٢)

ان من حسن التوفيق ان بعض علماء الشيعة وقف موقفاً لائقاً بام المؤمنين ونهى عن تجريحها. فقد قال السيد مهدي الطباطبائي وهو من علماء القرن الثاني عشر في ارجوزته الفقهية مخاطباً السيدة عائشة :

« ايا حميراء سبك محرم. لاجل عين الف عين يكرم »(٣)

هـ ـ اقوال ائمة الشيعة في الخلافة والخلفاء الراشدين

ونختتم هذا الفصل باعطاء صورة واضحة المعالم عن موقف ائمة الشيعة حول الخلافة وعدم وجود نص الهي فيها ليكون البحث متكاملا كما قلنا في مقدمة هذا الفصل.

ان الامامة اذا كانت الهية كما تذهب الشيعة وانها في اولاد علي حتى الامام الثاني عشر لعيَّن الامام ابنه الحسن خليفة واماماً من بعده ولكن الذي اتفق عليه الرواة والمؤرخون ان الامام عندما كان على فراش الموت وذلك بعد ان ضربه ابن ملجم المرادي بالسيف المسموم وسئل عن الشخص الذي يستخلفه قال:

١ـ نهج البلاغة ج ٢، ص ٤٨

٢ـ نهج البلاغة ج ٣، ص ٨٤

٣ـ كان الرسول الكريم ينادي السيدة عائشة بالحميراء .

« اترككم كما ترككم رسول الله (ص).»

وبعد وفاة الامام اجتمع المسلمون واختاروا ابنه الحسن وبايعوه خليفة للمسلمين ولكن الامام الحسن صالح معاوية وتنازل له عن الخلافة. والامام علل الصلح بأنه لحقن دماء المسلمين.

فيا ترى لو كانت الخلافة منصباً الهياً هل كان يستطيع الامام الحسن ان يتنازل عنه بذريعة حقن الدماء ؟

فكما نعلم انه لا مكان لحقن الدماء عندما يكون هناك دفاع عن امر الله وشريعته. وماذا يعني اذن الجهاد والقتال في سبيل الله لارساء دينه وشريعته واوامره ونواهيه. ان حقن الدماء امام حق الهي وسماوي يتناقض مناقضة صريحة مع هذه الآية الكريمة:

> « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
> بأن لهم الجنة. يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
> ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل
> والقرآن. ومن اوفى بعهده من الله، فاستبشروا
> ببيعكم الذي بايعتم به. وذلك هو الفوز العظيم.»
> التوبة ١١١

والامام الحسين عندما ثار وهو يريد الاطاحة بخلافة يزيد بن معاوية واستشهد في كربلاء ومعه اولاده وصحابته، لم يذكر قط بانه يدافع عن خلافة سماوية اغتصبها يزيد بل كان يقول انه اولى بالخلافة منه وان مثله لا يبايع يزيدا وانه ثار لاحياء دين رسول الله (ص) الذي انحرف على يد يزيد.

كما اننا لم نجد في اقوال الامام علي بن الحسين الملقب بالسجَّاد اية عبارة تدل على كون الخلافة الهية. وبعد الامام السجَّاد ياتي دور الامام محمد الباقر والذي في عهده بدأ يتبلور مذهب اهل البيت الفقهي الذي اكمله ابنه الامام جعفر الصادق، فنحن لا نجد اثراً لفكرة الخلافة الالهية في عهدهما ولا في عهد ائمة الشيعة الاخرى حتى الغيبة الكبرى.

وهناك شيء جدير بالاهتمام لابد من التركيز عليه لتفنيد كل الروايات التي ذكرها بعض رواة الشيعة في تجريح الخلفاء الراشدين بما فيهم الخليفة ابا بكر، وهو ان الامام الصادق الذي يعتبر رئيس ومؤسس المذهب الجعفري الامامي الاثنى

عشري قال مفتخراً وفي مواطن عديدة:

« اولدني ابو بكر مرتين.»

فالامام الصادق ينتهي نسبه الى ابي بكر عن طريقين. عن طريق والدته فاطمة بنت قاسم بن ابي بكر، وعن طريق جدته اسماء بنت عبدالرحمن بن ابي بكر التي هي ام فاطمة بنت قاسم بن محمد بن ابي بكر. ولكن الغريب ان رواتنا ـ سامحهم الله ـ رووا عن هذا الامام الذي يفتخر بجده ابي بكر روايات في تجريح هذا الجد لا تعد ولا تحصى. فهل يعقل ان يفتخر الامام بجده من جهة ويطعن فيه من جهة اخرى ؟ ان مثل هذا الكلام قد يصدر من السوقي الجاهل ولكن معاذ الله ان يصدر من امام يعتبر افقه واتقى اهل عصره وزمانه.

وهكذا نرى ان رواة الشيعة ساهموا مساهمة فعالة ولكن بصورة غير مباشرة حتى في الاساءة الى ائمة الشيعة الذين يدعون انهم من انصارهم وانهم الفوا كتباً عديدة لاحياء تراثهم. ونحن نسمي عصر تأليف تلك الكتب وما جاء فيها من الروايات الملفقة بالعصر الاول لظهور الصراع بين الشيعة والتشيع. واعتقد اننا اسهبنا القول في الخلافة وكل ما يتعلق بها، وان الذي علينا الآن هو التحدث عن الفكرة التصحيحية التي ننادي بها وننشدها ونرغب من ابناء الشيعة الامامية ان يسيروا عليها وينضووا تحت لوائها.

وندعو ان تقف الشيعة بكل ما اوتيت من جهد وقوة في وجه المرتزقين بالاقلام والالسنة والدعوات المفرقة ونطلب من الطبقة الواعية المثقفة من ابناء الشيعة التي نعقد عليها الآمالْ في نجاح مسيرتنا التصحيحية التي ندعو اليها ان تكون منار الهداية للاكثرية التي آمنت بما سمعت من دعاة التفرقة واصحاب العقول المتحجرة والنفوس المريضة والاهواء والمصالح.

التصحيح

وهنا ابدأ بتحديد النقاط الاساسية للتصحيح واملي معـقود لضمانه على الطبقة الواعية المثقفة من اصحاب العقول النيرة التي اشرت اليها اعلاه.

١ ـ ان موضوع الخلافة يجب وينبغي ان لا يخرج عن اطاره الحقيقي الذي نص عليه القرآن الكريم.

« وامرهم شورى بينهم.»

وان تنظر الشيعة الى الخلفاء الراشدين بنفس النظرة والطريقة التي اقرها

الامام علي نزولا عند نص القرآن الكريم واجماع المسلمين. وان الخلفاء الراشدين من بناة الاسلام الاوائل وقد اجتهدوا في مدة خلافتهم فاصابوا واخطأوا وخدموا الاسلام ما استطاع كل واحد منهم الى ذلك سبيلا.

فالخليفة الاول ابو بكر حفظ الاسلام من خطر الردة بحزمه وصبره وصرامته. تلك الردة التي كانت السبب في الحروب التي استشهد فيها عشرون الف صحابي للدفاع عن الاسلام وابلى المسلمون فيها بلاء حسنا.

وهذا هو الامام علي يقف على باب ابي بكر في يوم وفاته ويخاطبه بقوله:

« رحمك الله يا ابا بكر كنت اول القوم اسلاما، واخلصهم ايمانا واشدهم يقيناواعظمهم غناء واحفظهم على رسول الله (ص)، وانسبهم برسول الله خلقا وفضلا وهديا وسمتا، فجزاك الله عن الاسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيرا.صدقت رسول الله حين كذبه الناس وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا واسماك الله في كتابه صديقا، والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون يريد محمدا ويريدك. وكنت والله للاسلام حصنا وعلى الكافرين عذابا، لم تقلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك، وكنت كالجبل الذي لا تحركه العواصف. كنت كما قال رسول الله ضعيفا في بدنك قويا في امر الله متواضعا في نفسك عظيما عند الله، جليلا في الارض، كبيرا عند المؤمنين ولم يكن لاحد عندك مطمع، ولا لاحد عندك هوادة، فالقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه، والضعيف عندك قوي حتى تأخذ الحق له، فلا حرمنا الله اجرك ولا اضلنا بعدك.» (١)

١ــ الصديق اول الخلفاء ــ عبدالرحمن الشرقاوي.

والخليفة الثاني عمر بن الخطاب اعطي للاسلام قوة عظيمة بفتوحاته ومواقفه الخالدة في توسيع الرقعة الاسلامية شرقا وغربا وهو الذي ارسى قواعد الاسلام في بلاد واسعة شاسعة منها فارس وفلسطين والشام ومصر.

والخليفة الثالث عثمان بن عفان صاهر الرسول مرتيّن ولولا انه رجل يمتاز عن كثير من اقرانه لما زوجه الرسول بنتين. وكان له جهاد كبير في ابان الدعوة الاسلامية وكفاه فخرا انه كان من اغنياء قريش يملك الف ابل من حمر النعم باعها وصرف ثمنها في سبيل دعوة الرسول (ص) وعلى المسلمين وقدر ثمن تلك الابل بمليون سكة ذهبية في ميزان ذلك العصر. وكان عصره عصرا امتدت فيه الفتوحات الاسلامية حتى وصلت الى تخوم الهند. واذا اخفق في الخلافة في اواخر حياته الا انه قتل وهو شيخ بلغ الثمانين وهو مكب على قراءة القرآن الكريم.

ولا يجوز تجريح الخلفاءوذمهم بالكلام البذيء الذي نجده في اكثر كتب الشيعة، الكلام الذي يغاير كل الموازين الاسلامية والاخلاقية ويناقض حتى كلام الامام علي ومدحه وتمجيده في حقهم كما اثبتناه قبل قليل.
ويجب على الشيعة ان تحترم الخلفاء الراشدين وتقدر منزلتهم من الرسول، فالنبي (ص) صاهر ابا بكر وعمرا، وعثمان صاهر النبي مرتين، وعمر بن الخطاب صاهر عليا وتزوج من ابنته ام كلثوم. ولا اطلب من الشيعة في هذه الدعوة التصحيحية ان تقول وتعتقد في الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا الامام عليا اكثر مما قاله الامام في حقهم. فلو التزمت الشيعة بعمل الامام علي لانتهى الخلاف وساد الامة الاسلامية سلام فكري عميق فيه ضمان الوحدة الاسلامية الكبرى.

٢ــ غربلة الكتب الشيعية التي ذكرت روايات عن ائمة الشيعة في ذم الخلفاء الراشدين واعادة طبع تلك الكتب منقحة مغربلة مما ورد فيها.

٣ــ على الشيعة ان تعتقد جازمة ان كل الروايات التي ذكرتها كتب الشيعة في حق الخلفاء وفي وجود نصوص الهية في موضوع الخلافة هي روايات وضعت بعد عصر الغيبة الكبرى وذلك بعد ان سدت الابواب كلها في الوصول الى آخر امام للشيعة وهوالمهدي كما قلنا، فلذلك لا نجد اثرا للروايات الجارحة في حق الخلفاء الراشدين وموضوع النص الالهي في الخلافة الى عصر الامام الحسن العسكري وهو الامام الحادي عشر للشيعة الامامية حيث كان

باستطاعة الشيعة ان تتصل بالامام مباشرة وتسأله عن صحة ما ينسب الى آبائه الائمة من الروايات. ولكن بعد الاعلان الرسمي عن غيبة الامام الثاني عشر وتكذيب كل من ادعى رؤيته بعد الغيبة بنص صريح صدر منه وضع بعض الرواة روايات باسم ائمة الشيعة لتعذر الوصول الى الامام والسؤال عن صحتها وسقمها فكان ما كان من حديث واحاديث تندى منها الجباه.

٤ ــ ان تخرج الشيعة من الانطواء على نفسها وتسلك طريق الامام عليا ان كانت حقاً من انصاره وتسمي اولادها باسماء الخلفاء الراشدين وتسمي بناتها بأسماء ازواج النبي واقصد السيدة عائشة وحفصة بالذات لأن الشيعة تعزف عن هذين الاسمين، فالامام علي قد سمى اولاده ابا بكر وعمر وعثمان، وائمة الشيعة سلكوا الطريق نفسه وكم من بنات الائمة سمين بعائشة وحفصة هذا بغض النظر عن ان التسمية باسماء الخلفاء الراشدين خروج من جاذبة الفرقة والانطواء على الطائفية والدخول الى صفوف الوحدة الكبرى مع المسلمين.

ويعز على المصلحين من ابناء الاسلام ان لا يصادفوا في البلاد الشيعية اناساً من الشيعة يحملون اسماء الخلفاء، واذا ما طاف احد البلاد الشيعية بطولها وعرضها لا يصادف هذه الاسماء الا نادراً، ففي ايران مثلا وفي البلاد الشيعية التي يكثر فيها الخلاف مع الفرق الاسلامية الاخرى لا نجد لمثل هذه الاسماء اثراً يذكر.

٥ ــ ان تعلم الشيعة في كل مكان تتواجد فيه على هذا الكوكب ان السبب الحقيقي والاساسي لتخلفها الفكري والاجتماعي هو السير وراء زعاماتها المذهبية واطاعتها اطاعة عمياء جعلتهم كالاغنام تساق الى حيثما تريد وان تلك الزعامات هي التي سببت للشيعة شقاء وعناء ومحنة سعتها سعة السماوات والارض.

ومع انني استثني بعض هذه الزعامات من هذه القاعدة الا ان الاكثرية منهم كانت ولازالت هي الماسكة بزمام البدع الفكرية في عقول الشيعة من عصر الغيبة الكبرى والى هذا اليوم. ولاشك ان التكوين الفكري المغلق لهذه الزعامات والامتيازات المالية الكبيرة التي حصلوا عليها من اموال الشيعة باسم الخمس في ارباح المكاسب تلك البدعة التي سنشير اليها في الفصل الخاص بها والقدرة المطلقة التي زعموها لانفسهم في التحكم برقاب الشيعة كانت السد المنيع لرفع الغطاء عن العيون المحجبة والترفع عن الدنيا وحطامها، وكأنهم لم

يسمعوا كلام الله حيث يقول :

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً
في الارض ولا فسادا. والعاقبة للمتقين.»
القصص ٨٢

ورسول الله (ص) يقول :

« آخر ما يخرج من رأس الصديقين حب الجاه.»

وحتى هذا اليوم فان الزعامات المذهبية الشيعية لعبت بالشيعة كالكرة فرمتها باقدامها هنا وهناك وهم بها ساخرون وجعلت منها امة يسخر بها العالم وتضحك منها الامم.

ومع انني سأذكر في فصل من فصول التصحيح (١) شواهد وادلة لاستغلال الزعامات المذهبية الشيعية للشيعة عبر التاريخ وحتى هذا اليوم وفي كل مكان تتواجد فيه هذه الامة المسكينة الا انني وفي كل فصل سأضع النقاط على الحروف كي لا يختلط الحديث بالحديث ولا الفكرة بالفكرة.

---

١ ــ راجع فصل الارهاب.

التقية

انني اعتقد جازماً انه لا توجد امة في العالم اذلت نفسها واهانتها بقدر ما اذلت الشيعة نفسها في قبولها لفكرة التقية والعمل بها. وها انا ادعو الله مخلصاً واتطلع الى ذلك اليوم الذي تربأ الشيعة حتى عن التفكير بالتقية، ناهيك عن العمل بها ؟

التقية

من الصعب علي جداً ان اتصور معنى التقية بالمفهوم الشيعي الخالص وكما وردت في الكتب الشيعية وتبناها بعض علماء المذهب الامامي وساروا عليها منذ الغيبة الكبرى وحتى كتابة هذه السطور.

ولست ادري كيف تدَّعي الشيعة بأنها من انصار الامام الحسين سيد الشهداء وامام الثائرين وهي تعمل بالتقية وتعتقد بها وترتضيها لنفسها، ثم لست ادري ما هذا التناقض الغريب في معتقدات الشيعة وحسب الصورة التي رسمتها لهم زعاماتهم عبر القرون. فمن ناحية يعتقدون بأن سيرة ائمة الشيعة قد تكون حجة عليهم ولكنهم يضربون بها عرض الحائط عندما يصل الامر الى التقية ويتحدثون عن وجوب العمل بها لا سيما امام الفرق الاسلامية الاخرى.

لقد اراد بعض علمائنا رحمهم الله ان يدافعوا عن التقية (١) ولكن التقية التي يتحدث عنها علماء الشيعة واملتها عليها بعض زعاماتها هي ليست بهذا المعنى اطلاقاً انها تعني ان تقول شيئاً وتضمر شيئاً آخراً او تقوم بعمل عبادي امام سائر الفرق الاسلامية وانت لا تعتقد به ثم تؤديه بالصورة التي تعتقد به في بيتك. وقبل ان افصل الحديث في ظهور فكرة التقية بالصورة التي رسموها والاسباب التي كانت وراء انتسابها الى ائمة الشيعة، ينبغي ان نمعن النظر قليلا في عمل ائمة الشيعة وفي حياتهم الخاصة والعامة لكي نرى انهم

---

١ ـ يدافع العالم الشيعي الكبير السيد محسن الامين رحمه الله في كتابه (الشيعة بين الحقائق والاوهام) ص ١٦٨ بقوله:

والدليل عليها العقل والنقل فقد قضى العقل بجواز دفع الضرر بها بل بلزومه واتفق عليها جميع العقلاء ونص عليها الكتاب العزيز والسنة المطهرة فمن الكتاب ايات منها قوله تعالى في سورة آل عمران اية ٢٧

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة.»

اما الامام الرازي فقد قال في تفسير هذه الآية :

التقية انما تجوز فيما يتعلق في اظهار الموالاة والمعاداة وقد تجوز فيما يتعلق باظهار الدين فاما ما يرجع ضرره الى الغير كالقتل فذلك غير جائز البتة.

وفي مذهب الشافعي ان التقية بين المسلمين اذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة عن النفس. والتقية جائزة لصون النفس. وهل هي جائزة لصون المال؟ يحتمل لقوله (ص) : « حرمة المسلم كحرمة دمه.» ولقوله « من قتل دون ماله فهو شهيد.»

وقال الباقر فيما رواه الكليني في اصول الكافي :

« انما حلت التقية ليحقن بها الدم فاذا بلغ الدم فليس تقية .»

كانوا ابعد الناس عن التقية واكثر الناس مقتاً لها. ولنعلم بعد ذلك انه لم يكن من المعقول ان لا يعمل ائمة الشيعة بالتقية وهم يأمرون اتباعهم وشيعتهم بالعمل بها.

ولقد ذكرنا في الفصل السابق صورة واضحة المعالم عن حياة الامام علي وصراحته في الحق ولا نريد تكرارها هنا.

اما ابنه الحسن وهو الامام الثاني للشيعة (١) فكان ابعد الناس من التقية ومخادعة الناس وصلحه مع معاوية يشهد بذلك. فصلح الحسن عمل ثوري وخروج على الرأي العام المحيط بالامام في عصره، فقد لاقى الامام الحسن معارضة صريحة من كثير من شيعة ابيه الذين كانوا لا يريدون الصلح، حتى ان سليمان ابن صرد وهو من كبار شيعة علي خاطب الامام الحسن بقوله :

« السلام عليك يا مذل المؤمنين.»

والمعارضون للصلح كانوا اقوياء واشداء ونال الامام الحسن منهم الكثير، ولكن لم يفت كل ذلك في عضده وقاوم المعارضة مقاومة الابطال.
فياترى لو كانت للتقية مكان في قلب الحسن هل كان يصالح معاوية ام كان يستجيب لنداء الذين كانوا يحثونه على قتاله حتى يبايعه معاوية كخليفة منتخب وشرعي للمسلمين ؟

ثم يأتي دور الامام الحسين الذي ثار ضد يزيد بن معاوية ولم يقبل بنصح اولئك الذين نصحوه بالبقاء في مدينة الرسول ومنعوه من السير الى العراق.
وكل من يتابع الثورة الحسينية يعلم بوضوح ان شهادة الامام الحسين واولاده واصحابه وسبي اهل بيته كانت كلها تتجسد امام الحسين قبل المعركة وكان يعلم بها علم اليقين فالحسين جمع اصحابه في ليلة العاشر من محرم وقال لهم بأن غداً سيكون القتال وانه مقتول لا محالة وانه حل البيعة من اصحابه وطلب ان يترك ساحة القتال من شاء منهم في ذلك الليل المظلم وقال لهم :

« اتخذوا الليل جملا وارحلوا الى مصائركم.»

فرحل منهم من رحل وبقي منهم من بقي ليستشهد مع الحسين ويسجل اسمه في سجل الخالدين.

---

١ ــ اطلاق تسمية ائمة الشيعة على هذه الصفوة المختارة من اهل بيت رسول الله هو اطلاق مجازي في حين ان المسلمين كلهم يحترمون اهل بيت الرسول ويرون فيهم القدوة الصالحة.

فهل في مثل هذه الثورة تجد الشيعة اثراً للتقية او كل ما يمت الى التقية بصلة ؟

ثم يأتي دور الامام علي ابن الحسين الملقب بالسجّاد، وهو الذي عاصر ملحمة كربلاء ولم يشترك بالقتال بسبب المرض الذي الزمه الفراش وقد اسر في ضمن من اسر بعد مقتل ابيه وحمل على جمل اقتب مقيداً بالسلاسل من كربلاء الى الشام ولاشك ان تلك الصورة الحزينة المليئة بالدماء والدموع والتي شاهدها السجاد في يوم عاشوراء والذل والهوان الذي احتمله وهو يسير مع الاسرى بين كربلاء ودمشق كانت عالقة في ذهنه ليل نهار وقد انصرف الامام السجادالى العبادة وكان يكثر من البكاء في اناء الليل واطراف النهار حتى لقب بالبكّاء.

انه كان من الطبيعي لذلك الحزن السرمدي الذي كان يعصر قلب الامام ان تتجلى في كلامه وخطبه عبارات تدحض الخلافة الاموية الحاكمة التي كانت حتى ذلك الحين تسب جده الامام عليا على المنابر بعد كل صلاة. فقد ترك الامام السجاد لنا اربعة وخمسون دعاء جمعت كلها في كتاب واحد وسميت تلك الادعية (الصحيفة السجادية).

ان من يقرأ هذه الادعية يعلم علم اليقين كيف ان التقية كانت ابعد شيء الى قلب السجّاد فقد نسف الامام في ادعيته تلك الخلافة الاموية الحاكمة نصاً ومضموناً.

انها حقاً ادعية ثورية صدرت من امام شاهد اضخم الثورات الاسلامية حجماًواقلها زماناً، فاذا لم يستطع ان يشترك فيها بدمه فهاهو اشترك فيها بلسانه كالسيف البتار. وهذا هو الامام السجاد مرة اخرى يطوف بالبيت ويفسح الحجيج له الطريق اجلالا واكراماً، والخليفة هشام ابن عبد الملك يرى كل ذلك ويطوف بين الطائفين والناس في شغل عنه والامام يرى الخليفة ولا يبالي به، فيغتاظ الخليفة لما رأى من الامام وما رأى من الناس في الامام فيسأل متجاهلا :

من هذا ؟

مشيراً الى السجّاد، وتشاء المقادير ان يكون الفرزدق الشاعر حاضراً الموقع فيرتجل قصيدته العصماء مخاطباً الخليفة :

وليس قولك من هذا بضائره   العرب تعرف من انكرت والعجم

هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا الامام التقي الطاهر العلم
لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه	لقبل الركن منه موضع القدم
يغضي حياء ويغضى من مهابته	فـلا يكلم الا حين يبتسم

ان من يمعن النظر في هذا اللقاء الجاف بين الامام والخليفة الحاكم الذي اغضب هذا الاخير سيعلم علم اليقين ان التقية وكل ما يمت اليها بصلة لم تجد الى قلب الامام سبيلا.

ثم يأتي دور الامام الباقر وابنه الامام الصادق وهما اللذان اسسا المدرسة الفقهية التي سميت باسم الفقه الجعفري وكان الامامان يدرسان في المدينة في جامع الرسول (ص) ويدليان بآرائهما الفقهية وينشران مذهب أهل البيت بلا خوف ولا وجل. فالباقر عاصر الخلافة الاموية والصادق عاصر نهاية الخلافة الاموية وبداية الخلافة العباسية وكانت الخلافة الاموية والعباسية على اختلاف مع الامامين ولا ترتضي بمدرسة اهل البيت الفقهية، ولكن الامامين اديا الرسالة، وقد تخرج عليهما فقهاء وعلماء كثيرون. وهكذا نرى ان الامامين كانا يؤديان الواجب غير متهيبين من السلطة التي كانت على خلاف معهما.

ومن الغريب ان بعض رواة الشيعة روت عن الامام الصادق روايات في وجوب التقية على شيعته في حين انه وشيعته لم يكونوا بحاجة اليها، فالامام كان يدرِّس في مسجد الرسول (ص) وحوله آلاف من التلاميذ والطلاب والمستمعين. وليت شعري ان اعرف كيف يمكن لمدرسة فقهية بهذه السعة وكثرة الطلاب والتلاميذ ان تبنى على التقية واية تقية استعملها الامام في بناء مدرسته الفقهية التي كان يضع اساسها امام المسلمين وبصورة علنية بما فيهم المحب المخلص والعدو الشامت.

والامام موسى ابن جعفر لم يكن على وفاق مع الخليفة العباسي هارون الرشيد وقضى سنوات في سجن الخليفة ببغداد. فلو كان موسى ابن جعفر يسلك طريق التقية ويخادع الخليفة الذي كان ابن عمه وكانت تتحكم بينهما صلات القربى لما حدث له ما حدث.

وعندما آلت الخلافة الى المأمون العباسي عين الامام علي ابن موسى الملقب بالرضا ولياً للعهد، وعلي الرضا هو الامام الثامن للشيعة الامامية، غير ان الامام قضى نحبه في عهد المأمون واستمرت الخلافة في العباسيين. وبعد

وفاة الامام الرضا زوَّج الخليفة المأمون العباسي ابنته ام الفضل لابن الرضا محمد الجواد لكي لا تنقطع المودة بين الخليفة العباسي والبيت العلوي. وهذان الامامان الاب والابن اللذان كان احدهما ولياً للعهد والآخر صهراً للخليفة لم يكونا بحاجة الى العمل بالتقية ولم يطلبا من الشيعة ان يتخذوا من التقية وسيلة لمآربهم.

وبعد الامام الجواد يأتي دور علي وابنه الحسن العسكري الامام العاشر والحادي عشر للشيعة، وقد سكنا عاصمة الخلافة العباسية وعاصرا عهد المتوكل وابنه المعتصم، وكان بيت الامامين موئلا للزوار وكانا يقومان بشؤون المسلمين الدينية ونشر مذهب اهل البيت. ومن يتابع حياة هذين الامامين يعلم انهما كانا من ابعد الناس عن التقية ايضاً ومع ان عيون الخلفاء كانت تراقبهما وتراقب حركاتهما ودعواتهما الى مذهب اهل البيت التي كانت في الحقيقة معارضة للخلافة العباسية الا ان الامامين لم يباليا بذلك وسلكا طريق الحق في اداء رسالتهما.

لقد اوردنا هذه الخلاصة من حياة ائمة الشيعة لنثبت ان فكرة التقية التي ظهرت بالمفهوم الشيعي الخاص انما ظهرت في اواسط القرن الرابع الهجري وهو بعد الاعلان عن غيبة الامام الثاني عشر وانها ظهرت في مستهل ظهور عصر الصراع بين الشيعة والتشيع وعندما ارادت الزعامات الشيعية المذهبية والسياسية والفكرية ان تتخذ العمل السري وسيلة للقضاء على الخلافة العباسية الحاكمة والاعلان بعدم شرعيتها. وكان من الطبيعي ان يضاف الى فكرة التشيع لعلي واهل بيته عنصراً جديداً يدعم الفكرة دعماً كبيراً فاضيفت فكرة النص الالهي كما قلنا الى الخلافة واصبحت منذ ذلك الحين تشغل حيزاً كبيراً من صميم العقيدة. ويمكن القول ان العمل السري المذهبي بدأ من عصر ظهرت التقية فيه بمظهر الواجب الشرعي الذي يجب ان يتبعه كل من له فكرة دينية ويخشى ان يجهر بها امام السلطة الحاكمة او الاكثرية الاسلامية ولذلك كانت للتقية دور كبير في اسناد الزعامات المذهبية الشيعية التي ظهرت بعد الغيبة الكبرى. فبالتقية استمرت تلك الزعامات في نشاطها وفي مامن من السلطة الحاكمة كما ان الاموال كانت تصل اليها تحت غطاء التقية ايضاً، وهكذا اخذت التقية تسري في الفكر الشيعي والعمل الشيعي طيلة قرون عديدة واخذت طابعاً حزيناً في تكوين الشخصية الشيعية. وانني لا اشك من ان التقية كانت من اهم الاسباب التي ادت الى التخلف الفكري والاجتماعي

والسياسي للمجتمعات الشيعية اينما وجدت ، فقد سرت في دمائهم ومنعتهم من الظهور بالمظهر الذي كانوا عليه خوفاً او خجلا. وحتى في ايران القطر الشيعي وعندما كانت السلطة الحاكمة شيعية خالصة كان الشعب الايراني يسلك طريق التقية كواجب ديني لمواجهة بطش السلطان واستبداده فيضمر لهم بالقلب ما يناقضه في العلن، وهكذا تميز الشعب الايراني الشيعي كسائر نظرائه من الشيعة بازدواجية الشخصية.

وانني لا اشك ابداً ان التقية قاتلها الله لعبت دوراً كبيرا في ابقاء الشيعة بعيدة عن الفرق الاسلامية الاخرى كما انها سببت في رميها بامور عجيبة وغريبة ما انزل الله بها من سلطان وهي بريئة منها. ولكن الدفاع عن تلك الاتهامات والاوهام لاقى صعوبة بالغة بسبب اشتهار الشيعة بالتقية ورميهم باخفاء الحقيقة في كل شيء. ومما يحزن له قلبي ويعصره عصراً هو ان التقية في الفكر الشيعي تجاوزت عامة الناس واستقرت في اعماق قلوب القادة من زعماء المذهب الامر الذي كان السبب في دعوتنا لتخليص الشيعة من تلك الزعامات. فعندما يرتضي القائد الديني لنفسه ان يسلك طريق الخداع مع الناس في القول والعمل باسم التقية فكيف ينتظر الصلاح من عامة الناس ؟

وفي الوقت الذي اكتب فيه هذه السطور وفي عهد وطأت اقدام الانسان على سطح القمر واصبحت الحرية الفكرية والكلامية مقدسة تدافع عن مكنونات الانسان وعقائده خيراً كانت او شراً، يعيش المجتمع الشيعي بقيادة زعاماته مغلقاً على نفسه بالتقية فيظهر شيئاً ويبطن شيئاً آخر. فلا اعتقد انه يوجد زعيم شيعي واحد في شرق الارض وغربها يستطيع ان يعلن رأيه حتى في كثير من البدع التي الصقت بالمذهب الشيعي خوفاً ورهبة من الجماهير الشيعية التي دربتها الزعامات تلك على العمل بتلك البدع فاصبحت جزءاً من كيانها. فمثلاً وليس على سبيل الحصر الشهادة الثالثة (اشهد ان علياً ولي الله) التي يتفق عليها علماء المذهب الشيعي بأنها بدعة لم تكن معروفة في عهد الرسول (ص) والصحابة وحتى في عهد الامام علي وائمة الشيعة وكلهم يجمعون على ان من قالها في آذان الصلوات بقصد (الورود) اي انه وارد في الشريعة عمل عملا محرماً واتى ببدعة. مع كل هذا لا يجرأ احد منهم ان يشير الى هذا الامر قولا او كتابة. كما انه لا يوجد زعيم شيعي واحد يستطيع ان يصارح جمهور المسلمين بحقيقة الخلاف السائد بين الشيعة والسنة والعمل على رفعه.

وكما قلنا فان من اهم عناصر الخلاف الموجودة بين الشيعة والسنة هو تجريح الشيعة للخلفاء الراشدين وصحابة الرسول (ص) وبعض ازواجه. واذا لم يرفع هذا العائق من قائمة الخلاف فسيبقى الخلاف مستحكماً بين الفريقين الى ابد الآبدين، فلا المؤتمرات الاسلامية تجدي ولا الكلمات الاصلاحية الرنانة تنفع ولا خطب المصلحين توقف ثورة الحقد والغضب الكامنة في هذا التجريح المستشري في العقول والقلوب وبطون الكتب وهمس الهامسين.

وهنا ايضاً يسلك زعماء المذهب طريق التقية ايضاً في معالجتهم لهذا الامر فينسبون التجريح والسب والشتم الى جهال الشيعة في حين ان كتب الرواة والمحدثين والعلماء والفقهاء من الشيعة الامامية هي التي ذكرت تلك الاقوال ومنها تسربت الى قلب عامة الشيعة ولسانها.
فيا ترى هل تقع الملامة على الخاصة ام على العامة ؟

ولا اعتقد ان زعيماً دينياً واحداً من زعماء المذهب الشيعي قديماً وحديثاً قد قام بغربلة الكتب الشيعية من الروايات التي تنسب زوراً الى الائمة في تجريح الخلفاء وغيرها من الروايات التي يحكم العقل السليم ببطلانها وعدم صدورها من الامام، مع ان علماء المذهب كلهم مجمعون ايضاً بان الكتب التي يعتمدون عليها في الشؤون المتعلقة بالمذهب فيها روايات باطلة غير صحيحة وهم يذعنون بان هذه الكتب تجمع بين طياتها الصدف والخزف والصحيح والسقيم. ومع ذلك لم يسلك هؤلاء الزعماء طريق اصلاح مثل هذه الروايات . فاذا كانت زعاماتنا الشيعية تتصف بالشجاعة وتؤمن بالمسئولية الملقاة على عاتقها في رفع الخلاف لتحملت مسؤلية الخلاف بكاملها ولعملت على ازالة مثل هذه الروايات من بطون الكتب وعقول الشيعة ولفتحت صفحة جديدة في تاريخ الاسلام ولعم الخير على جميع المسلمين.

اما الفرار من المسؤلية والصاقها بالعوام من الناس تهرباً من الحقيقة والواقع تحت غطاء شرعية التقية فهذا امر يوحي بالاسف الشديد.

وعندما اكتب هذه السطور هناك آلاف مؤلفة من الشيعة الامامية يعملون بالتقية في اعمالهم الشرعية فهم يحملون معهم التربة الحسينية التي يسجدون عليها في مساجدهم ولكنهم يخفونها في مساجد الفرق الاسلامية الاخرى وكثير منهم يقيمون الصلوات في مساجد السنة مقتدياً بامام المسجد واذا عادوا الى بيوتهم اعادوا الصلاة عملا بالتقية معتمدين على روايات نسبت الى

ائمة الشيعة في التقية وافتوا علماء الشيعة مستندين عليها في وجوب التقية ولكل هذا نحن نحث الشيعة الى اتباع التصحيح الآتي:

التصحيح

ينبغي على الشيعة في كل الارض ان تقف من التقية موقف الانسان الكريم الذي يحترم عقيدته وذاته ويجب ان يكون متصفاً بالاباء والشيم التي هي من الاخلاق الفاضلة ، وان يفكر ملياً في الآثار النفسية التي تحدث له هذه الازدواجية في الشخصية والاضطراب بين القول والفعل والتي تتنافى مع الصدق وتتناقض مع صفات المسلم المخلص. فأي كلام او عمل يصدر من الانسان وفيه رياء او خداع لا بد وان فيه مغايرة مع المنطق او عمل الجماعة والاكثرية، ولذلك يجب على المسلم الحقيقي ان يقلع عن كلام او عمل لا يستسيغه المجتمع الاسلامي سراً كان او جهرا، وان يترفع من الظهور بمظهر الانسان المرائي المخادع.

ان على القواعد الشيعية ولاسيما المثقفين منهم ان يحاسبوا زعاماتهم المذهبية حساباً عسيراً في سوقهم اياهم على هذا الدرب الشائك لاغراض في نفوسهم.

ان على الشيعة ان تجعل نصب اعينها تلك القاعدة الاخلاقية التي فرضها الاسلام على المسلمين وهي ان المسلم لا يخادع ولا يداهن ولا يعمل الا الحق ولا يقول الا الحق ولو كان عليه، وان العمل الحسن حسن في كل مكان والعمل القبيح قبيح في كل مكان.
وليعلموا ايضاً ان ما نسبوه الى الامام الصادق من انه قال :

« التقية ديني ودين ابائي »

ان هو الا كذب وزور وبهتان على ذلك الامام العظيم.

الامام المهدي

ان فكرة ظهور رجل من آل محمد يملأ الأرض قسطاً وعدلا فكرة جميلة ومليئة بالآمال الخيرة ولكن علماء الشيعة الصقوا بالامام المهدي جناحين اثقلا كاهل الشيعة في كل زمان ومكان. وهذان الجناحان هما بدعة الخمس في ارباح المكاسب وبدعة ولاية الفقيه فالاولى تعني دفع ضريبة مالية ما انزل الله بها من سلطان، والثانية تعني عبودية الانسان للانسان بلا قيد ولا شرط

الامام المهدي

الاجتهاد والتقليد
الخمس
ولاية الفقيه

تعتقد الشيعة الامامية ان الامام الحسن العسكري وهو الامام الحادي عشر للشيعة عندما توفي عام ٢٦٠ هجري كان له ولد يسمى محمدا له من العمر خمس سنوات وهو المهدي المنتظر. وهناك روايات اخرى تقول ان المهدي ولد بعد وفاة والده الامام العسكري ومهما كان الامر فان المهدي تسلم منصب الامامة بعد والده وبنص منه و بقي مختفياً عن الانظار طيلة خمس وستين عاما. وكانت الشيعة تتصل به في هذه الفترة عن طريق نواب عينهم لهذا الغرض والنواب هم : عثمان ابن سعيد العمري وابنه محمد ابن عثمان وحسين ابن روح وآخرهم علي ابن محمد السيمري.

وهؤلاء النواب الاربعة لقبوا بالنواب الخاص، والفترة هذه تسمى بعصر الغيبة الصغرى. وفي عام ٣٢٩ هجري وقبيل وفاة علي ابن محمد السيمري بشهور قليلة وصلت رقعة اليه بتوقيع الامام المهدي جاء فيها :

« لقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور الا بعد ان
يأذن الله، فمن ادَّعى رؤيتي فهو كذاب مغتر.»

وهذا العام هو بداية الغيبة الكبرى. ومنذ ذلك الحين انقطع اتصال الشيعة بالامام بصورة مباشرة وغير مباشرة، وحتى اذا ادَّعى احد ذلك فالشيعة تكذبه بسبب النص الوارد في آخر خطاب ورد اليهم من الامام المهدي.. هذه هي خلاصة عقيدة الشيعة الامامية في المهدي المنتظر، ولا تزال الشيعة في كل عام وفي يوم الخامس عشر من شهر شعبان تحتفل بولادة المهدي احتفالا كبيراً، وهو الامام الوحيد الذي تحتفل الشيعة بيوم ولادته فقط اما الائمة الآخرين فتكون الاحتفالات في ايام مولدهم ووفاتهم على السواء.

وفكرة المهدي وظهور قائد في آخر الزمان يملأ الارض قسطاً وعدلا بعد ان

ملئت ظلماً وجوراً موجودة في كثير من الاديان. وهناك احاديث روتها كتب الصحاح عن النبي الكريم عن ظهور مهدي من ولده في آخر الزمان ولكن ليس على نحو التعيين. اما الشيعة فتستند على روايات نسبت الى ائمتها ان المهدي المنتظر الذي اخبر به الرسول الكريم (ص) انما هو ابن الامام الحسن العسكري (١). ونحن هنا لا نريد ان ندخل في ذلك الجدل البيزنطي القديم حول المهدي واعطاء تفسير عقلي لبقائه آلاف السنين في هذه الدنيا، فنحن معاشر الشيعة كسائر الفرق الاسلامية الاخرى ما دمنا نعتقد بالغيب وان الله قادر على كل شيء فلا نجد صعوبة في الاعتقاد بأن انساناً ما يعيش في هذه الدنيا خارجاً عن القوانين الطبيعية آلاف السنين، فالقرآن الكريم صريح بأن نوحاً عاش في قومه الفاً الا خمسين عاماً واصحاب الكهف لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا، وان الله رفع عيسى ابن مريم اليه وهو حي في رحابه، ولنقرأ معاً هذه الآيات البينات :

> « ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما،فأخذهم الطوفان وهم ظالمون.» العنكبوت ١٤
>
> « ولبثوا في كهفهم ثلاثمئة سنين وازدادوا تسعا.» الكهف ٢٥
>
> « وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم من علم الا اتباع الظن. وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما.» النساء ١٥٧ ــ ١٥٨

وفكرة المهدي بحد ذاتها فكرة جميلة، فهي توحي بالخير المحض والتطلع الى عالم مليء بالخيرات والفضائل والحسنات، عالم مثالي طالما دعا اليه

١ــ ذكر الترمذي في صحاحه ان النبي (ص) قال:
« لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا من اهل بيتي يواطيء اسمه اسمي.»
وفي مسند احمد ابن حنبل عن النبي (ص) :
« لا تنقضي الايام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطيء اسمه اسمي.»
سيرة الائمة الاثنى عشر ج ٢، ص٥٤٣ ــ هاشم الحسيني.

افلاطون في جمهوريته والفارابي الفيلسوف الاسلامي في مدينته الفاضلة مضافاً الى تلك النظرية المثالية قيماً اسلامية رفيعة.

ولو ان الاعتقاد بوجود المهدي بقي محصورا في الايمان بوجود امام غائب من نسل رسول الله (ص) يظهر في يوم ما ويملأ الارض قسطاً وعدلا لكان المسلمون بخير، ولكن مع الاسف الشديد ان فقهاء المذهب الجعفري الصقوا الى المهدي جناحين شوهوا بهما صورة المهدي الرفيعة الوضاءة، وهذان الجناحان بدعتان كبيرتان الصقتا بالمذهب الشيعي في عهد ظهور الصراع بين الشيعة والتشيع وهما تتناقضان مناقضة صريحة واضحة مع نصوص القرآن الكريم وسيرة الرسول (ص) وعمل الامام علي والائمة من بعده. البدعة الاولى هي تفسير الخمس في ارباح المكاسب والبدعة الثانية هي ولاية الفقيه في المجتهدين. ان الزعامات المذهبية التي تولت امور الشيعة الدينية بعد الغيبة الكبرى بسبب فتح باب الاجتهاد ولا زالت هي الماسكة بزمام العقيدة الشيعية حتى هذا اليوم كانت وراء هاتين البدعتين.

اما الخمس فيكاد يكون من المتفق عليه عند علماء المذهب الشيعي انها تشمل ارباح المكاسب والغنائم معاً. الا ان تفسير الغنيمة بأرباح المكاسب ظهر بعد الغيبة الكبرى بقرن ونصف في الكتب الشيعية. اما ولاية الفقيه فهناك من علماء المذهب من عارضها ولكن لها انصارها. الا ان المجمع عليه عندهم ان نوعاً من الولاية التي تشبه صلاحية القضاة في تعيين الوصي على المجنون والطفل القاصر تكون من صلاحيات المجتهدين. وقبل ان نتحدث عن البدعتين الملصقتين بالامام المهدي لا بد من اعطاء صورة واضحة عن الفكرة الاجتهادية عند الشيعة وعلاقة الشيعة بالامام المهدي حسب ما صوره علماء المذهب.

الاجتهاد والتقليد

يستند علماء الشيعة الامامية على فتح باب الاجتهاد بمرسومين صدرا عن الامام المهدي قبيل غيبته، والمرسومان وان كانا يختلفان في المضمون الا انهما يتفقان في المفهوم وهما :

١ـ المرسوم الاول : « واما من الفقهاء من كان صائناً لنفسه. حافظاً لدينه. مخالفاً لهواه. مطيعاً لامر مولاه فللعوام ان يقلدوه.»
٢ـ المرسوم الثاني : « واما الحوادث الواقعة فارجعوا الى رواة احاديثنا.»

على هذين المرسومين (حيث اولهما يختص بالمجتهدين والثاني يختص بعوام الشيعة) يعتمد علماء المذهب بفتح باب الاجتهاد وعدم الاخذ بآراء الاموات من الفقهاء وعليهما يستند المجتهدون في وجوب التقليد على عوام الشيعة.

وبعد الغيبة الكبرى تصدى لشؤون الشيعة الدينية علماء المذهب واحداً تلو الآخر، ولم تنقطع القيادة المذهبية بين المجتهدين والعامة وان شئت قل بين القاعدة والقمة حتى كتابة هذه السطور وذلك بسبب فتح باب الاجتهاد ووجوب تقليد العوام لرأي المجتهدين. اما الفرق الاسلامية الاخرى فسدت هذا الباب لصعوبات بالغة تعترض العمل الاستنباطي، اللهم الا السلفية حيث انهم لم يسدوا باب الاجتهاد على انفسهم، وفقهاء السلفية يجتهدون في الفروع الفقهية التي لا نص فيها وتخضع لادلة الاستنباط من الكتب والسنة والاجماع والقياس. اما علماء الشيعة فاستبدلوا القياس بالدليل العقلي واتخذوه الاصل الرابع من اصول الاستنباط ومن اغرب الامور ان فقهاء الشيعة ينسبون انفسهم الى المذهب العقلي في استنباط الاحكام الشرعية ولكنهم في الحقيقة ابعد الناس عن استعمال العقل في طريقة الاستنباط.

وليت شعري ان اعرف كيف يستند علمائنا ــ سامحهم الله ــ على العقل في فهمهم للاحكام الشرعية ولاستنباطهم المسائل الفقهية وهم يسلمون بلا جدل ولا نقاش بروايات نسبت الى ائمة الشيعة وجائت في الكتب التي يعتبرونها صحيحة وموثوقة وهي تتناقض مع العقل. نعم اذا اخذنا بعين الاعتبار ان المقصود من استخدام العقل عند فقهاء الشيعة انما هو استخدام الادلة العقلية التي اسس عليها علم اصول الفقه ــ في التصور الشيعي ــ العلم الذي لعلماء الشيعة باع طويل في تأسيسه وتأليفه وهي كيفية استخدام الادلة العقلية لفهم الاحكام الشرعية وبغض النظر عن منطوقها مثل مبحث الظن والقطع والاستصحاب والتعادل والتراجيح وغيرها من الابحاث الاصولية الت ذكرها علماء اصول الفقه في كتبهم. واصول الفقه علم جميل بحد ذاته و مزاياه العقلية، ومع الاسف البالغ ان الفقهاء لم يستخدموها في اللباب بل استخدموها في القشور.

وقبل ان اتحدث في النظرية الاجتهادية اود ان اذكر هنا امرين لا بد من الاشارة اليهما:

الامر الاول : اود ان اشير الى ذلك الخطأ الرهيب الذي وقع فيه كتاب وباحثون

كتبوا والفوا ونشروا عن الشيعة في السنوات الاخيرة، فقد عرَّفوا الشيعة بالاصولية او الامامية الاصولية وفسروها بأن الشيعة تريد العودة الى القهقرى لانهم ترجموا كلمة الاصول بالجذور وزعموا ان الشيعة تعود الى الجذور والماضي في العقيدة. ولم يدركوا قط ان الاصولية لا تعني العودة الى الجذور بل تعني ان الشيعة الامامية تستخدم قواعداً عقلية اسمها اصول الفقه لاستنباط الاحكام الشرعية في العمل الاجتهادي، ولذلك لُقبوا بالاصوليين. وهناك مئات الكتب الفت في اصول الفقه وكلها تبحث عن المباحث العقلية التي ذكرت بعضها قبل قليل.

الامر الثاني : ان هناك فئة صغيرة من الشيعة تسمي نفسها (الاخباريين) وهم الذين لم يستخدموا علم الاصول او بالاحرى الادلة العقلية في استنباط الاحكام الشرعية، وان العملية الاجتهادية تتم عندهم بالكتاب والسنة والاجماع. ومن اشهر علمائهم الشيخ حر العاملي صاحب كتاب (وسائل الشيعة) الذي يعتبر من اهم المصادر الشيعية في الفقه.

ولنعد مرة اخرى الى الطريقة الاجتهادية التي تمتاز الشيعة بها عن غيرها ونود ان نضيف هنا بأن الطريقة الاجتهادية بحد ذاتها امر حسن وجميل يتلاءم مع التطور الاجتماعي والفكري فكما تسير البشرية نحو الافضل وتتحرك نحو الاكمل لا بد وانها تصادف اموراً حديثة هي بحاجة الى قوانين جديدة لم تذكر في المباحث الفقهية من قبل. فالعملية الاجتهادية تسهل استنباط القوانين الشرعية اذا لم تتعارض مع اصول العقيدة، فاذا كان المجتمع متحركاً فلا بد وان تتحرك القوانين الاجتماعية معه عندما لا تتعارض مع الكتاب والسنة والاجماع. فلو كان علماء الشيعة يسيرون في العمل الاجتهادي كفقهاء للمذهب الجعفري يبينون حلال الله وحرامه شأنهم شأن سائر فقهاء المسلمين الذين وقفوا انفسهم لله لم يتخذوا على عملهم اجراً ولم يريدوا عليه جزاء ولا شكوراً لكانت الشيعة بخير ولكانت الامة الاسلامية على احسن ما يرام. ولكن مع الاسف الشديد ان فقهائنا عن عقيدة او عن جهل او ضرورة اضافوا بدعتين صريحتين الى العمل الاجتهادي ومسخوا كل معالم الاخلاص والعمل لله وهما كما قلنا الجناحان الخفاقان على رؤوس الشيعة ما دامت السماوات والارض ــ الخمس في ارباح المكاسب وولاية الفقيه.

الخمس

تقول الآية الكريمة :

« واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل.» الانفال ٤١

يقول فضل ابن الحسن الطبرسي وهو من اكابر علماء الامامية في القرن السادسي الهجري في تفسير هذه الآية الكريمة :

« اختلف العلماء في كيفية قسمة الخمس ومن يستحقه على اقوال احدهما ما ذهب اليه اصحابنا وهو ان الخمس يقسم على ستة اسهم، سهم لله وسهم للرسول (ص) وهذان السهمان مع سهم ذي القربى للامام القائم مقام الرسول (ص) وسهم ليتامى آل محمد وسهم لمساكينهم وسهم لابناء سبيلهم لا يشاركهم في ذلك غيرهم لان الله سبحانه حرَّم عليهم الصدقات لكونها اوساخ الناس وعوضهم من ذلك بالخمس.... وقال اصحابنا ان الخمس واجب في كل فائدة تحصل للانسان من المكاسب وارباح التجارة وفي الكنوز والمعادن والغوص وغير ذلك مما هو مذكور في الكتب. ويمكن از يستدل على ذلك بهذه الآية.»(١)

ان تفسير الغنيمة بالارباح من الامور التي لا نجدها الا عند فقهاء الشيعة فالآية صريحة وواضحة بأن الخمس شرعت في غنائم الحرب وليس في ارباح المكاسب واظهر دليل قاطع على ان الخمس لم يشرع في ارباح المكاسب هو سيرة النبي الكريم (ص) وسيرة الخلفاء من بعده بمافيهم الامام علي وحتى سيرة ائمة الشيعة حيث لم يذكر ارباب السير الذين كتبوا سيرة النبي الكريم (ص) ودونوا كل صغيرة وكبيرة عن سيرته واوامره ونواهيه ان الرسول (ص) كان يرسل جباته الى اسواق المدينه ليستخرج من اموالهم خمس الارباح مع ان ارباب السير يذكرون حتى اسامي الجباة الذين كان الرسول (ص) يرسلهم لاستخراج الزكاة من اموال المسلمين. وهكذا فان الذين ارَّخوا حياة

١ــ الطبرسي مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٤ ص، ٥٤٣.

الخلفاء الراشدين بمافيهم الامام علي لم يذكروا قط ان احداً منهم كان يطالب الناس بخمس الارباح او انهم ارسلو جباة لاخذ الخمس. وحياة الامام علي معروفة في الكوفة فلم يحدث قط ان الامام بعث الجباة الى اسواق الكوفة ليأخذوا الخمس من الناس او انه طلب من عماله في ارجاء البلاد الاسلامية الواسعة التي كانت تحت امرته ان يأخذوا الخمس من الناس ويرسلونها الى بيت المال في الكوفة. كما ان مؤرخي حياة الائمة لم يذكروا قط ان الائمة كانوا يطالبون الناس بالخمس او ان احداً قدم اليهم مالا بهذا الاسم.

وكما قلنا قبل قليل ان هذه البدعة ظهرت في المجتمع الشيعي في اواخر القرن الخامس الهجري فمنذ الغيبة الكبرى الى اواخر القرن الخامس لا نجد في الكتب الفقهية الشيعية باباً للخمس او اشارة الى شمول الخمس في الغنائم والارباح معاً. وهذا هو محمد ابن الحسن الطوسي من اكابر فقهاء الشيعة في اوائل القرن الخامس ويعتبر مؤسس الحوزة الدينية في النجف، لم يذكر في كتبه الفقهية المعروفة شيئاً عن هذا الموضوع مع انه لم يترك صغيرة او كبيرة. من المسائل الفقهية الا وذكرها في تآليفه الضخمة.

لقد سنت هذه السنة السيئة في عصر كانت فيه الخلافة العباسية والسلطة الحاكمة لا تعتقد بشرعية مذهب اهل البيت وبالنتيجة لا تعترف بفقهائهم لكي تخصص لهم مرتبات يعيشون منها كما كانت الحالة بالنسبة لسائر فقهاء المذاهب الاخرى. ولم تكن الشيعة حتى ذلك التاريخ متماسكة بالمعنى المذهبي حتى تقوم باعالة فقهائها فكان تفسير الغنيمة بالارباح خير ضمان لمعالجة العجز المالي الذي كان يقلق حياة فقهاء الشيعة وطلاب العلوم الدينية الشيعية انذاك. ولكن هذا لا يعني ان الشيعة لم تساهم في اعالة الفقهاء وطلاب العلوم الدينية ففي العراق وهو المهد الاول للشيعة توجد حتى اليوم املاك وبنايات واراضي وقفت في القرن الخامس الهجري على الامور الخيرية للشيعة. وبعد ان اسست هذه البدعة اضيفت اليها احكام مشددة لكي تحمل الشيعة على التمسك بها وعلى تنفيذها ولم يكن من بد في حمل الشيعة على قبول اعطاء الخمس وهو الامر الذي ليس من السهل على احد ان يرتضيه الا بالوعيد. فدفع الضرائب في اي عصر ومصر وفي اي مجتمع مهما كان شأنه من الثقافة والديموقراطية والحرية يواجهه امتعاض من الناس. وبما ان فقهاء الشيعة لم تكن لهم السلطة لكي يرضخوا العامة على استخراج الخمس من ارباح

مكاسبهم طوعاً ورغبة فلذلك اضافوا اليها احكاماً مشددة منها الدخول الابدي في نار جهنم لمن لم يؤد حق الامام وعدم اقامة الصلاة في دار الشخص الذي لم يستخرج الخمس من ماله او الجلوس على مائدته وهكذا دواليك.
كما ان فقهاء الشيعة افتوا بأن خمس الارباح الذي هو من حق الامام الغائب كما مرت الاشارة اليه يجب تسليمه الى المجتهدين والفقهاء الذين يمثلون الامام. وهكذا سرت البدعة في المجتمع الشيعي تحصد اموال الشيعة في كل مكان وزمان. وكثير من الشيعة حتى هذا اليوم يدفع هذه الضريبة الى مرجعه الديني وذلك بعد ان يجلس الشخص المسكين هذا امام مرجعه صاغراً ويقبل يده بكل خشوع وخضوع ويكون فرحاً مستبشراً بأن مرجعه تفضل عليه وقبل منه حق الامام.

وبعض فقهاء الشيعة ومن بينهم الفقيه احمد الاردبيلي وهو من ابرز فقهاء عصره حتى انه لُقب بالمقدس الاردبيلي افتوا بعدم جواز التصرف بالخمس في عهد الغيبة الكبرى. كما ان بعض فقهاء الشيعة وهم قليلون افتوا بأن الخمس ساقط من الشيعة مستندين على رواية عن الامام المهدي :

« ابحنا الخمس لشيعتنا.»

غير ان الاكثرية من فقهاء الشيعة ضربوا عرض الحائط آراء الاقلية واجمعوا فيما بينهم على وجوب استخراج الخمس.

وكم اتمنى ان يترفع الفقهاء والمجتهدون عن اموال الشيعة ولا يرتضون لأنفسهم ان يكونوا عالة عليهم بذريعة ما انزل الله بها من سلطان.

ان بعض علماء الشيعة يدافع عن اخذهم الخمس من اموال الشيعة بانها اموال تصرف على المدارس الدينية والحوزات العلمية والشؤون المذهبية الاخرى. ولكن المناقشة ليست في ان تلك الاموال تصرف كيف ولماذا ؟ بل المناقشة اصولية وواقعية ومذهبية وهي ان تلك الاموال تؤخذ زوراً وبطلاناً من الناس، وحتى اذا صرفت في سبيل الله فأنها غير شرعية لا يجوز التصرف فيها. لقد كان باستطاعة فقهاء الشيعة ان يبنوا انفسهم على الاكتفاء الذاتي وان يكون الفقيه معتمداً على نفسه شأنه شأن ارباب الصناعات الاخرى، كما ان باستطاعتهم الحصول على اموال لتنمية العلم والعلماء ولكن بأسم التبرعات والهبات لا بأسم الواجب الشرعي واوامر السماء. وعندما اكتب هذه السطور اعرف مجتهداً من مجتهدي الشيعة لا زال على قيد الحياة وقد ادَّخر من الخمس ما يجعله زميلا لقارون الغابر او القوارين المعاصرين. وهناك مجتهد شيعي في

ايران قتل قبل سنوات معدودة كان قد اودع باسمه في المصارف مبلغاً يعادل عشرين مليون دولاراً اخذها من الناس طوعاً او كرهاً باسم الخمس والحقوق الشرعية، وبعد التي واللتيا ومحاكمات كثيرة استطاعت الحكومة الايرانية وضع اليد على تلك الاموال كي لا يقتسمها الورثة فيما بينهم. هذه صورة محزنة من آثار بدعة الخمس التي تبناها فقهاء الشيعة.

ان الزعامات المذهبية الشيعية استطاعت البقاء مستقلة عن السلطات الحاكمة حتى في البلاد الشيعية بسبب هذا الرصيد الذي لا ينضب، فما دامت الزعامة المذهبية الشيعية ترى نفسها شريكة مع القواعد الشيعية في ارباح مكاسبها في اي زمان ومكان فان الاستقرار الفكري لا يجد الى المجتمع الشيعي سبيلا والسبب واضح ومعروف لأن هذه الزعامات بسبب هذه الميزانيات الضخمة التي لا يحتاج الحصول عليها الى الجباة وعمال الضرائب بل تأتيها طائعة مخلصة استطاعت ان تجعل من زعامة الشيعة صرحاً سياسياً يحرك الشيعة في الاتجاه الذي تريده، فلذلك نرى ان تلك الزعامات استخدمت الشيعة في كثير من اغراضهاالسياسية والاجتماعية عبر التاريخ.

وفي ايران القطر الشيعي كانت لنتائج هذا التفاعل بين الشيعة وزعمائها الدينيين اثار سيئة لا تعد ولا تحصى، ولقد وصلت الامور الى ابعد ما يتصور من سوء عندما اضيفت الى بدعة الخمس في ارباح المكاسب بدعة ولاية الفقيه.

وقبل ان نبحث ولاية الفقيه بصورة مسهبة نود ان نضيف هنا لنكون امناء على التاريخ وصادقين في رسالتنا هو ان بعض الزعامات الشيعية خدم الفكر الاسلامي وخدم قضايا وطنية في محاربة الاستعمار او الاستبداد الحاكم مرات ومرات ، ولكننا عندما نقارن بين استخدام اولئك البعض نفوذها في سبيل المصالح العامة وبين استخدام الاكثرية نفوذها في سبيل المصالح الخاصة ونضعها في ميزان لنرى ان كفة المصالح الخاصة تتأرجح على المصالح العامة بصورة تدهش المرء وتوحي اليه بالأسى والحزن.

ولاية الفقيه

ولاية الفقيه هي الجناح او البدعة الثانية التي اضيفت الى سلطة

الذين يدَّعون انهم نواب الامام المهدي في عصر الغيبة الكبرى، وهذه الفكرة بالمعنى الدقيق فكرة حلولية دخلت الفكر الاسلامي من الفكر المسيحي القائل ان الله تجسد في المسيح، والمسيح تجسد في الحبر الاعظم. وفي عصر محاكم التفتيش في اسبانيا وايطاليا وقسم من فرنسا كان البابا يحكم المسيحيين وغيرهم باسم السلطة الالهية المطلقة حيث كان يأمر بالاعدام والحرق والسجن، وكان حراسه يدخلون البيوت الآمنة ليل نهار ليعيثوا بأهلها فساداً ونكرا. وقد دخلت هذه البدعة الى الفكر الشيعي بعد الغيبة الكبرى واخذت طابعاً عقائدياً عندما اخذ علماء الشيعة يسهبون في الامامة ويقولون بأنها منصب الهي انيط بالامام كخليفة لرسول الله (ص). وبما ان الامام حي ولكنه غائب عن الانظار ولم يفقد سلطته الالهية بسبب غيبته فان هذه السلطة تنتقل منه الى نوابه لان النائب يقوم مقام المنوب عنه في كل شيء.

وهكذا اخذت فكرة ولاية الفقيه تشغل حيزاً كبيراً في افكار فقهاء الشيعة، غير ان كثيراً منهم انكروا الولاية بالمعنى الذي تقدم ذكره وقالوا ان الولاية خاصة بالرسول (ص) والائمة الاثنى عشر من بعده ولا تنتقل الى نواب الامام، وان ولاية الفقيه لا تعني اكثر من ولاية القاضي الذي يستطيع تعيين امين على وقف لا متولي له او نصب قيِّم على مجنون او قاصر. ويبدو ان فكرة ولاية الفقيه مع تبني بعض فقهاء الشيعة لها لم تجد الفرصة المواتية للخروج من حيز الفكر الى حيز العمل الا بعد ان استلم السلطة في ايران الشاه اسماعيل الصفوي وهو العصر الذي عبرنا عنه بعصر الصراع الثاني بين الشيعة والتشيع.

والشاه اسماعيل ينحدر من اسرة صوفية كان مقرها مدينة اردبيل الواقعة في شمال غربي ايران، وكان اجداده من اقطاب الحركة الصوفية التي شعارها حب علي واهل بيته، وكان لهم نفوذ قوي في مقاطعة اذربيجان التركية وفي عام ٩٠٧ هجري استطاع الشاه اسماعيل ان ينصب نفسه ملكاً على ايران بعدان كانت الحروب العثمانية الايرانية قد انهكت ايران تماماً.

ولاشك انه كانت وراء الشاه اسماعيل الذي توج رسمياً وهو بعد في سن الثالثة عشرة قيادات صوفية قوية تحرك الملك الفتي الى مآربها. ولم تكن ايران شيعية عند استلام الشاه اسماعيل السلطة اللهم الا مدناً قليلة منها قم وقاشان ونيسابور، فأعلن الشاه المذهب الشيعي مذهباً رسمياً لايران وبدأت

جحافل الصوفية تتحرك بين المدائن الايرانية تنشد الاشعار والمدائح في حق علي واهل بيته وتحث الناس على الدخول في المذهب الشيعي. واعمل الشاه اسماعيل السيف في رقاب الذين لم يعلنوا تشيعهم، ومن طريف القول ان نذكر هنا ان سكان مدينة اصفهان كانوا من الخوارج فعندما وصلهم امر الشاه بقبول التشيع او قطع الرقاب طلبوا منه انْ يمهلهم اربعين يوماً ليكثروا فيها من سب الامام علي ثم يدخلوا في المذهب الجديد فأمهلهم الشاه كما ارادوا، وهكذا انضمت اصفهان الى المدن الشيعية الاخرى.

ومع ان الشاه اسماعيل كان شيعياً بقرارة نفسه وبحكم نشأته ومقامه الصوفي الا ان اعطاء الصفة الشيعية الخالصة لايران كان يهم النظام الجديد كثيراً فالحروب العثمانية وان كانت في حقيقتها حروباً اقليمية لها جذورها الماضية الا ان الاستمرار في هذه الحرب كان يصطدم بفكرة حرمة حرب المسلم مع المسلم وقتل المسلم للمسلم الامر الذي كان يلاقي معارضة داخل ايران، وكانت فكرة الانضمام للخلافة العثمانية والرضوخ لامر الخليفة الذي كان يلقب بأمير المؤمنين امراً له انصاره. ولكن المذهب الجديد الذي املاه الشاه على الشعب الايراني اعطى تماسكاً قوياً للايرانيين وقضى على كل الآمال التي كانت تراود الخليفة العثماني لضم ايران الى خلافته، وفي حين ان الشاه كان يرى نفسه قطباً صوفياً وملكاً اسس للشيعة مجداً لم يؤسس احد مثله من قبل الا انه رضخ لولاية الفقيه وطلب من علي ابن عبد العال الكركي العاملي كبير علماء الشيعة بجبل عامل بلبنان ان يحكم له دعائم السياسة والملك ويجيزه الجلوس على كرسي الملك والحكم باسم الولاية العامة التي هي من صلاحيات الفقيه. ولا زالت الكتب التاريخية تحتفظ بالنصوص الواردة في اجازة الكركي للشاه.

ان رجوع الشاه الى عالم شيعي في جبل عامل بلبنان في ابان حكمه لاسناد نظامه دليل قاطع على ان الزعامة المذهبية الشيعية كان مقرها انذاك في جبل عامل الموطن الثاني للشيعة بعد العراق. ولذلك لا نستغرب ابداً عندما نعلم ان حفيد الشاه اسماعيل وهو الشاه عباس استقدم من جبل عامل العالم الشيعي الكبير الشيخ بهاء الدين الى مقر عاصمته اصفهان ليكون المرجع الرسمي للبلاد ولقبه بشيخ الاسلام.

ومن كل ما اسلفناه يظهر بوضوح ان فكرة ولاية الفقيه كانت موجودة في الفكر الشيعي وعليها كانت تبنى فكرة عدم شرعية الخلافة الاسلامية او اية

حكومة اخرى الا اذا اجازها وباركها الفقيه الذي يمثل الامام الحي الغائب المنصوب بأمر الله.

ومنذ ان ادخل الشاه اسماعيل الصفوي الايرانيين في المذهب الشيعي وحتى كتابة هذه السطور فان للزعامة المذهبية الشيعية نفوذ واسع وكبير في ايران ويحظى باحترام عظيم من قبل الملوك والحكام. ومع ان العلاقات بين الزعامة المذهبية والزعامة السياسية المتمثلة بالملوك والحكام كانت على خير ما يرام عبر التاريخ الا انه كان يحدث في بعض الاحيان صراع بينهما ينتهي بانتصار احدهما على الآخر.

ومنذ ان استطاع الشاه اسماعيل ان يجعل من ولاية الفقيه منصباً يعلو على مقام الشاه وكل المناصب الاخرى لم يحدث قط ان فقيهاً من فقهاء الشيعة رشح نفسه للحكم مباشرة. وفكرة ولاية الفقيه بالمفهوم الذي ظهر في تاريخنا المعاصر ومن الناحية التطبيقية لم تكن تدور في خلد الفقهاء. فلم يستخدم الفقهاء في ايران حقهم في ولاية الفقيه اكثر من الوقوف في وجه السلطان الحاكم اذا ما حصلت بينهم المجابهة او الوقوف مع السلطان في مجابهة الاعداء. وقبل اقل من قرنين وعندما اراد الشاه فتح علي القاجار ان يغزو القيصر في عقر داره كان كبير مجتهدي الشيعة السيد محمد الطباطبائي الملقب بالمجاهد يتقدم جيوش الشاه وقواده لغزو روسيا، وقد افتى بالجهاد باسم ولاية الفقيه، وعندما دحرت ايران في تلك الحرب وتنازل الشاه عن سبعة عشر مدينة كبيرة من اهم المدن الايرانية الى روسيا تنازلا لا رجعة فيه وعاد الجيش المهزوم الى ايران ومعهم السيد المجاهد استقبلهم الايرانيون بهتافات الخزي والعار ورموا على رأس السيد المجاهد وحاشيته وابلا من الجيف والاوساخ استنكاراً منهم لموقف زعيم ديني يقود ايران نحو الهلاك والكارثة التي لن تنسى.

وفي تاريخنا المعاصر وهو عهد الصراع بين الشيعة والتشيع بدأت ولاية الفقيه تظهر على مسارح الاحداث في البلاد الشيعية بصورة حادة وعنيفة اخذت تعصف بكل القيم الاسلامية والانسانية على السواء، ولعل من اهم المفارقات التي تدين هذه النظرية هي حدوث ذلك الصراع الرهيب بين الفقهاء انفسهم حول الفكرة واضطهاد القوة الحاكمة للقوة الفقهية المحكومة.

ومع اننا في رسالتنا التصحيحية هذه لا نريد ان نسمي الاشخاص ونعدد الاسماء حتى لا نفقد صفة الحياد التي هي من اهم شروط التوفيق في كل

رسالة هي لله، ولكن الاحداث التي نشير اليها هي من الوضوح بمكان ويعرفها كل شيعي ملم بأحداث العالم الشيعي. فأحداثها وقعت امام اعينهم او على مسمع منهم، فلذلك نحن واثقون بأنه لا يوجد شيعي واحد من الذين كتب هذا الكتاب لاجلهم يطالبنا بتوثيق ما يتضمنه هذا الفصل بذكر الاسماء والمصادر لان احداث ولاية الفقيه وما رافقها من المآسي في المجتمعات الشيعية سواء اكانت في ايران او غيرها لهي اظهر من الشمس في رائعة النهار.

واعود الآن الى البحث في ولاية الفقيه من الناحية النظرية والعملية معاً، فأساس النظرية لدى فقهاء الشيعة يرتكز على الآية الكريمة :

« يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم.» الانفال ٥٩

ويقول علماء الشيعة ان المقصود من اولي الامر في الآية الكريمة انما هو الخليفة او الامام الشرعي الذي هو الامام علي ومن بعده اولاده حتى الامام المهدي، وفي غيبة الامام المهدي تكون الولاية للفقهاء المجتهدين الذين يحلون محل الامام وهم النواب العامون.

وخطأ هذا التفسير اوضح من وضوح الشمس فقبل كل شيء تصطدم نظرية ولاية الفقيه بنص صريح جاء في القرآن الكريم وضح صلاحية الفقهاء بعبارة واضحة وصريحة. ومن دواعي الاسف والحزن ان كل اولئك الذين اسهبوا في بطلان نظرية الفقيه لم يذكروا هذه النقطة الجوهرية التي تدحض فكرة ولاية الفقيه من اساسها وتنسفها نسفاً ابدياً حتى قيام الساعة. فالآية الكريمة التي تفند ولاية الفقيه وتنص على مقدار صلاحيته هي :

« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في
الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم
يحذرون.» التوبة ١٢٢

فالآية صريحة ان واجب الفقيه هو التبليغ والارشاد في شؤون الدين وليست في الآية اشارة الى وجوب اطاعة الفقيه او ولايته. فليت شعري كيف خفيت هذه الآية الكريمة على العلماء والباحثين ونحن معاشر الشيعة كسائر المسلمين نجمع اجماعاً عاماً على انه لا اجتهاد امام النص.

اذن فكرة ولاية الفقيه تتعارض مع نص الكتاب ومن يعارض النص الالهي يعتبر خارجاً عن الاسلام. ولنعد الى الآية الكريمة مرة اخرى:

« يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه
الى الله والرسول.»

ان من يقرأ هذه الآية الكريمة من غير ان يقطع اجزائها حسب رغبته يعلم علم اليقين ان اطاعة اولي الامر تختلف عن اطاعة الله ورسوله (ص) وانها اطاعة محددة وفي نطاق صلاحيات انيطت بالوالي حسب طبيعة عمله حتى ان الحكم في التنازعات بين المسلمين سلب عنه كما تنص الآية. ثم ان الآية واضحة وصريحة انها نزلت في الذين عينهم الرسول (ص) في عهده كولاة ينوبون عنه في شؤون المسلمين. فالآية نزلت في عهد الرسول (ص) وهي تخص عهده والاشارة اليه اشارة شخصية لا عمومية.

ولكن حتى اذا اخذنا بعموم الآية وانه تشمل اولي الامر بعد عصر الرسول (ص) فانها واضحة في عدم وجوب اطاعة اوامرهم في التنازعات التي تحدث بين المسلمين، الامر الذي يقلل من شأن اولي الامر ويفقدهم صلاحية الولاية العامة او الولاية المطلقة.

وليت شعري ان اعرف كيف استدل المستدلون بهذه الآية على ولاية الفقيه وإعطائه حق التحكم في شؤون المسلمين السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية؟ فاذا كان لا يحق لاولي الامر التدخل في تنازعات المسلمين كما نص عليه الكتاب حتى لا يتخذ اسم الله ورسوله ذريعة لكي يحكم المجتمع الاسلامي حسب اهوائه وعقائده بدون الاخذ بالشورى فهل يمكن القول ان نائب اولي الامر يتمتع بحقوق اكثر من المنوب عنه ؟

وفي ايران وهي مهد ولاية الفقيه في التاريخ المعاصر الذي عبرنا عنه بعصر الصراع الثالث بين الشيعة والتشيع استطاعت ولاية الفقيه ان تحتل الصدارة في الدستور الايراني الجديد وتحتل اهم المواقع الاساسية منه كما استطاعت ان تسيطر على السلطة المطلقة في البلاد. ولكن مع كل هذا لم يستطع حماة الدستور والذين وضعوه والذين دافعوا عنه من حل التناقضات الصارخة بين التطبيقات العملية وبين النظرية الفقهية ولذلك اصبحت النظرية في نظر المجتمع الشيعي نظرية مهلهلة ضعيفة وركيكة مع القوة المادية الهائلة التي تساندها، ولعل من اولى هذه المفارقات والتناقضات الصارخة والتي تتساءل الشيعة عنها في كل مكان هي :

هل ان ولاية الفقيه منصب ديني ام منصب سياسي ؟

فاذا كانت منصباً دينياً لا يخضع للانتخاب ولا يخضع للعزل ولا يخضع للتفريق فكل من بلغ مرتبة الفقاهة اتصف بصفة الولاية وشملته الحصانة ويجب على المسلمين اطاعة اوامره والرضوخ لولايته. ولكن حدث ان فقهاء نُكبوا واُهينوا وسُجنوا وشُردوا ولا زال بعضهم قيد الاسر والسجن بسبب مواقفهم الفكرية او السياسية من سلطان الفقيه الحاكم.

اما اذا كانت ولاية الفقيه منصباً سياسياً فلماذا ربط بالدين وبالمذهب وظهر في مظهر العقيدة ووجوب الاطاعة لصاحبه.؟

ثم كيف يمكن من الناحية العملية ان يتصور المرء ولاية الفقيه عندما يتضارب الفقهاء بينهم في الآراء وكلهم في مدينة واحدة؟ فلمن ياترى يجب على المسلمين ان يستجيبوا ويطيعوا وكيف يجمعوا بين اراء متضاربة او متناقضة ؟

حقاً ان اسناد قانون كهذا الى الاسلام اهانة الى ذلك الدين القيِّم الذي ارسله الله ليرفع من القيم الانسانية.

ونظرية ولاية الفقيه تجاوزت ايران وتسربت الى مناطق شيعية اخرى وبدأت تعصف بالشيعة هناك كما عصفت بها في ايران. واني اخشى ان يعم البلاء على الشيعة في كل مكان ويهزهم هزاً لا استقرار بعده، فلو علمت الشيعة بالفجائع التي ارتكبت باسم ولاية الفقيه ولازالت ترتكب لاقتلعت ظل الفقهاء من كل ديار يحلون فيها ولفرت منهم فرار الشاة من الذئب. فأثناء كتابة هذه السطور هناك في ايران القطر الشيعي رد فعل عنيف بالنسبة للمذهب وما رافقه من سلطة الفقهاء والمرجعية المذهبية وذلك بعد ان عانى الشعب الايراني من ولاية الفقيه ما عاناه. انه عناء يهدد المجتمع الشيعي في ايران بالخروج من الاسلام افواجاً افواجا.

ولذلك انني ادعو الله مخلصاً ان تصل رسالتي الاصلاحية الى يد الشيعة في ايران وذلك قبل فوات الاوان وليعلموا ان طريق الخلاص ليس الهدم والانكار فقط بل البدء بالبناء والاصلاح.

ولكي لا يتصور القاريء الكريم انني اقصد شخصاً خاصاً من الفقهاء الذين امسكوا زمام السلطة باسم ولاية الفقيه بل اود القول ان الفكرة الشمولية تعم الجميع ولا تقصد فردا خاصا. فنحن عندما نمعن النظر بدقة وتفحص في

الاحداث المؤلمة التي تجري على الساحة الاسلامية والشيعية نرى ان ولاية الفقيه تلعب دوراً بارزاً في احداث تتناقض مع مباديء الاسلام الصريحة، وان الاكثرية من الفقهاء لم يقفوا موقفاً مناهضاً منها، فالاكثرية بين مؤيد او محايد اللهم الا القليل منهم والذين لا يتجاوز عددهم عدد اصابع اليد الواحدة.

التصحيح

اذا استطاعت الشيعة ان تنفذ الطرق التصحيحية التي نحن نطالبها بها للخلاص من الامور الثلاثة التي اشرنا اليها في هذا الفصل والتي هي تخصهم في الصميم لسلكت شوطاً كبيراً في طريق التصحيح واراحت نفسها واستراحت من قيود قيدهم بها عباد الله مخالفاً لاوامر الله. والامور الثلاثه هي:

اولا : التقليد

وهو الاخذ برأي المجتهد والعمل عليه في المسائل الشرعية، والاكثرية الساحقة من الشيعة تعود الى المجتهدين في المسائل الشرعية وقلما يوجد بيت لا توجد فيه رسالة من الرسائل الفقهية التي الفها المجتهدون لعوام الناس وتسمى بالرسالة العملية مع اضافة اسماء اليها مثل (ذخيرة الصالحين) (سراط النجاة) او (ذخيرة العباد) وامثالها، وان المتتبع لهذه الرسائل العملية يجد ان هؤلاء الفقهاء منذ قرون عدة وحتى هذا اليوم دونوا في اول صفحة من رسائلهم المشار اليها هذه العبارة :

« يجب على كل مكلف عاقل ان يكون مجتهداً او
مقلداً او محتاطاً اي عارفاً بموارد الاحتياط، وعمل
العامي في الفروع من غير تقليد باطل عاطل.»

وتعني هذه النظرية التي اجمع عليها فقهاء الامامية منذ الغيبة الكبرى وحتى هذا اليوم ان الذي يعمل بالاحتياط هو في حل من التقليد والاخذ برأي غيره. والعمل الاحتياطي يعني ان يعلم المكلف موارد الاختلاف في المسائل الفرعية ويختار الاقرب منها الى الصواب.

اما في اصول العقيدة فلا يجوز التقليد ويجب ان يكون المسلم معتقداً ومؤمناً بها عن بصيرة ودراية.

فالحل الذي نعرضه على الشيعة ونطلب منهم ان يلتزموا به لضمان سعادتهم في الدنيا والآخرة هو ان يعملوا بالاحتياط، وليس في العمل الاحتياطي اي خروج على المذهب او مغايرة لاجماع فقهاء الشيعة الامر الذي يسد على الفقهاء

ابواب حث الشيعة على النهوض ضد التصحيح او تخويفهم بعذاب الله في يوم القيامة.

اما اذا حدثت للشيعة مسائل مستحدثة وهي قليلة جداً واعني بها المسائل التي لم تتطرق اليها ابواب الفقه من قبل فحينئذ يمكن استشارة مجتهد او مجتهدين لحلها، وها انا بحول الله وقوته سأضمن للشيعة اصدار رسالة عملية فقهية تحتوي على الآراء الاحتياطية في المسائل التي هي عامة البلوى وذلك بمساعدة علماء وفقهاء اخلصوا لله في نياتهم ولا يريدون عليه جزاء ولا شكورا.

الثاني : الخمس

لقد وقع فقهاء الامامية في مأزق عظيم عندما اجمعوا ان نصف الخمس وهو حق الله ورسوله والامام الغائب ويجب ان يعطى للمجتهد الذي يقلده الشيعي العامي والنصف الآخر يقسمه على الفقراء الهاشميين واليتامى وابناء السبيل منهم، فقد غاب عنهم ان كان هذا هو الحكم الشرعي بالنسبة للمقلدين من العوام ولكن ما هو الحكم بالنسبة للمحتاط الذي لم يأخذ برأي فقيه واحد فهل ان الخمس ساقط عنه ام انه يستطيع التصرف فيه كما يشاء.

ومن هنا يظهر ان بدعة الخمس بالمفهوم الشرعي مع اصرار الفقهاء عليها لم تكن دقيقة وفيها فجوات تحكي ببطلانها بوضوح.

ان بدعة الخمس بالمفهوم الشيعي انما هو مفهوم مخالف لسنة الرسول والخلفاء الراشدين وائمة الشيعة لان الخمس في الاسلام هو الخمس في الغنائم وليس في ارباح التجارة والمكاسب قط.

ومن هنا اطالب الشيعة في هذه الرسالة التصحيحية واحثهم على ان لا يدفعوا هذه الضريبة التي ما انزل الله بها من سلطان لاي فقيه وتحت اي غطاء ولكنني احثهم على المساهمة في الامور الخيرية ومساعدة الفقراء والمؤسسات الاجتماعية والعلمية مباشرة وبلا وسيط وليعلموا ان الأمم التي وصلت الى قمة المجد انما وصلت اليها بالسخاء والعطاء. واذا ارادت الشيعة ان تساعد الفقراء والمجتهدين ورجال الدين فنعما وهذا حسن وجميل ولكن على ان تكون مساعدة شخصية لقضاء مآربهم الخاصة لا لكي يكونوا وسطاء في توزيع الاموال على الغير كما هو شأنهم حتى كتابة هذه السطور.

الثالث : ولاية الفقيه

وهنا اكرر ما قلته من قبل وهو انني اعتقد انه لم يسبق لفكرة دينية في التاريخ البشري كلفت البشرية من الدماء والاحزان والآلام والدموع بقدر ما كلفته ولاية الفقيه عند الشيعة منذ ظهورها وحتى هذا اليوم. ولا اعتقد اننا بحاجة لكي نطلب من الشيعة ان تقاوم هذه الفكرة وتقف ضدها فالفكرة ولله الحمد بدأت تنسف نفسها بنفسها، وعندما يبدأ الهدم الداخلي يتفاعل في نظرية او فكرة بسبب فشلها في التطبيق او بسبب المآسي التي ترتكب باسمها تكون النظرية في طريقها الى الاضمحلال والزوال التام.

الغلو

« ولا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا
اهواء قوم قد ضلوا من قبل، واضلوا كثيراً
وضلوا عن سواء السبيل.» المائدة ٧٧

عندما يصل الانسان الى مرحلة التكامل ويعلو على الملائكة فهو في غنى عن الخزعبلات والاوهام التي تنسج حوله وتشوه صورته الوضاءة.

الغلو

الغلو النظري
الغلو العملي

الغلو النظري

هناك مظاهر كثيرة للغلو تبدأ بالغلو النظري وتنتهي بالغلو العملي. والغلو النظري بكل اختصار اعتقاد الانسان في حق انسان آخر انه قادر على الاتيان بكرامات او معجزات او امور خارقة وغير عادية لا يستطيع الاتيان بها عامة الناس.

كما ان الايمان بتأثير انسان ما حياً كان ذلك الانسان او ميتاً في حياة الآخرين خيراً او شراً وفي الدنيا والآخرة هو مظهر كبير من مظاهر الغلو.

والغلو النظري المسطور في كتب الروايات والاحاديث ونسبة الامور العجيبة والخارقة الى الائمة والاولياء والمشايخ كانت السبب في تنمية الغلو العملي وما يصدر من عامة الناس في مقابر الائمة والاولياء والمشايخ في اظهار العبودية وتقديم النذورات وطلب الحاجة المباشرة منهم وامور اخرى لا تعد ولا تحصى.

وفكرة الغلو تحتل قلوب كثير من الناس حتى من غير المسلمين، وتشارك الفرق الاسلامية الاخرى الشيعة في غلوهم بالنسبة للائمة والاولياء نستثني منهم (السلفية) الذين استطاعوا ان يحطموا القيود التي قيدت عقول الناس وقلوبهم على السواء.

غير ان الشيعة سبقت الفرق الاسلامية الاخرى في هذا المضمار كثيراً ويعود هذا الاسراف في الغلو الى كتب الروايات التي لم تهذَّب وموقف الفقهاء من تلك الروايات وعدم تفنيدهم لمحتواها. فقد ذكرت كتب الشيعة والتي تعتبر موثوقة قصصاً في معجزات الائمة وفي كراماتهم هي لا تقل عن تلك التي نجدها في كتب روايات الفرق الاسلامية الاخرى عن المشايخ والاولياء وشيوخ الصوفية.

ولا اريد ان ادخل في ذلك الجدل العقيم، هل ان هذه الروايات صادقة ام انها من نسج الخيال ؟ وانها حيكت في عصر كانت اذهان العامة لا ترتضي ولا

تطمئن الا ان تسمع قصصاً مثيرة عن حياة كبرائهم، ولكن النقطة الاساسية والتي ارتكز عليها في هذا البحث هي اننا نحن كمسلمين وكأمة نعتقد بأن المعطيات العقلية هي اكثر المعطيات اتباعاً وقبولا وهي التي تغنينا عن السير اشواطاً وراء السراب. ونحن معاشر الشيعة بالذات قد اتخذنا المذهب العقلي جزءا من استنباط احكامنا الفقهية، وهناك رواية ذكرها الكليني في (اصول الكافي) متواتراً عن الامام الصادق جاء فيها :

« ان اول ما خلق الله العقل، فقال له اقبل فأقبل.
ثم قال له ادبر فأدبر. ثم قال : فبعزتي وجلالي
بك اعاقب وبك اثيب.»

ومن هنا اتخذت الشيعة تلك القاعدة العقلية التي تقول :

« كل ما حكم به العقل حكم به الشرع.»

اي ان المستقلات العقلية التي لا يجد العقل الا بدأ من قبولها او رفضها فالشرع يحكم بذلك. وها انا اسأل :

اين موقف العقل من هذه الخزعبلات التي رواها الرواة بالنسبة لائمتنا من المعجزات والكرامات ؟ واين العقل من هذا الغلو الجارف الذي يمنع المرء من ذكر الله والتوجه اليه ؟

ثم لماذا ونحن الشيعة لا نعطي لائمتنا حقهم في المرتبة الرفيعة التي يحتلونها ؟ وهي الوصول الى مرتبة الانسان الكامل الذي هو معجزة تفوق كل المعجزات الاخرى، فقد جاء في الحديث عن الرسول الكريم (ص):

« ان الله خلق الانسان وركَّب فيه العقل والشهوة
وخلق الملائكة وركَّب فيها العقل، وخلق البهائم
وركَّب فيها الشهوة، فمن غلب عقله على شهوته
فهو اعلى من الملائكة، ومن غلبت شهوته على
عقله فهو ادنى من البهائم.»

ان هذه المرتبة الانسانية الكبرى التي انعم الله بها على الائمة وعباده الصالحين حيث بلغوا مرتبة هي اعلى من الملائكة تغنيهم ورب الكعبة من ان تنسج حولهم الخزعبلات ما تضحك الثكلى.ثم ان الغلو في بعض الاحيان يجتاز مرحلة المدح وينقلب ذماً فمثلا :

ان العصمة التي نسبت الى الائمة كما قلنا في فصول سابقة كان الغرض منها

تثبيت تلك الروايات الكاذبة التي تتنافى مع العقل والمنطق والتي نسبت الى الامام كي يُسَد باب النقاش في محتواها على العقلاء والاذكياء ويرغم الناس على قبولها لانها صدرت من معصوم لا يخطيء.

ولكن العصمة في حقيقة حالها انما هي تنقيص من حق الامام لا مدح فيه لأن تفسير العصمة بالمفهوم الشيعي تعني ان الائمة منذ ولادتهم وحتى وفاتهم لم يرتكبوا معصية بارادة الله، وهذا يعني فقدانهم الارادة في تفضيل الخير على الشر، ولست ادري اية فضيلة تكتب للمرء عند الله اذا لم يستطع القيام بعمل الشر بسبب ارادة خارجة عن ذاته. نعم اذا كانت العصمة تعني ان الائمة مع القدرة على الاتيان بالمعاصي لن يأتوا بها لعلو في نفوسهم وملكة قوية في اخلاقهم وحاجز يحجزهم عن معصية الله فهذا كلام معقول يتلائم مع المنطق والعقل. ولكن في هذه الحالة لا نستطيع القول ان هذه النفسية تخص اشخاصاً معدودين وانها خاصة لائمتنا فقط بل انها صفة يستطيع كل انسان ان يتصف بها اذا التزم حدود الله واطاع اوامره وانتهى عن نواهيه وحسبنا كتاب الله الذي اعطى لنا مثلا رائعاً وصورة بليغة لهذه العناية الالهية في سورة يوسف :

« وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك. قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون. ولقد همّت به وهمّ بها لولا ان رأى برهان ربه. كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين.»
يوسف ٢٢ ـ ٢٣

والعلم اللدني (١) من هذا النوع ايضاً فما هي الفضيلة في اقتباس العلوم بلا جهد ومثابرة وسعي، وادهى من ذلك ان بعض علمائنا ذهبوا الى ابعد من ذلك وقالوا ان الامام يعلم كل شيء وله معرفة بكل العلوم والفنون، ولست ادري ايضاً ما هي الفضيلة بالنسبة اليه ان يكون مهندساً او ميكانيكياً او عالماً باللغة اليابانية. انما الفضيلة بالنسبة للامام ان يكون فقيهاً ورعاً وعالماً ربانياً في شؤون الدين وفي هذا كل الفضل. ثم اذا كان القرآن الكريم يقول في رسوله الذي ارسله للناس ضياءاً ونورا :

١ـ يقصد بالعلم اللدني العلم الذي يحصل للمرء بالالهام وبدون جهد ومثابرة.

«قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً» الإسراء ٨٥ .

وينفي عنه العلم بالغيب بقوله :

« قل لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير.»
الاعراف ١٨٨

فكيف تسوغ لنا نفوسنا ان ننسب الى ائمتنا صفات تعلو على صفات رسول الله (ص) اما المعاجز والكرامات التي كانت تصدر عن الانبياء في حين وآخر ويشير اليها القرآن الكريم فانها كانت تحدث في عهد التحديات الانسانية لرسالات السماء وفي عهود كانت البشرية لا تستطيع درك المفاهيم العقلية والفضائل العليا بلغة المنطق والاستدلال وكان لا بد من حملها الى طريق الايمان فأنعم الله على انبياءه وكرمهم بالمعاجز ليكونوا حجة على الناس وارسل الله رسوله (ص) بالمعجزة الخالدة وهو القرآن الكريم، انها المعجزة الابدية التي تبقى ما شاء الله لها ان تبقى.

وبمحمد ختمت الرسالة وختمت المعجزات واكمل الدين واتمت النعمة وجاء قول الله صريحاً وجليا :

« اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام دينا.» المائدة ٣

ومرة اخرى ونحن نتحدث عن الغلو النظري عند الشيعة قبل الغلو العملي ونترك الباب مفتوحاً لسائر الفرق الاسلامية الاخرى ان تتحدث هي عن الغلو الحاكم في قلوب ابنائها وفي بطون كتبها.

ان المؤسف حقاً هو ان الغلو النظري مثل العملي دخل الى اعماق القلوب عن طريق فقهاء المذهب والمجتهدين فالمسؤلية الاولى والاخيرة تقع على عاتقهم لانهم هم الذين قادوا العوام على الطريق، فهناك امور نسبتها كتب الشيعة الى الأئمة وتبناها فقهاء المذهب وذكرتها كتب الروايات الموثوقة عندهم مثل (اصول الكافي) و (الوافي) و (الاستبصار) و (من لا يحضره الفقيه)و (وسائل الشيعة) وغيرها من اهم الكتب والمصادر الشيعية، وفي كثير منها الغلو وفي كثير منها الحط من قدر الائمة ولكن بصورة غير مباشرة، ومع اننا نستثني بعض علمائنا وبعض مراجعنا حيث اتخذوا موقفاً منصفاً ومعتدلاً من الغلو النظري والعملي، غير ان الاكثرية منهم ساروا على درب الغلو من الفه الى يائه. ولعل من اهم مواضيع الغلو :

١ــ العصمة
٢ــ العلم اللدني
٣ــ الالهام
٤ــ المعاجز
٥ــ الاخبار بالغيب
٦ــ الكرامات
٧ــ تقبيل الاضرحة وطلب الحاجات

وهنا اود القول بكل صراحة ووضوح هو انني عندما اطلب غربلة الكتب الشيعية وتهذيبها من الروايات التي تسيء الى العقل الانساني بدلا من ان تصقله اطلب في الوقت نفسه من علماء الفرق الاسلامية الاخرى ان تهذب وتغربل بدورها كتبها من الروايات التي جاءت فيها وهي لا تقل عن الغرابة والسخف من الروايات التي دُوِّنت في كتب روايات الشيعة.

الغلو العملي

ان الغلو العملي يتجسد في طلب الحاجات الدنيوية والاخروية من الأئمة والاستغاثة بهم بصورة مباشرة. كما ان تقبيل الاضرحة هو امر شائع في مراقد الأئمة والاولياء معا.

حقاً لقد سئمت من المناقشة والمناظرة مع فقهائنا ــ سامحهم الله ــ حول تقبيل الاضرحة وطلب الحاجات من الأئمة وقراءة الزيارة (١)امام قبورهم بدلا من قراءة القرآن الكريم فلم اسمع منهم الا تكراراً لكلمات قيلت وقيلت، فقد ارادوا ان يجدوا العذر في تقبيل الاضرحة بتقبيل الرسول الكريم (ص) الحجر الاسود في حين ان عمل الرسول (ص) كان يعتبر سنة لموقع خاص ومقام خاص حتى ان الخليفة عمر ابن الخطاب وقف امام الحجر مخاطباً له :

> « انك حجر لا تضر ولا تنفع ولكنني رأيت رسول الله يقبلك فاقبلك.»

وان الرسول (ص) لم يسمح ابداً ان يقبل احد يده بل كان يصافح زائريه والقادمين اليه، كما اننا لم نسمع ولم نقرأ ان الامام علياً سمح لاحد ان يقبل

١ـ افردنا فصلاً خاصاً لهذا الموضوع.

يده او رداءه. وهذا هو الامام الصادق وقد اغضبه رجل عندما أراد ان يقبل عصاه التي يتوكأ عليها بذريعة انها عصا رسول الله (ص) فقال له غاضباً :

« ويحك (وهو يشير الى يده) هذا لحم ودم
رسول الله فلماذا تقبل ما لا يضرك ولا ينفعك.»

ومن الغريب في استدلال علمائنا بتقبيل النبي الكريم للحجر الاسود وجواز تقبيل الاضرحة بالقياس عليه هو انهم من اشد الناس معارضة للقياس في استنباط الاحكام الشرعية، وكما نعرف جعلوا الدليل العقلي بدلا من القياس في استنباط الاحكام ولكنهم اخذوا به عندما رأوا مصلحة في ذلك.

لقد زرت مقابر الاولياء في كثير من البلاد الاسلامية فرأيت الزائرين فيها على النمط الذي نراه في مشاهد أئمتنا، ودخلت كنائس المسيحيين في كثير من بلاد العالم فرأيت الناس فيها كما هي فهم يتبركون بتمثال المسيح وبأقدام العذراء وقد تركوا الله جانباً ويطلبون منهما العون في الدنيا والآخرة. ودخلت معابد البوذيين والشنتو ومعابد الهنود والسيخ فرأيت ما رأيته من قبل في مشاهد المسلمين والمسيحيين معاً من تقديم القربان وطلب الحاجة وتقبيل التماثيل والركوع والخضوع والخشوع امامها.

وهكذا رأيت البشرية تعوم في سراب من الاوهام. وحقاً اكبرت اولئك العلماء من المسلمين امثال ابن حزم الاندلسي ومن حذا حذوه من الذين منحهم الله عقولاً جبارة اتخذوها مناراً وهداية لهم وللآخرين فسبقوا عصورهم بقرون وقرون ووقفوا موقف الساخر الغاضب من هذه الاعمال. ولنقرأ معاً هذه الآيات البينات وقد عالجت هذه الامور بصراحة ووضوح :

١ــ « قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء
الله، ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير،
وما مسني السوء ان انا الا بشير ونذير لقوم
يؤمنون.» الاعراف ١٨٨

٢ــ « ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم
الغيب ولا اقول اني ملك.» هود ٣١

٣ــ « قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب

الا الله.» النمل ٦٥
٤ـ « واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب
دعوة الداعي اذا دعاني.» البقرة ١٨٦
٥ـ « وقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس له
نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد.» ق ١٦

التصحيح

ومرة اخرى نعود الى الفكرة التصحيحية الكبرى وهي غربلة الكتب وتنقيحها وتهذيبها من الشوائب والاخبار غير الصحيحة التي جاءت فيها. واذا ذكرنا اعلاه بعض اسماء الكتب التي يعتبرها فقهاء الشيعة كتباً معتبرة والتي الفت في عهد الصراع الاول بين الشيعة والتشيع ولكن من المهم ان نذكر ايضاً ان الكتب التي الفت في العهد الثاني من الصراع اي في عهد الدولة الصفوية لهي ادهى بكثير من تلك التي كتبت في وقت متقدم. فلقد جمعت بعض هذه الكتب بين صفحاتها من عجائب الامور والاقوال ما لا يرتضيه اي عاقل واي محب لاهل بيت الرسالة. ولعل من نافلة القول ان نذكر هنا على وجه التحديد

موسوعة بحار الانوار الضخمة التي وضعها المولى محمد باقر المجلسي باللغة العربية وفي مجلدات تربو على العشرين. ان هذه الموسوعة هي بحق من اكثر الموسوعات نفعاً وضررا،فهي في الوقت الذي تجمع في طياتها تراثاً علمياً غنياً وتمد الباحثين والعلماء به فهي تحتوي ايضاً على اقوال ضارة ومواضيع ركيكة اضرت بالشيعة والوحدة الاسلامية اعظم الضرر واكبره. ومع ان المؤلف يعترف في مقدمة كتابه الذي سماه بحاراً لأنه كالبحر الذي يوجد فيه الصدف والخزف، فكتابه ايضاً يحتوي على الضار والنافع شأنه شأن البحر،ولكن مع الاسف ان الخزف الموجود في كتاب البحار قد اضر الشيعة والوحدة الاسلامية اكثر من اي أثر آخر الف حتى الآن في التاريخ الشيعي.

لقد خصص المؤلف شطراً كبيراً من موسوعته في معاجز ائمة الشيعة وهي مليئة بالافكار الغلوائية التي تحتوي على قصص في المعاجز والكرامات تنسب الى ائمتنا. حقاً انها حكايات تصلح لتسلية الاطفال.

والجانب الآخر الهدام في هذه الموسوعة هو التركيز على الطعن وتجريح الخلفاء الراشدين وبصورة مقذعة في بعض الاحيان، الامر الذي اتخذه تجار

الطائفية البغيضة فرصة مواتية لاثارة العداء بين الشيعة والسنة ولا زالت الكتب التي تؤلَّف ضد الشيعة تركز تركيزاً مباشراً على كتب المجلسي. والمجلسيّ الَّف كتباً باللغة الفارسية ايضاً وهي لا تقل في محتواها عن موسوعته العربية، ولاشك ان عصر المجلسي وتأييد النظام الحاكم للمذهب الشيعي ولعلماء المذهب كان من اهم عوامل تأليف موسوعة مثل (بحار الانوار) الكتاب الذي كان يضمن الخلاف الابدي بين الشيعة في ايران وبين الاكثرية الساحقة من المسلمين الذين كانت الخلافة الاسلامية المجاورة لايران تحكمهم باسم امير المؤمنين. والمجلسيّ الذي ولد في عام ١٠٣٧ هجري وتوفي في عام ١١١١ هجري كان معاصراً للشاه سليمان والسلطان حسين من الملوك الصفويين وعُيِّن برتبة شيخ الاسلام وانيطت به الشؤون الدينية في ايران بأمر الشاهين الذين حكما ايران في ازهى عصور الدولة الصفوية.

وقبل اكثر من ثلاثين عاماً عندما ارادت دار للنشر في ايران ان تجدد طبع موسوعة البحار في مئة مجلد امر الامام الطباطبائي البروجردي الزعيم الاعلى للطائفة الشيعية انذاك ان يخضع الكتاب للتهذيب والتنقيح ويجرد من كل الروايات والقصص التي فيها تجريح للخلفاء الراشدين ولكن الناشر الذي كان من اكبر تجار الطائفية وبتعاون مع جهات مشبوهة بدأ بطباعة الموسوعة من المجلدات الضخمة التي لا تحتوي على تلك الروايات والقصص المضرة متجاهلا التسلسل الوارد في الموسوعة وتم طبع المجلدات الضارة بعد وفاة الامام البروجردي وعرضت في المكتبات الاسلامية لتكون وقوداً جديداً لاثارة الضغناء والشحناء بين المسلمين. ولقد انبئت اخيراً ان الموسوعة طبعت مرة اخرى في لبنان بمساعدة جهة لها اتصال عميق بالدوائر الاستعمارية التي كانت سياستها الدائمة فرق تسد .

وفي معرض حديثنا عن غربلة كتب روايات الشيعة لابد من ان نذكر هنا وبكل صراحة ان الدفاع الذي يقدمه بعض فقهائنا لصحة الروايات التي نريد غربلتها هو ان علم الدراية او علم الرجال يساند صحة صدور تلك الروايات عن ائمة الشيعة وصدور بعض المعجزات والكرامات عنهم.

وليت شعري ان افهم ايهما افضل للقبول والاتباع علم الدراية والرجال ام كتاب الله الكريم وسنة رسوله وبعدهما العقل والمنطق والبرهان، ورسول الله

(ص) يقول :

« كل ما وافق الكتاب فخذوه وما عارضه فانبذوه.»(١)

وقبل ان اختم هذا الفصل لابد من الاشارة الى موضوع له من الاهمية بمكان فقد دأب كثير من فقهائنا والمعنيين بالشؤون الشيعية في رفضهم لقبول غربلة الكتب المشار اليها من المواضيع التي تقصم ظهر الوحدة الاسلامية ان يتذرعوا بالقول ان كتب السنة ايضاً مليئة بما يجرح الشيعة وترميهم بالزندقة والكفر والخروج عن الاسلام.

لقد صارحنا فقهاءنا من الشيعة وقلنا لهم ان كتبكم طعنت و جرحت الخلفاء الراشدين الذين لهم مكانة كبرى في قلوب المسلمين، وازواج النبي (ص) وصحابته، والسنة لا تقول مثل هذا الكلام في ائمة الشيعة بل تكرمهم وتذكر فضائلهم. ولكن حينما يريد علماء السنة الدفاع عن اعز واكرم فئة ترى فيها امتداداً لرسول الله (ص) وقد ذكرتها الكتب الشيعية بما لا يليق بمكانتها فلابد وان توجه السهام نحو صدور اولئك الذين دونوا مثل تلك الاقوال في كتبهم. ومن هنا نستطيع القول ان وطأة الكتب الشيعية وما فيها من كلام جارح على الخلفاء هي اقسى واشد كثيرا على السنة مما تقوله السنة في الشيعة نفسها. وبما اننا نريد بعون الله وارادة ان ننهي هذا الخلاف الى الابد ونقدم حلولا تصحيحية تضمن إنهاءها عاجلا او اجلا فكان لا بد من سلوك طريق الصراحة، ونحن هنا في موقف امام الله والتاريخ والمسلمين جميعاً. فلذلك نقول انه توجد في بعض الكتب التي الفها كُتاب السنة طعناً او جرحاً في حق بعض أئمة الشيعة ونقصد بأئمة الشيعة هنا أئمة آل البيت ووصفهم بعبارة ائمة الشيعة هو وصف مجازي دأب عليه الاصطلاح والا فأن أئمة آل البيت كالحسن والحسين وزين العابدين وغيرهم من آل البيت هم أ ئمة لأهل السنة ايضاً. ومن يجرح هؤلاء يعتبر مجروحاً في موازين اهل السنة ايضاً. ومن الواضح انني لا اقصد باولئك الكتاب الخوارج الذين لهم موقف واضح وصريح من الامام علي. ومع انني اعترف ان كتباً من هذا النوع نادرة جداً الا أنها تؤخذ كرأس رمح يمنع القيام بالحركة التصحيحية ويستغلها المتاجرون بالطائفية الذين لا يريدون ان تتم الوحدة الاسلامية الكبرى فيستندون على

١ــ اجمعت رواة السنة والشيعة على صحة هذا الحديث

مثل تلك الكتب النادرة التي لا تتداولها الايدي كثيراً ولكن وجودها يعتبر ذريعة.

وانني ادعو الله مخلصاً ان يوفق المصلحين من امة محمد (ص) بغربلة امثال تلك الكتب ايضاً حتى تكون مهمتنا شاملة وعامة.

زيارة مراقد الائمة

وحتى الآن لم اسمع جواباً شافياً من فقهائنا سامحهم الله في تفضيل كلام المخلوق على الخالق.

زيارة مراقد الائمة

لقد فصلنا في مبحث الغلو وجه الاشتراك بين الشيعة وسائر الفرق الاسلامية في زيارة مراقد الائمة وقبور الاولياء نستثني منهم السلفية كما اشرنا. وفي هذا الفصل نتحدث عن مورد الاختلاف بينهم وهو الذي تنفرد به الشيعة عما سواها في زيارتها لقبور ائمتها. لقد غيرت الشيعة مسار الزيارة لمراقد الائمة التي يجب ان تكون لله الى زيارة سياسية اعلامية تثقيفية ومذهبية.

انني وعندما اكتب هذه السطور هناك عشرات الآلاف من الشيعة تزور مراقد الائمة في ايران والعراق والمدينة المنورة كل يوم وفي آناء الليل واطراف النهار. وعلى ما اعتقد لا يوجد بين هذه الاكثرية الساحقة شيعي واحد يقرأ فاتحة الكتاب او سوراً من القرآن الكريم عندما يدخل الى العتبات ويقف امام قبر من قبور الائمة. ان العادة جرت للشيعة ومنذ قرون ان تقرأ امام قبور أئمتها عبارات مطولات اسمها (الزيارة) التي تجمع بين طياتها مدحاً للائمة والثناء عليهم والتنديد بأعدائهم ثم قليل من الدعاء. وقلما يوجد بيت للشيعة لا يتوفر فيه كتاب (مفاتيح الجنان) وهو الكتاب الذي يحتوي على مئات من الزيارات للائمة ولاولادهم وكلها على نمط مشابه وبفارق صغير في بعض الاحيان. ولنقرأ معاً بعض المقاطع من (الجامعة الكبيرة)وهي من اهم الزيارات شأناً وتقرأ عند قبر كل امام من الائمة وهي من المطولات، فقد روى الصدّوق في كتابه (الفقيه) ان الامام العاشر علي ابن محمد الجواد علّم احد خواصه وهو موسى ابن عبدالله النخعي بهذه الزيارة :

« السلام عليكم يا اهل بيت النبوة وموضع
الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي
......وامناء الرحمن وسلالة النبيين وصفوة
المرسلين وعترة خيرة رب العالمين......اشهد
انكم الائمة الراشدون المهديون المعصومون
المكرمون المقربون المتقون

الصادقون......الراغب عنكم مارق واللازم لكم
لاحق والمعترض في حقكم زاهق والحق معكم
وفيكم ومنكم واليكم وانتم اهله ومعدنه وميراث
النبوة عندكم وآيات الخلق اليكم وحسابهم عليكم
وفضل الخطاب عندكم وعزائمه فيكم......من
والاكم فقد والى الله ومن عاداكم فقد عادى الله
ومن احبكم فقد احب الله ومن ابغضكم فقد
ابغض الله......اشهد الله واشهدكم انني موال لكم
ولاوليائكم، مبغض لاعدائكم ومعاد لهم سلم لمن
سالمكم وحرب لمن حاربكم، بكم يسلك الى
الرضوان وعلى من جحد ولايتكم غضب
الرحمن.»(١)

وهكذا تستمر الزيارة بمثل هذه العبارات وتختم بعد ذلك بدعاء قصير.

ان الزيارة التي ذكرنا مقاطعاً صغيرة منها هي اكثر الزيارات اعتدالاً ومضموناً الا ان هناك زيارات اخرى وكثيرة فيها عنف وشدة وفي بعضها تجريح للخلفاء الراشدين، لكن الطابع العام في هذه الزيارات هو التنديد بظالمي آل محمد والاعتراف بفضل علي واولاده واحقيتهم بالامامة. وهناك زيارات كثيرة ايضاً تخص الامام الحسين تحتوي على التنديد بالامويين مع السب الصريح في حق كثير منهم بسبب قتلهم الحسين. ولا شك ان مقتل الامام الحسين في واقعة كربلاء وسب الامام علياً على المنابر الذي بدأ به معاوية ابن ابي سفيان واستمر حتى خلافة عمر ابن عبد العزيز عام ٩٩ هجري الذي رفع السب يعتبر من اهم الاسباب التي ادت الى ظهور رد فعل عنيف من قبل الشيعة وهو اعطاء السب والشتم صفة دينية وقانونية ادخلت في الزيارات التي تُقرأ امام قبور الائمة واولادهم وحتى هذا اليوم. ومن خلال تفحصي للزيارات التي ذكرتها كتب الزيارات مثل (مزار البحار) و (مفتاح الجنان) و (ضياء الصالحين) و (مفاتيح الجنان) وغيرها يبدو لي واضحاً ان اسماء الخلفاء الراشدين دخلت في بعض هذه الزيارات صراحة او تلميحاً في وقت متأخر عن العصر الذي كتبت فيه هذه الزيارات فلذلك لا نجد لهم ذكراً الا في قليل منها.

١ــ مفاتيح الجنان، القمّي، ص ١٠٠٨

ان من يفكر ملياً بالأسباب الكامنة وراء وضع هذه الزيارات وشيوع قراءتها امام قبور الائمة والانصراف الكامل عن قراءة القرآن الكريم الذي هو كلام الله وله الشرف كل الشرف على كلام المخلوق ليعلم بوضوح ان الغرض منها انما هو نشر الثقافة المذهبية والتركيز على اهم مبادئها وهو احقية الائمة بالخلافة من سواهم. ويجب علينا ان نذكر ايضاً ان زيارة قبر الامام الحسين بدأت بعد مقتله بأربعين يوماً حيث وصلت الى كربلا أول قافلة تضم اهل بيته وبعض صحابته للسلام عليه واستمرت تلك القوافل بالوفود الى كربلاء عاماً بعد عام وحتى هذا اليوم.

وعندما نعود الى الاسباب الكامنة التي كانت وراء تلك الاجتماعات التي كانت تحصل عند قبر الامام الحسين باسم زيارته لنعلم انها كانت لقاءات بين الشيعة تفد الى قبر الحسين من اقاصي البلاد لكسب الثواب ولنشر المذهب الشيعي والتنديد بالخلافة التي تجسدت في الامويين في باديء الامر ثم في العباسيين بعدهم وانها في نفس الوقت كانت تظاهرات شيعية لتوحيد الصفوف ونشر اهداف المذهب الشيعي.

ولهذا فانني لا استغرب ابداً عندما اقرأ في كتب الروايات التي هي بين ايدينا روايات تنسب الى ائمة الشيعة تحث الناس على زيارة الامام الحسين وقد جاء في بعضها :

« لكل خطوة يخطوها الزائر في سبيل زيارة
الحسين له قصر في الجنة.»

وحتى انهم جعلوا لكربلاء مقاماً اعلى من الكعبة وقد قال احد شعراء الشيعة :

وفي حديث كربلاء والكعبة   لكربلاء بان علو الرتبة

كما ان روايات اخرى قالت :

« ان من بكى على الحسين او تباكى غفر الله له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر.»

ان مثل هذه الروايات وانتسابها الى الائمة اعطت حيوية خارقة في السعي للوصول الى كربلاء مع صعوبة الاسفار ومشاقها وخطورتها في تلك العهود، ولذلك كانت كربلاء في عهد الخلافة الاموية والعباسية تشهد المظاهرات

الشيعية الكبرى في شهر محرم وصفر ولاسيما العاشر من محرم وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين. وكان المجتمعون يحتشدون بصمت امام القبر ويوحدون صفوفهم في قراءة الزيارات التي كانت عملية تثقيفيةوراءها حكماء وعلماء احكموا فيها وضع الخطة التي تجمع الشيعة على خط واحد لا تنفصم عراه.

وحقاً كان المخططون في وضع تلك الزيارات عباقرة استطاعوا تفهم النفسية الشيعية في عهد الامويين والعباسيين تفهماً مطلقاً فجاءت تلك الزيارات وتداولها تداولاً عاماً في المواسم الخاصة بمثابة استمرار منظم في مقاومة الخلافة. وهكذا اصبح التثقيف المذهبي عن طريق تلك الزيارات عاماً وشائعاً وشاملاً رغماً عن ارادة السلطة الحاكمة. لقد حدث كل ذلك في عهد لم تعرف فيه الصحافة ولا المدارس العامة ولا الاعلام الشامل ولا وسائل الطباعة ولا التنظيمات الحزبية، ولذلك لا نجد غرابة عندما نعلم ان المتوكل العباسي منع الناس من زيارة الامام الحسين وأمر بحرث قبره حتى يخفي معالمه عن الناس.

واليوم وبعد ان انتهى كل شيء ولا يوجد للامويين ولا للعباسيين وخلافتهم اثر في العالم الاسلامي ولا لذلك التطاحن الفكري حول الخلافة والخلفاء فهل نحن معاشر الشيعة نرغب ان نسير في الطريق نفسه الذي سرنا عليه زهاء ثلاثة عشر قرناً ونقف امام قبور الائمة ونردد كلاماً رددناه قروناً وقروناً لا فائدة ترجى من وراءه ولا اثر يترتب عليه ؟ اللهم الا بعض المقاطع من الدعوات الخالصة التي تشكل جزءاً صغيراً من الزيارة فحسب. ثم الى متى سنفضل كلام المخلوق على الخالق ؟ وما هي الفائدة التي يجنيها الائمة انفسهم من قراءة هذه الخطب الرنانة امام قبورهم ؟

اليس من الافضل حقاً ان نأخذ بسنة النبي الكريم (ص) ونتلوا آيات من الذكر الحكيم امام قبور ائمتنا ؟ فان فيها الثواب والرحمة وفيها النور والهدى ليس للزائر فحسب بل حتى للمزور وان كان نبياً او اماما.

التصحيح

من كل ما اسلفناه يظهر بوضوح ان هذه الزيارات التي ملأت كتب الزيارة ويحتفظ بها كل شيعي في بيته ويقرأها عندما يدخل مشهداً من مشاهد اهل

البيت انها زيارات تثقيفية وضعت في عهد كانت الشيعة فيه بحاجة الى التثقيف المذهبي. واني لا اشك ان الامام علياً اذا كان يستمع الى بعض الفقرات التي جائت في تلك الزيارات وفيها اعطاء الائمة صفات تفوق صفات البشر وتكون قريبة من صفات الله او شريكة معه فقد كان يجري الحد على قارئها وواضعها على السواء.

وهنا اود ان اطلب من الشيعة في كل الارض ان تفكر ملياً في زيارتها لقبور الائمة بهذه العبارات التي لا تجدي خيراً لهم ولا للائمة كما اود ان احمل المسؤلية مرة اخرى على الزعامات المذهبية التي عودت الشيعة على هذا الطريق فحتى هذا اليوم لم اصادف مرجعاً من مراجع الشيعة وهو يدخل مشهداً من مشاهد الائمة يفضل قراءة القرآن الكريم على تلك الزيارات عندما يقف امام المشهد. ولست ادري لماذا نحن معاشر الشيعة نترك كلام الله ونركن الى كلام المخلوق وحتى على فرض صحة صدورها من الامام فلماذا نفضل كلامه على كلام الله ؟

واذا كان الغرض من الزيارة الحصول على ثواب الآخرة فقراءة القرآن الكريم تضمن ذلك الثواب، واذا كان الغرض منها اكرام الامام فقراءة القرآن تضمن له ذلك ايضاً.

وانني لعلى علم ويقين ان هذه النظرة التصحيحية ستواجه ذلك الجواب التقليدي الذي طالما سمعناه من فقهائنا ــ سامحهم الله ــ وهو ان هذه الزيارات وردت من ائمتنا فلابد انهم كانوا اعرف منا بالامر. ومع انني هنا لا استطيع ان اناقش ائمتنا وبيننا وبينهم حاجز الحياة والموت، ولكنني لو كنت في زمن الامام علي ابن محمد وكنت داخلاً معه الى مشهد الامام الحسين وسمعته يقرأ زيارة الوارث والجامعة وهو امام القبر لاجريت معه الحوار التالي :

انا : يا ابن رسول الله هل هذه الزيارة هي كلام الله ام كلام المخلوق ؟
الامام : كلام المخلوق.
لسألت ثانية : هل كلام المخلوق افضل من كلام الله ؟
الامام : كلام الله.

ولسألت مرة اخرى : فلماذا فضلت كلام المخلوق على كلام الله ولم تقرأ القرآن الكريم ؟

ولست ادري ماذا كان يجيب الامام عند الوصول الى هذه النقطة.

ان تصور مثل هذا الحوار لا يعني انني اعتقد صدور هذه الزيارات من ائمة الشيعة ولكنني ذهبت الى ابعد الاحتمالات لكي اسد الطريق على الذين يتذرعون بعمل الامام في كل شيء.
واختم هذا الفصل بحديث روتة كتب الصحاح عن رسول الله (ص)الذي قال:

« تركت فيكم الثقلين، كتاب الله وسنتي ما ان
تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي ابداً.»

اما الشيعة فتروي :(١)

« تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي.
ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي ابداً.»

فما احسن وافضل واجمل للشيعة ان تأتمر بأمر رسول الله (ص). وتجمع بين كتاب الله والعترة في مكان واحد حسب الرواية التي ترويها عن رسول الله (ص).

---

١ ــ ذكر بعض كتب الصحاح ايضاً مثل الترمذي ما روته كتب الشيعة

ضرب القامات في يوم عاشوراء

لم تشوه ثورة مقدسة في التاريخ كما شوهت الشيعة ثورة الحسين بذريعة حب الحسين.

ضرب القامات في يوم عاشوراء

الضرورة تملي ان نفرد فصلاًخاصاً في ضرب السلاسل على الاكتاف وشج الرؤوس بالسيوف والقامات في يوم العاشر من محرم حداداً على الامام الحسين.

وبما ان هذه العملية البشعة لا زالت جزءاً من مراسيم الاحتفال باستشهاد الامام الحسين وتجري في ايران وباكستان والهند وفي النبطية بلبنان في كل عام وتكون السبب في حدوث صراع دموي بين الشيعة والسنة في اجزاء من الباكستان تذهب ضحيته المئات من الارواح البريئة من الفريقين، كان لابد من الاسهاب حولها بصورة مستقلة.

كما قلنا في فصل سابق ان الشيعة تحتفل بيوم عاشوراء منذ قرون عديدة وماعدا قراءة الزيارات التي اسهبنا في ذكرها كان الشعراء ينشدون قصائد امام القبر حتى ان الشاعر العربي الشريف الرضي عندما القى قصيدته العصماء امام قبر الحسين والتي جاء في مطلعها :

كربلاء لا زلت كرباً وبلا

ووصل الى هذا البيت :

كم على تربك لما صرعوا   من دم سال ومن قتل جرى

بكى وبكى حتى اغمي عليه. والثابت ان ائمة الشيعة كانوا يحتفلون بيوم العاشر من محرم فيجلسون في بيوتهم يقبلون التعازي من المعزين ويطعمون الطعام في ذلك اليوم، وكانت تلقى امامهم خطب أو قصائد في ذكرى شهادة الحسين واهل بيت رسول الله (ص) وفضائلهم.

وفي كربلاء وحول قبر الحسين كان الزوار يمرون على هيئة مواكب وآحاد وهم يقرأون الزيارات التي اشرنا اليها مع بكاء ونحيب كجزء مكمل للاحتفال والزيارة، انها العادة التي لازالت جارية في المجالس التي تقام للامام الحسين في العالم الشيعي فلابد من ختمها بالبكاء لان :

« من بكى او تباكى على الحسين وجبت عليه الجنة.»

كما جاء في بعض الروايات التي تنسب الى الائمة، ومعاذ الله ان يصدر من الامام كلاماً كهذا.

كما ان الشيعة كانت تلبس السواد في شهر محرم وصفر حداداً على الحسين، وهذه العادة اخذت بالتوسع في عهد الصراع الاول بين الشيعة والتشيع وعندما اخذت تظهر الشيعة على مسرح الاحداث السياسي والاسلامي كقوة تريد الاطاحة بالخلافة الحاكمة وكان للبويهيين الذين حكموا ايران والعراق بأسم حماة الخلافة العباسية دوراً بارزاً في تنمية الاحتفالات في ايام عاشوراء ولكن هذه الاحتفالات اخذت طابعاً عاماً واصبحت جزءاً من الكيان الشيعي عندما استلم السلطة الشاه اسماعيل الصفوي وادخل ايران في التشيع وخلق فيها تماسكاً مذهبياً للوقوف امام اطماع الخلافة العثمانية المجاورة لايران كما اشرنا اليه. وكان البلاط الصفوي يعلن الحداد في العشر الاول من محرم من كل عام، ويستقبل الشاه المعزين في يوم عاشوراء، وكانت تقام في البلاط احتفالات خاصة لهذا الغرض تجتمع فيها الجماهير ويحضرها الشاه بنفسه، كما ان الشاه عباس الاول الصفوي الذي دام حكمه خمسين عاماً وهو اكبر الملوك الصفويين دهاء وقوة وبطشاً كان يلبس السواد في يوم عاشوراء ويلطخ جبينه بالوحل حداداً على الامام الحسين وكان يتقدم المواكب التي كانت تسير في الشوارع مرددة الاناشيد في مدح الامام ثم التنديد بقتلته.

ولا ندري على وجه الدقة متى ظهر ضرب السلاسل على الاكتاف في يوم عاشوراء وانتشر في اجزاء من المناطق الشيعية مثل ايران والعراق وغيرهما ولكن الذي لاشك فيه ان ضرب السيوف على الرؤوس وشج الرأس حداداً على الحسين في يوم العاشر من محرم تسرب الى ايران والعراق من الهند وفي ابان الاحتلال الانجليزي لتلك البلاد وكان الانجليز هم الذين استغلوا جهل الشيعة وسذاجتهم وحبهم الجارف للامام الحسين فعلموهم ضرب القامات على الرؤوس.

وحتى الى عهد قريب كانت السفارات البريطانية في طهران وبغداد تمول المواكب الحسينية التي كانت تظهر بذلك المظهر البشع في الشوارع والازقة، وكان الغرض وراء السياسة الاستعمارية الانجليزية في تنميتها لهذه العملية البشعة واستغلالها ابشع الاستغلال هو اعطاء مبرر معقول للشعب البريطاني وللصحف الحرة التي كانت تعارض بريطانيا في استعمارها للهند ولبلاد

اسلامية اخرى واظهار شعوب تلك البلاد بمظهر المتوحشين الذين يحتاجون الى قيم ينقذهم من مهامه الجهل والتوحش فكانت صور المواكب التي تسير في الشوارع في يوم عاشوراء وفيها الآلاف من الناس يضربون بالسلاسل على ظهورهم ويدمونها وبالقامات والسيوف على رؤوسهم ويشجونها تنشر في الصحف الانجليزية والاوروبية، وكان الساسة الاستعماريون يتذرعون بالواجب الانساني في استعمار بلاد تلك هي ثقافة شعوبها ولحمل تلك الشعوب على جادة المدنية والتقدم.

وقد قيل ان ياسين الهاشمي رئيس الوزراء العراقي في عهد الاحتلال الانجليزي للعراق عندما زار لندن للتفاوض مع الانجليز لانهاء عهد الانتداب قال له الانجليز : نحن في العراق لمساعدة الشعب العراقي كي ينهض بالسعادة وينعم بالخروج من الهمجية. ولقد اثار هذا الكلام ياسين الهاشمي فخرج من غرفة المفاوضات غاضبا، غير ان الانجليز اعتذروا منه بلباقة ثم طلبوا منه بكل احترام ان يشاهد فيلماً وثائقياً عن العراق، فاذا به فيلم عن المواكب الحسينية في شوارع النجف وكربلاء والكاظمية تصور مشاهد مروعة ومقززة عن ضرب القامات والسلاسل وكأن الانجليز قد ارادوا ان يقولوا له هل ان شعباً مثقفاً له من المدنية حظ قليل يعمل بنفسه هكذا ؟

وهنا اذكر كلاماً طريفاً مليئاً بالحكمة والافكار النيِّرة سمعته من احد اعلام الشيعة ومشايخهم قبل ثلاثين عاماً. لقد كان ذلك الشيخ الوقور الطاعن في السن واقفاً بجواري وكان اليوم هو العاشر من محرم والساعة اثنتي عشرة ظهراً والمكان هو روضة الامام الحسين في كربلاء، واذا بموكب المطبرين الذين يضربون بالسيوف على رؤوسهم ويشجونها حداداً وحزناً على الحسين دخلوا الروضة في اعداد غفيرة والدماء تسيل على جباههم وجنوبهم بشكل مقزز تقشعر من رؤيته الابدان، ثم اعقب الموكب موكب آخر وفي اعداد غفيرة ايضاً وهم يضربون بالسلاسل على ظهورهم وقد ادموها، وهنا سألني الشيخ العجوز والعالم الحر :

ما بال هؤلاء الناس وقد انزلوا بأنفسهم هذه المصائب والآلام ؟

قلت : كأنك لا تسمع ما يقولون، انهم يقولون « واحسيناه » اي لحزنهم على الحسين.

ثم سألني الشيخ من جديد : أليس الحسين الآن في « مقعد صدق عند مليك

مقتدر »؟
قلت : نعم .
ثم سألني مرة اخرى : اليس الحسين الآن في هذه اللحظة في الجنة « التي عرضها كعرض السموات والارض اعدت للمتقين » ؟
قلت : نعم . ثم سألني : أليس في الجنة « حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » ؟
قلت : نعم .
وهنا تنفس الشيخ الصعداء وقال بلهجة كلها حزن والم : ويلهم من جهلة اغبياء لماذا يفعلون بأنفسهم هذه الافاعيل لاجل امام هو الآن في « جنة ونعيم ويطوف عليه ولدان مخلدون بأكواب واباريق وكأس من نعيم.»

في عام ١٣٥٢ هجري وعندما اعلن كبير علماء الشيعة في سوريا السيد محسن الامين العاملي تحريم مثل هذه الاعمال وابدى جرأة منقطعة النظير في الافصاح عن رأيه وطلب من الشيعة ان يكفوا عنها لاقى معارضة قوية من داخل صفوف العلماء ورجال الدين الذين ناهضوه ووراءهم « الهمج الرعاع » على حد تعبير الامام علي. وكادت خطواته الاصلاحية تفشل لولا ان تبنى جدنا السيد ابو الحسن وبصفته الزعيم الاعلى للطائفة الشيعية موقف العلامة الامين ورأيه في تلك الاعمال معلناً تأييده المطلق له ولفتواه.

ولقد اعطى موقف جدنا بعداً كبيراً للحركة الاصلاحية التي نادى بها السيد الامين، ومع ان كثيراً من الفقهاء والمجتهدين وقفوا موقفاً معارضاً للسيد ابو الحسن كما وقفوا للامين من قبل الا ان السيد ابو الحسن تغلب على الجميع في آخر المطاف بسبب مقامه الرفيع وصموده. واخذت الجماهير تطيع فتوى الزعيم الاكبر وبدأت تلك الاعمال تقل رويداً رويدا وتختفي من على الساحة الشيعية الا انها لم تندثر تماماً حيث بقيت لها مظاهر ضعيفة وهزيلة حتى ان توفي جدنا رحمه الله في عام ١٣٦٥ هجري واخذت بعض الزعامات الشيعية الجديدة تحث الناس على تلك الاعمال من جديد فبدأت تنمو مرة اخرى في العالم الشيعي ولكنها لم تصل الى ما كانت عليه قبل عام ١٣٥٢ هجري.

وبعد ان اعلنت في ايران الجمهورية الاسلامية وتولت ولاية الفقيه السلطة صدرت الاوامر باحياء تلك الاعمال كجزء من السياسة المذهبية واخذت الجمهورية الاسلامية الفتية تساعد الفئات الشيعية في كل الارض وتحثهم

مالياً ومعنوياً لاحياء هذه البدعة التي ادخلتها السياسة الاستعمارية الانجليزية الى العالم الاسلامي الشيعي قبل مائتي عام وذلك لتظهر وجه الاسلام والمسلمين بالمظهر الكالح وتبرر استعمارها لبلاد الاسلام كما قلنا من قبل.

وعندما اكتب هذه السطور تشاهد المدن الايرانية والباكستانية والهندية واللبنانية مع الاسف الشديد في يوم العاشر من محرم من كل عام مواكباً تسير في شوارعها بالصورة التي رسمناها، وقبل ان تنتهي ساعات ذلك اليوم فان صوراً من تلك الهمجية الانسانية والجنون المفزع تعرض على شاشات التلفزة في شرق الارض وغربها لتعطي قوة لاعداء الاسلام والمتربصين بالاسلام والمسلمين معا.

التصحيح

ان على الطبقة المثقفة من الشيعة الامامية ان تبذل قصارى الجهد لمنع الجهلة من القيام بمثل هذه الاعمال التي مسخت وشوهت ثورة الامام الحسين. وعلى الوعاظ والمبلغين ان يقوموا بدور اكثر وضوحاً ورؤية، والحقيقة التي اود ان اذكرها بكل صراحة ووضوح هي ان السبب الذي حدا بالحسين للاستشهاد في يوم عاشوراء كان اعلى وأجل بكثير من الصورة التي ترسمها الشيعة عن ذلك. فالحسين لم يستشهد لتبكي الناس عليه وتلطم الخدود وتصوره بالبائس المسكين وانما اراد الامام ان يعطي درساً بليغاً في الايثار عن النفس والحزم والعزم والشجاعة في مقارعة الظلم والاستبداد. فلذلك ان الاحتفال في شهادة الامام الحسين ينبغي ان يكون احتفالا يتناسب مع مقام الحسين بعيداً عن الغوغاء والجهلة والاعمال التي تضحك وتبكي في آن واحد. وما اجمل الاحتفالات التثقيفية التي فيها تلقى الخطب والقصائد البليغة وسيرة الرسول واهل بيته وصحابته في الجهاد والتضحية في سبيل الله.

وهكذا يجب ان نبني انفسنا في ذكرى الحسين لا ان نهدمها ويجب ان نعطي للحسين حقه في ساحة النضال لا ان نشوهه ونسيء اليه. هذا ان كنا حقاً من انصار الحسين ومحبيه.

الشهادة الثالثة

اجمع فقهاء الشيعة على ان من قال الشهادة الثالثة بقصد (الورود) فقد عمل عملا محرما.

الشهادة الثالثة

يقول السيد المرتضى وهو من اكابر علماء الشيعة الامامية فى القرن الخامس الهجري ان من قال في اذان الصلوات « اشهد ان علياً ولي الله » فقد اتى بعمل محرم. ومن هذا الرأي يبدو لي ان الشهادة الثالثة دخلت في اذان الصلوات بعد الغيبة الكبرى ولكنها لم تظهر ظهوراً رسمياً على مسرح الاحداث المذهبية الا بعد ان ادخل الشاه اسماعيل الصفوي ايران في التشيع وامر المؤذنين بادخال الشهادة الثالثة في آذان الصلوات ومن على المآذن. وهكذا اعطي للامام علي موقعه الثابت بعد رسول الله (ص) في الخلافة. ومنذ ذلك الحين ومساجد الشيعة في العالم تسير على الطريقة التي نمّاها ووسعها الشاه الصفوي لا نستثني مسجداً واحداً من مساجد الشيعة في شرق الارض وغربها.

ومن الغريب في هذه الظاهرة ان فقهاءنا ــ سامحهم الله ــ يجمعون اجماعاً مطلقاً وتاماً على ان هذه الشهادة ادخلت في آذان الصلوات في وقت متأخر وانها لم تكن معروفة حتى القرن الرابع الهجري وانهم يجمعون ايضاً على ان الامام علياً اذا كان على قيد الحياة ويسمع اسمه يذكر في آذان الصلوات لكان يجري الحد الشرعي على من يقول ذلك.

ومع كل هذا لم يمنع احد من فقهائنا الشهادة الثالثة فحسب بل وقفوا موقف المعارض لتلك القلة القليلة من فقهائنا الذين عارضوا هذه البدعة ورموهم بالخروج من التشيع والبراءة من علي واولاده، وخذلوهم خذلاناً وبيلا تقتفيهم العوام والجهال بذلك.

وهنا تظهر تلك العصبية العمياء التي تسود قلوب بعض الفقهاء والجهال معاً حيث يكون بعضهم لبعض ظهيرا.

لقد سئمت حقاً من المجادلة في هذه المسألة مع فقهائنا فهناك اجوبة تعودوا عليها منذ قرون خلت ولا جديد فيها فهم يقولون ان الشهادة الثالثة ليست جزءاً من الصلاة حتى تفسدها فلذلك لا مانع من ادخال الشهادة الثالثة فيها.

وقد قلنا لهم ان المسألة ليست ما اذا كانت الشهادة الثالثة جزءاً من الصلاة ام

لا بل هو اخطر من ذلك بكثير فالآذان صيغة اقرها الرسول (ص) فصارت سنة توقيفية لا يجوز الحذف منها ولا الاضافة اليها حتى لو كانت للكلمات الاضافية موقع من الصحة والصدق والحقيقة.

ثم قالوا : ان الشهادة الثالثة اصبحت شعاراً للشيعة.

فقلنا لهم : ان شعار الاسلام اهم من شعار التشيع، وهل ان الشيعة شيء والاسلام شيء آخر حتى تحتاج الى شعار تعرف به ؟

وهنا ارادوا ان يلقوا المسؤلية على عاتق غيرهم فقالوا :

لا نستطيع ان نطلب من الشيعة رفض الشهادة الثالثة في آذان الصلوات لأنها اصبحت جزءاً من كيانها وهي متعلقة بها تعلق الطفل بثدي امه فكلامنا يذهب هباء منبثا.

قلنا لهم : لو انكم اجتمعتم على رأي واحد وبينتم حكم الله بصراحة وشجاعة لم يتخلف عنه اثنان. ثم ان واجبكم هو بيان حكم الله وليس تنفيذه.

وقالوا ايضاً : ان الخليفة عمر ابن الخطاب رفع من الآذان حي على خير العمل وجعله الصلاة خير من النوم.

قلنا لهم : اولا الجواب النقضي لا يغني من الحق شيئاً ثم لو صح هذا الأمر لما اقره الامام علياً في عهد خلافته وامر باستبدال الجملة بغيرها، وفي منطقكم عمل الامام حجة على صحتها. ثم ايضاً ان المجمع عليه عندكم ان الشهادة الثالثة لم تكن موجودة في عهد الرسول (ص) ولا الائمة وانها اضيفت الى الآذان في وقت متأخر.

ولكن عبارة « الصلاة خير من النوم » امر اختلافي فالفرق الاسلامية ما عدا الشيعة تجمع على انها وردت في عهد الرسول (ص) بخلاف الشيعة التي تنسبها الى الخليفة عمر ابن الخطاب، والفرق كبير بين مسألة اجماعية لا يختلف عليها اثنان ومسألة اختلافية فيها آراء مختلفة ومتضاربة.

التصحيح

انني لا اشك ابداً ان الشهادة الثالثة والتي اصبحت الآن جزءاً من آذان الصلاة عند الشيعة في مساجدها قد تجاوزت عمل الفرد واخذت طابعاً عاطفياً واجتماعياً ومذهبياً ليس من السهل تغييره ولاسيما وان هناك في المنطقة دولة

مذهبية تنمي العواطف المذهبية وتستغلها في صراعها السياسي مع دول المنطقة المجاورة التي معظم سكانها من السنة. ولذلك تلاقي عملية التصحيح داخل ايران صعوبة بالغة شأنها شأن سائر الخطوات الاصلاحية التي نادينا بها.

وقد يأتي يوم يتغير فيه نظام الجمهورية الاسلامية المتطرف في ايران الى نظام معتدل تكون مبادئه وحدة المسلمين ومصلحة الاسلام فحينئذ تكون الاستجابة لنداء التصحيح حتى في الشهادة الثالثة امراً طبيعياً. ولكن في الوقت الحاضر يجب علينا ان نطلب من الشيعة في اي مكان آخر من الارض يصله نداء التصحيح ان تسعى جاهدة للعودة الى الآذان الذي كان شائعاً في عهد الرسول (ص) والامام علي وائمة الشيعة وان الواجب الملقى على عاتق الطبقة الواعية والمثقفة من ابناء الشيعة ان تؤدي دورها في الاصلاح وتصحيح المذهب الذي تنتمي اليه.

ومرة اخرى وانا ابدي يأساً وقنوطاً من فقهائنا ان يقولوا الحق ويقفوا معنا في هذا الخندق، بل هم بالعكس من ذلك من اشد الناس تأييداً لهذه البدعة والعمل بها في مساجدهم.

فوالله لو كان الامام علي على قيد الحياة ويسمع اسمه يذكر على المآذن في آذان الصلاة لأجرى الحد على المسبب والمباشر معاً فما بالنا نحن نؤدي عملا في سبيل علي وهو لا يرتضيه!

ومرة اخرى نطالب الشيعة في الحركة التصحيحية ان تعود الى الأذان الذي اذنه بلال الحبشي في مسجد رسول الله (ص) وفي حضور رسول الله (ص) وصحابته بما فيهم عليا، وان يطلبوا من المؤذنين في مساجد الشيعة ان يلتزموا بذلك، فاذا ما التزم المؤذنون به في المساجد فانه يفتح طريقه الى ابعد من ذلك ويدخل الى البيوت الشيعية كما دخل في بيت علي والزهراء من قبل.

الزواج المؤقت

كيف تستطيع امة تحترم شرف الامهات اللواتي جعل الله الجنة تحت اقدامهن وهي تبيح المتعة او تعمل بها.

الزواج المؤقت

يقصد بالمتعة الزواج المؤقت الذي تعمل به الشيعة في ايران وقد يُعمل به في مناطق اخرى حيثما توجد فيها لو استطاعت اليه سبيلا. وهنا اريد ان اقول ان الدخول في الجدل الفقهي العقيم الذي مرت عليه قرون عديدة وحفظته بطون الكتب الفقهية والتفاسير وسواها لا فائدة ترتجى من ورائه. ولكنني مع كل هذا اود ان اضع صورة مختصرة امام القراء عن هذا النزاع الفقهي واعرج بعد ذلك على الاخطار الهائلة التي تحدق بالشيعة اجتماعياً واخلاقياً وانسانياً اذا لم تنبذ هذه الفكرة السيئة من اساسها. وانا احمل الفقهاء المسؤلية الاولى والاخيرة في سوق الشباب من ابناء الشيعة الى هذا الدرب الشائك المشين، وعلى عاتقهم تقع المسؤلية كل المسؤلية.

يقول فقهاء الشيعة ـ سامحهم الله ـ ان المتعة كانت مباحة في عهد الرسول الكريم (ص) وفي عهد الخليفة ابي بكر وفي شطر من عهد الخليفة عمر ابن الخطاب حتى ان حرمها وامر المسلمين بالكف عنها، وهم يستدلون على ذلك بروايات عديدة رويت في كتب الشيعة وبعض كتب السنة.

اما الفرق الاسلامية الاخرى فتقول انها كانت عادة جاهلية عمل الناس بها في السنوات الاولى من عصر الرسالة حتى ان أمر النبي (ص) بتحريمها في يوم خيبر او في حجة الوداع شأنها شأن الخمر الذي حُرِّم بعد سنوات من بعثة النبي الكريم ونزلت فيه آيات التحريم.

هذه هي خلاصة النزاع الفقهي والجدل الذي يدور حول المتعة منذ اكثر من الف عام.

ومن المؤسف حقاً ان بعض اعلام الشيعة انبرى للدفاع عن الزواج المؤقت والفوا في ذلك الكتب وهم بذلك فخورون ورافعون الرؤوس. ولا اعتقد انني احتاج الى عناء كثير لتوضيح الصورة الحقيقية لهذه البدعة المخلة بالذوق والكرامة ولكنني قبل ذلك اود ان افند النظرية الفقهية التي تقول بالجواز ثم اعرج على اكثر من ذلك لترى الشيعة فداحة الخطب وعظمة المصيبة.

ان الزواج المؤقت او المتعة حسب العرف الشيعي وحسبما يجوزه فقهائنا هو ليس اكثر من اباحة الجنس بشرط واحد فقط وهو ان لا تكون المرأة في

عصمة رجل وحينئذ يجوز نكاحها بعد اداء صيغة الزواج التي يستطيع الرجل ان يؤديها في كلمتين ولا تحتاج الى شهود او انفاق عليها وللمدة التي يشاؤها مع الاحتفاظ بسلطة مطلقة لنفسه وهو الجمع بين الف زوجة بالمتعة تحت سقف واحد.

ان النظرية الفقهية القائلة بأن المتعة حُرِّمت بأمر من الخليفة عمر ابن الخطاب يفندها عمل الامام علي الذي اقر التحريم في مدة خلافته ولم يأمر بالجواز وفي العرف الشيعي وحسب رأي فقهائنا عمل الامام حجة لاسيما عندما يكون مبسوط اليد ويستطيع اظهار الرأي وبيان أوامر الله ونواهيه. والامام علي كما نعلم اعتذر عن قبول الخلافة واشترط في قبولها ان يكون له اجتهاده في ادارة الدولة. فاذن اقرار الامام علي للتحريم يعني انها كانت محرمة منذ عهد الرسول (ص) ولولا ذلك لكان يعارضها ويبين حكم الله فيها وعمل الامام حجة على الشيعة ولست ادري كيف يستطيع فقهائنا ان يضربوا بها عرض الحائط.

وكما قلنا قبل قليل سأترك الجدل الفقهي جانباً لنلقي نظرة فاحصة على المتعة من زوايا اخرى بالغة الاهمية ثم اضع الصورة امام الطبقة المثقفة الواعية المنصفة من ابناء الشيعة الامامية الذين عليهم اتوكأ في تطبيق التصحيح وفيهم الامل وعليهم الرجاء في قيادة مسيرة التصحيح والاصلاح.
ان الاسلام الذي جاء لتكريم الانسان كما تقول الآية :

«ولقد كرَّمنا بني آدم.» الاسراء ٧٠

ويقول رسول الاسلام (ص):

« انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق.»

هل يقضي بقانون فيه من اباحة الجنس والحط من كرامة المرأة ما لا نجده حتى لدى المجتمعات الاباحية في التاريخ القديم والحديث ؟ وحتى لويس الرابع عشر في قصره بفرساي وسلاطين الاتراك وملوك الفرس في قصورهم لم يجسروا عليها.

وبني آدم في الآية الكريمة يشمل الرجل والمرأة على السواء والاخلاق التي جاء رسول الله (ص) ليتم مكارمها للجنسين على السواء، فأين يكون موقع المرأة وكرامتها والاحتفاظ بأخلاقها من قانون المتعة ؟ ان موقعها من هذا القانون هو الذل والهوان وشأنها كالسلعة التي يستطيع الرجل ان يكدسها واحدة فوق الاخرى وبلا عد ولا حد. ان المرأة التي شرفها الله ان تكون اماً

تنجب اعظم الرجال والنساء على السواء ومنحها مرتبة لم يمنحها لغيرها حيث جعل الجنة تحت اقدامها كما قال الرسول الكريم (ص)

« الجنة تحت اقدام الامهات »

هل يليق بها ان تقضي اوقاتها بين احضان الرجال واحداً بعد الآخر باسم شريعة محمد ؟

لقد اراد بعض فقهائنا ــ سامحهم الله ــ ان يصوروا المتعة وكأنها فضل من الله حيث شرَّع قانوناً شرعياً يمنع الرجل من الوقوع في البغاء ولكن غرُب عن بالهم ان الاسلام ليس دين الرجال فحسب بل انزل للناس كافة بما فيها النساء، وان القوانين الالهية والشرائع السماوية لم تنزل لارضاء شهوات الناس واشباع غرائزهم تحت غطاء الشرعية والقانون.

ان الاسلام جاء ليخرج الناس من اباحية الجاهلية ويقيدهم بالفضيلة والاخلاق لا ان يمنح الجاهلية ومظاهرها قداسة التشريع والقانون الالهي.

ان الاسلام الذي حرَّم الجمع بين اكثر من اربعة ازواج وجعل في تعدد الزوجات شرطاً من اقسى الشروط كما تصرح به الآية الكريمة :

« وان خفتم الا تعدلوا فواحدة.» النساء ٣

والعمل بالعدالة بين الازواج امر صعب ويكاد يكون عسيراً في بعض الاحيان وقد يستفاد من وضع شرط كهذا هو تقييد الرجل كي لا يسلك طريق التعدد ويسير في وادي الشهوات اكثر مما تقتضيه الطبيعة الانسانية والحاجة البشرية وتنظيم الاسرة والنسل ومصلحة الامة. ومن هنا جاء التشديد في الكره من الطلاق كما قال رسول الله (ص) :

« ان ابغض الحلال عند الله الطلاق.»

وقيِّد الطلاق بشروط وقيود عسيرة منها حضور شاهدين عادلين حتى يقع الطلاق.

ان ديناً سماوياً هذا هو موقفه الصريح والثابت من الزواج وشروطه هل يعقل ان يناقض قانونه هذا بوضع قانون آخر فيه من الاباحية المطلقة ما تزلزل السموات والارض ويجعل للناس الخيار فيهما ؟

وهنا اضع امام القاريء صورتين للزواج احدهما متفق عليه عند المسلمين جميعاً بما فيهم الشيعة وهو الزواج الدائم والثاني هو الزواج المؤقت او المتعة والذي يفتي بجوازه فقهاء الشيعة الامامية فقط واطلب من الشيعة ان يقولوا كلمتهم فيه :

شروط الزواج الدائم المتفق عليه لدى المسلمين كافة

١ـ يتم الزواج بين الزوجين بتلفظ صيغ العقد امام شاهدين.
٢ـ يجب على الزوج نفقة الزوجة بما فيها المسكن والملبس.
٣ـ لا يجوز للرجل ان يجمع اكثر من اربعة ازواج وبشروط صعبة.
٤ـ الزوجة ترث الزوج في حالة الوفاة.
٥ـ موافقة الاب شرط في صحة زواج الباكر.
٦ـ مدة الزواج الدائم ديمومة الزوجين على قيد الحياة.

الزواج المؤقت المتفق عليه عند الشيعة الامامية فقط

١ـ يتم الزواج بتلفظ صيغة العقد بدون شاهد.
٢ـ الرجل في حل من نفقة الزوجة.
٣ـ يجوز للرجل الجمع بين اعداد لا تحصى وبلا شرط.
٤ـ الزوجة لا ترث الزوج.
٥ـ موافقة الاب ليس شرطاً في كل الاحوال.
٦ـ مدة الزواج المؤقت قد تكون لربع ساعة وقد تكون ليوم وقد تكون لتسعين عاماً وحسب ما يقترحه الرجل وتقبله المرأة.

شروط الفسخ

١ـ يقع الطلاق بحضور شاهدين عدلين وبتلفظ صيغة الطلاق.
٢ـ عدة الطلاق بالنسبة للمرأة ثلاثة شهور وعشرة ايام.
٣ـ الطلاق لا يقع اذا كانت المرأة في حالة قرء.
٤ـ يجب على الزوج نفقة الزوجة المطلقة في مدة عدتها.

شروط الفسخ

١ـ يقع الطلاق واسمه فسخ العقد بدون حضور شاهدين وبكلمة فسخت او وهبت المدة.
٢ـ عدة فسخ المدة بالنسبة للمرأة هو عدة الجارية بعد عتقها، اي نصف عدة الحرة.
٣ـ الفسخ يقع في كل الاحوال.
٤ـ الرجل في حل من نفقة الزوجة في عدة الفسخ.

ان نظرة فاحصة على هذا الجدول الذي رسمناه تغنينا عن الاسهاب في المتعة من المفاسد والمخاطر الاجتماعية واعتقد جازماً ان نداء التصحيح سيجمع حوله من ابناء الشيعة كل من كان له قلب او عقل يستطيع ان يدركِ بهما فداحة الخطب والهوان والسخرية في امر هو اظهر من ظهور الشمس في منتصف النهار.

التصحيح

المسألة هنا اخطر بكثير من التصحيح. انها حالة مذهلة من السوء دخلت الى الفكر الشيعي وحتى الروايات التي تقول بالحلية سواء ان ذكرتها كتب الشيعة او غيرها وحتى التي تقول انها كانت مباحة حتى ان حرمها الخليفة عمر ابن الخطاب اعتبرها كلها روايات تشوه صورة الاسلام المضيئة. وقد ادركت الفرق الاسلامية الاخرى خطورة الفكرة ومفاسدها الاجتماعية والاخلاقية الكبيرة فوقفت منها موقفاً يتسم بالحق والعدل والفضيلة. اما فقهاؤنا فلم يدركوا خطورة الفكرة او ادركوها ولكن حرصاً منهم على مخالفة جمهور المسلمين التي وضعت في فضلها رواية نسبت الى الامام الصادق زوراً وبهتاناً والتي تقول : « الرشد في خلافهم » اي الرشد في خلاف رأي السنة والجماعة، احلوا المتعة اللعينة المقيتة واجازوها.

واضافة الى هذه العقدة المستعصية لدى فقهائنا في استنتاجاتهم الفقهية فان فكرة الزواج المؤقت على ما يبدو لي استخدمت في حث الشيعة ولا سيما الشباب منهم للالتفاف حول المذهب لما فيها من امتيازات خاصة لا تقرها المذاهب الاسلامية الاخرى. ولا شك ان الاغراء الجنسي المباح باسم الدين يستقطب الشباب واصحاب النفوس الضعيفة في كل عصر ومصر، ولذلك فاني لا استغرب ابداً عندما اقرأ في كتب رواياتنا روايات تنسب الى ائمتنا في فضل المتعة وثوابها وحث الناس على العمل بها. وموقفي من هذه الروايات واضح وصريح اشرت اليه في مواطن عديدة من الكتاب.

وهمنا كله يتجه الى خلاص الامة الشيعية منها باذن الله وارادته، وانني عندما اكتب هذه السطور لا ينتابني اليأس ولو للحظة واحدة بالنسبة لمستقبل الشيعة وموقفها من التصحيح والركون المطلق الى مبادئه.

نعم قد يلاقي التصحيح صعوبات في باديء الامر ولكن كلمة الحق تشق طريقها في آخر الامر، وان التفاف الطبقة الواعية المثقفة التي تستطيع ان تجرد نفسها من الرواسب الفكرية التي لقنتها بها الاباء والامهات والفقهاء والمشايخ يكون خير ضمان لمستقبل الشيعة في العالم.

واعود مرة اخرى الى الزواج المؤقت واسأل الفقهاء الذين يفتون بجواز المتعة واستحباب العمل بها، هل انهم يرضون شيئاً كهذا بالنسبة لبناتهم واخواتهم وقريباتهم ام انهم اذا سمعوها اسودت وجوههم وانتفخت اوداجهم ولم يكظموا لذلك غيظاً ؟

لقد اراد العالم الكبير السيد محسن الامين العاملي ان يدافع عن كلام قريب لما ذهبت اليه بقوله : « اذا كانت المتعة مباحاً فلا يلزم ان يفعلها كل احد فكم من مباح ترك تنزهاً ترفعاً .» (١)

ولكنني اقول : ان من الواضح ان المسألة ليست بهذه الصورة اي الذين لا يرتضونها لبناتهم واخواتهم وقريباتهم ليس في حدود التنزه والترفع بل لانهم يرون فيها امراً مهيناً مشيناً يتنافى وكرامة العائلة وشرف الاسرة وقد تسيل الدماء في بعض المناطق الشيعية اذا ما سأل المرء شيئاً كهذا من فقيه هو سيد قومه وحتى في ايران حيث تكون العملية جارية في بعض مدنها توجد مناطق لا يستطيع المرء ان ينبس بكلمة حول المتعة. اما في غير ايران ولاسيما في البلاد العربية التي تقطنها الشيعة فالحديث عن المتعة مهلك ويؤدي الى اسالة الدماء. ولست ادري تفاصيل الامر في باكستان والهند وافريقيا ولكن في كل هذه المناطق لا يغير الفقيه فتواه فهو يجوزها اذا ما سأل عنها ولكنه يخضع للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها فتثور ثورته ويقيم الدنيا ويقعدها اذا ما طلب منه يد ابنته بالزواج المؤقت. وهكذا نرى بوضوح ان المسؤلية الاولى والاخيرة في العمل بهذا الامر المقيت تقع على عاتق الذين اباحوا اعراض المسلمات ولكنهم احصنوا اعراضهم واهدروا شرف المؤمنات ولكنهم صانوا شرف بناتهم. وفي كل هذا عبرة لمن كان له قلب.

١ــ الشيعة بين الحقيقة والاوهام ص ٣٥٧ .

السجود على التربة الحسينية

السجدة على التربة الحسينية ظهرت في العصر الثاني من الصراع بين الشيعة والتشيع ثم امتدت نحو آفاق اوسع عمت الشيعة جميعاً.

السجود على التربة الحسينية

قلما يوجد بيت للشيعة لا توجد فيه التربة التي تسجد عليها الشيعة في صلواتها وهي من تراب كربلاء المدينة التي استشهد الحسين فيها ورفاته الطاهرة مدفونة فيها.

وانني اعلم جيداً ما يقوله فقهاؤنا حول السجود على التربة الحسينية حيث فرقوا بين ما يسجد له وما يسجد عليه. وان السجود على التربة ليس سجوداً لها بل سجوداً عليها لان السجدة في المذهب الشيعي لا يجوز ان تكون الا على التراب ومشتقاته ولا يجوز السجدة على الملبوس والمخيوط والمأكول.

ان السجود على التربة الحسينية كما نعرفها بل يعرفها الشيعة انفسهم لا تتوقف عند هذا الحد الفقهي او انه سجود على التراب وحسب بل المسألة ابعد من ذلك بكثير، فكثير من الذين يسجدون على التربة يقبلونها ويتبركون بها وفي بعض الاحيان يأكلون قليلا من تربة كربلاء للشفاء في حين ان اكل التراب حرام في الفقه الشيعي ثم انهم صنعوا من التراب هيئات مختلفة يحملونها في جيوبهم وينقلونها معهم في اسفارهم ويعاملونها معاملة تقديس وتكريم.

وحتى كتابة هذه السطور هناك ملايين من الشيعة في شرق الارض وغربها تلتزم بالسجود على تربة كربلاء ومساجدها مليئة بها، ويعملون بالتقية عندما يقيمون الصلاة في مساجد الفرق الاسلامية الاخرى حيث يخفونها ولا يظهرونها خوفاً من اعتراض غيرهم عليها. وقد التبس الامر على كثير من غير الشيعة فظنوا ان هذه التربة اصنام تسجد الشيعة عليها وقد كادت الفتن تحدث في مساجد بلاد لم تعرف شيئاً عن التربة الحسينية ومظاهرها ولست ادرى متى دخلت هذه البدعة في صفوف الشيعة فالرسول الكريم (ص) ما سجد قط على تربة كربلاء ولا الامام علي ولا الأئمة من بعده سجدوا على شيء اسمه تربة كربلاء. وتقديس التراب لم يكن شيئاً مألوفاً عند المسلمين. ومن الجائز ان هذه الظاهرة اخذت في التوسع منذ عهد الصفويين وعندما اخذت القوافل تزور كربلاء في مراسيم خاصة وتعود محملة بآثار من قبر الامام الحسين.

وهناك بدعة اخرى اضيفت الى استعمال التربة تتجاوز البدع الاخرى انها

فتوى الفقهاء بجواز اقامة الصلاة التمام للمسافرين بدلا من القصر عندما يكونوا في الحائر الحسيني بخمسة عشر ذراعاً حول القبر. ومن المجمع عليه عند فقهائنا ان الواجب على المسافر هو اتيان الصلاة قصراً ولكنهم استثنوا الحائر الحسيني من هذه القاعدة. ولست ادري كيف استطاع فقهاؤنا ــ سامحهم الله ــ الاجتهاد في امر لم يكن لموضوعه ومحموله اثر في عهد الرسول الكريم (ص) وبعد ان اكملت الشريعة الاسلامية وتوفي الرسول (ص) وانقطع الوحي فيا ترى ان الرسول (ص) اجاز للمسافر الخيار بين القصر والاتمام في حائر الحسين قبل ان يكون هناك شيء بهذا الاسم : ام ان قانوناً الهياً شرع لموضوع لم يكن له اثر في وقته ؟

نعم ان هناك روايات تنسب الى ائمة الشيعة تقول بمثل هذا الخيار للمسافر وعلى تلك الروايات بنى فقهاؤنا فتاواهم التي افتوا بها.

وقد تعني هذه الفكرة الخطيرة ان الامام عند فقهائنا يكون مصدر التشريع لا كما كان المتشيعون لاهل البيت يعتقدون في الائمة قبل ظهور الصراع بين الشيعة والتشيع وعندما كان التشيع يعني ان ائمة اهل البيت ادرى بأحكام الاسلام من غيرهم لأن في بيتهم نزل الكتاب كما اشرنا اليه اكثر من مرة. ومن المؤسف حقاً ان وجود فكرة كهذه تخالج قلوب كثير من فقهائنا وان لم يبيحوا بها والا فماذا يعني الفتوى بجواز الخيار للمسافر بين القصر والاتمام في صلواته عندما يكون في حائر الحسين ؟ وعلى اي اساس او قاعدة شرعية امتاز الحائر الحسيني بهذا الامتياز ونزل فيه حكم الهي وسماوي قبل وجود الحائر بنصف قرن ؟

ومرة اخرى نكرر القول بأن الطريق الوحيد الخلاص من هذا التخلف الفكري العميق الذي احاط بنا قروناً ويحيط بنا من كل جانب حتى في يومنا هذا هو غربلة كتبنا من امثال هذه الروايات التي تنسب الى ائمة هداة مهديين هم منها براء. وهكذا غربلة الفقهاء انفسهم فكثير منهم وراء هذه البدع وتنميتها فالائمة لم يستحدثوا قوانيناً من عندهم واحكاماً لم يكن لها اثر في كتاب الله وسنة رسوله (ص) ولم يدَّعوا قط شيئاً كهذا بل كل ما امتازوا به انهم اعرف بكتاب الله وسنة جدهم رسول الله (ص) وتلقوا العلم في بيت الرسالة ومهبط الوحي واخذوا احكام الشريعة كابراً عن كابر.

التصحيح

اذا كانت الشيعة تلتزم بالقاعدة الفقهية التي تبناها فقهاؤنا في السجود على مطلق التراب ومشتقاته وكان فقهاؤنا ايضاً يلتزمون بهذه الفتوى لم يكن الخطب فادحاً وكانت الفرق الاسلامية الاخرى تنظر الى هذا الرأي بعين الاحترام والقبول.

غير ان الشيعة جرياً على عمل فقهائنا تجاوزت هذه القاعدة الفقهية واتخذت منها ديدناً خاصاً وهو السجود على تراب موضع خاص وهو كربلاء وصنعت من ترابها اشكالا مختلفة مطولة ومربعة ودائرية تحملها معها في السفر والحضر على السواء لتسجد عليها كلما حان وقت الصلاة. ولقد تعودت الشيعة ان تخفي التربة عندما تصلي في مساجد الفرق الاسلامية الاخرى عملا بالتقية او خوفاً من حدوث بلبلة حولها او خجلا من الاكثرية التي تنظر الى هذا الامر بنظرات الاستغراب والسخرية.

انه حقاً مدعاة للحزن والالم والاسف ان تنزل الشيعة نفسها الى هذه الدرجة من التدني لالتزامها بعمل ما انزل الله به من سلطان. فلم يكن شيئاً اكثر مقتاً عند الله من هذه الازدواجية في عبادته.

فاذا كانت الشيعة ترى نفسها على حق في السجود على تربة كربلاء فلماذا تخشى من الجهر بها امام اخوان في الدين يجمعهم كتاب واحد ونبي واحد وقبلة واحدة وصلاة واحدة ؟ وان كانت على غير حق فلماذا هذا الاصرار عليه ولماذا ينتابها الخجل والوجل منه ؟

وكما قلنا فان الدور الكبير لظهور هذه الظاهرة الشاذة يعود الى الفقهاء واعلام المذهب الذين عودوا الشيعة عليها وهم عليها سائرون حتى كتابة هذه السطور. والحركة التصحيحية التي ننادي بها لا تعني اننا نحث الشيعة على عدم السجود على التراب، فرسول الله يقول :

« جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً.»

ورسول الله (ص) كان يسجد على التراب في مسجده بالمدينة، ولكننا نود القول ان تفضيل ارض على ارض حتى اذا ثبت في الشرع لا يعني الالتزام بالسجود على تلك الارض والا لكان المسلمون يحملون معهم تراب مكة والمدينة والقدس ليسجدوا عليها.

السجود على التربة الحسينية

ان على الشيعة ان تكسر طوق التبعية الفكرية في امور فرضت عليها وهي ترى بطلانها كما ترى الشمس حتى تنضم الى الصف الاسلامي العريض دخولا متكافئاً رافعة الرأس قوية الحجة لا دخولا فيه ذل التقية والازدواجية في الشخصية وغمض العين عن الكرامة في سبيل بدع هي اعرف بها من غيرها.

واعود مرة اخرى واقول : نحن لا نطلب من الشيعة اكثر من العمل على ما اجمع عليه فقهاء المسلمين بما فيهم فقهاء الشيعة في صحة السجود على الارض ومشتقاتها مثل الخشب والحصى والخيزران. فلتسجد على ما يصح السجود عليه من بين هذه الاشياءوبذلك تقتدي برسول الله (ص) وبالامام علي والائمة الذين لم يسجدوا قط على شيء اسمه تربة كربلاء وتترك هذا الالتزام الذي يتضمن كل ابعاد الفرقة والبدعة على السواء. وانني لا اشك ان الفرق الاسلامية الاخرى اذا ما علمت بهذه النظرية الفقهية التي منشؤها الاجتهاد فانها قد تضمن مسجداً يتلائم مع التزام الشيعة في مساجدها وقد توفر لهم الحصير او ما شابهها من مشتقات الارض والاشجار وذلك لرفع الحرج عن اخوان لهم في الدين.

الارهاب

الشيعة هي الطائفة الاسلامية الوحيدة التي سلمت نفسها الى زعاماتها المذهبية بلا قيد ولا شرط كي تركلها بأقدامها في ساحات الوغى مرة وساحات الغيلة والارهاب مرة اخرى.

الارهاب

لقد استغلت القيادات المذهبية الشيعة المسكينة عبر التاريخ فصنعت منها طائفة تعصف بها رياح البدع من كل جانب مستغلة سذاجتها وايمانها بمراجعها الدينيين وحتى هذه اللحظة فالشيعة هي الطائفة الاسلامية الوحيدة التي سلمت نفسها بلا قيد وشرط وحدود وقيود وسؤال وجواب الى قياداتها المذهبية تركلها بأقدامها في ساحات الوغى تارة وساحات الارهاب والغيلة تارة اخرى. ولذلك اخذ المجتمع الانساني في هذه السنوات الاخيرة ينظر الى المذهب الشيعي وكأنه المذهب الذي يأمر اتباعه بشن الحروب وبالارهاب والاغتيال. وكثيراً ما كانت الاخبار التي تنشر حول الشيعة في الصحف واجهزة الاعلام العالمية تتجاوز الطائفة وتلحق بسمعة الاسلام ضرراً بالغاً لعدم تمييز المجتمع الانساني بين الشيعة وسواها من الفرق الاسلامية الاخرى فكان الارهاب الذي يمارس يحسب على الاسلام ويعم المسلمين جميعاً.

ان تاريخ الغيلة والارهاب يعود الى قرون خلت وليس بجديد في تاريخنا المعاصر ولكن ظهوره في بلاد الشيعة وباسم الشيعة يعود الى مئة عام او اقل منها بقليل ولكن المؤسف والمحزن ان الغيلة منذ ظهورها في العالم الشيعي والارهاب الذي اضيف اليه في السنوات الاخيرة كلها كانت باسم المذهب وورائها فقهاء اعلام ومجتهدون عظام. فقد اغتال ميرزا رضا الكرماني الشاه ناصر الدين في عام ١٣١١ هجري وبأمر من استاذه السيد جمال الدين الافغاني، ومنذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا شهدت ايران بصفة خاصة اغتيالات مذهبية وارهاباً متقطعاً حسب الظروف السياسية والاحوال وكان وراءها مجتهدون وفقهاء.

ولكن الجدير بالعبرة ان العدالة الالهية تجسدت في هذه الدنيا لكي تعطي درساً لاولئك الذين غرسوا هذه الفكرة في النفوس باسم الدين فقد انقلب الارهاب على الذين كانوا وراءه وبالا ليس مثله وبال حيث مارس اعداء الفقهاء الطريقة نفسها في المواجهة معهم فاغتالوا من علماء المذهب وفقهاءه في غضون ست سنوات من عمر الزمان (١٤٠٠ــ١٤٠٦ هجري) عدداً يتجاوز

اضعافاً مضاعفة من الذين راحوا ضحية الغيلة والارهاب والفتوى الدينية طيلة مائة عام.

وهكذا انقلب الارهاب وبالا على الذين كانوا وراءه وجعل حياتهم جحيماً لا تطاق. حدث كل هذا بعد ان استلم السلطة في ايران فقهاء المذهب الذين باركوا الارهاب وكانوا دعامته.

ولكي اضع النقاط على الحروف اود القول بصراحة انني عندما رأيت الطوابع البريدية الجديدة التي اصدرتها الجمهورية الاسلامية الايرانية وعليها صور الارهابيين مثل ميرزا الكرماني ومجتبى نواب صفوي زعيم جماعة فدائيان اسلام التي اغتالت عدداً من رؤساء الوزارات وغيرهم بفتوى احد المجتهدين ندبت حظ الشيعة الامامية وحتى حظ الدولة التي تتظاهر بالتشيع وترى نفسها حامي حماها.

وهنا اود ان اعلن بصراحة وبلا خوف ولا وجل ان كتابنا هذا ليس كتاباً سياسياً وليس الغرض منه المواجهة مع اية دولة او جهة سياسية ولا المواجهة مع الجمهورية الاسلامية الايرانية او النظام الحاكم فيها. ولذلك اقول واشهد الله انني لم اقصد من هذه الرسالة الا الاصلاح في العقيدة الشيعية المحدثة والمستحدثة على السواء ولذلك تجنبت الدخول في المواجهة مع الاسماء والاشخاص ولكن الضرورة في بعض الاحيان تملي علي ان اقول كلمة الحق والنصيحة واوجهها حتى الى دولة او حكومة قد تستجيب لنداء الاصلاح وقد لا تستجيب، ولكن كلمة الحق يجب ان توجه للجميع وكما قال الرسول الكريم (ص) :

« الساكت عن الحق شيطان أخرس ».

فياترى كيف تستطيع دولة ان تكسب الاحترام الدولي والثقة العالمية وتحترمها الشعوب الآمنة الحرة وهي تتظاهر بأنها دولة عقائدية اتخذت المذهب الشيعي شعاراً لها وهي تفتخر بالارهابيين وتتخذ صورهم رمزاً لنظامها ؟ ثم قد تكون وطأة هذا الشعار شديدة على الملايين من الشيعة في العالم وهي لا ترتبط بتلك الدولة ولا تؤمن بنظامها او سياستها، وكيف تستطيع الشيعة ان تدافع عن عقيدتها وتنفي عنها الارهاب عندما تكون الدولة الناطقة باسمها اتخذت الارهاب شعاراً لها ؟

وارجو ان يسمع كلامي هذا الحاكمون في ايران ويعلموا جيداً ان نفوس الشيعة في ايران لا تشكل الا ثلث الشيعة في العالم والبقية الباقية منتشرة في ارجاء الارض الفسيحة ولكل فئة منهم هويتهم وجنسيتهم ولغتهم وان الدولة الشيعية الايرانية لا ولن تستطيع ان تتحدث باسم الشيعة جميعاً بل وحتى باسم الشيعة في ايران، فلذلك يجب عليها ان لا تقوم بأعمال تسيء الى سمعة الاكثرية من هذه الطائفة كما فعلت حتى الآن وان تلطخ سمعتها اكثر مما فعلت.

وندائي للحاكمين في ايران ان لا يسيئوا الى الشيعة اكثر مما اساؤوا اليها فقد كفى الشيعة ذلاً.

ورجائي من الشيعة ان ينبروا للدفاع عن انفسهم وكرامتهم امام المجتمع البشري ويعلنوا برائتهم من الارهاب الذي تمارسه عناصر على الابرياء باسمها.

وتارة احدث نفسي واقول : اليست الفكرة الارهابية التي ظهرت منذ مائة عام في ايران وباركها بعض فقهائنا هي من بقايا (قلعة الموت) التي اتخذها حسن الصباح في القرن السادس الهجري مقراً لنشر المذهب الاسماعيلي بالقوة تارة وبالحشيش ومشتقاتها تارة اخرى ؟ وانها امتداد للفرق الاغتيالية التي كانت تجوب البلاد الاسلامية لاغتيال اعداء الاسماعيليين ؟ وكلنا نعلم ان الوزير نظام الملك قتل بطعنة ارهابي من تلك الجماعة وبأمر مباشر من رئيسها حسن الصباح. وهناك وجه شبه كبير بين المقدمات والنتائج التي اتبعتها الفرق الاغتيالية الصّباحية والفرق الاغتيالية المتطرفة عند بعض الشيعة.

وهنا اخاطب الشيعة مرة اخرى واقول لهم :
اذا كانت الهلوسة الصباحية وما رافقها من اعمال قام بها الحشاشون من جماعته في منتصف القرن السادس الهجري قد احدثت في العالم الاسلامي فساداً ونكراً فانها ايضاً قصص مفجعة تعود الى استغلال فئة جهل السذج من الناس بالاسلام ومبادئه اما في عصر القفزات الكبرى نحو العلم ووضوح المفاهيم الاسلامية العليا للجميع فان الحجة قائمة على الشيعة كي تسلك طريق الحق والعقل وان لا تأتمر بأوامر فيها سخط الله ورسوله (ص).

اذا كان الارهاب حسناً فلماذا لا يرتضيه المخططون له لأنفسهم ولذويهم ؟ وعندما ينكشف امره يتبراؤن منه، والاسلام بريء من الارهاب وتعاليم

الاسلام تناقضه، فاذا كان للارهابيين ولمن وراءهم اطماع سياسية يريدون تنفيذها فعليهم ان لا يستغلوا اسم الدين والمذهب وتكون لديهم الشجاعة الكافية لكي يتحملوا وزر اعمالهم لا ان يحملوها لمذهبهم ولدينهم.

التصحيح

لقد وضع القرآن الكريم دستوره الابدي في حرمة الارهاب بكل اشكاله وصوره ولا سيما عندما يؤخذ البريء مكان المذنب وقال :

« ولا تزر وازرة وزر اخرى.» الزمر ٧

ان هذه الجملة البليغة تعطي نوراً واشراقاً لكل من يتخذ القرآن له اماماً وهادياً.

واذا ما نظرنا الى سيرة ائمة الشيعة وعملهم نرى انهم كانوا ابعد الناس عن الارهاب واكثرهم مقتاً له، وهذا هو الامام الحسين يخاطب الفئة التي هجمت على خيام حرمه واهل بيته في يوم عاشوراء بكلام لم ينساه التاريخ فقد قال لهم :

« يا شيعة ابي سفيان، ان لم يكن لكم دين ولن تخافوا المعاد فكونوا احراراً في دنياكم. ان النسوة ليس عليهن جناح.»

وهكذا وضع الامام الحسين وهو سيد الشهداء والامام الذي اشتهرت الشيعة بالحب الجارف نحوه الخط الفاصل بين الشجاعة والجبن، وبين الكرامة الانسانية التي فيها رضى الله والعمل المقيت الذي فيه سخط الله، وبهذه العبارارت البليغات الصريحة امر الحسين المسلمين سواءا كانوا من شيعته او شيعة غيره ان يسلكوا طريق الكرامة حتى في معاملة الاعداء واسرى الحرب وان لا يسيئوا الى الاطفال والنساء حتى وان كانوا هم في حالة حرب مع رجالهم.

وهذا هو مسلم ابن عقيل سفير الحسين الى اهل الكوفة يابى من قتل عبيد الله ابن زياد غيلة وذلك بعد ان هيأ له هاني ابن عروة الفرصة وقال :

« نحن اهل بيت لا نغدر.»

وعبيد الله ابن زياد قدم الى الكوفة بعد ان بايع اهلها مسلم ابن عقيل كسفير

للحسين ولكنهم خذلوه وانضموا الى الوالي الجديد ولم يبق لمسلم ان يقاتل حتى يقتل او يغتال ابن زياد ويعود الى السلطة من جديد، ولكنه رفض ان يقوم بعمل لا تقره الكرامة والرجولة حتى وان كان في ذلك مصرعه وخيبة المهمة التي انيطت به.

وهكذا نرى ان النتائج مهما كانت لها من الاهمية فلا تبررها مقدمات دنيئة مثل الغيلة والغدر في دستور الاسلام الخالد وفي عرف اهل بيت رسول الله (ص) ولنستشهد مرة اخرى بعمل الامام علي والذي تقول الشيعة انها تقتدي به ويعتقد بعض فقهائنا ولاسيما اولئك الذين يرون انفسهم من انصار الارهاب بان عمل الامام حجة ونقول لهم ان الامام نهى اصحابه عن القيام بأي عمل يتنافى مع الكرامة الانسانية حتى انه امر برفع الحواجز التي وضعها جيشه على نهر الفرات في حرب صفين لمنع جيش الشام من الحصول على الماء ونهى عسكره من القيام بأي عمل يتنافى مع السيرة المتبعة في الحروب بين الرجال. وعندما قتل الثائرون الخليفة عثمان ابن عفان وعلم الامام بذلك لطم الحسنين على خدهما لعدم منعهما الثائرين من التقرب الى الخليفة المقتول وكما نعلم فلقد كان للحسنين مقام عظيم عند الامام علي عبر عنه في احدى حروبه وعندما كانا يتقدمان صفوف المحاربين بقوله :

« املكوا عني الغلامين فاني اخاف ان ينقطع بهما نسل رسول الله.»

وعندما نلقي نظرة فاحصة على عصر الرسول الكريم (ص) نعلم علم اليقين ان الارهاب لم يكن معروفاً لديهم وعندما هدَّد ابو لؤلؤ الخليفة عمر ابن الخطاب بقوله :

« ساصنع لك رحى تتحدث عنها العرب.»

قال الخليفة :

« هددني ابن المجوسية.»

ولكنه لم يفعل شيئاً بالنسبة اليه ولم يأمر بحجزه او ابعاده.

ولهذا يمكن القول ان فكرة الاغتيالات لم تكن تراود نفوس المسلمين في عصر الرسالة والخلفاء الراشدين، ولم تكن معروفة لديهم، ولذلك لم ينظر المسلمون

اليها بنظرة الجد والحزم ، وبعد اغتيال الخليفة عمر ابن الخطاب على يد ابو لؤلؤ لم يأخذ سلفيه عثمان وعلي الحذر مما اصاب الخليفة فكان قتل الخليفة عثمان اشبه ما يكون بالغيلة والامام علياً قتل على يد خارجي اسمه ابن ملجم وفي اثناء صلاة الصبح، ولقد قيل له اكثر من مرة ان يأخذ حذره من الخوارج ولكنه كان يرفض ذلك بقوله :

« كفى بالموت حارسا.»

ولذلك نستطيع القول بعد كل هذا ان البيئة الاسلامية الصحيحة كانت ترفض ان تنسب اليها شيئاً باسم الغيلة والارهاب ولذلك لم يعط لعمل كهذا شرعية الوقاية منه بل نظرت اليها كحركة اجرامية عابرة والاسلام منها براء والمسلمون في مقت منه وانها اعمال لا يقوم بها الا اناس على شاكلة ابو لؤلؤ المجوسي وابن ملجم الخارجي وامثالهما نادر وقليل.

واعود مرة اخرى الى الارهاب واقول : ان الاعمال الارهابية ورائها مخططون يعرفون النفسية القلقة التي يتصف بها المتطوعون للعمل الارهابي فهم يستغلون تلك النفوس ويمنونهم بحور عين وكأس من معين مضافاً اليهما دروساً في الشجاعة والبطولات والتخليد في التاريخ واخذ الثأر وهكذا يرسلون ضحاياهم الى حيث العمل الارهابي وهم يجلسون بعيداً عن حلبة الصراع ليقطفوا ثمار النتائج التي يرومون اليها فهم يقضون اوقاتهم في القلاع الحصينة الآمنة واتباعهم في ساحات الانتحار ينفذون انزال الدمار بالابرياء والممتلكات باسم الله ورسوله والامام علي.

صلاة الجمعة

اعتقد جازماً ان فقهاءنا اجتهدوا امام النص الصريح بسبب واحد الا وهو ايجاد الفرقة في الصف الاسلامي الكبير وحمل الشيعة على عدم التلاحم مع الفرق الاسلامية الاخرى في صلاة يوم الجمعة.

صلاة الجمعة

« يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم
الجمعة فاسعوا الى ذكر الله، وذروا البيع ، ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون.» الجمعة ٩

بهذا النص الصريح القاطع شرَّع الاسلام صلاة الجمعة وفرضها على كل من يؤمن بالله ورسوله وكتابه. غير ان الاكثرية من فقهاء الشيعة ــ سامحهم الله ــ اجتهدوا امام النص الصريح وقالوا بالخيار بين صلاة الظهر والجمعة، واضافوا ان شرط اقامة الجمعة انما هو حضور الامام الذي هو الامام المهدي ففي عصر الغيبة تسقط الجمعة من الوجوب العيني ويكون للمسلمين الخيار في الاتيان بها او بصلاة الظهر.

وقالت فئة اخرى من فقهائنا ان صلاة الجمعة حرام في عصر الغيبة ويقوم مقامها صلاة الظهر، وهناك قلة من فقهائنا وبعضهم في القمة مثل الشيخ حر العاملي صاحب كتاب (وسائل الشيعة) الذي افتى بوجوب صلاة الجمعة في عصر الغيبة.

ولا اريد ان ادخل ايضاً في جدل فقهي عقيم لم يحل منذ الف عام عند فقهاء المسلمين ولن يحل اذا ما اردنا ان نتحدث بلغة الروايات التي يستند عليها فقهاء الشيعة.

ان كل ما قيل ويقال في اسقاط صلاة الجمعة في عهد غيبة الامام يصطدم بنص صريح لا اجتهاد فيه وذلك اذا كنا ملتزمين بدستور الاسلام فنحن امام دستور ثابت وصريح وواضح لم يكن مقيداً بقيود او مشروطاً بشروط .
ولست ادري كيف استطاع فقهاؤنا ان يجتهدوا في نص قرآني بليغ وواضح بالاستناد الى روايات نسبت الى ائمة الشيعة، وموقفي من هذه الروايات كلها الموقف نفسه بالنسبة لكل الروايات الموضوعة، فأنا لا اشك ابداً بأن كثيراً من تلك الروايات وضعت في العصر الاول من الصراع بين الشيعة والتشيع وذلك كي يمنع الشيعة من الحضور في صلوات الجمعة التي هي في حقيقتها تظاهرة اسلامية كبرى وعدم الاختلاط بسائر الفرق الاسلامية والمشاركة معها في شعار الاسلام العظيم.

وهناك دليل واضح لما ذهبت اليه من الرأي قد خفي على كل اولئك الذين كتبوا في صلاة الجمعة وارخوها، وهو ان ملوك الصفويين الذين كانوا حماة التشيع في ايران وكثير من البدع التي الصقت بالتشيع انما الصقت به بمباركتهم وسياستهم كانوا من اشد انصار صلاة الجمعة، واكبر المساجد الايرانية واضخمها بنيت في عهد ملوك الصفويين، وكان المسجد الرئيسي يسمى (مسجد الجمعة)ولا يوجد مدينة كبيرة في ايران الا وفيها مسجد من هذا الطراز. وكان امام المسجد ذلك يلقب (امام الجمعة) ويعين بمرسوم خاص من الشاه، وكان هذا المنصب منصباً محترماً يناط بكبير العلماء او شيخ الفقهاء في كثير من الاحيان، وكان هذا المنصب موجوداً في بلاط الاسرة المالكة حتى ان انقرضت الملكية في ايران قبل بضع سنوات ويعني هذا ان فكرة حرمة صلاة الجمعة في عصر الغيبة لم تطرح الا في بلاد كان الاحتكاك شديداً فيها بين الشيعة وغيرها من الفرق الاسلامية الاخرى حتى تثني الشيعة من الالتحام بالركب الاسلامي الموحد، ولكن في ايران حيث كانت الاكثرية من الشيعة فان الفقهاء لم يعارضوا صلاة الجمعة وكانت تقام في مساجد البلاد بطولها وعرضها. غير ان فكرة الخيار بين الجمعة او صلاة الظهر كانت موجودة فقهياً وكانت هناك في المدن الايرانية مساجد تصلى فيها الجمعة واخرى تصلى فيها صلاة الظهر.

وحتى كتابة هذه السطور فان بعض فقهاء الشيعة من الاحياء يفتون بوجوب صلاة الجمعة وعدم سقوطها في عصر الغيبة ولكن عدد هؤلاء لا يتجاوز اصابع اليد الواحدة وكانوا عبر التاريخ الفقهي يعدون بين القلة القليلة.

وبعد ان استلم الفقهاء السلطة في ايران اصبحت صلاة الجمعة في ضمن سياسة الدولة الاساسية وعينت ولاية الفقيه لكل مدينة اماماً يسمى (امام الجمعة) كما كان يفعل الشاه من قبل واستحدثوا تسمية جديدة لها وهي (الصلاة العبادي السياسي) فالخطباء في خطبة صلاة الجمعة يتحدثون عن قضايا الساعة والسياسة ومشاكل البلاد وسواها، ولا يعنيني ابداً ماذا يقال في خطبة الجمعة لأن المهم هو العمل بالفريضة اما ما يقوله الخطباء فهذا شيء يعود اليهم، ولكن الذي يعنيني ان صلاة الجمعة لازالت متروكة في كثير من المناطق التي يسكنها الشيعة خارج ايران ولا يصلونها يوم الجمعة في مساجدهم، ومن هنا اود ان اطلب التصحيح والقضاء على هذه الظاهرة التي تتناقض مع روح الاسلام واهدافه ونص القرآن الكريم.

التصحيح

اذا ترك الاتيان بهذا الفرض الى ائمة المساجد في المناطق التي تسكنها الشيعة فهذه الفريضة تبقى متروكة لقرون اخرى لأن ائمة مساجد الشيعة في كثير من الاحيان يأتمرون بأمر فقيه او مرجع من مراجع الشيعة وامام كهذا لا يستطيع ان يخرج من فتوى المرجع الذي نصبه في هذا المقام ولاسيما ان حياته المادية منوطة بعمله والاطاعة لمولاه. ولذلك فان على القاعدة الشيعية ان تفرض على ائمة مساجدها صلاة الجمعة وان تطلب منهم الاتيان بهذه الفريضة واذا لم يستجيبوا فعليهم ان يصلوا في مساجد اخرى تصلى فيها الجمعة فهذه الفريضة الالهية لا تسقط بحال ويجب الاتيان بها في كل الاحوال. واني لا اشك ابدأ ان الطبقة الواعية المثقفة من ابناء الشيعة اذا ما التزمت بهذا الشعار الاسلامي العظيم فانها ستقضي على مظهر كبير آخر من مظاهر التفرقة التي نهى الله ورسوله الكريم (ص) عنها وهم بذلك يجددون عصر الوحدة الاسلامية الكبرى ويكونوا من حماته.

تحريف القرآن

القول بتحريف القرآن يناقض الايمان به .

تحريف القرآن

لست ادري كيف يستطيع المرء ان يقول بتحريف القرآن وهو امام نص صريح يدحض كل الاقوال حول التحريف، ولست ادري ايضاً كيف يستطيع احد ان يكون مؤمناً بالقرآن وهو يدلي رأياً يناقض ما جاء فيه والآية الكريمة :

« انا نحن نزّلنا الذكر وانّا له لحافظون.» الحجر ٩

تغنينا عن الاستدلال بعدم تحريف القرآن المنزل على محمد رسول الله (ص). فالوعد الالهي صريح بأنه تعالى يحفظ الذكر الحكيم من اي تلاعب او تحريف او اضافة والقائلون بالتحريف يشكلون عدداً من علماء الفرق الاسلامية كلها الا ان علماء الشيعة ومحدثيهم يشكلون الاكثرية المطلقة بين هؤلاء. وقد ذهب رهط من علماء الشيعة الى عدم التحريف واستشهدوا بالآية الكريمة التي اوردناها ولكن ذهب آخرون الى التحريف باصرار وعناد منهم النوري الذي الَّف كتاباً اسماه (فصل الخطاب في تحريف الكتاب)وذكر في الكتاب المذكور عبارات زعم انها آيات قرآنية محرّفة، والمتتبع المنصف لا يشك ابداً ان السبب الذي حدى بالمحدثين ان يذهبوا الى تحريف الكتاب هو الاستدلال بآيات منصوصة في امامة علي كانت مذكورة في السور والآيات المحرَّفة على حد زعمهم، وبذلك كان بعض اعلام الشيعة يدافع عن عدم وجود نص الهي في القرآن حول الامامة بتلك الآيات المزعومة التحريف.

وتحريف القرآن يصطدم بعقبة كبيرة لدى اعلام الشيعة ايضاً وهو اقرار الامام علي في ايام خلافته بهذا القرآن الموجود بين ايدي المسلمين، فلو كانت هناك سور او آيات محرَّفة لتحدث عنها الامام علي واثبتها في القرآن.

ان فكرة تحريف القرآن ليست من الافكار التي تظهر على الساحة الشيعية كفكرة عامة ذات ابعاد خطيرة لأن الأكثرية الساحقة من الشيعة لم تتقرب الى هذا البحث ولا تؤمن به بسبب موقف كثير من فقهائنا من عدم التحريف، ولكن الفكرة تأخذ طابعاً حزيناً عندما ينشر الناشرون كتباً الَّفها بعض علمائنا في التحريف وتوزع الكتب تلك على الناس او تستل منها مقتطفات لتذكر في كتب اخرى ويطلع عليها المسلمون جميعاً.

ومن هنا نوجه نداء التصحيح الى كل الناشرين في البلاد الشيعية كي

يقلعوا عن نشر كتب كهذه لأنها كتب تخالف كتاب الله ونصوصه وتضر بسمعة الاسلام وكتابه الكريم الذي هو الدستور الخالد للمسلمين فاذا ما اصابه وهن اصابهم واذا اصابته قوة اصابتهم.

وكما قلنا فان الرأي السائد لدى الاكثرية من فقهاء الشيعة هو عدم التحريف، ولكن هذا الرأي يعقبه رأي آخر هو من الغرابة بمكان ولا توجد له ادلة الاّ في الروايات التي يرويها رواة الشيعة، ونحن في حركتنا التصحيحية لا نستطيع ان نغفل آراء شاذة كتلك وعلينا ان نشير اليها لكي يكون التصحيح جامعاً ومانعاً وهنا نذكر رأياً لكبير علماء الشيعة وهو الامام الخوئي الذي يقول في تفسيره (البيان) ص ٢٥٩، وذلك بعد ان استعرض آراء فقهاء المسلمين ومحدثيهم بما فيهم الشيعة حول التحريف في القرآن او عدم وقوعه ما هو نصه :

> « ومما ذكرناه قد تبين للقاريء ان حديث تحريف القرآن، حديث خرافة لا يقول به الاّ من ضعف عقله او من لم يتأمل في اطرافه حق التأمل او من لجأ اليه، يحب القول به والحب يعمي ويصم، واما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته.»

واما الرأي الثاني الذي اشرنا اليه فهو في ص ٢٢٢، من الكتاب المذكور وجاء فيه :

> « ان وجود مصحف لأمير المؤمنين عليه السلام يغاير القرآن الموجود في ترتيب السور مما لا ينبغي الشك فيه، وتسالم العلماء والأعلام على وجوده اغنانا عن التكلف لأثباته، كما ان اشتمال قرآنه عليه السلام على زيادات ليست في القرآن الموجود وان كان صحيحاً الا انه لا دلالة في ذلك على ان هذه الزيادات كانت من القرآن وقد اسقطت منه بالتحريف بل الصحيح ان تلك الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التأويل وما يؤول اليه الكلام او بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمراد.»

وبهذه العبارات يريد فقيهنا اثبات مصحف للامام علي يختلف عن القرآن ولكنه في الوقت نفسه يضيف جملة محيرة وهي :

« او بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمراد.»

ولست ادري ما هذا الاصرار على تسمية شرح للقرآن او تفسير له بالمصحف ثم ما هو هذا الاجماع الذي يدَّعيه بقوله :

« تسالم العلماء الاعلام على وجوده اغنانا عن التكلف لاثباته.»

ومتى اجمعت العلماء على ذلك اللهم الاّ نفر قليل استندوا على كلام ينسب الى الامام علي ذكره الطبرسي في الاحتجاج.

والمحقق المتتبع لكلمات الامام وسيرته يشك كل الشك في صدور كلام مثل ذلك عن الامام لما فيه من غرابة المحتوى، ثم ماذا تعني تلك الجملة المحيرة هل ان القرآن له شرح الهي صادر من الله ولكنه ليس جزءاً من القرآن فيكون القرآن المنزل من الله مؤلفاً من متن وشرح متنه في يد الجميع وشرحه عند الامام علي فقط .

واذا لم تخونني الذاكرة فقد ناقشت موضوع هذا المصحف مع العلامة الكبير الخوئي ولم يأت بشيء اكثر من الاستشهاد على رواية الطبرسي، وانتهى الحوار الى جدل عنيف وحاد ارجو من الله ان يغفر لي اذا ما تجاوزت على حرمة استاذ درست عليه الفقه واصول الفقه بعض الوقت وذلك في ايام دراستي عندما كنت في النجف.

ان فقهائنا وعلمائنا يستدلون على وجود مصحف للامام علي برواية يذكرها الطبرسي في كتاب الاحتجاج وهي ان الامام قال :

« يا طلحة ان كل آية انزلها الله تعالى على محمد (ص) عندي باملاء رسول الله وخط يدي وتأويل كل آية انزلها الله تعالى على محمد (ص) وكل حلال او حرام او حكم تحتاج اليه الامة الى يوم القيامة فهو عندي مكتوب باملاء رسول الله وخط

يدي حتى ارش الخدش.» (١)

وكما قلنا في هذه الرواية ضعف واضح وغرابة مذهلة ومنها تتفرع اسئلة عديدة لا عد لها ولا حصر، وقبل كل شيء لماذا خص الرسول الكريم (ص) الامام علياً بتعليم احكام تحتاج اليها امته الى يوم القيامة ولكن لم يخبر بها امته بل اخفاها عليهم والقرآن الكريم يقول :

«وما ارسلناك الاّ كافة للناس بشيراً ونذيرا، ولكن
اكثر الناس لا يعلمون.» سبأ ٢٨

ويقول في موضع آخر :

« اليوم اكملت لكم دينكم ... الآية ....» المائدة ٣

ولماذا لم يتحدث الامام علي عن تلك الاحكام في خلافة الخلفاء الذين سبقوه او في زمن خلافته ولماذا اخفى احكاماً تحتاج اليها الأمة الى يوم القيامة وفيها حلاله وحرامه وحتى ارش الخدش. حقاً انه اضطراب مخل بالتعقل نقرأه في عقول الذين وضعوا روايات كهذه ونسبوها الى الامام علي وادهى منه ان فقهائنا ـ سامحهم الله ـ استندوا عليها وحكموا عليها حكم المسلّمات.

التصحيح

ان كل ما قيل وذكر في الكتب الشيعية عن مصحف الامام علي ليس اكثر من اضفاء هالة من الغلو على شخصية الامام علي حسب زعم الذين كانوا وراء وضع هذه الاساطير واثبات ان الامام علياً انما هو تالي تلو واحق بخلافة الرسول (ص) من غيره ولذلك يحتفظ بمصحف خاص لا يحتفظ به غيره. هذا في ظاهر الامر ولكنهم في الحقيقة اساؤا الى الامام من ناحية اخرى فعرّفوا الامام بأنه يخفي احكاماً الهية فيها حدوده وحلاله وحرامه وكل ما تحتاج اليه الامة الى يوم القيامة ولم يدلي بها الاّ لأولاده الذين هم الائمة، والائمة بدورهم اخفوها عن المسلمين وحتى عن شيعتهم الى ان اختفت كل تلك العلوم باختفاء الامام الثاني عشر.

١ــ تفسير البيان، الامام الخوئي ص ٢٢٢

وهكذا نرى ان الحب الجارف عندما يتجاوز حده ينتهي الى الاساءة المطلقة والشيء اذا تجاوز حده انقلب الى ضده. ومن هنا ننطلق مرة اخرى لفكرة التصحيح ولمقارعة الاوهام التي نسجت حول الامام علي وسائر ائمة الشيعة.

حقاً لقد وضعوا حول الشمس نجوماً خافتة وزعموا انها تزيد الشمس اشراقاً وتوهجاً فكان شأنهم شأن اولئك الذين وصفهم الله بقوله :

« الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا.» الكهف ١٠٤

ومع اننا نعتقد ان أغلب الروايات الموضوعة عن الائمة وضعت بعد الغيبة الكبرى وهو العصر الذي نسميه بعصر الصراع الأول بين الشيعة والتشيع، الاّ أن المتتبع المنصف لا يجد بدأ من القول ان في عهد ائمة الشيعة ايضاً وضعت روايات عنهم كما ان وضع احاديث عن الرسول الكريم (ص) كان يشغل بال المسلمين بعد عصر الرسالة غير أن الروايات الموضوعة التي كانت تنسب الى ائمة الشيعة في حال حياتهم لم تكن ذات ابعاد خطيرة بسبب وجودهم بين الناس واستطاعة الناس من الوصول اليهم والسؤال عنها وهذا هو الامام الصادق يروي عن رسول الله (ص) انه قال :

« ان على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورا،
فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله
فدعوه.»

ويقول ابن ابي يعفور انه سأل الامام الصادق عن اختلاف الحديثين يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به فقال :

« واذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من
كتاب الله او من قول رسول الله (ص) والاّ
فالذي جائكم به اولى به.» (١)

ويروي ابن ابي عمير عن الامام الصادق ايضاً انه قال :

---

١ ــ الكافي ج ١، ص ٦٩

« من خالف كتاب الله وسنة محمد (ص) فقد
كفر.» (١)

ويقول الامام في مكان آخر :

« كل شيء مردود الى الكتاب والسنة وكل
حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف.»(٢)

وهكذا وضع الامام الصادق الطريق الواضح للفصل بين الأحاديث الصحيحة والموضوعة وهكذا الفصل بين الروايات الصحيحة والكاذبة حتى يسد الباب على البدع التي تظهر في الدين وباسم الدين.

وقبل ان انهي هذا البحث اود ان اشير ايضاً الى ان بعض علماء الشيعة تحدث في كتبه عن مصحف فاطمة مضافاً الى مصحف علي، وموقفنا من هذا الرأي هو الرأي نفسه في مصحف علي وفيما اسلفناه الكفاية.

١ــ الكافي ج ١، ص ٧٠
٢ــ الكافي ج ١، ص ٦٩

الجمع بين الصلاتين

اقامة الصلوات في اوقاتها اقتداء بسيرة رسول الله (ص)، والقرآن الكريم يقول :
« لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا.»
الاحزاب ٢١

صدق الله العظيم

الجمع بين الصلاتين

تنفرد الشيعة الامامية بالجمع بين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء في الحضر.

وموقفي من هذا الخلاف الفقهي يختلف تماماً عن غيره من المسائل الفقهية الّا أن هذه الظاهرة التي تنفرد بها الشيعة قد تضر بالوحدة الاسلامية الكبرى ولاسيما أن الأكثرية من فقهاء الشيعة يفتون باستحباب اتيان الصلوات في اوقاتها المحددة ولكن من الناحية العملية يذهبون الى الجمع، وقد جرت العادة في مساجد الشيعة على هذا النحو ايضا.

والصلوات الخمس فرضت لأوقات محددة وسميت بها، فوقت العصر يختلف عن الظهر والعشاء من الناحية الزمانية يختلف عن المغرب، ولاشك أن هناك حكمة بالغة الهية في فرض الصلوات في هذه الاوقات الخمسة وجعلها عمود الدين ومن اهم الشعائر الاسلامية.

وكان الرسول (ص) يصلي في مسجده بالمدينة في الاوقات الخمسة وهكذا الخلفاء بعده بما فيهم الامام علي وهكذا كانت سيرة ائمة الشيعة. واذا ما جمع الرسول (ص) بين الصلاتين مرة او مرتين في غير سفر فقد كان لضرورة او للترخيص اما عمله (ص) فكان هو الالتزام بالاوقات الخمسة.

وليت شعري ان اعرف هل هناك سبب يجدي بالخير في التظاهر بهذا الاختلاف مع الاكثرية الساحقة من المسلمين ام انه عمل سنَّه اناس كان غرضهم عزل الشيعة عن كل مظاهر الوحدة ؟ ثم سار عليه الفقهاء وائمة المساجد وهم يعلمون او لا يعلمون. ونحن في العملية التصحيحية نهتم بجمع الشمل من الناحية النظرية والعملية على السواء ورسالتنا هي القضاء الأبدي على كل مظاهر الفرقة الفكرية والعملية وكل ما يدور حولهما وهذا لا يتم الّا بالعودة الى عصر الرسالة والتمسك بسنة رسول الله (ص) على الطريقة التي كان (ص) يؤديها. ولا اعتقد انه يوجد بين المسلمين شخص واحد يفضل على عمل رسول الله (ص) وسنته عمل الآخرين وآرائهم. ومن هنا نحن نهيب بأئمة مساجد الشيعة وبالشيعة انفسهم ان يلتزموا بالصلوات في اوقاتها ويضعوا نصب اعينهم الصلوات الخمس التي كان رسول الله (ص) يؤديها

في مسجده بالمدينة ومعه صحابته من المهاجرين والأنصار، وأن لا يشذوا عن طريق رسمه للمسلمين نبي الاسلام ففي الاقتداء به وبسنته عزهم وكرامتهم وشوكتهم وهذا هو الامام علي يكتب الى امراء البلاد حول الصلاة واوقاتها وقد جاء في كتابه :

« اما بعد فصلوا بالناس الظهر حتى تفيء الشمس من مربض العنز وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء حية ....وصلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ....وصلوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق الى ثلث الليل وصلوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه. » (١)

---

١ ــ نهج البلاغة ج ٣، ص ٨٢

الرجعة

وعندما تمتزج الاسطورة بالعقيدة والاوهام بالحقائق تظهر البدع التي تضحك وتبكي في آن واحد.

الرجعة

هناك موضوعان يحتلان موقعاً صغيراً في عقيدة الشيعة الامامية ولا اثر لهما في الحياة الشيعية الاجتماعية والفكرية اللهم الا انهما يثيران الجدل والبحث حول المذهب كلما اراد قوم ان لا يترك صغيرة او كبيرة من الفجوات الا وقد احصاها، انهما الرجعة والبداء وقد كنا نود ان نغفل هذين البحثين في كتاب التصحيح ولكن رأيت من الافضل ان نفرد لكل بحث منهما فصلا خاصاً به بصورة مقتضبة ولاسيما بعد ان كثرت الكتابات وانتشرت المقالات حول المذهب الشيعي في الآونة الاخيرة وسلطت الاقلام والصحف الضوء على الشيعة ومذهبها وما ينتسب اليها فكما قلنا فان موضوعي الرجعة والبداء وان كانا لا يحتلان الموقع الهام والاساسي في العقيدة الشيعية حتى ان بعض اعلام المذهب فندوا الفكرتين وان الاكثرية الساحقة من الشيعة لا تعرف شيئاً عنهما ولا تدرك مغزاهما لاسيما فكرة البداء وما يحيط بها من جدل عقلي اثاره بعض اعلام الشيعة في مؤلفاتهم الا ان هناك كتب الفت في الموضوعين وتبناهما بعض الاعلام ايضاً ولكن الادهى من كل هذا ان فكرتي الرجعة والبداء وردتا في الزيارات التي تقرأها الشيعة امام مشاهد وقبور ائمتها في كل صباح ومساء ولم يحدث قط ان الزعامات المذهبية العليا المسيطرة على قلوب وعقول الشيعة اعترضت على هذه الجمل والعبارات او طلبت حذف هذه المضامين من الزيارات تلك او فندت محتواها في حين ان بعض تلك الزعامات كان يبدي امتعاضاً او انكاراً لفكرة الرجعة والبداء في مجالسه الخاصة ولكنه لم يبد الرأي فيهما علناً ولذلك رأيت ان الواجب يملي علي ان اكمل كتاب التصحيح بالرجعة والبداء وابدأ بأولاها

تعني الرجعة في المذهب الشيعي ان ائمة الشيعة مبتدئاً بالامام علي ومنتهياً بالحسن العسكري الذي هو الامام الحادي عشرعند الشيعة الامامية سيرجعون الى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذي ارسى قواعده بالعدل والقسط الامام المهدي الذي يظهر قبل رجعة الائمة ويملأ الارض قسطاً وعدلا ويمهد الطريق لرجعة اجداده وتسلمهم الحكم وان كل واحد من الائمة حسب التسلسل الموجود في امامتهم سيحكم الارض ردحاً من الزمن ثم يتوفى مرة اخرى ليخلفه ابنه في الحكم حتى ينتهي الى الحسن العسكري وسيكون بعد

ذلك يوم القيامة، كل هذا تعويضاً لهم عن حقهم الشرعي في الخلافة والحكومة التي لم يستطيعوا ممارستها في حياتهم قبل الرجعة.
والذين كتبوا في الرجعة من اعلام الشيعة فسروا الآية الكريمة :

« ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض
يرثها عبادي الصالحون.» الانبياء ١٠٥

ان الغرض من العباد الصالحين انما هم ائمة الشيعة.

هذه خلاصة الفكرة اشرنا اليها باجمال كما انه لابد من القول ايضاً ان الذين الفوا الكتب في الرجعة واستشهدوا على وقوعها بالروايات التي ذكرها بعض كتب الروايات المنسوبة الى ائمة الشيعة لم يكتفوا الى هذا الحد من القول برجعة ائمة الشيعة فقط بل اضافوا عليها افكاراً اخرى وكلها ايضاً مستوحاة من تلك الروايات الموضوعة التي اشرنا اليها اكثر من مرة وقالوا ان الرجعة لا تشمل ائمة الشيعة فحسب بل تشمل غيرهم وذكروا اسماء نفر غير قليل من صحابة الرسول (ص) زعموا انهم من اعداء الائمة والذين منعوهم ن الوصول الى حقهم في الحكم كل هذا حتى يتسنى للائمة الانتقام منهم ي هذه الدنيا.

وقد يخيل الي أن الذين كانوا وراء فكرة الرجعة ووضعوا الروايات لاثباتها لم يقصدوا منها رجعة الائمة بقدر ما كانوا يقصدون رجعة الاعداء حسب زعمهم وذلك للانتقام منهم لأن هذه الفكرة كانت توطد دعامة التفرقة بين الشيعة والفرق الاسلامية الاخرى تفرقة لا لقاء بعدها ولو ان الذين كانوا وراء فكرة الرجعة كانوا مخلصين لائمة الشيعة لم يصوروهم بهذا المظهر الراغب في الحكم حتى ان الله سيعيدهم الى هذه الدنيا الفانية مرة اخرى ليحكموا فيها بعض الوقت وهم ائمة لهم جنة عرضها كعرض السماوات والارض اعدت للمتقين، والامام علي يقول :

« والله ان دنياكم هذه لأهون عندي من ورقة في
فم جرادة تقضمها.»

ومهما يكن من امر فنحن مع كل الاسف امام افكار من هذا النوع وقد الف فيها بعض اعلامنا كتباً واشتملت الفكرة حيزاً من العقيدة ولو لم يكن جزءاً منها، والفكرة شبيهة مع فارق كبير الى الفكرة التناسخية التي جاء بها فيثاغورس

وتبناها الفيثاغوريون ولها انصارها حتى اليوم وظهرت في مظاهر مختلفة وتعابير متفرقة ودخلت الى بعض العقائد البدائية وغيرها ولكن الذين الفوا وصنفوا حول رجعة ائمة الشيعة لم يستعملوا المضامين التي استعملها الفيثاغوريون في صحة التناسخ او بالاحرى انتقال الروح من جسد الى جسد آخر لأن التناسخيين لا يعتقدون بوحدة الموضوع في عودة الشخص الى الدنيا بعد الموت ويعتقدون بتعدد الحياة والموت بصور شتى وانماط مختلفة ولكن فكرة الرجعة تحتفظ بوحدة الموضوع ولا تكون لأكثر من مرة غير قابلة للتكرار حيث يكون بعدها الموت الثاني ومن ثم البعث والنشور، ومن هنا اود القول ان الذين كانوا وراء فكرة الرجعة لعلهم كانوا من المتأثرين بالفلسفة الفيثاغورية وادخلوا الفكرة في المذهب وذلك بعد اجراء تحوير اسلامي عليها شأنهم شأن كل المبدعين في العقائد والمذاهب ولست ادري ايضاً متى دخلت فكرة الرجعة على وجه التحديد الى الاوهام والفت حولها الكتب الا ان الذي لاشك فيه ان ظهور مثل هذه الافكار البعيدة عن التعقل ظهرت في عهد الصراع الأول بين الشيعة والتشيع حيث كانت السذاجة هي الطابع الغالب على الناس والميل الى الافكار الغلوائية البعيدة عن المنطق كان له سوق رائج ، والبدعة هذه تختلف عن البدع الاخرى التي اضيفت الى الافكار الشيعية حيث لم يترتب عليها تنظيم سياسي عملي او اجتماعي او اقتصادي اللهم الا شيء واحد قد يكون هو السبب في اختلاق فكرة الرجعة وهو كما قلنا استكمال العداء وتمزيق الصف الاسلامي بمثل هذه الخزعبلات التي دونت وقيلت في انتقام الائمة من صحابة الرسول الذين خالفوا النص الالهي في امر الامامة والخلافة فكل حديث من هذا النوع كان ولايزال يزيد في تأجيج نار الفتنة ويضر بالوحدة الاسلامية ويقضي على كل بادرة من بوادر الالفة والتقريب وهنا اودان اذكر قصة حدثت لي قبل سنوات عديدة عندما كنت في النجف مقيماً فقدجاءني احد المشايخ وطلب مني ان ابتاع منه كتاباً قد فرغ لتوه من تأليفه وطبعه اسمه (الشيعة والرجعة) فسألته عن فحواه

فقال : اثبات رجوع الائمة الى هذه الدنيا.

فسألته من جديد : ومتى يكون ذلك ؟

فقال : بعد ظهور المهدي الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً.

فسألته مرة اخرى : اذن ما هي الفائدة من رجوعهم لأن القسط والعدل قد

استتبا والائمة اعلى شأناً واجل قدراً من ان يطلبوا الحكم للحكم والامام علي يقول :

« ان دنياكم هذه اهون عندي من عفطة عنز الا ان
اقيم حقاً وابطل باطلا.»

فقال الشيخ وقد ملكته الدهشة : ولكن في كتبنا روايات تثبت رجوع الائمة.
فصحت في وجهه: الم يكن من الافضل ان يترك هذا الامر للمهدي حتى يقول كلمته فيه ؟
فولى الشيخ هارباً وهو يقول : واديناه!

التصحيح

لقد قلت قبل قليل ان فكرة الرجعة لا تشغل حيزاً مهماً في عقيدة الشيعة الامامية ولكن كثيراً منهم يقرأون زيارة الجامعة الكبيرة التي هي من اهم الزيارات وتعتبر موثوقة عند الشيعة وفيها عبارات صريحة في الرجعة ولم يحدث قط ان فقيهاً من فقهائنا او زعيماً دينياً من زعمائنا وقف مفنداً لهذه الجملة بصريح القول والعبارة والشجاعة او امر بحذفها او فسرها تفسيراً ملائماً مع العقل ان كان هناك مجال للتفسير.

وزيارة الجامعة التي اشرنا الى مقتطفات منها في فصل زيارة مشاهد الائمة وهي التي تقرأها الشيعة امام قبور ومشاهد ائمتها عندما تذهب للسلام عليهم فقد جاء في احدى فقرات هذه الزيارة هذه العبارة :

« مؤمن بايابكم مصدق برجعتكم منتظر لأمركم
مرتقب لدولتكم.» (١)

ولاشك ان الغرض من عبارة رجعتكم ليس البعث والنشور لأن في هذا الامر يشترك الناس جميعاً حسب عقيدتنا الاسلامية التي هي الاصل الثالث من اصول الدين ويأتي بعد التوحيد والنبوة . اذن فان الغرض من الرجعة هو الرجعة الثانية الى هذه الدنيا وعلى هذه العبارة استند كثير من اعلام المذهب الشيعي في اثبات الرجعة فكان شأنهم شأن من بنى على رواية موضوعة او جملة موضوعة بناءاً شاهقاً من الاوهام وهنا نذكر جملة لأرسطو قالها في استاذه افلاطون ساخرا من نظرية المثل التي نادى بها فقال :

١ــ مفاتيح الجنان، ص ١٠٠٥

« ان مثل افلاطون في مثله كمن صعب عليه ان
يعد كمية من الاشياء فضاعفها كي يسهل عليه
عدها.»

وهكذا فإن بعض فقهائنا عندما يصعب عليهم فهم جملة أو دركها لتناقضها مع أصول الإسلام والعقل فبدلاً من أن يطرحوها أرضاً ويجنبون العوام من الناس من أمرها يضاعفون في شرحها وتفسيرها وبذلك يضيفون بدعة إلى بدعة وضلالاً إلى ضلال فتزيد الطين بلة ويعم الشر الجميع .

ان غربلة كتب الزيارة من كل هذه العبارات والمضامين التي تتغاير وتتناقض مع العقل السليم وروح الاسلام ولاسيما تلك العبارات والجمل التي فيها تنقيص وتجريح وذم بالنسبة للخلفاء الراشدين وصحابة الرسول تقع في دائرة التصحيح العملي وان على الشيعة في كل الارض ان تعي ما تقرأ كل الوعي وان لا تردد ما وضع تحت يدها من مطبوع او مخطوط بذريعة انها صدرت من احد ائمة الشيعة، واني لا اشك ان كثيراً من الزيارات التي نسبت الى ائمتنا لو كان قد وصل الى علمهم لأجروا حد الكذب والافتراء على واضعها وان اشد الناس عذاباً يوم القيامة المفترون.

« ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب
وقد خاب من افترى. » طه ٦٠

البداء

فكرة البداء تتناقض مع قول الله تعالى :
« وما تكون في شأن وماتتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين. »
يونس ٦٠

البداء

تفسير الخطأ بالخطأ يعني الاستمرار فيه وعدم الخروج منه حتى قيام الساعة ومن هنا اود القول انه لو كانت لبعض علمائنا الشجاعة العلمية وخلوص النية ونقاء الفكر وصفاء الذهن لما ساروا في درب شائك لتفسير كلام موضوع او جملة موضوعة او فكرة تتنافى مع اصول العقيدة والبديهيات العقلية معاً فالقول بالبداء والاصرار عليه والابقاء عليه في كتب الزيارات والروايات معاً هو النموذج الاكمل في الاصرار على العزة بالاثم وما دامت الحالة هذه فطريق الخلاص من الاوهام صعب وعسير والعناية الالهية لا تشمل قوماً قال تعالى فيهم :

« ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا
هدى ولا كتاب منير.»لقمان ١٩

وكما قلنا قبل قليل وفي فصل الرجعة ان مفهوم البداء غامض عند الاكثرية الساحقة من ابناء الشيعة الامامية بل لا يعرفون شيئاً عن فحواها وحتى اذا ما سألتهم عن معنى الكلمة فهم يحيرون جوابا، ولكن مع كل هذا وهو من دواعي الاسف والحزن العميق فيما وصلت اليه حال هذه الامة بفضل زعاماتها المذهبية ان هناك عشرات الآلاف من الشيعة وان شئت فقل مئات الآلاف منهم يكررون الجملة الآتية :

« السلام عليكما يا من بدا لله في شأنكما.» (١)

وذلك عندما يدخلون الى مرقد الامامين العسكريين في سر من رأى للسلام على الامامين العاشر والحادي عشر عند الشيعة. ان الشيعة تردد هذه العبارات كلما دخلت في صورة آحاد او جماعات الى مرقد الامامين علي النقي والحسن العسكري وهي لا تعرف معنى البداء ولا الجملة القائلة :

« يا من بدا لله في شأنكما.»

ولا الاسباب التي كانت وراء وضع الجملة تلك ولا تعرف الخطورة الكامنة في هذا الكلام الذي فيه انتقاص من سلطان الله وعلمه وارادته وحكمته، ولكن

١ــ مفاتيح الجنان، ص ٩٢٩

الادهى من ذلك انه لم يحدث حتى هذا اليوم ان انبرى عالم من علمائنا لحذف هذه الجملة من الزيارة او المنع من قراءتها شأنها شأن المئات من العبارات والجمل التي ملئت كتب الزيارات والروايات وكلها تتناقض كما قلنا اكثر من مرة مع اساس العقيدة وروح الاسلام.

اما معنى البداء والفكرة التي بين ثناياه وما تعنيه في زيارة الامامين العسكريين هو ان الامامة حسب التسلسل الموجود في عقيدة الشيعة الامامية تنتقل من الاب الى الابن الاكبر مستثنىً من هذه القاعدة الحسن والحسين فالامامة بعد الامام الحسن انتقلت الى الامام الحسين ولم تنتقل الى الابن الاكبر للحسن وذلك لنص ورد عن رسول الله (ص) حيث قال :

« الحسن والحسين امامان قاما او قعدا.»

فقد حدث ان اسماعيل وهو الابن الاكبر للامام جعفر الصادق الامام السادس عند الشيعة قد توفي في عهد ابيه فانتقلت الامامة الى اخيه موسى بن جعفر الابن الاصغر للصادق وهذا التغيير في مسار الامامة التي هي منصب الهي يسمى بداءاً حصل لله تعالى فانتقلت الامامة الالهية بموجبه من اسماعيل الى موسى بن جعفر ومن ثم الى اولاده ولم تأخذ الطريق الطبيعي لها الذي هو انتقال الامامة من الاب الى الابن الاكبر.

ولكن السؤال المحير هنا لماذا سمي تغيير مسار الامامة بداءاً ونسبوا شيئاً كهذا الى الله تعالى لاثبات امر لم يكن اثباته بحاجة الى انتقاص من سلطان الله، الجواب هنا يكمن في تلك الملابسات والظروف التي حصلت في عهد الصراع الاول بين الشيعة وانتشيع فالامامة عندما تكون الهية لا تخضع للانتخاب المباشر ولا يتغير مسارها بموت الامام الشرعي فحينئذ تنتقل الامامة هذه حسب الناموس الالهي الذي لا يتغير من الاب الى الابن ولهذا قيلت في الامامة انها تكوينية اي لا تخضع لمتغيرات الزمان والمكان شأنها شأن العلة والمعلول الذاتيين الذين لا ينفك احدهما عن الآخر وهذا يعني ان الامام الاب لا سلطة له في تعيين الامام الذي سيخلفه لانه معين بارادة الله. وهذا الصراع الفكري حدث بين الشيعة انفسهم قبل ان يمتد نحو آفاق اوسع قبيل عصر الغيبة الكبرى مباشرة وذلك عندما بدأ المذهب الاسماعيلي يظهر على ساحة الافكار الاسلامية ويهدد وحدة الشيعة بالتمزق الداخلي وكان المذهب الاسماعيلي يرى ان الامامة الالهية مستمرة بالصورة التي ارادها الله منذ الازل وهي في نسل علي واولاده حسب التسلسل السني وهذا يعني ان

الامام الأب لا سلطة له في تعيين الإمام الذي سيخلفه لأنه معين بإرادهالله فإذا مات الوريث الشرعي الذي هو إسماعيل فلا يحق لأبيه الصادق أن يعين موسى ابنه الأصغر بل تنتقل الإمامة إلى الابن الأكبر من ظهر إسماعيل وبما أن الشيعـة تبنت فكرة الإمامة الإلهية بالصورة نفسها فلكي تخرج من هذا المأزق قالت بفكرة البداء لكي تلقي مسؤولية انتقال الإمامة من إسماعيل بن جعفـر إلى موسى بن جعفـر على الله وليس على الإمـام الصادق ولتفنيد العقيدة الإسمـاعيلية . وكما يعلم الجميع فإن الإمامة لازالت مستمرة عند الإسماعيليين حتى هذا اليوم والإمام عندهم حي حاضر ومن نسل إسماعيل ولم يحيدوا عن هذا المنحنى الفكري الذي أملاه عليهم مذهبهم قيد انملة .

ونعود الى فكرة البداء فنقول انها ظهرت في ابان ظهور الفرقة الاسماعيلية التي اخذت تناهض الشيعة وتخرق وحدتها ولذلك لا نجد اثراً لفكرة البداء حتى اوائل القرن الثالث الهجري، واول امام يخاطب بشموله للبداء هو الامام العاشر ومن بعده الحادي عشر للشيعة في حين انه كان من الاجدر والاولى ان يخاطب الامام موسى بن جعفر بشموله للبداء حيث كان هو موضوعه فلا الامام موسى ولا ابنه علي الرضا ولا حفيده محمد الجواد قد خوطبوا بكلمة فيها اشارة الى حصول البداء بحقهم الامر الذي يؤكد لنا ان اللجوء الى تبني فكرة البداء انما حصل عندما اخذ التيار الاسماعيلي يشق طريقه الى الوجود والظهور في اوائل القرن الثالث الهجري وهو عصر الامام العاشر والحادي عشر للشيعة.

لقد التجأ بعض اعلام الشيعة الى البداء حتى يثبتوا تغيير مسار الامامة من اسماعيل الى موسى بن جعفر في حين ان الامامة وانتقالها من كابر الى كابر وبالصورة التي رسمتها الشيعة قبل عهد الصراع بين الشيعة والتشيع لم تكن بحاجة الى القول بالبداء وتغيير الارادة الالهية فبوفاة مرشح الامامة تنتقل الامامة الى المرشح الثاني حسب ما يوصي به الامام الصادق الذي شاهد وفاة ابنه المرشح للامامة ولاشك انه قال كلمته في الامام الذي يتولى شؤون الفتيا والفقه بعده وفي كلام الامام وتعيينه الوارث الشرعي فصل الخطاب.

ان موضوع البداء احتل جانباً من الكتب الشيعية وافرد له بعض الاعلام فصولا او كتيباً يدافع عن معنى البداء وفحواه، وانتهى الجدل ذاك الى الابحاث الفلسفية والكلامية التي احتلت اجزاءاً كثيرة من الكتب الكلامية في الارادة

الالهية وهكذا الآجال الحتمية والمقدرة والقدر الذي يدفعه الحذر والبلاء الذي تدفعه الصدقات وما الى ذلك من كلام يعرفه اهل العلم والفضيلة وكل من الم بالصراع الفكري بين الاشاعرة والمعتزلة وغيرهم من مفكري الاسلام كما ان بعض اعلام الشيعة وجد الحل للخروج من مأزق البداء بالتفصيل بين النسخ التشريعي والنسخ التكويني وقال ان البداء هو النسخ في التكوين، ولست ادري ان الذين كتبوا في البداء هل وجدوا في الآية الكريمة :

« يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب.»

الرعد ٣٨

حلا لتلك المعضلة ان كانت معضلة ام لا ؟ ومهما يكن من امر فان الذين كتبوا والفوا في البداء لم يضيفوا الا اوهاماً على اوهام وسفسطة الى سفسطة ولو انهم وجدوا حل المعضلة بالآية الكريمة التي اسلفناها لكان لهم خير طريق للخروج من مأزق وضعوا انفسهم فيه ولم ينته الامر بهم للخروج منه الى الطعن في سلطان الله وانه تعالى كان يريد شيئاً ثم بدا له غيره.

التصحيح

لقد قلنا ونؤكد ان القواعد الشيعية لن تواجه مشكلة فكرية باسم البداء وحتى مع قرائتها للجملة التي اشرنا اليها فهي تمر عليها مر الكرام ولا تعيرها اهتماماً لما فيها من ابهام وغموض ولكن الذي لاشك فيه ان الفكرة وردت في اكثر من مكان والشيعة تتداول العبارة في كل صباح ومساء عندما تذهب للسلام على الامامين في سر من رأى ولاشك ايضاً انه لم يحدث قط حتى هذا اليوم ان مرجعاً من مراجع الشيعة او عالماً من علمائها امر بحذف هذه الجملة من كتب الزيارات التي تربو على العشرات من المجلدات كما انه لم توجد فئة من اعلامنا تستنكر هذه الجملة اجمالا او تفصيلا بالعلن والجهار ولاشك ايضاً ان فكرة البداء من الافكار الموضوعة والعبارة ايضاً من الموضوعات التي نسبت الى الائمة وادخلت في الكلام الذي يقال امام قبري الامام العاشر والحادي عشر ويعود وضعه على وجه التأكيد الى عهد الصراع الاول بين الشيعة والتشيع كما اثبتناه قبل قليل ومن هنا نؤكد مرة اخرى الى غربلة كل الموروثات التي ورثناها من الماضي وادخلت في العقيدة الشيعية سواءاً كانت فيها انتقاص في حق الله تعالى او في حق رسوله او خلفائه او ائمة الشيعة الذين هم ائمة المسلمين ايضاً وهنا نصل ايضاً الى نتيجة بالغة الخطورة وهي ان الذين كانوا وراء الصراع بين الشيعة والتشيع لم يتورعوا في سبيل نياتهم

واهدافهم حتى من التطاول على القدرة الالهية وصفاته كي يحققوا اهدافاً تتناقض مع اساس العقيدة والعقل والمنطق، واملي بالله كبير وادعوه مخلصاً ان ينجلي هذا الليل المظلم وتشرق شمس الحقيقة على القلوب الصافية المستعدة لتقبل الحق فتسعى جاهدة لارساء اهداف التصحيح كل حسب قدرته وجهده وبذلك تعود الشيعة الى عصر الرسالة الاولى وتنعم بخلق جديد.

التصحيح بين القبول والرفض

تصحيح الافكار الدخيلة والآراء المهلكة وغير السليمة يفرضها القرآن الكريم وسنة رسول الله (ص) والعقل والفطرة السليمة، ولاشك ان المواعظ البالغة التي تستمد من هذه الينابيع تستقطب القلوب الصافية والنفوس المستعدة وترشد اهلها الى الحق افواجا.

التصحيح بين القبول والرفض

ان الفكرة التصحيحية التي نادينا بها لأول مرة في تاريخ الشيعة والتشيع لاشك وانها ستلاقي ردود فعل مختلفة على صعيد العالم الشيعي وذلك حسب البيئة التي يصل اليها نداء الاصلاح. ومن الطبيعي أن فئات من رجال الدين والمتاجرين بالطائفية وفي مقدمتهم كثير من الزعماء الدينيين سيقاومون الفكرة التصحيحية بكل ما لديهم من قوة وجهد.

وقد نعذر هؤلاء لما يصدر منهم من ردود فعل قد تكون بعضها عنيفة لأن خطر التصحيح يهدد مجدهم وسلطانهم وكياناً بنوا عليه امالا عريضة وسيعة طيلة قرون وقرون. غير أن الذي لاشك فيه هو أن الأكثرية الساحقة من الطبقة الواعية المثقفة من ابناء الشيعة ستستجيب لنداء التصحيح وتقف وراءه كالبنيان المرصوص لأن فيه عز الدنيا وخير الآخرة معا.

وهنا اود ان اوجه نصيحة الى الطبقة الواعية التي بنينا آمال التصحيح عليهم وأقول لهم ان كلمة الحق تدعم نفسها بنفسها ولا تحتاج الى العنف والقسوة في الدعوة اليها ولنا في رسول الله (ص) اسوة حسنة حيث يخاطبه سبحانه وتعالى بقوله :

« ولو كنت فظاً غليظ القلب لأنفضوا من حولك. »
آل عمران ١٥٩

ويخاطبه في مكان آخر ويقول :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة،
وجادلهم بالتي هي احسن.» النحل ١٢٥

فلذلك يجب على كل فرد يأخذ على عاتقه واجب الدعوة الى التصحيح ان يسلك طريق الحسنى وعدم الشدة والعنف في مخاطبة غيره ولاسيما الشيوخ والطاعنين في السن فليس من السهل على اناس بلغوا من السن عتيا ان ان يقلعوا عن عادة في القول او الفعل تعودوا عليها منذ سنين الصبا ودُرِّبوا عليها تدريبا. فمثلا وليس على سبيل الحصر، هل يا ترى أن انساناً ما تعود منذ نعومة اظفاره ان يستعين بغير الله وينادي ذلك الغير بكلمة (يا) نبياً كان

المنادى او اماماً او ولياً يستطيع ان يقلع عن هذه العادة والعقيدة معاً بين عشية وضحاها ؟

وكثير من الشيعة ينادون غير الله في طلب المعونة، ولست ادري لماذا نحن معاشر الشيعة نترك الله القادر على كل شيء ونستعين بغيره وهو الذي امرنا بالاستعانة به :

« اياك نعبد واياك نستعين.» الفاتحة ٥

وهو الذي يخاطب عباده بقوله :

« ادعوني استجب لكم.» غافر ٦٠

ويقول سبحانه في مكان آخر :

« ونحن اقرب اليه من حبل الوريد.» ق ١٦

وليس على سبيل الحصر ايضاً، فهل يا ترى ان من السهل ان تحمل الشيعة على الاقلاع من السجود على التربة الحسينية التي صنعت في اشكال مختلفة كما اشرنا اليها وهي ترى ان زعمائها الدينيين يسجدون عليها في صلواتهم ومساجدهم مليئة بها ؟

وهل يا ترى ان من السهل ان تحمل الشيعة على الاقلاع من تسمية اولادها بالعبودية لغير الله ؟ وهذه ظاهرة لا نجدها عند اية فرقة اخرى من الفرق الاسلامية وحتى غير الاسلامية. والشيعة هي الطائفة الوحيدة التي تسلك العبودية لغير الله حتى في تسمية اولادها.

واذا تصفحنا تاريخ ائمة الشيعة مبتدئاً من الامام علي حتى آخر أئمتهم لم نجد احداً منهم عبَّد ولده لغير الله في التسمية، ولست ادري منذ متى بدأت الشيعة تسمي اولادها بهذه التسميات التي تتناقض مع روح الاسلام، فالعبودية لله وليس لغيره، والانسان لا يكون عبداً لأنسان آخر مهما كان شأن ذلك الأنسان عند الله.

واعود مرة اخرى لأوكد على الطبقة الداعية للتصحيح واقول ان تغيير هذا المنحنى الفكري عند الشيعة الامامية لا يمكن ان يحدث بين عشية وضحاها بل يحتاج الى زمان ومثابرة وصبر وتثقيف حتى يدخل في القلوب ولذلك فان

المسؤلية خطيرة يجب السير عليها خطوة بعد خطوة ولا سيما ان فكرة التصحيح تلاقي مقاومة عنيفة من قبل اولئك الذين اشرنا اليهم في مقدمة هذا الفصل كما ان علينا ان لا نغفل ابداً تلك القوى الاستعمارية التي لا تزال تتربص بالمسلمين ولا تريد وحدتهم وتسعى للتفرقة بينهم فهي تحاول جاهدة وعن طريق اقلام مأجورة عاشت على الفرقة واثارة الضغناء ان تقارع حركة التصحيح وهي لا تدَّخر جهداً في سبيل ذلك، وهناك فئات ساذجة عبَّر الامام علي عنهم بقوله :

« همج رعاع يميلون مع كل ريح، اتباع كل ناعق،
لم يستضيئوا بنور الله.»

وهي تسير في ركب زعاماتها المذهبية وتأتمر بأمرها وهي المنفذة لكل البدع التي الصقت بالمذهب الشيعي عبر القرون.

ان هذه القوى كلها تجتمع كيد واحدة لتضرب حركة التصحيح ولكنني اقول مسبقاً ان التصحيح اقوى منهم بكثير وسينتصر عليهم في نهاية المطاف، وذلك لأن مقارعة التصحيح والوقوف ضده يرتطم بجدار صلب ضخم لا ولن تستطيع اية قوة ان تنفذ منه وذلك لأننا وضعنا قواعد التصحيح على كتاب الله وسنة رسوله (ص) وعمل وأقوال الامام علي الذي اتخذها فقهاء المذهب الشيعي حجة على انفسهم ثم على دعامة العقل الذي اعتبره علماء الشيعة الركن الرابع من اركان استنباط الاحكام الشرعية، وهذه الدعائم الاربعة حجة على علماء الشيعة لا ولن يستطيعوا ان يحيدوا عنها او يقارعوها.

وهنا لابد من العودة على البدء والاشارة الصريحة الى أن كتب روايات الشيعة ولاسيما تلك التي تعتبر صحيحة وموثوقة على حد تصور فقهائنا وهي لا تخلو كما قلنا من روايات تنسب الى أئمتنا وهي تتناقض مع ضروريات الاسلام واصوله وتتناقض مع الادلة الاربعة التي اعتبرها فقهاء الشيعة اساس الاستنباط للأحكام الفقهية.

ان مثل تلك الروايات الموضوعة في هذه الكتب والتي نسبت الى أئمة الشيعة ، الذين هم أمروا بنبذ كل رواية تنسب اليهم اذا كانت تخالف كتاب الله وسنة رسوله قد تؤخذ كذريعة للوقوف ضد التصحيح واهدافه.

ولذلك نحن نهيب بالطبقة الواعية المثقفة التي نعتبرها السند الأول والأخير

لحركة الاصلاح ان تحكم كتاب الله ورسوله والعقل في كل رواية يستند عليها بعض فقهائنا وعلمائنا لتثبيت البدع التي الصقت بالمذهب الشيعي وأن يكون كل فرد هو الحكم والقاضي في كل ما يلقى على مسامعه من غث او سمين او صحيح او سقيم باسم الروايات الواردة عن أئمة الشيعة، وهذه هي الطريقة الوحيدة للخلاص من سلاسل قيّدت عقول الشيعة وقلوبهم عبر القرون.

لقد سمع العالم قبل اكثر من عام زعيماً من زعماء المذهب الشيعي يخطب امام الجماهير الشيعية في طهران وينقل كلامه عبر الأثير وهو يقول :

« ان جبرائيل كان ينزل على السيدة فاطمة الزهراء بعد وفاة ابيها ويحدثها عن قضايا كثيرة.»

والمسلمون يعتقدون ان هذا الكلام يتناقض مع ضروريات الاسلام وعقائده الاساسية فالوحي قد انقطع بعد وفاة رسول الله (ص). غير ان هذا الكلام ورد على لسان هذا الفقيه استناداً على تلك الروايات الموضوعة التي طالما طلبنا غربلة الكتب الشيعية منها. ولكن الادهى من ذلك ان كلاماً كهذا لم يلق مجابهة من قبل نظراء ذلك الفقيه واقرانه بل اذعنوا لصحة هذه الرواية بالسكوت الذي هو من علائم الرضى. ولذلك نحن دائماً نُحمِّل بعض زعماء المذهب وعلمائه المسؤلية الكبرى على تلك البدع التي الصقت بالمذهب الشيعي ووقفوا منها موقف المؤيد او المسالم. وهذا هو الامام علي يخاطب رسول الله (ص) عندما كان يلي غسله وتجهيزه بقوله :

« بأبي انت وامي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء واخبار السماء.» (١)

وبعد كل هذا فماذا تكون الطريقة التي تسلكها الفئات التي ترفض التصحيح عندما تخذلهم البينات وتقارعهم الحجج.

هناك طريق واحد تسلكه عادة اصحاب النفوس المريضة والمأجورين والجهلاء انه طريق التجريح والطعن في صاحب الدعوة والرأي شأنهم شأن اولئك الذين ذكرهم الله في محكم كتابه بقوله :

١ـ نهج البلاغة ج ٣، ص ٢٢٨.

« ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكو ن امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون.» النحل ٩٢

« ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدي ولا كتاب منير. ثاني عطفة ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق.» الحج ٩

صدق الله العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المجاز

الحمد لله الذي اجاز للعلماء ما اجاز وصلى على محمد وآله مجاز الحقيقة وحقيقة المجاز

وبعد فان جناب العالم الفاضل ثقة الاسلام الآقا [illegible] حفيد المرحوم

آية الله العظمى السيد ابو الحسن الاصفهاني الموسوي رضوان الله عليه ممن بذل

جهده في تحصيل العلوم الشرعية حتى حاز بحمد الله تعالى رتبة ملكة الاجتهاد

مقرونة بالصلاح والسداد وقد اجزت له لاهليته ان يروي عني

ما صحت لي روايته من مشايخي العظام واساتذتي الكرام. املا ان

لا ينساني من صالح دعواته كما لا انساه. والله سبحانه يوفقه ويرعاه

صدر من مدرستنا العلمية
بالنجف الاشرف

بدعاء
محمد الحسين
كاشف
الغطاء

١٣٧١

صورة من الشهادة العليا في الفقه الاسلامي (الاجتهاد) التي نالها المؤلف قبل ثلاثين عاما من المرجع الديني الاعلى زعيم الحوزة العلمية في النجف الاشرف الشيخ محمد الحسين ال كاشف الغطأ رحمه الله عليه.

تنبيه هام

لكي تبقى رسالة التصحيح مستمرة في التقدم لقد اخذ المجلس ألاسلامي الاعلى على عاتقه اصدار مجلة شهرية تهتم بشئون التصحيح واهدافه ومبادئه وان المجلة سوف تنشر المقالات والكلمات التي تصلها حول التصحيح بغض النظر عن الاتجاه الذي يسير فيه صاحبها على شرط ان يكون صاحب المقالة او الكلمة من ذوي الاختصاص بشئون الدين والفقه والعلوم الاسلامية. كما ان العلماء المشرفين على المجلة سيجيبون على الاسئلة التي توجه اليهم حول التصحيح على شرط ان تكون الاسئلة موجزة.

الرسائل تعنون الى المجلس الاسلامي
الاعلى على العنوان البريدي التالي

POST-TEL CENTER
2210 Wilshire Blvd., Suite 451
Santa Monica, CA 90403
U.S.A.

ألفهرس

الاعتقاد، وهذه وجهة كانوا يحملونها تجاه أصحاب النبى ﷺ والخلفاء الراشدين الثلاثة، وأكثر من ذلك لم يكونوا يعتقدون محاربة معاوية وأصحابه خروجا عن الإسلام وطغيانا وظلما وعدوانا، ولأجل ذلك بايع معاوية أكبر أبناء علىّ سبط رسول الله ـ الإمام المعصوم حسب زعم الشيعة ـ ووافقه على ذلك أبناؤه الآخرون مع ما فيهم الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس وغيرهم كما سيأتى بيانه، وصاهروه وأسرته وعاونوه على أمور الخير والبر، وقبلوا منه الهدايا والصلات كما ذكرنا قريبا، إلا من تأثر من السبئية أو دخل فى ذلك الحزب الملعون على لسان علىّ ـ رضى الله عنه ـ وأبنائه.

ثم ولم يكن الشيعة عامة آنذاك يشتمون أصحاب النبى ﷺ ولا الخلفاء الراشدين الثلاثة ولا يطعنون فيهم ولا ينقصونهم، فلقد ذكر ابن خلكان فى ترجمة يحيى بن معمر: كان شيعيا من القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لغيرهم»(٥٦).

ولقد أقر بذلك شيعى معاصر حيث قال:

إنى خلال مراجعتى كتب التاريخ لم أر فى الفترة التى تمتد من بعد وفاة النبى حتى نهاية خلافة الخلفاء من عمد إلى الشتم من أصحاب الإمام، وإنما هناك من قيّم الخلفاء وقيّم الإمام وحتى فى أشد جمحات عاطفة الولاء لم نجد من يشتم أحدا ممن تقدم الإمام بالخلافة... يضاف لذلك أنه حتى فى الفترة الثانية أى فى عهود الأمويين كان معظم الشيعة يتورعون عن شتم أحد من الصحابة أو التابعين»(٥٧).

---

(٥٦) وفيات الاعيان: ج٢ ص٢٦٩.
(٥٧) هوية التشيع لأحمد الوائلى: ص٤١.

الباب الخامس

فرق الشيعة، تاريخها وعقائدها

اجتمع شيعة علي رضى الله عنه بعد استشهاده حول ابنه الحسن رضى الله عنه، وجعلوه إماما لهم فى اليوم الثالث بعد انتقال أبيه من دار الدنيا إلى دار الآخرة[١].

وأول من بايعه كان قيس بن سعد بن عبادة[٢].

وعند ذاك ظهرت السبئية من جديد بكل قوة وأظهروا العقائد التى طالما أخفوها خوفا من بطش عليّ رضى الله عنه، وحذرا من يقظته ومراقبته الأفكار الهدامة ومن يريد بثها فى صفوف شيعته، ومعاقبتهم معاقبة شديدة، ولقد ذكر مؤرخ شيعى حيث قال:

إن بدعة السبئية فى الغلو ظهرت على عهد أمير المؤمنين علي بن أبى طالب (ع) عندما مرّ بقوم يأكلون فى شهر رمضان نهارا، فقال لهم: أسفر أنتم أم مرضى؟ قالوا لا ولا واحدة منهما، قال: فمن أهل الكتاب أنتم فتعصمكم الذمة والجزية؟ قالوا: لا. قال: فما بال الأكل نهارا فى رمضان؟ فقالوا له: أنت أنت، يومئون إلى ربوبيته. فاستتابهم واستأنى ووعّدهم فأقاموا على قولهم. فحفر لهم حفرا دخن عليهم فيها طمعا فى رجوعهم، فأبوا فحرقهم وقال: ألا ترونى قد حفرت لهم حفرا:

---

(١) مروج الذهب للمسعودى الشيعى ج٢ ص٤٢٦.

(٢) الطبرى ج٦ ص٩١.

إنــى إذا رأيــت شيئــا منــكــرا أوقــدت نارى ودعـوت قنبرا

فلم يبرح عليه السلام من مكانه حتى صاروا حمما. ثم استترت هذه المقالة سنة أو نحوها، ثم ظهر عبد الله بن سبأ وكان يهوديا يتستر بالإسلام بعد وفاة أمير المؤمنين (ع) فأظهرها واتبعه قوم فسموا السبئية، وقالوا: ان عليا لم يمت»[٣].

وبمثل ذك القول قال أقدم من كتب عن الفرق من الشيعة النوبختى حيث قال:

فلما قتل علي عليه السلام افترقت التى ثبتت على إمامته وأنها فرض من الله عز وجل ورسوله عليه السلام فصاروا فرقاً ثلاثة، فرقة منهم قالت:

إن علياً لم يقتل ولم يمت ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملاء الأرض عدلا وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً وهى أول فرقة قالت فى الإسلام بالوقف بعد النبى صلى الله عليه وآله من هذه الأمة وأول من قال منها بالغلو وهذه الفرقة تسمى (السبأية) أصحاب «عبد الله بن سبأ» وكان ممن أظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم وقال إن علياً عليه السلام أمره بذلك فأخذه علي فسأله عن قوله هذا فأقر به فأمر بقتله فصاح الناس إليه: ياأمير المؤمنين! أتقتل رجلا يدعو إلى حبكم أهل البيت والى ولايتك والبراءة من أعدائك فصيره الى المدائن، وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى علياً عليه السلام وكان يقول وهو على يهوديته فى يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة، فقال فى إسلامه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله فى علي

(٣) الشيعة فى التاريخ لمحمد حسين الزين الشيعى ص٥٤ ـ٥٥، ابن ابى الحديد ج٢ ص٣٠٩ .

عليه السلام بمثل ذلك، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي عليه السلام وأظهر البرآءة من أعدائه وكاشف مخالفيه، فمن هناك قال من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية، ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذى نعاه: كذبت لو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض»[٤].

وأورد مثل هذا كل من ألمّ بتاريخ التشيع وفرقه سواء كان من الشيعة أم من السنة. كما ذكرناه فيما قبل من مؤلفى الشيعة وكتبهم.

ولقد ذكر ظهور السبئية من جديد والمجاهرة بعقائدهم الخبيثة بعد مقتل علىّ رضى الله عنه من كتب علماء السنة فى الفرق من عبد القاهر البغدادى فى كتابه الفرق بين الفرق[٥] والأشعرى فى مقالات الإسلاميين[٦] والرازى فى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين[٧] والأسفرائينى فى التبصير[٨] والشهرستانى فى الملل والنحل[٩] وابن حزم الظاهرى فى الفصل[١٠] وأبو الحسن البلطى فى التنبيه[١١] والجرجانى فى التعريفات[١٢] والمقريزى فى الخطط[١٣].

فذكر كل واحد منهم أن عبد الله بن سبأ رجع بعد شهادة علي رضى الله عنه من منفاه وأظهر عقائده فى علىّ آنذاك، فيقول

(٤) فرق الشيعة للنوبختى ص٤٣ ـ٤٤ ط. النجف.
(٥) ص٢٢٥ و٢٣٣.
(٦) ج١ ص٨٥.
(٧) ص٥٧.
(٨) ص١٠٨ ـ١٠٩.
(٩) ج٢ ص١١ الهوامش.
(١٠) ج٤ ص١٨٠.
(١١) ص٢٥ و١٤٨.
(١٢) ص٧٩.
(١٣) ج ص

الأسفرائينى :

ثم إن عليا رضى الله عنه خاف من إحراق الباقين منهم شماتة أهل الشام، وخاف اختلاف أصحابه عليه، فنفى ابن سبأ إلى سباط المدائن، فلما قتل علي رضى الله عنه زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليا»(١٤).

وكذلك قال الشهرستانى :

إنما أظهر عبد الله بن سبأ بعد انتقال علي عليه السلام واجتمعت عليه جماعته»(١٥).

فحاربه الحسن رضى الله عنه وحارب أفكاره وعقائده دأب أبيه كما ذكر ابن أبى الحديد الشيعى :

ثم ظهر عبد الله بن سبأ وكان يهوديا يتستر بالإسلام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام فأظهرها، واتبعه قوم فسموا السبئية، وقالوا: إن عليا عليه السلام لم يمت، وإنه فى السماء، والرعد صوته والبرق ضوئه؛ وإذا سمعوا صوت الرعد، قالوا: السلام عليك ياأمير المؤمنين! وقالوا فى رسول الله صلى الله عليه وآله أغلظ قول، وافتروا عليه أعظم فرية، فقالوا: كتم تسعة أعشار الوحى، فنقض عليهم قولهم الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية رضى الله عنه فى رسالته، التى يذكر فيها الإرجاء، رواها عنه سليمان بن أبى شيخ، عن الهيثم بن معاوية، عن عبد العزيز بن أبان، عن عبد الواحد بن أيمن المكي، قال: شهدت الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية يملى هذه الرسالة، فذكرها وقال فيها: ومن قول هذه السبئية: هدينا لوحى ضل عنه الناس، وعلم خفى عنهم؛ وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كتم تسعة أشعار الوحى؛ ولو كتم

(١٤) الفرق بين الفرق ص٢٣٣ .
(١٥) الفصل ج٢ ص١١ الهوامش .

صلى الله عليه وآله شيئاً مما أنزل الله عليه لكتم شأن امرأة زيد، وقوله تعالى: ﴿تبتغى مرضات أزواجك﴾[١٦].

ولكن لم يكن محاربته إياهم مثل محاربة أبيه، فبدأ السبئية يزرعون بذور الفتنة والفساد ويبثون سموم الخلاف والشقاق والفرقة بكل حرية وانطلاقة، وخاصة بعد أن تخاذل الشيعة عن الحسن وبعد تفرقهم عنه ودخول بعضهم فى السبئية وميول بعضهم إلى معاوية والتحاق البعض الآخرين بالخوارج وغيرهم، ولقد صوّر هذه الأحوال شيخ الشيعة المفيد والأربلى الشيعى والمجلسى فى كتبهم وهم يذكرون تحرك معاوية الى العراق:

«وسار معاوية نحو العراق ليغلب عليه فلما بلغ جسر منبج تحرك الحسن عليه السلام وبعث حجر بن عدى يأمر العمال بالمسير واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه ثم خفوا ومعه أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه، وبعضهم محكمة يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع فى الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين، فسار حتى أتى حمام عمر ثم أخذ إلى دير كعب فنزل ساباط دون القنطرة وبات هناك فلما أصبح أراد (ع) أن يمتحن أصحابه ويستبرىء أحوالهم فى الطاعة له ليتميز بذلك أولياءه من أعدائه ويكون على بصيرة من لقاء معاوية وأهل الشام فأمر بهم أن ينادى بالصلاة جامعة فاجتمعوا فصعد المنبر فخطبهم فقال:

الحمد لله كلما حمده حامد واشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق وائتمنه على الوحى

---

(١٦) شرح النهج لابن ابى الحديد ج٨ ص١٢٠ ط. دار احياء الكتب.

صلى الله عليه وآله.

أما بعد: فوالله إنى لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة ولا مريداً له بسوء ولا غائلة، ألا وإن ما تكرهون فى الجماعة خير لكم مما تحبون فى الفرقة، ألا وإنى ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمىّ ولا تردوا علي رأيى غفر الله لي ولكم وأرشدنى وإياكم لما فيه المحبة والرضا. قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنه والله يريد أن يصالح معاوية ويسلم الأمر إليه، فقالوا: كفر والله الرجل، ثم شدوا على فسطاطه وانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدى فنزع مطرفه عن عانقه، فبقى جالساً متقلداً السيف بغير رداء، ثم دعا بفرسه فركبه واحدق به طوائف من خاصته وشيعته ومنعوا منه من أراده فقال: ادعوا إلي ربيعة وهمدان فدعوا فاطافوا به ودفعوا الناس عنه عليه السلام وسار ومعه شوب من غيرهم، فلما مر فى مظلم ساباط بدر إليه رجل من بنى اسد يقال له الجراح بن سنان فاخذ بلجام بغلته وبيده مغول وقال الله أكبر أشركت ياحسن! كما أشرك أبوك من قبل، ثم طعنه فى فخذه فشقه حتى بلغ العظم ثم اعتنقه الحسن عليه السلام وخرا جميعا إلى الأرض، فوثب إليه رجل من شيعة الحسن (ع) يقال له عبد الله بن خطل الطائى فانتزع المغول من يده وخضخض به جوفه فاكب عليه آخر يقال له ظبيان بن عمارة فقطع أنفه فهلك من ذلك، وأخذ آخر كان معه فقتل، وحمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن فأنزل به على سعد بن مسعود الثقفى وكان عامل أمير المؤمنين عليه السلام بها فاقره الحسن عليه السلام على ذلك، واشتغل الحسن عليه السلام

بنفسه يعالج جرحه ، وكتب جماعة من رؤ ساء القبائل إلى معاوية بالسمع والطاعة له فى السر واستحثوه على المسير نحوهم وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوهم من عسكره أو الفتك به وبلغ الحسن عليه السلام ذلك وورد عليه كتاب قيس بن سعد رضى الله عنه وكان قد انقذه مع عبيد الله بن العباس عند مسيره من الكوفة ليلقى معاوية ويرده عن العراق وجعله أميراً على الجماعة ، وقال : إن أصبت فالأمير قيس بن سعد ، فوصل كتاب قيس بن سعد يخبره انهم نازلوا معاوية بقرية يقال لها الحبوبية بازاء مسكن وإن معاوية أرسل إلى عبيد الله إبن العباس يرغبه فى المسير اليه وضمن له ألف ألف درهم يعجل له منها النصف ويعطيه النصف الآخر عند دخوله إلى الكوفة ، فانسل عبيد الله فى الليل إلى معسكر معاوية فى خاصته ، وأصبح الناس قد فقدوا أميرهم ، فصلى بهم قيس بن سعد رضى الله عنه ونظر فى أمورهم فازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلان القوم له وفساد نيات المحكمة فيه بما اظهروه له من السب والتكفير له واستحلال دمه ونهب أمواله ، ولم يبق معه من يأمن غوائله إلا خاصته من شيعة أبيه وشيعته ، وهم جماعة لا تقوم لإجناد الشام ، فكتب إلى معاوية فى الهدنة والصلح ، وأنفذ إليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه ، فاشترط له على نفسه فى إجابته إلى صلحه شروطاً كثيرة وعقد له عقوداً كان الوفاء بها مصالح شاملة ، فلم يثق به الحسن «ع» وعلم باحتياله بذلك واغتياله غير انه لم يجد بدا من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب وانفاذ الهدنة لما كان عليه أصحابه مما وصفناه من ضعف البصائر فى حقه والفساد عليه والخلف منهم له ، وما انطوى عليه كثير منهم فى استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه ، وما كان من خذلان ابن عمه له ومصيره إلى

عدوه وميل الجمهور منهم إلى العاجلة وزهدهم فى الآجلة . فتوثق «ع» لنفسه من معاوية بتوكيد الحجة عليه والأعذار فيما بينه وبينه عند الله تعالى وعند كافة المسلمين واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين «ع» والعدول عن القنوت عليه فى الصلاة وان يؤمن شيعته رضى الله عنهم ولا يتعرض لأحد منهم بسوء ، ويوصل إلى كل ذى حق منهم حقه فاجابه معاوية إلى ذلك كله وعاهده عليه وحلف له بالوفاء»(١٧) .

وزاد على ذلك ابن أبى الحديد الشيعى :

لما أراد الحسن أن يرتحل إلى المدائن قام فخطب الناس فقال : أيها الناس ؛ إنكم بايعتمونى على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت ، وإنى والله ما أصبحت محتملا على أحد من هذه الأمة ضغينة فى شرق ولا غرب ، ولما تكرهون فى الجماعة والألفة والأمن وصلاح ذات البين خير مما تحبون فى الفرقة ، والخوف والتباغض والعداوة ، وإن عليا أبى كان يقول : لا تكرهوا إمارة معاوية ؛ فإنكم لو فارقتموه لرأيتم الرءوس تندر عن كواهلها كالحنظل . ثم نزل .

فقال الناس : ما قال هذا القول إلا وهو خالع نفسه ومسلم الأمر لمعاوية ، فثاروا به فقطعوا كلامه ، وانتهبوا متاعه ، وانتزعوا مطرفا عليه ، وأخذوا جارية كانت معه ، واختلف الناس فصارت طائفة معه ؛ وأكثرهم عليه ، فقال : اللهم أنت المستعان ، وأمر بالرحيل ، فارتحل الناس ، وأتاه رجل بفرس ، فركبه وأطاف به بعض أصحابه ، فمنعوا الناس عنه وساروا ، فقدمه سنان بن الجراح الأسدى إلى مظلم ساباط ، فأقام به فلما دنا منه تقدم إليه يكلمه ، وطعنه فى فخذه بالمعول طعنة كادت تصل إلى

(١٧) الارشاد للمفيد ص١٨٩ -١٩١ ، جلاء العيون للمجلسى ص٩٠ وما بعد ، كشف الغمة للاربلى ج٢ ص٦٥ ط . بيروت ، ومثل ذلك فى تاريخ اليعقوبى الشيعى ص٢١٤ -٢١٥ ، مروج الذهب ص٤٣١ .

العظم، فغشى عليه وابتدره أصحابه»(١٨).

ولقد صرح المؤرخون والكتاب من الشيعة بأن الذين غصبوا الحسن وانتهبوا مضاربه وما فيها وجرحوه كانوا من ساباط المدائن، وهى المحل الذى نفى إليه عبد الله بن سبأ من قبل علي رضى الله عنه، وكانوا متأثرين بأفكاره وعقائده والساعين فى الفرقة والاختلاف، ومن بينهم كان فريسة السبئية المختار بن أبى عبيد الثقفى الذى كان له شأن فيما بعد والذى أظهر نفس العقائد التى تلقنها من عبد الله بن سبأ اليهودى الماكر الخبيث ومن السبئية الماكرة الخبيثة، ولقد ذكر المؤرخون أن الحسن بن علي رضى الله عنه دخل المدائن ونزلها وهو جريح على علم المختار:

فقال له المختار وهو شاب: هل لك فى الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: تأخذ الحسين بن علي وتقيده وتبعثه إلى معاوية، فقال له عمه: قبحك الله وقبح ما جئت به، أأغدر بابن بنت رسول الله ﷺ»(١٩).

ولما رأى الحسن ذلك ومعاملة السبئية من جانب، وتخاذل الشيعة من جانب، وإراقة الدماء من ناحية أخرى رأى الصلح خيرا، ولقد ذكر المؤرخ الشيعى اليعقوبى:

وحمل الحسن الى مدائن وقد نزف نزفا شديدا، واشتدت به العلة، فافترق الناس عنه، وقدم معاوية الى العراق، فغلب على الأمر، والحسن عليل شديد العلة، فلما رأى الحسن أن لا قوة به، وأن اصحابه قد افترقوا عنه فلم يقوموا له، صالح معاوية، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس ان الله هداكم بأولنا وحقن

(١٨) شرح النهج لابن أبى الحديد ج١٦ ص٣٦.
(١٩) الطبرى ج٦ ص٩٢، ابن الاثير ج٣ ص٢٠٣، ابن كثير ج٨ ص١٤، واللفظ له.

دماءكم بآخرنا، وقد سالمت معاوية، وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين»[٢٠].

ولم يكتف الحسن بصلحه مع معاوية وتسليمه الأمر له، بل وأكثر من ذلك بايعه على رؤس الأشهاد وبمن معه من اخوانه وقادة جيشه كما ذكر الرجالى الشيعى المشهور، الكشى عن جعفر بن الباقر أنه قال:

ان معاوية كتب الى الحسن عليه السلام أن أقدم أنت والحسين وأصحاب علي، فخرج معهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى وقدموا الى الشام فأذن لهم معاوية وأعد لهم الخطباء فقال: ياحسن قم فبايع، ثم قال للحسين عليه السلام: قم فبايع، فقام فبايع، ثم قال: ياقيس قم فبايع، فالتفت الى الحسين عليه السلام ينظر ما يأمره فقال: ياقيس انه إمامى - يعنى الحسن عليه السلام»[٢١].

وذكر مثل هذا شيعى متعصب المجلسى فى كتابه (جلاء العيون) الفارسى[٢٢] وثقة محدثى الشيعة العباس القمى فى تاريخه الفارسى الكبير منتهى الآمال[٢٣] وكذلك ابن أبى الحديد الشيعى فى كتابه شرح نهج البلاغة[٢٤].

وعندئذ افترق الشيعة بفرق أخرى:

«لما وادع الحسن معاوية وأخذ منه المال الذى بعث به إليه وصالح معاوية الحسن طعنوا فيه وخالفوه ورجعوا عن إمامته فدخلوا فى مقالة جمهور الناس وبقى سائر أصحابه على إمامته إلى أن قتل، فلما تنحى عن محاربة معاوية وانتهى الى مظلم ساباط وثب عليه رجل من هنالك يقال له الجراح بن سنان فأخذ بلجام دابته ثم قال الله أكبر اشركت كما

(٢٠) تاريخ اليعقوبى ج٢ ص٢١٥.
(٢١) رجال الكشى ص١٠٢.
(٢٢) ج١ ص٣٩٥.
(٢٣) ص٣١٦.
(٢٤) شرح النهج ج١٦ ص٣٨.

أشرك أبوك من قبل وطعنه بمعول فى أصل فخذه فقطع الفخذ الى العظم ، فاعتنقه الحسن وخرا جميعاً فاجتمع الناس على الجراح فوطئوه حتى قتلوه ثم حمل الحسن على سرير فأتى به المدائن ، فلم يزل يعالج بها فى منزل سعد بن مسعود الثقفى حتى صلحت جراحته ثم انصرف الى المدينة فلم يزل جريحاً من طعنته كاظما لغيظه متجرعا لريقه على الشجا والأذى من أهل دعوته حتى توفى عليه السلام فى آخر صفر سنة سبع وأربعين وهو ابن خمس وأربعين سنة وستة أشهر، وقال بعضهم أنه ولد سنة ثلاث من الهجرة من شهر رمضان وإمامته ست سنين وخمسة أشهر»(٢٥) .

ففرقة ثبتوا مع الحسن بعد هذا الصلح وبايعوا معاوية رضى الله عنه معه ، وأطاعوا وأخلصوا له الوفاء طيلة حياتهم من سنة إحدى وأربعين الى سنة ستين من الهجرة ، وكان على رأس هؤلاء أولاد علي رضى الله عنه وأهل بيته من الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن العباس وأبناء عقيل وجعفر وغيرهم من الهاشميين الكبار من أسرة النبى ﷺ يعتقدون نفس الاعتقادات التى كان يعتقدها المسلمون عامة من أصحاب النبى ﷺ بدون تكفير أحد وتفسيق أحد من المسلمين ، متحدين متفقين ، ناسين الخلافات التى حدثت ، ومعرضين عن الوقائع التى وقعت ، متآخين متزوجين فيما بينهم كما ذكرنا ذلك مفصلا فيما سبق ، وفرقة مالت عن الحسن والحسين وقالت بإمامة محمد بن الحنفية وعرفت بعد ذلك بالكيسانية وقويت بعدما صالح الحسن معاوية وازدادت قوتها وشوكتها وحملت نفس الأفكار التى كانت تحملها السبئية ، وتطورت فيما بعد تطورا سريعا، وتشعبت منها فرق شيعية كثيرة أخرى

(٢٥) النوبختى ص٤٦ .

كما سنذكرها فيما بعد، ولقد ذكرها النوبختى الشيعى فى الفرق التى نشأت بعد قتل علي رضى الله عنه وعدها من إحدى الثلاث التى كانت فى عهد الحسن، فانه قال:

فلما قتل علي عليه السلام افترقت التى ثبتت على إمامته. . . فصاروا فرقا ثلاثا، أولا: السبئية، وثانيا: فرقة قالت بإمامة محمد بن الحنفية لأنه كان صاحب راية أبيه يوم البصرة دون أخويه فسموا الكيسانية، وانما سموا بذلك لأن المختار بن أبى عبيد الثقفى كان رئيسهم وكان يلقب كيسان وهو الذى طلب بدم الحسين بن علي صلوات الله عليهما وثأره حتى قتل من قتلته وغيرهم من قتل وادعى أن محمد بن الحنفية أمره بذلك وأنه الإمام بعد أبيه، وإنما لقب المختار كيسان لأن صاحب شرطته المكنى بابي عمرة كان اسمه وكان أفرط فى القول والفعل والقتل من المختار جداً، وكان يقول أن محمد بن الحنفية وصي علي بن أبى طالب وأنه الإمام وأن المختار قيمه وعامله، ويكفر من تقدم علياً ويكفر أهل صفين والجمل، وكان يزعم أن جبرئيل عليه السلام يأتى بالوحى من عند الله عز وجل فيخبره ولا يراه، وروى بعضهم أنه سمي بكيسان مولى علي بن أبى طالب عليه السلام وهو الذى حمله على الطلب بدم الحسين بن على عليه السلام ودله على قتلته وكان صاحب سره ومؤامرته والغالب على أمره»(٢٦).

وبذلك صرح الشهرستانى:

ومن قالوا إن الإمامة تثبت بالنص اختلفوا بعد علي عليه السلام فمنهم من قال: إنما نص على ابنه محمد بن الحنفية وهؤلاء هم الكيسانية. . . وأما من لم يقل بالنص على محمد بن الحنفية فقال بالنص

(٢٦) فرق الشيعة للنوبختى ص٤٤-٤٥، ومثل ذلك ورد فى رجال الكشى ص١١٧.

على الحسن والحسين وقال: الإمامة فى الأخوين الحسن والحسين»[٢٧].

وبذلك القول قال القاضى النعمان[٢٨] الشيعى الفاطمى أو الاثنا عشرى على اختلاف الأقوال:

واختلفوا وكثر الكلام، فقال قوم:

انــه الامـام بعـد علي والـوصى بنـا وأسـقطـو الحسـن والحسينـا
ثم غلوا فيــه فقــالــوا: لم يمــت بل هوفى شعب برضوى قد ثبت
بين اسـود فيـه وكـلوا به يأتيــه قالـوا رزق من ربـه[٢٩]

وقد ذكر الكيسانية من السنة كل من البغدادى فى الفرق بين الفرق[٣٠] والأشعرى فى مقالات الاسلاميين[٣١] والملطى فى التنبيه[٣٢] والرازى فى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين[٣٣] والاسفرائينى فى التبصير[٣٤] وابن خلدون[٣٥] وابن حزم فى الفصل[٣٦] والمقريزى وغيرهم.

وفرقة تركت التشيع مطلقا بعد صلح الحسن مع معاوية رضى الله عنهما ولم يعدوا أنفسهم من الشيعة فيما بعد:

(٢٧) الملل والنحل ج١ ص٢٨ ـ٢٩ الهوامش.

(٢٨) هو أبو حنيفة النعمان بن أبى عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن الحيوان التميمى المغربى، عاش فى النصف الأول من القرن الرابع من الهجرة، وتوفى بالقاهرة سنة ٦٣٤هـ، وصلى عليه الإمام الفاطمى المعز لدين الله، وهو من الأعلام الثلاثة من الدعاة الفاطميين، وهو علمهم وأسبقهم وقدوتهم، عاصر أربعة من الخلفاء الفاطميين من المهدى مؤسس الدولة الفاطمية فى المغرب إلى المعز لدين الله فى مصر (مقدمة تأويل الدعائم ص١٢، ١٣).

وينسبه الشيعة الاثنا عشرية إلى طائفتهم (أنظر مستدرك الوسائل للنورى الطبرسى وغيره).

(٢٩) الارجوزة المختارة للقاضى النعمان ص٢٢٤ ـ٢٢٥ ط.

(٣٠) ص٣٨.

(٣١) ج١ ص٨٩.

(٣٢) ص٢٩ و١٤٨.

(٣٣) ص٦٢.

(٣٤) ص٣٥.

(٣٥) ص١٩٨.

(٣٦) ج٤ ص١٧٩

لما واعـد الحسن معـاوية وأخذ المال الذى بعث به إليه وصالح معاوية الحسن طعنوا فيه وخالفوه ورجعوا عن إمامته، فدخلوا فى مقولة جمهور الناس»(٣٧).

وأمـا السبئيـة فلقـد انتشرت انتشارا فظيعا فى هذا العصر، كما أقر بذلك مؤرخ شيعى بقوله:

فقـد ظهـرت هذه البدعة الضالة وسرت سريان الوباء الى نفر من أهـل العـراق ـ ثم ذكـر أسبـاب انتشارها فيهم نقلا عن ابن أبى الحديد لأنهم ـ كانوا من ركاكة البصائر وضعفها على حال مشهور فلا عجب من مثلهم أن تستخفهم المعجـزات ـ التى رأوهـا من علي (ع)، فيعتقـدوا فى صاحبها أن الجوهر الالهى قد حل فيه. وقد قيل إن جماعة من هؤلاء من نسـل النصـارى واليهـود، وقـد كانـوا سمعوا من آبائهم وسلفهم القول بالحلول فى أنبيـائهم، فاعتقـدوا فيـه عليـه السـلام مثل ذلك. ويجوز أن يكون أصل هذه المقالة من قوم ملحدين أرادوا ادخال الالحاد فى دين الاسلام»(٣٨).

الشيعة أيام الحسين رضى الله عنه

ولما توفى الحسن رضى الله عنه واجتمع الشيعة حول أخيه الحسين رضى الله عنـه حدثت حادثـة كبـيرة، ووقعت كارثـة عظيمـة، ألا وهى خروج الحسـين على يزيـد بن معـاويـة بعـد وفـاة أبيه وقتله فى كربلاء. ونقف برهة يسيرة قبل أن نذكر تفرق الشيعة بعد هذه الكارثة لسرد وبيان تخاذل الشيعة وغدرهم عن الحسين، فلقد ذكر اليعقوبى المؤرخ الشيعى

(٣٧) فرق الشيعة للنوبختى ص٤٦.
(٣٨) الشيعة فى التاريخ لمحمد حسين الزين ص١٠٥

الغـالى أن يزيـد بن معـاويـة لما تولى الخـلافـة بعد أبيه كتب الى عامله بالمدينة الوليد بن عقبة بن أبى سفيان أن يأخذ البيعة من الحسين بن علي رضى الله عنهما ولما طلب الوليد منه ذلك:

فخـرج الحسـين الى مكـة، فأقـام بها أيـاما، وكتب أهل العراق اليـه، ووجهـوا بالرسل على أثر الرسل، فكان آخر كتاب ورد عليه منهم كتاب هانىء بن أبى هانىء، وسعيد بن عبد الله الخثعمى:

بسم الله الـرحمن الـرحيم، للحسـين بن علي من شيعتـه المؤمنين والمسلمـين، أمـا بعـد فحيّ هلا، فان النـاس ينتظـرونـك، لا إمام لهم غيرك، فالعجل ثم العجل والسلام»[٣٩].

والمؤرخ الشيعى الآخر المسعودى يكتب:

ولما مات معـاويـة راسل أهل الكوفة[٤٠] الى الحسين بن علي: انا قد حبسنـا أنفسنـا على بيعتك، ونحن نموت دونك، ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة»[٤١].

---

(٣٩) تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٤١، ٢٤٢، ومثل ذلك فى الارشاد للمفيد ص ٢٠٣ * وكشف الغمة للاربلى ج ٢ ص ٣٢.

(٤٠) نعم الكوفة التى كان مركزا للشيعة ومرتعا خصبا حتى قالوا فيها:

وأما الكوفة وسوادها فهناك شيعة على بن ابى طالب. وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف.

وأمـا الجـزيـرة فحـروريـة مارقة. وأما أهل الشام فليس يعرفون الا آل أبى سفيان وطاعة بنى = = مروان. . . . وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر(عيون الأخبار للرضا- نقلا عن الشيعة فى التاريخ).

ورووا عن جعفر أنه قال:

ان الله عرض ولايتنا على أهل الامصار فلم يقبلها الا أهل الكوفة(بصائر الدرجات ج ٢ الباب العاشر).

وايضا ما ورواه الكلينى فى كافية عن عبد الله الوليد الكندى:

قال: دخلنـا على ابى عبـد الله عليـه السـلام فى زمن مروان، فقـال: من أنتم؟ فقلنـا: من أهـل الكوفة، فقال: مابلدة من البلدان أكثر محبا لنا من أهل الكوفة، ولاسيما هذه العصابة، ان الله جل ذكره هداكم لأمر جهله الناس وأحببتمونا وأبغضنا الناس واتبعتمونا وخالفنا الناس، وصدقتمونا وكذبنا الناس، فأحياكم الله محيانا وأماتكم مماتنا(الروضة من الكافى)

(٤١) مروج الذهب ج ٣ ص ٥٤.

وكتبا أخرى: فقد اخضرت الجنات، وأينعت الثمار، فاذا شئت فاقبل على جند لك مجندة»(٤٢).

ولما تواترت الرسائل وكثرت، واشتد طلب الكوفيين:

وجه إليهم مسلم بن عقيل بن أبى طالب وكتب إليهم، وأعلمهم أنه إثر كتابه، فلما قدم مسلم الكوفة اجتمعوا إليه، فبايعوه وعاهدوه وعاقدوه، وأعطوه المواثيق على النصرة والمشايعة والوفاء(٤٣).

وزاد المفيد: فبايعوه وهم يبكون، وتجاوز عددهم ثمانية عشر ألفا»(٤٤).

وبعد أيام وصل إليه من مسلم بن عقيل:

ان لك مائة ألف، ولا تتأخر»(٤٥).

فتحرك نحو الكوفة، فأتاه ابن العباس من بنى هاشم وقائد جيوش علي رضى الله عنه ومستشاره الخاص والرجل المجرب المحنك الذى كان يعرف شيعة زمانه حق المعرفة فقال له ـ كما نقل المسعودى الشيعى ـ:

ياابن عم، قد بلغنى أنك تريد العراق، وإنهم أهل غدر، وإنما يدعونك للحرب، فلا تعجل، وإن أبيت إلا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكة فاشخص الى اليمن، فانها فى عزلة، ولك فيها أنصار وإخوان، فأقم بها وبث دعاتك، واكتب الى أهل الكوفة وأنصارك بالعراق أن يخرجوا أميرهم، فان قووا على ذلك ونفوه عنها، ولم يكن بها أحد يعاديك أتيتهم، وما أنا لغدرهم بآمن، وان لم يفعلوا أقمت بمكانك إلى أن يأتى الله بأمره، فان فيها حصونا وشعوبا، فقال الحسين: يابن

(٤٢) اعلام الورى للطبرسى ص ٢٢٣ ، ١ الارشاد للمفيد ص ٢٢٠.
(٤٣) تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٤٢.
(٤٤) الارشاد ص ٢٢٠.
(٤٥) الارشاد للمفيد ص ٢٢٠.

عم ، انى لأعلم أنـك لى ناصـح وعـلي شفيق ، ولكن مسلم بن عقيـل كتب إلى باجتـماع أهـل المصـر على بيعتى ونصـرتى ، وقد أجمعت على المســير اليهم ، قال : انهم من خبرت وجــربت ، وهـم أصحـاب أبيـك وأخيـك وقتلتـك غدا مع أمـيرهم ـ ما أصدقه وما أحنك به وأخبر بهم ـ انك لو قد خرجت فبلغ ابن زياد خروجك استنفرهـم إليك ، وكان الذين كتبوا إليك أشد من عدوك ، فان عصيتنى وأبيت إلا الخروج الى الكوفة فلا تخرجن نسـاءك ولـدك معـك ، فو الله انى لخائف أن تقتـل كما قتـل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه»(٤٦) .

هذا ما قالـه عبـد الله ابن عبـاس رضى الله عنهـما، وله من المنزلة والمقام عند علي رضى الله عنه ما لايخفى على أحد حتى كتب مفيد الشيعة :

كان أمير المؤمنين يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن العباس»(٤٧) .

وهذا ما كان يحمل من الشيعة ، وكيف لا وقد قال فيهم علي رضى الله عنه نفسه : لوددت أن معاوية صارفنى بكم صرف الدينار بالدرهم ، فأخذ منى عشرة منكم وأعطانى رجلا منهم»(٤٨) .

ثم أيـد ابن عبـاس أبـو بكـر بن هشـام فى وصف الشيعـة بالغدر والخيـانـة وعـدم الخروج إليهم كما نقله الشيعى المسعودى : دخل أبوبكر بن الحارث بن هشام على الحسين فقال : يا بن عم ، إن الرحم يظائرنى عليـك ، ولا أدري كيف أنـا فى النصيحـة لك ، فقال : يا أبا بكر ما أنت ممن يستغش ولا يتهم ، فقـل ، فقـال أبـو بكـر : كان أبـوك أقدم سابقة ، وأحسن فى الاسـلام أثـراً ، وأشـد بأسـا ، والناس له أرجى ، ومنه أسمع

(٤٦) مروج الذهب ج ٣ ص ٥٥ .
(٤٧) الارشاد للمفيد ص ١٤ .
(٤٨) نهج البلاغة

وعليه أجمع، فسار الى معاوية والناس مجتمعون عليه إلا أهل الشام وهو أعز منه، فخذلوه، وتثاقلوا عنه، حرصاً على الدنيا، وضناً بها، فجرعوه الغيظ، وخالفوه حتى صار الى ما صار إليه من كرامة الله ورضوانه، ثم صنعوا بأخيك بعد أبيك ما صنعوا، وقد شهدت ذلك كله ورأيته، ثم أنت تريد أن تسير الى الذين عدوا على أبيك وأخيك تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ومن هو أعد منك وأقوى، والناس منه أخوف، وله أرجى، فلو بلغهم مسيرك إليهم لاستطغوا الناس بالأموال، وهم عبيد الدنيا، فيقاتلك من وعدك أن ينصرك، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره، فاذكر الله فى نفسك، فقال الحسين: جزاك الله خيراً يا ابن عم، فقد أجهدك رأيك، ومهما يقض الله يكن، فقال: إنا لله وعند الله نحتسب ياأبا عبد الله، ثم دخل على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومى والي مكة وهو يقول:

كم نرى ناصحاً فيعصى وظنين المغيب يلفى نصيحاً

فقال: وما ذاك؟ فأخبره بما قال للحسين، فقال: نصحت له ورب الكعبة»[٤٩].

ثم وننقل القصة بكاملها من الشيعة أنفسهم كى يعرف ويدرك خيانة القوم وجبنهم. فيذكر المسعودى:

واتصل خبر مجىء مسلم الكوفة بيزيد فكتب الى عبيد الله بن زياد بتولية الكوفة؛ فخرج من البصرة مسرعاً حتى قدم الكوفة على الظهر، فدخلها فى أهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تلثم بها، وهو راكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل بن زياد يسلم على الناس فيقولون؛ وعليك السلام يا ابن رسول الله! قدمت خير مقدم،

(٤٩) مروج الذهب ج ٣ ص ٥٦.

حتى انتهى الى القصر وفيه النعمان بن بشير، فتحصن فيه، ثم اشرف عليه، فقال: يا ابن رسول الله ما لي وما لك؟ وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان؟ فقال ابن زياد: لقد طال نومك يا نعيم، وحسر اللثام عن فيه، فعرفه، ففتح له، وتنادى الناس: ابن مرجانة، وحصبوه بالحصباء، ففاتهم ودخل القصر، ولما اتصل خبر ابن زياد بمسلم تحول الى هانيء بن عروة المرادي، ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه، فوجه محمد بن الأشعث ابن قيس الى هانىء، فجاءه فسأله عن مسلم، فأنكره فأغلظ له ابن زياد القول، فقال هانىء: إن لزياد أبيك عندى بلاء حسناً، وأنا احب مكافأته به، فهل لك فى خير؟ قال ابن زياد: وما هو؟ قال تشخص الى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم، فإنه قد جاء حق من هو أحق من حقك وحق صاحبك، فقال ابن زياد: أدنوه مني، فأدنوه منه، فضرب وجهه بقضيب كان فى يده حتى كسر انفه وشق حاجبه، ونثر لحم وجنته، وكسر القضيب على وجهه ورأسه، وضرب هانىء بيده الى قائم سيف شرطي من تلك الشرط، فجاذبه الرجل، ومنعه السيف، وصاح أصحاب هانىء بالباب: قتل صاحبنا، فخافهم ابن زياد، وأمر بحبسه فى بيت الى جانب مجلسه، وأخرج اليهم ابن زياد شريحاً القاضى، فشهد عندهم أنه حى لم يقتل، فانصرفوا، ولما بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهانىء، أمر منادياً فنادى «يامنصور» وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها، فاجتمع اليه فى وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل، فسار الى ابن زياد، فتحصن منه، فحصروه في القصر فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل، فلما نظر الى الناس يتفرقون عنه سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلا ومعه منهم ثلاثة، ثم خرج من الباب فاذا ليس معه منهم أحد، فبقى

حائـراً لا يدرى أين يذهب، ولا يجد أحـداً يدلـه على الطريق فنزل عن فرسه ومشى متلدداً فى أزقة الكوفة لا يدرى أين يتوجه، حتى انتهى الى باب مولاة للأشعث بن قيس، فاستسقـاهـا ماء فسقتـه، ثم سألتـه عن حاله، فأعلمها بقضيته، فرقت له وآوته، وجاء ابنها فعلم بموضعه، فلما أصبـح غدا الى محمـد بن الاشعث فأعلمـه، فمضى ابن الاشعث الى ابن زياد فأعلمه»[٥٠].

فقتله وقتل هانىء بن عروة وهو يصيح:

يآل مراد، وهو شيخها وزعيمها، وهو يومئذ يركب فى أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، واذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان فى ثلاثين ألف دارع، فلم يجد زعيمهم منهم أحدا فشلا وخذلانا»[٥١].

فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحر بن يزيد التميمى فقال له: أين تريد يا ابن رسول الله؟ قال: أريد هذا المصر، فعرفه بقتل مسلم وما كان من خبره، ثم قال: ارجـع، فانى لم أدع خلفى خيرا ارجـوه لك، فهم بالـرجـوع فقال له أخوة مسلم: والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل كلنا، فقال الحسين: لا خير فى الحياة بعدكم»[٥٢].

ثم قال للناس:

أمـا بعـد فانـه قد أتـانـا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة وعبـد الله بن يقطـر وقـد خذلنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصـرف فى غير حرج ليس معـه ذمـام فتفرق الناس عنه وأخذوا يميناً وشـمالا حتى بقى فى أصحـابه الذين جاءوا معه من المدينة ونفر يسير ممن انضمـوا إليـه وإنما فعل ذلك لأنه (ع) علم أن الأعراب الذين اتبعوه إنما

(٥٠) مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٥٧، ٥٨.
(٥١) مروج الذهب ص ٥٩.
(٥٢) ايضا ص ٦٠، ٦١.

اتبعـوه وهـم يظنـون انـه يأتى بلداً قد استقـامت له طاعة أهله ، فكره ان يسـير وا معـه إلا وهم يعلمـون على ما يقـدمـون ، فلما كان السحـر أمر أصحـابـه فاستقوا ماء واكثروا ثم ساروا حتى مر ببطن العقبة فنزل عليها فلقيه شيخ من بنى عكرمة يقال له عمرو بن لوذان فسأله أين يريد فقال له الحسين (ع) الكوفة فقال الشيخ انشدك لما انصرفت فو الله ما تقدم إلا على الأسنـة وحـد السيـوف وان هؤلاء الـذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنـة القتـال ووطئوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً فأما على هذه الحالة التى تذكر فانى لا أرى لك ان تفعل فقال له يا عبد الله ليس يخفى على الرأى وان الله تعالى لا يغلب على أمره»[٥٣] .

ثم ارتحـل الى الكـوفـة فلقى فى الطـريق واحـدا من أهل الكوفة وأخبره عن غدرهم وتخاذلهم وجبنهم قائلا :

ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف أن يكونوا عليك»[٥٤] .

ولما عارضه ورفاقه جيش الكوفة ورأى منهم عكس ما كتبوا وقالت رسلهم ، وتنكروا ما كتبوا اليه قال لبعض أصحابه :

اخـرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم الي ، » فأخرج خرجين مملوئين كتبا فنشرت بين يديه»[٥٥] .

فأنكروا عليه هذه الكتب والرسائل ، ثم سار حتى وصل كربلا :

فلما كثـرت العسـاكـر على الحسـين أيقن أنـه لا محيص له فقال :

اللهم احكم بيننـا وبـين قوم دعـونـا لينصـرونا ثم هم يقتلوننا ، فلم يزل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه . . . وكان جميع من حضر مقتل الحسين

---

(٥٣) الارشـاد للمفيـد ص ٢٢٣ ، اعـلام الـورى للطـبرسى ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، جلاء العيـون للمجلسى ج ٢ ص ٥٤٠ .

(٥٤) الارشاد ص٢٢٢ .

(٥٥) اعلام الورى ص٢٣٢ ، الارشاد ص٢٢٥ ، جلاء العيون ص٥٤١ ـ ٥٤٢ .

من العساكر وحاربه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة، فلم يحضرهم شامى »[٥٦].

ثم يذكر اليعقوبى الشيعى المتحمس ـ كما يسميه ولهوزن ـ «ان أهل الكوفة لما قتلوه، ، انتهبوا مضاربه وابتزوا حرمه، وحملوهن الى الكوفة، فلما دخلن إليها خرجت نساء الكوفة يصرخن ويبكين، فقال على بن الحسين: هؤلاء يبكين علينا فمن قتلنا؟ . »[٥٧].

وهنا نريد أن نثبت ما ذكره ولهوزن المستشرق الالمانى المتعاطف على الشيعة:

ولم يكن جمهور أهل الكوفة حريصاً على مساعدة الحكومة، ولكنه مع ذلك لم ينضم إلى صف أعدائها. وحتى أولئك الذين بعثوا بالكتب إلى الحسين وأقسموا على الاخلاص له تخلوا عنه فى المحنة ولم يقدموا له يد المعونة، وقصارى ما فعلوه أنهم راقبوا المعركة من بعيد ومصرعه الأخير ثم بكوا. وقليلون جداً هم أولئك الذين تجاسروا على اللحاق به ومشاركته فى مصيره، مثل أبى ثمامة الصائدى خازن بيت المال، وابن عوسجة. وعدا هذا فإن بعض الذين شاركوه فى مصرعه إما أنهم كانوا من أولئك الذين التقطهم عرضاً فى الطريق أومن أولئك الذين دفعتهم الحمية الانسانية فى اللحظة الأخيرة إلى الانضمام إليه وإن لم يكن لهم من قبل شأن به أو لم يكونوا من شيعته. وقد أبرز المؤ رخون هذا التعارض بين المكلفين، الذين لم يعملوا شيئاً، وبين غير المكلفين الذين أخجلوا الأولين، أبرزوه وعرضوه أحيانا عرضاً دراميًا. ومما هو جدير بالاعتبار أن الأنصار أيضاً، لا القرشيون وحدهم، قد تخلوا عن الحسين، فلم يخرج من المدينة واحد منهم معه ولم يكن منهم بين شيعة الكوفة إلا أفراد قلائل

(٥٦) مروج الذهب ج٣ ص ٦١ .
(٥٧) تاريخ اليعقوبى ج١ ص٢٣٥ .

جداً. والثورة التى قامت فى المدينة سنة ٦٣هـ لم تكن من أجل آل علي، كما أن علي بن الحسين نفض يديه منها.

وفى مقابل الجبناء وغير المخلصين كان أعداء الشيعة الصرحاء وهم أتباع حكومة بنى أمية وموظفوها. ولم يكن الجدال يدور حول أمور دينية إيمانية»(٥٨).

وعلى ذلك قال البغدادى:

روافض الكوفة موصوفون بالغدر، والبخل، وقد سار المثل بهم فيهما، حتى قيل: أبخل من كوفى، وأغدر من كوفى، والمشهور من غدرهم ثلاثة أشياء:

أحدهما: أنهم بعد قتل علي رضى الله عنه بايعوا ابنه الحسن، فلما توجه لقتال معاوية غدروا به فى ساباط المدائن، فطعنه سنان الجعفى فى جنبه فصرعه عن فرسه، وكان ذلك أحد أسباب مصالحته معاوية.

والثانى: أنهم كاتبوا الحسين بن علي رضى الله عنه، ودعوه الى الكوفة لينصروه على يزيد بن معاوية فاغتر بهم، وخرج إليهم، فلما بلغ كربلاء غدروا به، وصاروا مع عبيد الله بن زياد يدا واحدة عليه، حتى قتل الحسين وأكثر عشيرته بكربلاء.

والثالث: غدرهم بزيد بن علي بن الحسين بن أبى طالب بعد أن خرجوا معه على يوسف بن عمر، ثم نكثوا بيعته وأسلموا عند اشتداد القتال حتى قتل وكان من أمره ما كان»(٥٩).

فهؤلاء كانوا الشيعة، شيعة علي والحسن والحسين، وهذه هى كانت معاملتهم لأئمتهم وقادتهم.

(٥٨) الخوارج والشيعة ص١٣٤.
(٥٩) الفرق بين الفرق ص٣٧.

ولقد فصلنا فى ذلك القول لأنه بعد هذه الحادثة حصل فى التشيع تطور كبير، وبدأ يتجه الى اتجاه دينى ويصبغ بصبغة مذهبية بعد أن كان سياسيا بحتا، يرى رأى علي وأولاده مقابل معاوية وبنى أمية. وبذلك صرح ولهوزن بكل وضوح حيث يذكر مقتل الحسين وبعده قيام المختار باسم الثأر، فيقول:

كان التشيع فى الكوفة آنذاك قد لبس ثوباً جديداً. وقد عرفنا من قبل المعنى الذى كان يدل عليه فى الأصل. لقد كان تعبيراً عن الاتجاه السياسى العام لمعارضة العراق لسلطان الشام. وفى بادىء الأمر كان الأشراف صفاً واحداً مع سائر الناس ويتولون قيادتهم. ولكن حينما أحدق الخطر تراجعوا واستلانوا لاغراء الحكومة (حكومة الأمويين فى الشام) ثم استخدموا للقضاء على الثورات الشيعية. وبهذا انفصلوا عن الشيعة، فتحدد نطاق التشيع واتخذ شيئاً فشيئاً صورة فرقة دينية فى تعارض مع الأرستقراطية ونظام العشائر، وأصبح بفضل استشهاد زعمائه وأوليائه ذا طابع مثالي خيالي. وكان أنصار سليمان بن صرد يرمون إلى الثورة على أرستقراطية العشائر فى الكوفة. ولكن المختار كان أول من نفذ هذا الغرض وحققه عملياً. وإلى هذه الحركة اجتذب الموالي أيضاً. وهؤلاء كان اجتذابهم سهلاً لأنهم كانوا ذوى نزعة واضحة إلى الحكم الدينى، لا القومى الشعوبى، وإن كان العرب هم الذين كانوا يتولونه حتى ذلك الحين، كما كانوا - أعنى الموالي - يكرهون المتعصبين لسيادة العرب.

فلما ارتبطت الشيعة بالعناصر المضطهدة تخلت عن تربية القومية العربية وكانت حلقة الارتباط هى الاسلام. ولكنه لم يكن ذلك الاسلام القديم، بل نوعا جديدا من الدين»[٦٠].

(٦٠) الخوارج والشيعة ص١٦٧ -١٦٨.

وبدأ التشيع يحمل الأفكار الأجنبية المدسوسة ، كما بدأ يحصل فيه التفرق الكثير ، «وصار مأوى وملجأ لكل من أراد هدم الاسلام لعداوة أو حقد ، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزردشتية وهندية ، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته ، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم ، فاليهودية ظهرت فى التشيع بالقول بالرجعة ، وقال الشيعة : ان النار محرمة على كل شيعى الا قليلا ، كما قال اليهود : لن تمسنا النار الا اياما معدودات ، والنصرانية ظهرت فى التشيع فى قول بعضهم : ان نسبة الامام الى الله كنسبة المسيح اليه ، وقالوا : ان اللاهوت اتحد بالناسوت فى الامام ، وان النبوة والرسالة لا تنقطع أبدا ، فمن اتحد به اللاهوت فهو نبى ، وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول ، ونحو ذلك من الأقوال التى كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس من قبل الإسلام ، وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأموية ، وما فى نفوسهم الا الكره للعرب ودولتهم ، والسعى لاستقلالهم»(٦١) .

كما نقل عن المقريزى أنه قال :

إن الفرس كانوا ذوى سعة وعلو يد على جميع الامم وجلالة الخطر فى أنفسها بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الاحرار والأسياد ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب ، وكان العرب عند الفرس أقل الامم خطرا ، تعاظمهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الاسلام بالمحاربة فى أوقات شتى ، وفى كل ذلك يظهر الله الحق . . . فرأوا أن كيده على

(٦١) فجر الإسلام لاحمد امين ص٢٧٦ ـ٢٧٧

الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهــل البيت واستبشــاع ظلم علي ، ثم سلكـوا بهم مســالـك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى»(٦٢) .

ونـرجـع الآن الى تفـرقهم واختلافهم بعد ذكرنا إياهم وخذلانهم منــاصـرة زعمائهم ومن كانوا يدعون حبهم وموالاتهم ، فبعد قتل الحسين رضى الله عنه افترقت الشيعة ثلاث فرق كما يذكر النوبختى :

الكيســـانية

فلما قتـل الحسـين حارت فرقـة من أصحـابـه وقالت : قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين لأنه إن كان الذى فعله الحسن حقاً واجباً صوابا من موادعته معاوية وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربته مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلة أنصـار الحسـين وضعفهم . وكثـرة أصحاب يزيد لعنة الله عليه حتى قتـل وقتـل أصحـابـه جميعـاً باطـل غير واجب لأن الحسين كان أعذر فى القعود عن محاربة يزيد وطلب الصلح والموادعة من الحسن فى القعود عن محاربـة معـاويـة . وإن كان ما فعله الحسين حقاً واجباً صواباً من مجاهدته يزيد بن معاوية حتى قتل وقتل ولده وأصحابه فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية وقتاله ومعه الكثير باطل فشكوا لذلك فى إمامتهما ورجعوا فدخلوا فى مقـالـة العـوام وبقى سائر أصحاب الحسين على القول الأول بإمامته حتى مضى .

ثم افـترقـوا بعـده ثلاث فرق : (ففـرقـة) قالت بإمـامـة محمد بن الحنفيـة وزعمت انـه لم يبق بعـد الحسن والحسـين أحـد أقـرب إلى أمير المـؤمنـين عليـه السلام من محمد بن الحنفية فهو أولى الناس بالامامة كما

(٦٢) الخطط للمقريزى ـ نقلا عن فجر الإسلام ص٧٧ .

كان الحسين أولى بها بعد الحسن من ولد الحسن فمحمد هو الامام بعد الحسين.

(وفرقة) قالت إن محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى هو الإمام المهدى وهو وصي علي بن أبي طالب عليه السلام ليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه ولا يخرج عن إمامته ولا يشهر سيفه إلا بإذنه وانما خرج الحسن بن علي إلى معاوية محاربا له بإذن محمد ووادعه وصالحه بإذنه وإن الحسين انما خرج لقتال يزيد بإذنه ولو خرجا بغير إذنه هلكا وضلا وإن من خالف محمد بن الحنفية كافر مشرك وأن محمداً استعمل المختار بن أبي عبيد على العراقين بعد قتل الحسين وأمره بالطلب بدم الحسين وثأره وقتل قاتليه وطلبهم حيث كانوا وسماه كيسان لكيسه ولما عرف من قيامه ومذهبه فيهم فهم يسمون (المختارية) ويدعون: الكيسانية»(٦٣).

ولقد ذكرنا قبل ذلك أن الكيسانية وجدت بعد قتل علي رضى الله عنه ولكن غلب هذا الاسم على المختارية، ومن الكيسانية تفرعت فروع كثيرة، وتفرقت فرق متعددة مثل الكرابية والحربية والرزارمية والبيانية والراوندية وأبو المسلمية والهاشمية والحارثية وغيرها الكثيرة الكثيرة(٦٤).

ويجمع هذه الفرق كلها القول بإمامة محمد بن الحنفية والاعتقاد بالعقائد التى زرع بذورها السبئية وعبد الله بن سبأ، الغيبة والرجعة والتناسخ وغيرها، وفى ذلك قال شاعرهم:

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء

(٦٣) فرق الشيعة للنوبختى ص٤٧ ـ٤٨.

(٦٤) انظر لمعرفة ذلك فرق الشيعة للنوبختى ص٤٨ وما بعد ومقالات الإسلاميين ص٨٩ والفرق الفرق ص٣٨ وما بعد، والحور العين ص١٥٧ ومابعد، والملل والنحل للشهرستانى ج١ ص والتبصير للاسفرائينى، مقدمة ابن خلدون ص١٩٩ وما بعد ط. مصر.

فسبط سبط إيمان وبر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء[٦٥]

وقد أجاب على هذه الأبيات البغدادى فى كتابه (الفرق بين الفرق)[٦٦].

وقال أحد الكيسانين أيضا :

ألا حي المقيم بشعب رضوى وأهد له بمنزله السلاما
أضر بمعشر والوك منا وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طرا مقامك عنهم سبعين عاما
لقد أمسى بجانب شعب رضوى تراجعه الملائكة الكلاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت ولا وارت له أرض عظاما
وان له به لمقيل صدق وأندية تحدثه كراما[٦٧]

وأجابه البغدادى أيضا بقوله :

لقد أفنيت عمرك بانتظار لمن وارى التراب له عظاما
فليس بشعب رضوى من إمام تراجعه الملائكة الكلاما
ولا من عنده عسل وماء وأشربة يعل بها الطعاما
وقد ذاق ابن خولة طعم موت كما قد ذاق والده الحماما
ولو خلد امرؤ لعلو مجد لعاش المصطفى أبدا وداما[٦٨]

والجدير بالذكر أن من الكيسانية انتقلت الإمامة إلى بنى العباس لأن بعض فرقها اعتقدت انتقال الامامة من أبى هاشم بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن على بن العباس، ومنه الى ابنه ابراهيم، ومن

(٦٥) الفرق بين الفرق ص٤١ .
(٦٦) انظر ص٤٢ .
(٦٧) فرق الشيعة ص٥١ .
(٦٨) الفرق بين الفرق ص٤٣ .

ابـــراهيم الى أبى العبـاس، ومن أبى العبـاس الى أبى جعفـر المنصـور المؤسس للدولة العباسية(٦٩).

ومن بين هذه الفـرق كلهـا اشتهـرت فرقـة المختـار بن أبى عبيـد الثقفى لما كان له من صولة وجولة باسم القصاص بدم الحسين رضى الله عنـه، وقـد ذكـر المختـار هذا، الكشى فى (رجـاله) عن محمد بن مسعود قال: حدثنى ابن أبى علي الخــزاعي قال: [حــدثنى] خالــد بن يزيـد العمرى عن الحسن بن زيد عن عمر بن علي: أن المختار أرسل إلى علي بن الحسـين «ع» بعشـرين ألف دينـار فقبلهـا وبنى بها دار عقيل بن أبى طالب ودارهم التى هدمت. قال: ثم انـه بعث إليـه بأربعـين ألف دينار بعـدمـا أظهر الكلام الذى اظهره فردها ولم يقبلها، والمختار هو الذى دعا النـاس إلى محمـد بن علي بن أبى طالب ابن الحنفيـة وسمـو الكيسانية، وهم المختارية، وكان لقبه كيسان ولقب بكيسان لصاحب شرطته المكنى أبـا عمـرة وكان اسمه كيسان. وقيل انه سمى كيسان بكيسان مولى علي بن أبى طالب «ع» وهـو الـذى حمله على الطلب بدم الحسـين ودله على قتلتـه، وكـان صاحب سره والغـالب على أمره، وكان لا يبلغه عن رجل من أعداء الحسين «ع» أنه فى دار أو موضع الا قصده وهدم الدار بأسرها وقتل كل من فيها من ذى روح، وكل دار بالكوفة خراب فهى مما هدمها، وأهل الكوفة يضربون به المثل فاذا افتقر انسان قالوا «دخل أبو عمرة بيته» حتى قال فيه الشاعر:

ابــليس بما فيــه خير من أبــى عمــرة
يغــويــك ويطــغــيــك ولا يعطــيــك كســرة(٧٠)

كما ذكره النوبختى الذى نقلنا عنه آنفا:

---

(٦٩) انظر فرق الشيعة ص٦٩، مقدمة ابن خلدون ص١٩٩

(٧٠) رجال الكشى ص١١٧.

ولقد ذكره ولهوزن أيضا بالتفصيل ، ولعل الحديث عنه أطول حديث فى كتابه نقطع منه هذا الجزء لتصوير الرجل وتحليله الذى حلل به شخصيته :

كان المختار ينعت بأنه سحار (الطبري جـ ٢ ص ٧٣٠ س ١٣) ، وأنه «الدجال» (الطبري ص ٦٨٦ س ٧) ، ويوصف عادة بـ«الكذاب» . وهذا الوصف لا لأنه زعم أنه مكلف من قبل ابن الحنفية ، بل لأنه تبدى على أنه نبي . حقاً إنه لم يسم نفسه بهذا الاسم ، ولكنه أتى أفعالاً من شأنها أن تعطى عنه هذه الفكرة ، فكرة أنه نبي . وكان يتكلم وكأنه جالس فى الحضرة الإلهية ، يعلم الغيب ، ويسجع سجع الكهان بطلاقة ومهارة . ويريد أن يفرض شخصيته على الناس ، وأفلح فى هذا أيضاً وإن كان نجاحه لدى الخاصة والعقلاء أقل منه لدى العامة والدهماء . وطالما حالفه النصر اتسعت دوائر المؤمنين به . فلما منى بالهزيمة أدبرت عنه الدنيا . وراحت الروايات تطلق سهامها على ذكراه بعد مقتله . فى البدء كانت تذمه دون أن تشوه صورته . ولكنها راحت بعد ذلك فى مرحلة متأخرة تنعته بنعوت أملاها الحقد . وهذه النعوت نفسها هى التى تسود الصورة التى كونتها عنه الأجيال التالية . ودوزي لا يستخدم غيرها لرسم الصورة التى عملها للمختار فى كتابه «مقالة فى تاريخ الاسلام» : فيقول عنه إنه هو الذى أمر بإطلاق الحمام البيض ، وأنه كان خارجياً ثم زبيرياً ثم شيعياً ، وأنه ابتدع القول بالبداء فى الله كيما يبرر تقلبه هو من مذهب الى مذهب . ولكن لا يحق للمرء أن يجعله معرضاً للسخرية من أجل أن يفهمه على حقيقته . ولحسن الحظ كان لنشر «تاريخ» الطبرى الفضل فى وضع حد لهذا النحو من تصوير الرجل .

فإن كان لابد من الإجابة عن السؤال: هل كان المختار نبياً صادقاً أومتنبئاً كاذباً؟ ـ فلا مناص من تعديله إلى هذه الصيغة: أكان المختار مخلصاً أم غير مخلص؟ قد يأخذ عليه المرء أنه استعان بالتنبؤ للوصول إلى الحكم. ولكن هذا المأخذ عينه قد يؤخذ على محمد، وعلى المرء أن يلاحظ أن الإسلام دين سياسى وأن أى نبي مسلم لابد أن يسعى إلى الحكم. ولكن ما هو أشد من ذلك المأخذ خطراً وأكبر وزناً هو أنه تستر وراء شبح وناطور خيالى (هو محمد بن الحنفية) لم يعرف عن أمره شيئاً ولم يشأ أيضاً أن يعلم عن أمره شيئاً. فلم يكن ضميره نقياً من هذه الناحية، ولكن الظروف فى ذلك الحين لم تسمح له ـ بوصفه مسلماً وشيعياً ـ أن يظهر باسمه هو الخاص، بل كان عليه أن يخلق لنفسه مركز «أمين» للمهدى المستتر . . . وإن المختار اتخذ نقطة ابتدائه من بدعة غريبة غامضة اختلط بها المختار وهى «السبئية». والسبئية كانت قد اتخذت اتجاهاً أنشأ يسيطر على طبقات واسعة بحيث اضطرت الشيعة بوجه عام إلى اتخاذ موقف أشد حدة بإزاء الإسلام السني وازداد إبراز الخلافات بين الشيعة والسنة. والسبئية يسمون أيضاً «الكيسانية» وكان كيسان زعيماً للموالى، فإن كان فى نفس الوقت زعيماً للسبئية، فيستنتج من هذا أن السبئية والموالى كانوا شيئاً واحداً تقريباً (ص ٦٢٣ س ١٤، ص ٦٥١ س ٢). واعتماداً على هذا الاستنتاج مضى البعض فزعم أن التشيع كمذهب دينى إيرانى الأصل، لأن غالبية موالى الكوفة كانوا إيرانيين. قال دوزى (فى كتابه المذكور آنفاً، ص ٢٢٠ وما يليها): «كانت الشيعة فى حقيقتها فرقة فارسية، وفيها يظهر أجلى ما يظهر ذلك الفارق بين الجنس العربى، الذى يحب الحرية، وبين الجنس الفارسى الذى اعتاد الخضوع كالعبيد. لقد كان مبدأ انتخاب خليفة للنبي أمراً

غير معهود ولا مفهوم ، لأنهم لم يعرفوا غير مبدأ الوراثة فى الحكم ، لهذا اعتقدوا أنه ما دام محمد لم يترك ولداً يرثه ، فإن علياً هو الذى كان يجب أن يخلفه وأن الخلافة يجب أن تكون وراثية فى آل علي . ومن هنا فإن جميع الخلفاء ـ ما عدا علياً ـ كانوا فى نظرهم مغتصبين للحكم لا تجب لهم طاعة . وقوي هذا الاعتقاد عندهم كراهيتهم للحكومة وللسيطرة العربية ، فكانوا فى الوقت نفسه يلقون بأنظارهم النهمة إلى ثروات سادتهم . وهم قد اعتادوا أيضا أن يروا فى ملوكهم أحفاداً منحدرين من أصلاب الآلهة الدنيا ، فنقلوا هذا التوقير الوثني إلى علي وذريته . فالطاعة المطلقة «للإمام» الذي من نسل علي ـ كانت فى نظرهم الواجب الأعلى ، حتى إذا ما أدى المرء هذا الواجب ، استطاع بعد ذلك بغير لائمة ضمير أن يفسر سائر الواجبات والتكاليف تفسيراً رمزياً وأن يتجاوزها ويتعداها . لقد كان «الأمام» عندهم هو كل شىء ، إنه الله قد صار بشراً . فالخضوع الأعمى المقرون بانتهاك الحرمات ـ ذلك هو الأساس فى مذهبهم» وعلى نحو مشابه يتحدث أ . ملر فى كتابه المذكور سابقاً جـ ١ ص ٣٢٧ ، ويضيف إلى هذا أن الفرس كانوا ـ تحت تأثير الأفكار الهندية قبل الإسلام بعهد طويل ـ يميلون إلى القول بأن الشاهنشاه هو تجسد لروح الله التى تنتقل فى أصلاب الملوك من الآباء إلى الأبناء .

أما أن آراء الشيعة كانت تلائم الإيرانيين ـ فهذا أمر لا سبيل إلى الشك فيه ، أما كون هذه الآراء قد انبعثت من الإيرانيين ، فليست تلك الملاءمة دليلاً عليه»(٧١) .

وأما عقائدهم الباقية فإنها لمبسوطة موجودة فى كتب الفرق ، ولقد ذكرنا ما فيها الكفاية وتفى بالمطلوب . ولقد طولنا الكلام فى هذه الفئة من

(٧١) الخوارج والشيعة ص ١٦٥ الى ١٦٩ .

الشيعة وهذا الرجل لأنه هو وطائفته هم تركة السبئية الحقيقية، ومنهم أخذ بالأفكار وتمسك بالآراء من جاء من الشيعة بعدهم، وعندئذ بدأ التشيع الأصلي يذوب، والشيعة الأولى ينقرضون إلا القليل القليل. وعلى رأسهم أولاد علي وبنو هاشم، وبدأت أفكار السبئية تتسرب إليهم وتتغلب عليهم، خصوصا شهادة حسين رضى الله عنه جعلت الموالين لعلي وأولاده، وحتى بعض الطالبيين أيضا يحسون بالحرمان الكبير واليأس الكثير، ويجدون أنفسهم تواقة إلى الانتقام وخصوصا قلب نظام الحكم القائم المتهم بقتل الحسين وأهله فى كربلاء، وبدأ بعض الجهلة والمغفلين ينقمون كل ما يتصل بالحكام ويبغضون كل ما يرى برأيهم وحتى العقائد والمعتقدات، فلما رأى هؤلاء أن ولاة الأمر يعظمون أبا بكر وعمر وعثمان وبقية أصحاب النبى ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين بدوا يتبرؤ ون منهم ويتكلمون فيهم. لا لأنهم يجدون عليهم شيئا، بل كرها لكل ما يسمعونه على المنابر وفى المحاريب. وعلى ذلك نقل الذهبى عن شيخ الاسلام ابن تيمية:

كان السلف متفقين على تقديم أبى بكر وعمر حتى شيعة علي رضى الله عنه. وروى ابن بطة عن شيخه المعروف بأبى العباس بن مسروق: حدثنا محمد بن حميد حدثنا جرير عن سفيان عن عبد الله بن زياد بن حدير قال: قدم أبو اسحاق السبيعى الكوفة، قال لنا شمر بن عطية: قوموا إليه، فجلسنا إليه، فتحدثوا. فقال أبو اسحاق: خرجت من الكوفة وليس أحد يشك فى فضل أبى بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون، ولا والله ما أدرى ما يقولون... وعن ضمرة عن سعيد بن حسن قال: سمعت ليث بن أبى سليم يقول: أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبى بكر وعمر أحدا. وقال أحمد بن

حنبل حدثنا سفيان بن عيينة عن خالد بن سلمة عن مسروق قال: حب أبى بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة. ومسروق من أجل تابعى الكوفة وكذلك قال طاوس... وقد روى ذلك عن ابن مسعود. وكيف لا تقدم الشيعة الأولى أبا بكر وعمر وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر. وقد روى هذا عنه من طرق كثيرة قيل إنها تبلغ ثمانين طريقا. وقد روى البخارى عنه فى صحيحه من حديث الهمدانيين - الذين هم أخص الناس بعلى حتى كان يقول:

ولو كنت بواباً على باب جنة   لقلت لهمدان ادخلى بسلام

فقد رواه البخارى من حديث سفيان الثورى وهو همدانى، عن منذر وهو همدانى عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبى: يا أبت من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: يا بنى أوما تعرف؟ فقلت: لا. قال: أبوبكر. فقلت: ثم من؟ قال: عمر. وهذا يقوله لابنه بينه وبينه، ليس هو مما يجوز أن يقوله تقية. ويرويه عن أبيه خاصة. وقاله على المنبر. وعنه أنه كان يقول: لا أوتى بأحد يفضلنى على أبى بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى»(٧٢)

«وكتب محب الدين الخطيب فى الهامش هذا نص تاريخى عظيم فى تحديد تطور التشيع، فان أبا إسحق السبيعى كان شيخ الكوفة وعالمها، ولد فى خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل شهادته بثلاث سنين، وعمّر حتى توفى سنة ١٢٧، وكان طفلا فى خلافة أمير المؤمنين علي. وهو يقول عن نفسه: رفعنى أبى حتى رأيت علي بن أبى طالب يخطب أبيض الرأس واللحية. ولو عرفنا متى فارق الكوفة ثم عاد فزارها لتوصلنا إلى معرفة

(٧٢)المنتقى للذهبى ص ٣٦٠، ٣٦١. ط. القاهرة بتحقيق السيد محى الدين الخطيب.

الـزمن الـذى كان فيـه شيعـة الكـوفـة علويـين يرون ما يراه إمامهم من تفضيـل أبى بكـر وعمـر، ومتى أخـذوا يفـارقـون عليا ويخالفونه فيما كان يؤمن به ويعلنـه على منـبر الكوفة من أفضلية أخويه صاحبى رسول الله ﷺ ووزيريه وخليفتيه على أمته فى أتقى وأطهر أزمانها . ومن العجيب أن الخوارج والإباضية ثبتوا على عقيدتهم الأولى فى أبى بكر وعمر كما كانوا عليـه مع علي إلى مدة الحكم ، والشيعـة نقضوا هذه العقيدة وعصوا فيها إمامهم بعد القرن الأول ، أى فى أواخر حياة أبى اسحاق السبيعى»[٧٣] .

هذا وبلغ الأمـر بعـد تطـور الشيعـة إلى حد أنهم بدءوا ينكـرون المسلمات والأسس التى عليها يقوم المذهب الإسلامى الحنيف والشريعة السماويـة السمحـاء . فقـط لأن الحكام يتمسكون بها ويعتقدونها ، مثل القرآن ، الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وسنة رسول الله التى جعلها الله بيانا لهذا القرآن[٧٤] .

ثم وبعـد شهـادة الحسين رضى الله عنـه كثـرت الخـزعبلات والخـرافـات فى الشيعـة حتى إن المخلصـين من الأشـراف ومن الشيعـة الأولى حاولـوا إقـامـة السـد فى طريق هذه السخـافات ومنع الناس عن اعتنـاقهـا ولكنهم فشلوا فى ذلـك ، ثم اضطـروا الى التبـاعـد عنها وعن التشيع بعدما قنطوا ويئسوا من رجوع القوم الى الحق وانتهائهم عن الغى والضـلالات ، فهـذا هو ابن الأشـتر إبراهيم يذكره ولهوزن ضمن تسلط المختار على الشيعة وامتناع إبراهيم عن الانضمام اليه حيث يقول :

فكـان على المختـار أن يكسب رجـلا آخـر فى الكـوفـة نفسهـا لا يستطيع من دونه أن يلقى رؤساء الشيعة نجاحاً ضد الأشراف والوالى .

(٧٣) أيضا ، الهامش ص ٣٦٠ ، ٣٦١ .

(٧٤) ولقد فصلنا القول فى هذا فى كتابنا (الشيعة والقرآن) و (الشيعة والسنة) من أراد معرفة ذلك فليرجع اليهما.

هذا الرجل هو إبراهيم بن الأشتر زعيم قبيلة النخع من مذحج. وكان بارعاً ماكراً مستقل الرأى، وكان كأبيه مخلصاً لعلي، وكان على اتصال بابن الحنفية. ولكنه لم يكن يؤمن بالتشيع على الصورة التى استحال إليها فى ذلك العهد. لم يشأ الانضمام إلى سليمان بن صرد كما لم يرغب فى أن يعرف شيئاً عن المختار. ولم تفلح المحاولات فى اكتسابه. وأخيراً وصله كتاب يطلب فيه ابن الحنفية نفسه منه أن يعترف بالمختار بن أبى عبيد. ولكنه تضايق من كون ابن الحنفية يلقب نفسه فى هذا الكتاب بلقب «المهدى» وهو أمر لم يعهد منه، فحاك فى صدره الشك فى صحته. ولكن الذين قدموا بالكتاب، والمختار نفسه أكدوا صحة الكتاب، إلا اثنين لفتا نظره بتحفظهم، وهما: عامر بن شراحيل الشعبي الراوى الفقيه المحدث الكبير. وأبوه شراحيل. فانتحى بعامر ناحية وسأله هل يشك فى أمانة هؤلاء الشهود على صحة الكتاب. فقال عامر الشعبي: معاذ الله فإنهم «سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقاً!» (الطبرى ٢/٦١٢). فسأله ابن الأشتر أن يكتب له أسماءهم وكتب محضراً صورياً بما وقع. فلما اطمأن قلبه بهذا امتثل لما ورد فى الكتاب ووضع نفسه فى خدمة المختار بن أبى عبيد»(٧٥).

ولما تقلب المختار وبدأ يظهر ما كان يكنه من الأفكار السبئية من عداوة السلف الصالح والطعن فى أصحاب رسول الله ﷺ:

أخذوا يعتبون على المختار أنه تأمر عليهم بغير رضى منهم ولا بأذن من ابن الحنفية وأنه أظهر هو وسبئيته (ببدع ابتدعها فى الاسلام) البراءة من أسلافهم الصالحين»(٧٦).

«واحتل هؤلاء الأشراف المراكز الرئيسية فى الكوفة وحصروا

---

(٧٥) الخوارج والشيعة ص ١٤٧، ١٤٨.
(٧٦) أيضا ص ١٥٥.

المختار فى القصر والمسجد وقطعوا الاتصال بينه وبين الخارج . وحتى فسد عليهم تدبيرهم اقترح عليهم أن يبعثوا من قبلهم وفدا الى ابن الحنفية ويرسل هو من قبله وفدا اليه لسؤاله فى تأييد ابن الحنفية له ، لكن لم ينجح فى هذا التدبير[٧٧]» .

ويقول :

كان المختار فى الذروة ، وكان أيضا أمام الهاوية . فالشيعة العرب من الجيل القديم كانوا لا يثقون به حتى اعتزلوه جانبا»[٧٨] .

وهذا القدر يكفى لبيان الصراع الذى حدث بين الشيعة فى التطور والتغير من المنهج الأول القديم ، وبدأ الشيعة أكثرهم يعتقدون بمثل هذه الخرافات والسخافات عن الحمامات البيض بأنها ملائكة ، وعن الكرسى المقدس والنبوءات وأخبار الغيب .

ثم حصلت التفرقة فى الشيعة مرة ثانية بعد قتل المختار :

ففرقة قالت بإمامة علي بن الحسين ، وكان يكنى بأبى محمد ويكنى بأبى بكر وهى كنيته الغالبة عليه فلم تزل مقيمة على إمامته حتى توفى بالمدينة فى المحرم فى أول سنة أربع وتسعين وهو ابن خمس وخمسين سنة ، وكان مولده فى سنة ثمان وثلاثين وأمه أم ولد يقال لها سلافة وكانت تسمى قبل أن تسبى جهانشاه وهى إبنة يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز بن هرمز وكان يزدجرد آخر ملوك فارس .

(وفرقة) قالت انقطعت الإمامة بعد الحسين إنما كانوا ثلاثة أئمة مسمين بأسمائهم استخلفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصى اليهم وجعلهم حججاً على الناس وقوماً بعده واحداً بعد واحد فلم يثبتوا إمامة لأحد بعدهم .

(٧٧) أيضا ص ١٥٦ .

(٧٨) الخوارج والشيعة ص ١٥٩ .

(وفرقة) قالت إن الإمامة صارت بعد مضى الحسين فى ولد الحسن والحسين فهي فيهم خاصة دون سائر ولد علي بن أبي طالب وهم كلهم فيها شرع سواء من قام منهم ودعا لنفسه فهو الإمام المفروض الطاعة بمنزلة علي بن أبى طالب واجبة إمامته من الله عز وجل على أهل بيته وسائر الناس كلهم فمن تخلف عنه فى قيامه ودعائه الى نفسه من جميع الخلق فهو هالك كافر ومن ادعى منهم الإمامة وهو قاعد فى بيته مرخى عليه ستره فهو كافر مشرك وكل من اتبعه على ذلك وكل من قال بإمامته»(٧٩).

وفرق أخرى كثيرة، منها من قالت بإمامة أبناء الحسن ومن قالت بغيره.

ومنهم من ذهب الى إثبات النبوة بعد النبى ﷺ لغيره، ومنهم من أوجب الالهية لغير الله عز وجل كما ذكرهم ابن حزم فى فصله:

فالطائفة التى أوجبت النبوة بعد النبى ﷺ فرق، فمنهم الغرابية وقولهم ان محمدا ﷺ أشبه بعلي من الغراب بالغراب، وان الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحى الى علي، فغلط جبريل بمحمد.. وفرقة قالت بنبوة علي، وفرقة قالت بأن علي بن أبى طالب والحسن والحسين رضى الله عنهم وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي والحسن بن محمد والمنتظر ابن الحسن أنبياء كلهم.

وفرقة قالت بنبوة محمد بن إسماعيل بن جعفر فقط وهم طائفة من القرامطة.

وفرقة قالت بنبوة علي وبنيه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن

(٧٩) فرق الشيعة للنوبختى الشيعى ص ٧٤.

الحنفية فقط. وهم طائفة من الكيسانية وقد حام المختار حول أن يدعى النبوة لنفسه وسجع أسجاعا وأنذر بالغيوب عن الله تعالى واتبعه على ذلك طوائف من الشيعة الملعونة وقال بإمامة محمد بن الحنفية.

وفرقة قالت بنبوة المغيرة بن سعيد... وقالت فرقة منهم بنبوة منصور العجلى وهو الملقب بالكسف، وكان يقال إنه المراد بقول الله عز وجل: وإن يروا كسفا من السماء ساقطا... والقسم الثانى الذين يقولون بالإلهية لغير الله عز وجل فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميرى لعنه الله أتوا الى علي بن أبى طالب فقالوا مشافهة أنت هو فقال لهم ومن هو قالوا أنت الله فاستعظم الأمر وأمر بنار فاججت واحرقهم بالنار فجعلوا يقولون وهم يرمون فى النار الآن صح عندنا انه الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله وفى ذلك يقول رضى الله عنه:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناراً ودعوت قنبراً

يريد قنبراً مولاه وهو الذى تولى طرحهم فى النار نعوذ بالله من ان نفتتن بمخلوق أو يفتتن بنا مخلوق فيما جل أو دق فان محنة أبى الحسن رضى الله عنه من بين أصحابه رضى الله عنهم كمحنة عيسى ﷺ بين أصحابه من الرسل عليهم السلام وهذه الفرقة باقية إلى اليوم فاشية عظيمة العدد يسمون العليانية منهم كان اسحاق بن محمد النخعى الأحمر الكوفى وكان من متكلميهم وله فى ذلك كتاب سماه الصراط نقض عليه البهنكى والفياض لما ذكرنا، ويقولون ان محمداً رسول علي، وقالت طائفة من الشيعة يعرفون بالمحمدية ان محمداً عليه السلام هو الله، تعالى الله عن كفرهم... وفرقة قالت بالإلهية آدم عليه السلام والنبيين بعده نبيا نبيا إلى محمد عليه السلام ثم بالاهية علي ثم بالاهية الحسن ثم الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ووقفوا هاهنا واعلنت

الخطابية بذلك نهاراً بالكوفة في ولاية عيسى بن موسى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس فخرجوا صدر النهار في جموع عظيمة في ازروادرية محرمين ينادون باعلى اصواتهم لبيك جعفر! لبيك جعفر قال ابن عياش وغيره كأني انظر اليهم يومئذ فخرج اليهم عيسى بن موسى فقاتلوه فقتلهم واصطلمهم، ثم زادت فرقة على ما ذكرنا فقالت بالاهية محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد وهم القرامطة وفيهم من قال بالاهية أبى سعيد الحسن بن بهرام الجبائي وابنائه بعده، ومنهم من قال بالاهية أبي القاسم النجار القائم باليمن في بلاد همدان المسمى بالمنصور، وقالت طائفة منهم بالاهية عبيد الله ثم الولاة من ولده الى يومنا هذا، وقالت طائفة بالاهية أبى الخطاب محمد بن أبى زينب مولى بنى اسد بالكوفة وكثر عددهم بها حتى تجاوزوا الالوف وقالوا هو اله وجعفر بن محمد اله الا ان أبا الخطاب اكبر منه وكانوا يقولون جميع اولاد الحسن ابناء الله واحباؤه وكانوا يقولون انهم لا يموتون ولكنهم يرفعون الى السماء واشبه على الناس بهذا الشيخ الذى ترون، ثم قالت طائفة منهم بالاهية معمر بائع الحنطة بالكوفة وعبدوه كان من أصحاب أبى الخطاب لعنهم الله أجمعين، وقالت طائفة بالاهية الحسن بن منصور حلاج القطن المصلوب ببغداد بسعى الوزير ابن حامد بن العباس رحمه الله ايام المقتدر، وقالت طائفة بالاهية محمد بن علي ابن الشلمغاني الكاتب المقتول ببغداد ايام الراضي وكان امر اصحابه ان يفسق الارفع قدراً منهم به ليولج فيه النور كل هذه الفرق ترى الاشتراك في النساء، وقالت طائفة منهم بالاهية شباش المغيم في وقتنا هذا حياً بالبصرة، وقالت طائفة منهم بالاهية أبى مسلم السراج ثم قالت طائفة من هؤلاء بالاهية المقنع الاعور القصار القائم بثار أبى مسلم واسم هذا القصار هاشم وقتل لعنه الله ايام المنصور

واعلنوا بذلك فخرج المنصور فقتلهم وافناهم الى لعنة الله ، وقالت الرنودية بالاهية أبى جعفر المنصور، وقالت طائفة منهم بالاهية عبد الله ابن الخرب الكندى الكوفى وعبدوه وكان يقول بتناسخ الارواح وفرض عليهم تسعة عشر صلاة فى اليوم والليلة فى كل صلاة خمسة عشر ركعة الى ان ناظره رجل من متكلمى الصفرية واوضح له براهين الدين فاسلم وصح اسلامه وتبرأ من كل ما كان عليه واعلم اصحابه بذلك واظهر التوبة فتبرأ منه جميع أصحابه الذين كانوا يعبدونه ويقولون بالاهيته ولعنوه وفارقوه ورجعوا كلهم الى القول بامامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وبقى عبد الله بن الخرب على الاسلام وعلى مذهب الصفرية الى ان مات وطائفته الى اليوم تعرف بالحزبية ومن السبابية القائلين بالاهية علي ، وطائفة تدعى النصرية وقد غلبوا فى وقتنا هذا على جند الاردن والشام وعلى مدينة طبرية خاصة ومن قولهم لعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ولعن الحسن والحسين ابنى علي رضى الله عنهم وسبهم باقذع السب وقذفهم بكل بلية والقطع بانها وابنيها رضى الله عنهم ولعن مبغضيهم شياطين تصوروا فى صورة الانسان وقولهم فى عبد الرحمن بن ملجم المرادى قاتل علي رضى الله عنه عن علي ولعنة الله على ابن ملجم فيقول هؤلاء ان عبد الرحمن بن ملجم المرادى افضل اهل الارض واكرمهم فى الآخرة لانه خلص روح اللاهوت مما كان يتشبث فيه من ظلمة الجسد وكدره فاعجبوا لهذا الجنون واسألوا الله العافية من بلاء الدنيا والآخرة فهى بيده لا بيد أحد سواه جعل الله حظنا منها الاوفى ، واعلموا ان كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمى الى الاسلام فانما عنصرهم الشيعة والصوفية فان من الصوفية من يقول ان من عرف الله تعالى سقطت عنه الشرائع ، وزاد بعضهم واتصل بالله

تعالى ، وبلغنا ان بنيسابور اليوم فى عصرنا هذا رجلا يكنى ابا سعيد ابا الخير هكذا معاً من الصوفية مرة يلبس الصوف ومرة يلبس الحرير المحرم على الرجال ومرة يصلى فى اليوم الف ركعة ومرة لا يصلى لا فريضة ولا نافلة وهذا كفر محض ونعوذ بالله من الضلال»(٨٠) .

وقد ذكر هذه الفرق جلها كل من الأشعرى والبغدادى والملطى والاسفرائينى وغيرهم من الأعلام .

وجل هذه الفرق حدثت بعد قتل الحسين رضى الله عنه وفى أيام علي بن الحسين الملقب بزين العابدين .

الشيعة بعد علي بن الحسين

توفى علي بن الحسين وهو على ولاء كامل ووفاء تام لحكام بنى أمية وخلفائه حتى انه تجنب مساعدة ومناصرة كل من قام ضدهم فى المدينة أو فى مكة(٨١) .

الزيدية

وخلف علي بن الحسين أولادا كثيرين ، منهم محمد المكنى بأبى جعفر الباقر وزيد وعمر وغيرهم ، فاختلف الشيعة فى أمر محمد بن علي وزيد بن علي، فقوم اتبعوا محمدا وقوم منهم زيدا كما يذكر المؤرخ الشيعى :

إن الزيدية قالوا بإمامة علي ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه زين العابدين ، ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب ، وخرج بالكوفة داعيا إلى الإمامة فقتل وصلب بالكناسة ، وقال الزيدية بإمامة

(٨٠) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ص ١٨٣ وما بعد.
(٨١) انظر لذلك كتب التاريخ للشيعة والسنة.

ابنه يحيى من بعده، فمضى إلى خراسان وقتل بالجوزجان بعد أن أوصى إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط، فخرج بالحجاز فقتل وعهد إلى أخيه ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد، فوجه إليهم المنصور عساكره فقتل إبراهيم وعيسى . . . وذهب آخرون من الزيدية إلى أن الامام بعد يحيى هو أخوه عيسى، ونقلوا الإمامة فى عقبه، وقال آخرون منهم إن الامام بعد محمد بن عبد الله هو أخوه إدريس الذى فر الى المغرب ومات هناك، وقام بأمره ابنه إدريس واختط مدينة فاس، وكان عقبه ملوك المغرب، وكان منهم الداعى الذى ملك طبرستان، وأخوه محمد، ثم قام بهذه الدعوة فى الديلم الناصر الأطروش منهم وأسلموا على يده(٨٢).

وأما النوبختى فكتب:

الزيدية، الأقوياء منهم والضعفاء. فأما الضعفاء منهم فسموا العجلية، وهم أصحاب هارون سعيد العجلى، وفرقة منهم يسمون البترية، وهم أصحاب كثير النواء والحسن بن صالح بن حى وسالم بن أبى حفصة والحكم بن عتيبة وسلمة بن كهيل وأبى المقدام ثابت الحداد وهم الذين دعوا الناس الى ولاية علي عليه السلام ثم خلطوها بولاية أبى بكر وعمر فهم عند العامة أفضل هذه الأصناف وذلك أنهم يفضلون علياً ويثبتون إمامة أبى بكر وينتقصون عثمان وطلحة والزبير ويرون الخروج مع كل من ولد علي عليه السلام يذهبون فى ذلك الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويثبتون لمن خرج من ولد علي الامامة عند خروجه ولا يقصدون فى الامامة قصد رجل بعينه حتى يخرج، كل ولد علي عندهم على السواء من أى بطن كان.

(٨٢) الشيعة فى التاريخ لمحمد حسين الزين ص ٧٠، ٧١، ٧٢، ومثل ذلك فى شيعة دراسلام فارسى لمحمد حسين الطباطبائى ط قم. ص٣٤.

وأما الأقوياء فمنهم أصحاب (أبى الجارود) وأصحاب (أبى خالد الواسطى) وأصحاب (فضيل الرسان) و«منصور بن أبى الأسود».

وأما (الزيدية) الذين يدعون (الحسينية) فانهم يقولون من دعا الى الله عز وجل من آل محمد فهو مفترض الطاعة، وكان (علي بن أبى طالب) إماماً فى وقت ما دعا الناس وأظهر أمره ثم كان بعد «الحسين» إماماً عند خروجه وقبل ذلك إذا كان مجانباً لمعاوية ويزيد بن معاوية حتى قتل، ثم زيد بن علي بن الحسين المقتول بالكوفة، أمه أم ولد، ثم يحيى بن زيد بن علي المقتول بخراسان وأمه ريطة بنت أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، ثم ابنه الآخر عيسى بن زيد بن علي، وأمه أم ولد، ثم محمد بن عبد الله بن الحسن وأمه هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن العزى بن قصى، ثم من دعا الى طاعة الله من آل محمد صلى الله عليه وآله فهو إمام»(٨٣).

ولقد ذكر الشهرستانى عند ذكر فرق الشيعة واختلافهم فى الآراء:

الزيدية أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام ساقوا الإمامة فى أولاد فاطمة عليها السلام ولم يجوزوا ثبوت الإمامة فى غيرهم إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمى عالم زاهد شجاع سخى خرج بالإمامة يكون إماما واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين، وعن هذا قالت طائفة منهم بإمامة محمد وإبراهيم الإمامين ابنى عبد الله بن الحسن بن الحسين الذين خرجا فى أيام المنصور، وقتلا على ذلك، وجوزوا خروج إمامين فى قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة. وزيد بن علي لما كان مذهبه هذا المذهب أراد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم

(٨٣) فرق الشيعة للنوبختى ص ٧٧ الى ٨٠.

فتتلمذ فى الاصول واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة مع اعتقاد واصل بأن جده علي بن أبى طالب فى حروبه التى جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأصحاب الشام ما كان على يقين من الصواب، وان احد الفريقين منهما كان على الخطأ لا بعينه، فاقتبس منه الاعتزال وصارت أصحابه كلها معتزلة، وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الافضل، فقال: كان علي بن أبى طالب أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوضت الى أبى بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة، فان عهد الحروب التى جرت فى أيام النبوة كان قريبا وسيف أمير المؤمنين علي عليه السلام عن دماء المشركين من قريش لم يجف بعد، والضغائن فى صدور القوم من طلب الثأر كما هى، فما كانت القلوب تميل اليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد، وكانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن من عرفوه باللين والتودد والتقدم بالسن والسبق فى الإسلام والقرب من رسول الله ﷺ. ألا ترى أنه لما أراد فى مرضه الذى مات فيه تقليد الأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه زعق الناس وقالوا: لقد وليت علينا فظا غليظا، فما كانوا يرضون بأمير المؤمنين عمر لشدة وصلابة وغلظ له فى الدين وفظاظة على الأعداء حتى سكنهم أبو بكر رضى الله عنه.

وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماما والأفضل قائم، فيرجع اليه فى الأحكام ويحكم بحكمه فى القضايا. ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه حتى أتى قدره عليه فسميت رافضة وجرت بينه وبين أخيه محمد الباقر مناظرة لا من هذا الوجه بل من حيث كان يتلمذ لواصل بن عطاء ويقتبس العلم ممن يجوز الخطاء على جده فى قتال الناكثين والقاسطين ومن يتكلم فى القدر على

غير ما ذهب إليه أهل البيت. ومن حيث إنه كان يشترط الخروج شرطا فى كون الإمام إماما حتى قال له يوما على قضية مذهبك والدك ليس بإمام فانه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج.

ولما قتل زيد بن علي وصلب قام بالإمامة بعده يحيى بن زيد ومضى إلى خراسان... فزيد بن علي قتل بكناسة الكوفة، قتله هشام بن عبد الملك، ويحيى بن زيد قتل بجوزجان خراسان قتله أميرها، ومحمد الامام قتله بالمدينة عيسى بن ماهان، وإبراهيم الإمام قتل بالبصرة. أمر بقتلهما المنصور ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان ناصر الاطروش، فطلب مكانه ليقتل فاختفى واعتزل إلى بلاد الديلم والجبل لم يتحلوا بدين الاسلام بعد، فدعى الناس دعوة إلى الاسلام على مذهب زيد بن علي، فدانوا بذلك ونشأوا عليه، وبقيت الزيدية فى تلك البلاد ظاهرين وكان يخرج واحد بعد واحد من الأئمة ويلى أمرهم وخالفوا بنى أعمامهم من الموسوية فى مسائل الأصول ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول وطعنت فى الصحابة طعن الإمامية وهم أصناف ثلاثة: جارودية وسليمانية وبترية، والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد.

الجارودية أصحاب أبى الجارود زعموا أن النبى ﷺ نص على علي عليه السلام بالوصف دون التسمية والامام بعده علي والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف. وانما نصبوا أبابكر باختيارهم فكفروا بذلك وقد خالف أبو الجارود فى هذه المقالة إمامه زيد بن علي فانه لم يعتقد بهذا الاعتقاد.

واختلف الجارودية فى التوقف والسوق، فساق بعضهم الإمامة من علي إلى الحسن ثم إلى الحسين ثم إلى علي بن الحسين زين

العابدين، ثم إلى زيد بن علي، ثم منه إلى الامام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين: . . والذين قالوا بإمامة محمد الإمام اختلفوا فمنهم من قال: إنه لم يقتل وهو بعد حى وسيخرج فيملأ الأرض عدلا. ومنهم من أقر بموته وساق الإمامة الى محمد بن القاسم بن على بن الحسين بن علي بن صاحب الطالقان. وقد أسر فى أيام المعتصم وحمل اليه فحبسه فى داره حتى مات.

ومنهم من قال بإمامة يحيى بن عمر صاحب الكوفة فخرج ودعا الناس واجتمع عليه خلق كثير وقتل فى أيام المستعين وحمل رأسه الى محمد بن عبد الله بن ظاهر حتى قال فيه بعض العلوية:

قتلت أعز من ركب المطايا ... وجئتك استلينك فى الكلام
وعز علىّ أن ألقاك إلا ... وفيما بيننا حد الحسام

وهو يحى بن عمر بن يحيى بن الحسين زيد بن علي.

وأما أبو الجارود فكان يسمى سرحوب. سماه بذلك أبو جعفر محمد بن علي الباقر رضى الله عنه. وسرحوب شيطان أعمى يسكن البحر»(٨٤)

وذكر القاضى النعمان الزيدية فى ارجوزته بقوله:

وقالت الطائفة الزيدية ... مقالة لم تك بالمرضية
بأن كل قائم يقوم من ... نسل الحسين بن علي والحسن
بسيفه يدعو الى التقدم ... فهو الامام دون من لم يقم
منهم ومن كل امرىء فى وقته ... مستترا قد انزوى فى بيته
واتبعوا زيدا على ما رتبوا ... من الدعاوى، واليه نسبوا
حتى إذا قتل قاموا بعده ... مع الحسين حين قام وحده

(٨٤) الملل والنحل ج ١ ص ٢٠٧ وما بعد، ومثل ذلك فى مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٨ وما بعد، ومقدمة ابن خلدون ص ١٩٧، الفرق بين الفرق ص ٢٩، والتبصير ص ٣٢، الفصل ج ٤ ص ١٧٩، ومقاتل الطالبيين للأصفهانى الشيعى ص ١٢٧ وما بعد.

واتبعوا يحيى بن زيد إذ بدا ثم تولوا بعده محمدا
أعنى ابن عبد الله من نسل حسن وكلهم ظل قتيلا مرتهن
فهؤلاء عندهم أئمة ومن يقوم بعدهم للأمة
وكل من سواهم الرعية كسائر الأمة بالسوية(٨٥)

وقبل أن ننتهى من الكلام فيهم نريد أن نذكر شيعة الكوفة وجبنهم وتخاذلهم القديم، الكوفة التى وضعوا فيها روايات مختلقة كثيرة عن علي رضى الله عنه أنه قال:

كأنى بك ياكوفة تمدين مد الاديم العكاظى، تعركين بالنوازل، وتركبين بالزلازل، وانى لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوء الا ابتلاه الله بشاغل أو رماه بقاتل»(٨٦).

وقال:

انه يحشر من ظهورها يوم القيامة سبعون ألفا، وجوههم على صورة القمر. وقوله عليه السلام: هذه مدينتنا ومحلتنا، ومقر شيعتنا.

وقول جعفر بن محمد عليه السلام: اللهم ارم من رماها، وعاد من عاداها.

وقوله عليه السلام: تربة تحبنا ونحبها»(٨٧).

نذكر فى هذه الكوفة عبارتين عن إمامى الشيعة الكبار، فان المسعودى روى أن زيد بن علي بن الحسين الذى استشهد فى سنة احدى وعشرين ومائة أو اثنتين وعشرين ومائة:

شاور أخاه أبا جعفر بن علي ابن الحسين بن علي، فأشار عليه بأن لا يركن الى أهل الكوفة، اذ كانوا أهل غدر ومكر، وقال له: بها قتل

(٨٥) الارجوزة المختارة للقاضى النعمان ص ٢١٤ ط مونتريال - كندا.
(٨٦) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ٣ ص ١٩٧.
(٨٧) أيضا ص ١٩٨.

جدك علي ، وبها طعن عمك الحسن ، وبها قتل أبوك الحسين ، وفيها وفى أعمالها شتمنا أهل البيت»[٨٨] .

وأما الثانى فهو المفيد يكتب وهو يذكر زيد بن علي :

انه لم يكره قوم قط حد السيف الا ذلوا . فلما وصل الى الكوفة اجتمع اليه أهلها فلم يزالوا به حتى بايعوه على الحرب ، ثم نقضوا بيعته وأسلموه فقتل ، وصلب بينهم أربع سنين لا ينكر أحد منهم ولا يعينوه بيد ولسان»[٨٩] .

هذا كان أمر الزيدية[٩٠] وهؤلاء كانوا هم .

وهناك فرق أخرى افترقوا وتفرعوا الى فرق وفروع أخرى غير الزيدية مثل الذين قالوا بامامة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسن المثنى بن علي بن أبى طالب المقتول بها ، «وزعموا أنه القائم وأنه الامام المهدى وأنه قتل ، وقالوا إنه حى لم يمت مقيم بجبل يقال له العلمية وهو الجبل الذى فى طريق مكة ، ونجد الحاجز عن يسار الطريق وأنت ذاهب الى مكة وهو الجبل الكبير وهو عنده مقيم فيه حتى يخرج لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : القائم المهدى اسمه اسمى واسم ابيه اسم ابى ، وكان أخوه «ابراهيم بن عبد الله بن الحسن» خرج بالبصرة ودعا الى إمامة أخيه (محمد بن عبد الله) واشتدت شوكته فبعث اليه المنصور بالخيل فقتل بعد حروب كانت بينهم ، وكان (المغيرة بن سعد) قال بهذا القول لما توفى أبو جعفر محمد بن على وأظهر المقالة بذلك فبرئت منه الشيعة اصحاب (أبى عبد الله جعفر بن محمد) عليهما السلام ورفضوه فزعم أنهم رافضة وأنه هو الذى سماهم بهذا الاسم ، ونصب بعض

(٨٨) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٠٦ .

(٨٩) الارشاد المفيد ص ٢٦٩ .

(٩٠) ولقد اختصرنا القول فى الزيدية لقصدنا اصدار كتاب مستقل حول تاريخهم ومعتقداتهم إن شاء الله .

أصحاب المغيرة إماماً وزعم أن الحسين بن علي أوصى اليه ثم أوصى اليه علي بن الحسين ثم زعم ان أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام وعلى آبائه السلام أوصى اليه فهو الامام الى أن يخرج المهدى وأنكروا إمامة أبى عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام وقالوا لا إمامة فى بنى علي بن أبى طالب بعد أبى جعفر محمد بن علي وأن الامامة فى (المغيرة بن سعيد) إلى خروج المهدى وهو عندهم (محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن) وهو حى لم يمت ولم يقتل فسموا هؤلاء (المغيرية) باسم المغيرة بن سعيد مولى خالد بن عبد الله القسرى ثم ترقى الأمر بالمغيرة إلى أن زعم انه رسول نبي وأن جبرئيل يأتيه بالوحى من عند الله، فأخذه خالد بن عبد الله القسرى فسأله عن ذلك فأقر به ودعا خالداً اليه فاستتابه خالد فأبى أن يرجع عن قوله فقتله وصلبه وكان يدعى أنه يحيى الموتى وقال بالتناسخ وكذلك قول أصحابه إلى اليوم»(٩١).

وطائفة اعتقدت الإمامة لمحمد الباقر بن علي زين العابدين، وقالوا إنه هو الإمام بعد أبيه بنص منه(٩٢).

وبعد وفاة محمد الباقر سنة أربعة عشرة بعد المائة اجتمعت الشيعة حول ابنه جعفر، البقية الذين بقوا على إمامته لأن البعض منهم رجعوا ومالوا عن إمامته كما ذكر النوبختى:

وأما الذين ثبتوا على إمامة علي بن أبى طالب ثم الحسن ثم الحسين، ثم لعلى بن الحسين عليه السلام ثم نزلوا إلى القول بإمامة أبى جعفر محمد بن علي بن الحسين باقر العلم عليه السلام فأقاموا على إمامته الى أن توفى غير نفر يسير منهم فانهم سمعوا رجلا منهم يقال له: «عمر بن رياح» زعم أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن مسألة

(٩١) فرق الشيعة للنوبختى ص ٨٢، ٨٣، ٨٤.
(٩٢) الكافى للكلينى ج ١ ص ٣٠٤.

فأجابه فيها بجواب ثم عاد اليه فى عام آخر فسأله عن تلك المسألة بعينها فأجابه فيها بخلاف الجواب الأول فقال لأبى جعفر هذا خلاف ما أجبتنى فى هذه المسألة العام الماضى فقال له ان جوابنا ربما خرج على وجه التقية فشك فى أمره وإمامته فلقى رجلا من أصحاب أبي جعفر يقال له (محمد بن قيس) فقال له انى سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابنى فيها بجواب ثم سألته عنها فى عام آخر فأجابنى فيها بخلاف جوابه الأول فقلت له لم فعلت ذلك فقال فعلته للتقية وقد علم الله أنى ما سألته عنها إلا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتينى به فلا وجه لاتقائه إياى وهذه حالي فقال له محمد بن قيس فلعله حضرك من اتقاه فقال له ما حضر مجلسه في واحدة من المسألتين غير ى لا ولكن جوابيه جميعاً خرجا على وجه التبخيت ولم يحفظ ما أجاب به فى العام الماضى فيجيب بمثله، فرجع عن إمامته وقال لا يكون إماماً من يفتى بالباطل على شىء بوجه من الوجوه ولا فى حال من الأحوال ولا يكون إماماً من يفتى تقية بغير ما يجب عند الله ولا من يرخى ستره ويغلق بابه ولا يسع الإمام إلا الخروج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فمال بسببه الى قول البترية ومال معه نفر يسير»[٩٣].

الشيعة أيام جعفر بن الباقر

وفى أيامه كمل التطور فى التشيع والتغير الجذرى والتبدل التام الذى شمل عامة الشيعة، والذى كان بدؤه بعد مقتل الحسين رضى الله عنه وعلى أيدى السبئية، فانهم استطاعوا بعد ستين سنة من قتله وبعد تسعين سنة من نشأتهم فصل طائفة من الناس عن المسلمين فى معظم

(٩٣) فرق الشيعة للنوبختى ص ٨٠، ٨١.

المعتقدات وجل العقائد، الطائفة الكاملة التى تنسب إلى التشيع لعلي وأولاده رضى الله عنهم بجميع فرقها وطوائفها مع اختلاف القادة والزعماء واتجاهاتهم ومطامعهم، أغراضهم وأهدافهم، من حيث استغلوا النقمة المتوارثة والغضب الشديد المتنقل من الآباء إلى الأبناء من المحن والآلام والأوجاع نتيجة معارضة الحكام ومخالفة ولاة الأمور، والمقاتلة ضدهم والخروج عليهم والتشريد والتقتيل، زيادة على ذلك الدسائس والمؤامرات التى تدبر ويحكم نسيجها من وراء الأستار والتسميم الذهنى والفكرى، والاختلاط مع الشعوب الأجنبية بأفكارها وآرائها، المقهورة والمهزومة والمتغلبة عليها وعلى بلادها وأمورها، والموتورة على الولاة وعساكرها الغازية المنصورة وجيوشها المظفرة المتغلبة، ثم واجتماع الفرس والموالى من البابليين والعاشوريين والكلدانيين وغيرهم من أصحاب الحضارات القديمة والثقافات الراقية - حسب زعمهم - واحتياجهم إلى منظمة ثائرة على الحكم والحكام والناقمة على كل ما صدر منهم أو يصدر من الآراء والأفكار وحتى العقائد والمعتقدات. هذه الأشياء كلها جعلت التشيع يتقلب فى قالب جديد، والشيعة تتكون كتلة مختلفة عن الحكام والآخذين بزمام الأمور اختلافا كاملا فى جميع ما يذهبون اليه ويعتقدون به، وتشهد على ذلك رواية مروية عن جعفر أنه قال إن كل حكم يخالف العامة يؤخذ به ويترك ما يوافقهم، فسأله سائل:

جعلت فداك، أرأيت ان كان فقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنة، ووجدنا أحد الخبرين موافقا للغامة والآخر مخالفا لهم، بأى الخبرين يؤخذ؟

قال: ما خالف العامة ففيه الرشاد.

فقلت: جعلت فداك، فان وافقهما الخبران جميعا؟

قال: ينظر إلى ما هم إليه أميل، حكامهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر»(٩٤).

فيجب أن يكون هناك خلافا ويجب أن تكون مخالفة ولو على حساب القرآن والسنة، ولو على حساب الدين والمذهب. ولما كانت الأفكار السبئية والعقائد المختلقة منهم تناوىء الإسلام وتعاليمه، وكانت تلك العقائد والأفكار المختلقة المخترعة صادرة من الذين ادعوا التشيع لعلي فكان الأجدر والأليق أن تتبنى ويتمسك بها لأنها تخالف معتقدات العامة وصدرت من الذين انتحلوا حب علي ومودته.

وبدأ الشيعة يتجاهرون وبدأت الشيعة تصوغ وتصنع فى ضوء العقائد السبئية المسائل والفتاوى فى العبادات والمعاملات، وتشرع فى العقائد والمعاملات، وتنسبها الى أئمة أهل بيت علي رضى الله عنه لتأسيس مذهب جديد وتكوين دين مستقل، له تشريعه وفقهه، وأصوله وأسسه، وقواعده وقوانينه، منفصلة عن الدين الذى جاء به محمد ﷺ وقدمه للبشر كافة، واعتنقه أول من اعتنق به أصحابه الأخيار ورفاقه الكرام البررة، ونقلوه عنه وتعاليمه التى أعطاها اياهم من القرآن وارشادات الرسول الناطق بالوحى. وصار التشيع قائما على أقاويل الرجال وأفعالهم سواء صدرت هذه الأقوال منهم أم لا، ولكنها تكفى بأنها نسبت اليهم، وإن عارضها أو ناقضها أى هذه الأقوال والأفعال قول وفعل ثابت عنهم قالوا: لم يكن هذا الا تقية: وان خالفها الكتاب المنزل من السماء قالوا: ان الكتاب حصل فيه التغيير والتبديل، وان عارضتها السنة الثابتة قالوا: انها لم تنقل الا عن المرتدين - عياذا بالله - لأن أصحاب الرسول كلهم ارتدوا بعده الا ثلاثة(٩٥) فالقرآن مغير ومبدل،

(٩٤) الاصول من الكافى، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث ج ١ ص ٦٨.

(٩٥) انظر لتفصيل ذلك كتابنا (الشيعة والسنة) و (الشيعة وأهل البيت) و (الشيعة والقرآن).

والحديث رواته كفرة مرتدون، فلا عبرة بهما. لأن القرآن والحديث يناصران العامة ونحن على خلاف ما يقوله العامة.

ولأجل ذلك نبه أولاد علي رضي الله عنه، الطيبون منهم، على كذب وافتراء هؤلاء المنتحلين المدعين حبهم كما روى عن جعفر بن الباقر- الامام السادس المعصوم عند الشيعة - أنه قال:

لقد أمسينا وما أحد أعدى لنا ممن ينتحل مودتنا»(٩٦).

وعنه أيضا أنه قال:

إنّا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا، فيسقط صدقنا بكذبه عند الناس، كان رسول الله أصدق الناس لهجة وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين (ع) أصدق من برأ الله من بعد رسول الله، وكان الذى يكذب عليه من الكذب عبد الله بن سبأ لعنه الله، وكان أبو عبد الله الحسين بن علي (ع) قد ابتلى بالمختار، ثم ذكر أبو عبد الله الحارث الشامي والبنان فقال: كانا يكذبان على علي بن الحسين(ع)، ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيعا والسرى وأبا الخطاب ومعمرا وبشار الاشعرى وحمزة اليزيدى وصائب النهدى - أى أصحابه - فقال: لعنهم الله، انا لا نخلو من كذاب يكذب علينا كفانا الله مؤنة كل كذاب وأذاقهم الله حر الحديد»(٩٧).

وعن حفيده علي الرضا - الإمام الثامن المعصوم حسب زعمهم - أنه قال: كان بنان يكذب على علي بن الحسين (ع) فأذاقه الله حر الحديد، وكان المغيرة بن سعيد يكذب على ابن جعفر (ع) فأذاقه الله حر الحديد، وكان محمد بن بشر يكذب على ابن الحسن علي بن موسى

(٩٦) رجال الكشى ص ٢٥٩ تحت ترجمة أبى الخطاب.
(٩٧) أيضا ص ٢٥٧، ٢٥٨.

الـرضى (ع) فأذاقـه الله حر الحديد، وكان أبو الخطاب يكذب على أبى عبد الله (ع) فأذاقه الله حرِ الحديد، والذى يكذب علي محمد بن الفرات[٩٨].

وعن أبى جعفر محمد الباقر أنه قال:

لعن الله بنـان البيـان، وان بنـان لعنه الله كان يكذب على أبى، أشهد أن أبى كان عبدا صالحا»[٩٩].

وبـدءوا يتـبرءون منهم ويمنعـون متبعيهم من الوقوع فى شراكهم وحبائلهم كما نقل الكشى عن جعفر أنه ذكر عنده جعفر بن واقد ونفر من أصحاب أبى الخطاب فقيل: إنه صار اليهم يتردد وقال فيهم:

وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله، قال هو الامام، فقال أبو عبد الله (ع): لا والله لا يأوينى وإياه سقف بيت أبدا، هم شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، والله ما صغر عظمة الله تصغيرهم شيئا قط، وإن عزيرا جال فى صدره ما قالت اليهود فمحى الله اسمه من النبوة. والله لو أن عيسى أقر بما قالت فيه النصارى لأورثه الله صمما الى يوم القيـامـة، والله لو أقـررت بما يقول في أهل الكوفة لأخذتنى الأرض، وما أنا الا عبد مملوك لا أقدر على ضر شىء ولا نفع شىء.

محمـد بن مسعـود قال: حدثنى علي بن محمد قال: حدثنى محمد بن أحمـد بن يحيى عن محمـد بن عيسى عن زكـريـا عن ابن مسكان عن قاسم الصـيرفى قال: سمعت أبـا عبد الله (ع) يقول: قوم يزعمون أنى لهم امام، والله ما أنا لهم بإمام، ما لهم لعنهم الله كلما سترت سترا هتكوه هتك الله سترهم، أقول كذا يقولون انما يعنى كذا، أنا إمام من أطاعنى»[١٠٠].

(٩٨) أيضا ص ٢٥٦.
(٩٩) رجال الكشى ص ٢٥٥.
(١٠٠) رجال الكشى ص ٢٥٤، ٢٥٥.

ولكن باءت الجهود المخلصة بالفشل وزادت الشيعة فى غلوائهم وغيهم لكثرة ما وجد فى ذلك الزمان من الكذابين ومن المنتحلين مؤدة أهل البيت والمدعين موالاتهم ومشايعتهم من أبى الخطاب وأبى البصير المرادى وزرارة بن أعين وجابر الجعفى ومغيرة بن سعيد والهشامين وأبى الجارود وغيرهم، فكثرت الآراء وتشعبت، وزادت الفرق وتفرقت، ذهب بعضها الى المذاهب البعيدة وزاد حتى على السبئية مؤسسي بنيانها وواضعى نواتها، وقربت البعض منها واحصرت على تلقى ما لقنته السبئية وألقته اليهم، وقلل الأخذ بعض منها وأكثر البعض، ولقد أقر بذلك مؤرخ شيعى حيث قال:

ولم يتمكن الصادق - فى تلك الظروف القاسية التى ظهر فيها الزيدية - أن يناظرهم غالبا فى شىء من أمر الإمامة. لأنه كان يتكتم فيها، ويتقى ملوك عصره، ويحذر من وشاتهم وجواسيسهم الكثيرة، ومع تكتمه الشديد قد أحضره المنصور وقال له - قتلنى الله إن لم أقتلك أتلحد فى سلطانى؟

فقال له الصادق (ع) : والله ما فعلت ولا أردت. وإن كان بلغك فمن كاذب»[١٠١].

فمن الذين اختلفوا أول الأمر على جعفر وأخذوا عليه فى حياته من ذكرهم النوبختى:

وأما الفرقة الأخرى من أصحاب أبى جعفر محمد بن علي عليه السلام فنزلت إلى القول بإمامة أبى عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فلم تزل ثابتة على إمامته أيام حياته غير نفر منهم يسير فانهم لما اشار جعفر بن محمد إلى إمامة ابنه اسمعيل ثم مات اسمعيل فى حياة أبيه

(١٠١) الشيعة فى التاريخ ص ١٠٧، ١٠٨.

رجعوا عن إمامة جعفر وقالوا كذبنا ولم يكن إماماً لأن الأمام لا يكذب ولا يقول ما لا يكون وحكموا على جعفر انه قال ان الله عز وجل بداله فى إمامة اسمعيل فأنكروا «البداء» والمشيئة من الله وقالوا هذا باطل لا يجوز ومالوا الى مقالة (البترية) ومقالة سليمان بن جرير وهو الذى قال لأصحابه بهذا السبب أن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبداً وهما القول بالبداء وإجازة التقية، فأما البداء فان أئمتهم لما أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيتها فى العلم فيما كان ويكون والاخبار بما يكون فى غد وقالوا لشيعتهم أنه سيكون فى غد وفى غابر الأيام كذا وكذا فان جاء ذلك الشىء على ما قالوه قالوا لهم: ألم نعلمكم أن هذا يكون فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمته الأنبياء وبيننا وبين الله عز وجل مثل تلك الأسباب التى علمت بها الأنبياء عن الله ما علمت، وإن لم يكن ذلك الشىء الذى قالوا انه يكون على ما قالوا لشيعتهم بدا لله فى ذلك بكونه، وأما التقية فانه لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم فى الحلال والحرام وغير ذلك من صنوف أبواب الدين فأجابوا فيها وحفظ عنهم شيعتهم جواب ما سألوهم وكتبوه ودونوه ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة لتقادم العهد وتفاوت الأوقات لأن مسائلهم لم ترد فى يوم واحد ولا فى شهر واحد بل فى سنين متباعدة وأشهر متباينة وأوقات متفرقة فوقع فى أيديهم فى المسألة الواحدة عدة أجوبة مختلفة متضادة وفى مسائل مختلفة أجوبة متفقة، فلما وقفوا على ذلك منهم ردوا اليهم هذا الاختلاف والتخليط فى جواباتهم وسألوهم عنه وانكروه عليهم فقالوا من أين هذا الاختلاف وكيف جاز ذلك؟ قالت لهم أئمتهم: إنما أجبنا بهذا للتقية ولنا أن نجيب بما أجبنا وكيف شئنا لأن ذلك الينا ونحن نعلم بما يصلحكم وما فيه

بقـاؤكم وكف عدوكم عنـا وعنكم ، فمتى يظهـر من هؤلاء على كذب ومتى يعـرف لهم حق من باطـل ، فمال الى سليمان بن جرير هذا القول جماعة من أصحاب أبى جعفر وتركوا القول بإمامة جعفر عليه السلام »(١٠٢) .

وهنـا آخـران من أهل البيت ادعيا الإمامة فى حياة جعفر وهما عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، وأمـه فاطمـة بنت الحسـين بن علي ، وهو الذى كان يقول : ولدنى رسول الله صلى الله عليه وآله مرتين »(١٠٣) .

والذى قال عنه الاصفهانى الشيعى :

كان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخ بنى هاشم والمقدم فيهم ، وذا الكثير منهم فضلا ، وعلما وكرما »(١٠٤) .

والثـانى ابنـه محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية ، هو الذى كتب فيه الأصفهانى الشيعى :

وكـان محمـد بن عبـد الله بن الحسن من أفضـل أهل بيته ، وأكبر أهل زمانه فى زمانه ، فى علمه بكتاب الله ، وحفظه له ، وفقهه فى الدين ، وشجاعته ، وجوده ، وبأسه ، وكل أمر يجمل بمثله ، حتى لم يشك أحد أنه المهـدى ، وشـاع ذلـك له فى العامة ، وبايعه رجال من بنى هاشم جميعا ، من آل أبى طالب ، وآل العباس ، وسائر بنى هاشم »(١٠٥) .

وقـد ذكـر الكلينى فى (كافيه) ادعاءهما الإمامة زمن جعفر ودعوتهما إياه إليهما حيث ذكر أن عبد الله بن الحسن دخل على جعفر بن الباقر وقال :

---

(١٠٢) فرق الشيعة للنوبختى ص ٨٤ الى ٨٧ .
(١٠٣) مقاتل الطالبيين للاصفهانى ص ١٨١ .
(١٠٤) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ج ١ ص ٢٠٥ ، مقاتل ص ١٨٠ .
(١٠٥) مقاتل ص ٢٣٣ .

قد علمت جعلت فداك أن السن لى عليك وأن فى قومك من هو أسن منك ولكن الله عز وجل قد قدم لك فضلا ليس هو لأحد من قومك وقد جئتك معتمداً لما أعلم من برك، واعلم ـ فديتك ـ إنك إذا أجبتنى لم يتخلف عنى أحد من أصحابك ولم يختلف علي اثنان من قريش ولا غيرهم، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إنك تجد غيرى أطوع لك منى ولا حاجة لك فى، فو الله إنك لتعلم أنى أريد البادية أو أهم بها فأثقل عنها، وأريد الحج فما أدركه إلا بعد كد وتعب ومشقة على نفسى، فاطلب غيرى وسله ذلك ولا تعلمهم أنك جئتنى، فقال له: إن الناس مادون أعناقهم إليك وإن أجبتنى لم يتخلف عني أحد ولك أن لا تكلف قتالا ولا مكروها، قال: وهجم علينا ناس فدخلوا وقطعوا كلامنا، فقال أبى: جعلت فداك ما تقول؟ فقال: نلتقى إن شاء الله، فقال: أليس على ما أحب؟ فقال: على ما تحب إن شاء الله من إصلاحك... فقال له أبو عبد الله عليه السلام: يا ابن عم إني أعيذك بالله من التعرض لهذا الأمر الذى أمسيت فيه؛ وإني لخائف عليك أن يكسبك شرا، فجرى الكلام بينهما، حتى أفضى إلى ما لم يكن يريد وكان من قوله: بأى شيء كان الحسين أحق بها من الحسن؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: رحم الله الحسن ورحم الحسين وكيف ذكرت هذا؟ قال: لأن الحسين عليه السلام كان ينبغى له إذا عدل أن يجعلها فى الأسن من ولد الحسن...
فقام أبى يجر ثوبه مغضبا فلحقه أبو عبد الله عليه السلام، فقال له:

أخبرك أنى سمعت عمك وهو خالك يذكر أنك وبنى أبيك ستقتلون، فان أطعتنى ورأيت أن تدفع بالتى هى أحسن فافعل، فو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الكبير المتعال على خلقه لوددت أنى فديتك بولدى وبأحبهم الى بأحب أهل بيتى

الي ، وما يعدلك عندي شيء ، فلا ترى أني غششتك ، فخرج أبي من عنده مغضبا أسفا . . . ثم أتى محمد بن عبد الله بن حسن ، فأخبر أن أباه وعمومته قتلوا ـ قتلهم أبو جعفر ـ إلّا حسن بن جعفر وطباطبا وعلي بن إبراهيم وسليمان بن داود بن حسن وعبد الله بن داود ، قال : فظهر محمد بن عبد الله عند ذلك ودعا الناس لبيعته ، قال : فكنت ثالث ثلاثة بايعوه واستوثق الناس لبيعته ولم يختلف عليه قرشي ولا أنصاري ولا عربي ، قال : وشاور عيسى بن زيد وكان من ثقاته وكان على شرطه ، فشاوره في البعثة إلى وجوه قومه ، فقال له عيسى بن زيد : إن دعوتهم دعاء يسيراً لم يجيبوك ، أو تغلظ عليهم ، فخلني وإياهم فقال له محمد : امض إلى من أردت منهم ، فقال :

ابعث إلى رئيسهم وكبيرهم ـ يعني أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام ـ فإنك إذا أغلظت عليه علموا جميعا أنك ستمرهم على الطريق التي أمررت عليها أبا عبد الله عليه السلام ، قال : فوالله ما لبثنا أن أتى بأبي عبد الله عليه السلام حتى أوقف بين يديه فقال له عيسى بن زيد : أسلم تسلم : فقال له عبد الله عليه السلام : أحدثت نبوة بعد محمد صلى الله عليه وآله؟ فقال له محمد : لا ولكن بايع تأمن على نفسك ومالك وولدك ولا تكلفن حربا ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : ما فيّ حرب ولا قتال ولقد تقدمت إلى أبيك وحذرته الذي حاق به ولكن لا ينفع حذر من قدر، ياابن أخي عليك بالشباب ودع عنك الشيوخ ، فقال له محمد : ما أقرب ما بيني وبينك في السن ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : إني لم أعازّك ولم أجيء لأتقدم عليك في الذى أنت فيه ، فقال له محمد : لا والله لابد من أن تبايع ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : ما فيّ ياابن أخي طلب ولا حرب وإني لأريد الخروج إلى الباديه

فيصـــدني ذلـك ويثقـل علي حتى تكلمني فى ذلـك الأهـل غير مرة ، ولا يمنعني منه إلا الضعف ، والله والرحم أن تدبر عنّا ونشقى بك ، فقال له : ياأبا عبد الله قد والله مات أبو الدوانيق ـ يعنى أبا جعفر ـ فقال له أبو عبد الله عليه السلام : وما تصنع بي وقد مات؟ قال : أريد الجمال بك ، قال : ما إلى ما تريـد السبيـل ، لا والله مامـات أبـو الدوانيق إلا أن يكون مات موت النوم قال : والله لتبايعنى طائعاً أو مكرهاً ولا تحمد فى بيعتك ، فأبى عليـه إبـاء شديـداً وأمـر به إلى الحبس ، فقال له عيسى بن زيد : أما إن طرحنـاه فى السجن وقـد خرب السجن وليس عليـه اليوم غلق ، خفنا أن يهرب منه ، فضحك أبو عبد الله عليه السلام ، ثم قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العـلي العظيم أو تراك تسجنني؟ قال : نعم والـذى أكـرم محمـد صلى الله عليـه وآلـه بالنبوة لأسجنتك ولأشددّن عليك ، فقال عيسى بن زيد : احبسوه في المخبأ ـ وذلك دار ريطة اليوم ـ فقال له أبو عبد الله عليه السـلام : أمـا والله إني سأقـول ثم أصـدّق ، فقـال له عيسى بن زيد : لو تكلمت لكسـرت فمـك ، فقـال له أبـو عبـد الله عليـه السلام : أما والله ياأكشف ياأزرق لكأني بك تطلب لنفسـك جحـراً تدخل فيه وما أنت في المـذكـورين عنـد اللقاء وإني لأظنك إذا صفق خلفك ، طرت مثل الهيق النافر ، فنفر عليه محمد بانتهار: احبسه وشدد عليه واغلظ عليه ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : أما والله لكأني بك خارجاً من سدة أشجع إلى بطن الـــوادى وقـد حمل عليـك فارس معلم فى يده طرّادة نصفهـا أبيض ونصفهـا أسـود ، على فرس كميت أقـرح فطعنـك فلم يصنع فيك شيئا وضـربت خيشـوم فرسه فطرحته وحمل عليك آخر خارج من زقاق آل أبى عمار الـدئليـين عليـه غديـرتان مضفورتان ، وقد خرجتا من تحت بيضة ، كثـير شعـر الشـاربـين ، فهو والله صاحبك ، فلا رحم الله رمّته ، فقال له

محمد : ياأبا عبد الله ، حسبت فأخطأت وقام إليه السراقي بن سلخ الحوت ، فدفع في ظهره حتى أدخل السجن واصطفى ما كان له من مال وما كان لقومه ممن لم يخرج مع محمد»(١٠٦) .

هذا ما حصل فى حياة جعفر بن الباقر من افتراق الشيعة وتحزبهم بأحزاب مختلفة وتشعبهم فى فرق متعددة .

الشيعة بعد وفاة جعفر

وأما بعد وفاته سنة ثمان وأربعين ومائة حصل الاختلاف العظيم ، وافترق الشيعة الى فرق عديدة كثيرة ، ولقد عدها الكاتب الشيعى المشهور النوبختى . وهو الأوائل من كتب فى الفرق من القوم ست فرق ، فقال :

فلما توفى أبوعبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام افترقت الشيعة بعده ست فرق . . . ودفن فى القبر الذى دفن فيه أبوه وجده فى البقيع . . . وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر وأمها اسماء(١٠٧) بنت عبد الرحمن بن أبى بكر(١٠٨) .

والفرق الستة التى عدّها ، الأولى منها :

الناووسية : وهى التى قالت إن جعفر بن محمد حي لم يمت ولا يموت حتى يظهر ويلى أمر الناس وأنه هو المهدى ، وزعموا أنهم رووا عنه أنه قال : ان رأيتم رأسى قد أهوى عليكم من جبل فلا تصدقوه فانى صاحبكم وأنه قال لهم : ان جاءكم من يخبركم عنى أنه مرضنى وغسلنى وكفننى فلا تصدقوه ، فانى صاحبكم صاحب السيف ، وهذه الفرقة

(١٠٦) الأصول من الكافى ، كتاب الحجة ج ١ ص ٣٥٨ وما بعد .

(١٠٧) وعلى ذلك كان يقول : لقد ولدنى أبو بكر مرتين (كشف الغمة للأربلى الشيعى ج ٢ ص ١٦١ .

(١٠٨) فرق الشيعة للنوبختى ص ٧٨ .

تسمى الناووسية وسميت بذلك لرئيس لهم من أهل البصرة يقال له: فلان بن فلان الناووس»(١٠٩).

وزعم قوم أن الذى يتبدى للناس لم يكن جعفرا، وانما تصور الناس فى تلك الصورة، وانضم الى هذه الفرقة قوم من السبئية فزعموا جميعا أن جعفرا كان عالما بجميع معالم الدين من العقليات والشرعيات، فاذا قيل للواحد منهم: ما تقول فى القرآن أوفى الرؤ ية أوفى غير ذلك من أصول الدين أوفى فروعه؟ يقول: أقول فيها ما كان يقوله جعفر الصادق، يقلدونه»(١١٠).

هذا ما حصل فى حياة جعفر بن الباقر من افتراق الشيعة وتحزبهم بأحزاب مختلفة وتشعبهم فى فرق متعددة.

والفرقة الثانية: السمطية أو الشميطية: وهم القائلون إن الإمام بعد جعفر بن محمد ابنه محمد بن جعفر، وذلك لأن أباه جعفر وصي له فى صباه، وكان يقول: إنه يشبه أبى محمد الباقر وجدى رسول الله، فجعل هؤلاء الإمامة فى محمد بن جعفر وولده من بعده.

وهذه الفرقة تسمى السمطية وتنسب الى يحيى بن أبى السميط أو أبى الشميط»(١١١).

والجدير بالذكر أن محمد بن جعفر هذا خرج أيام المأمون، ودعا الناس الى نفسه:

وبايع له أهل المدينة بامرة المؤمنين»(١١٢).

---

(١٠٩) أيضا ص ٨٧، ٨٨.

(١١٠) الفرق بين الفرق ص ٦١، مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٩٧، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى ص ٥٣، الملل والنحل للشهرستانى ج ٢ ص ٢، ٣، الحور العين ص ١٦٢، التبصير للاسفرائينى ص ٤٠، الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج ٤ ص ١٨٠، الخطط للمقريزى ج ٤ ص١٧٤.

(١١١) انظر فرق الشيعة ص ٩٨، مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٩٩، الفرق بين الفرق ص ٦١، ٦٢، اعتقادات للرازى ص ٥٤، التبصير ص ٤١، الحور العين ص ١٦٣، الملل لابن حزم ج ٢ ص ٣.

(١١٢) مقاتل للاصفهانى ص ٣٥٧، الارشاد ص ، تاريخ بغداد ج ٢ ص ١١٤.

فحصلت بينه وبين جيوش المأمون بقيادة هارون بن المسيب معارك عديدة.

ثم وجه اليه هارون خيلا فحاصرته فى موضعه، لأنه كان موضعا حصينا لا يوصل اليه، فلما بقوا فى الموضع ثلاثا ونفد زادهم وماؤهم، جعل أصحابه يتفرقون ويتسللون يمينا وشمالا، فلما رأى ذلك لبس بردا ونعلا، وصار الى مضرب هارون فدخل اليه وسأله الأمان لأصحابه، ففعل هارون ذلك»(١١٣)

وذكر المفيد بأنه كان يرى رأى الزيدية فى الخروج بالسيف، ولذلك اتبعه كثير من الزيدية الجارودية(١١٤)

والفرقة الثالثة: الفطحية: فلقد ذكرها الكشى تحت عنوان الفطحية بقوله:

هم القائلون بإمامة عبد الله بن جعفر بن محمد، وسموا بذلك لأنه قيل إنه كان أفطح الرأس، وقال بعضهم: كان أفطح الرجلين وقال بعضهم: إنهم نسبوا الى رئيس من أهل الكوفة يقال له: عبد الله بن فطيح، والذين قالوا بإمامته عامة مشائخ العصابة وفقهائها، مالوا الى هذه المقالة فدخلت عليهم الشبهة لما روى عنهم عليهم السلام انهم قالوا: الإمامة فى الأكبر من ولد الإمام إذا مضى إمام... ثم إن عبد الله مات بعد أبيه بسبعين يوما، فرجع الباقون إلا شاذا منهم عن القول بإمامته إلى القول بإمامة أبى الحسن موسى (ع) ورجعوا الى الخبر الذى روى: إن الإمامة لا يكون فى الآخوين بعد الحسن والحسين (ع)»(١١٥).

وذكر مثل هذا النوبختى الشيعى وزاد:

ومال الى هذه الفرقة جل مشائخ الشيعة وفقهائها، ولم يشكوا فى

(١١٣) مقاتل ص ٥٤٠، الارشاد ص ٢٨٦.
(١١٤) الارشاد للمفيد ص ٢٨٦.
(١١٥) رجال الكشى ص ٢١٩.

أن الإمامة فى محمد بن جعفر وفى ولده من بعده، فمات عبد الله ولم يخلف ذكرا»(١١٦).

وأما المفيد فقال:

وكان عبد الله بن جعفر أكبر إخوته بعد إسماعيل ولم يكن منزلته عند أبيه كمنزلة غيره من ولده فى الإكرام، وكان متهما بالخلاف على أبيه فى الاعتقاد ويقال انه كان يخالط الحشوية ويميل الى مذهب المرجئة، وادعى بعد أبيه الإمامة واحتج بأنه أكبر إخوته الباقين، فاتبعه على قوله جماعة من أصحاب أبى عبد الله عليه السلام، ثم رجع أكثرهم بعد ذلك الى القول بإمامة أخيه موسى عليه السلام لما تبينوا ضعف دعواه وقوة أمر أبى الحسن (ع) ودلالة حقه وبراهين إمامته وأقام نفر يسير منهم على أمرهم، ودانوا بإمامة عبد الله بن جعفر، الطائفة الملقبة بالفطحية»(١١٧).

وقد ذكرهم الأربلى أيضا فى كشف الغمة(١١٨).

ويسمون العمارية أيضا كما ذكره الأشعرى فى (مقالات الاسلاميين) نسبة الى رئيس لهم يعرف بعمار(١١٩).

والجدير بالذكر أن الشيعة يروون روايات عن أئمتهم المعصومين حسب زعمهم بأن الإمامة فى أكبر الأبناء كما روى الكلينى:

عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: ان الأمر فى الكبير ما لم تكن به عاهة»(١٢٠).

وبذلك استدل على إمامته «واحتج بأنه أكبر الاخوة الباقين فاتبعه

---

(١١٦) فرق الشيعة للنوبختى ص ٩٩.
(١١٧) الارشاد ص ٢٨٥، ٢٨٦.
(١١٨) ج ٢ ص ٣٩٣.
(١١٩) ج ١ ص ٩٩.
(١٢٠) كتاب الحجة من الكافى فى الاصول ج ١ ص ٣٥٧.

على قوله جماعة من أصحاب أبى عبد الله عليه السلام»(١٢١).

ثم ومع هذا كيف يعدلون عنه ولم يكن به عاهة؟

اللهم الا أنهم يذكرون أنه كان يخالف أباه فى العقائد(١٢٢).

ونريد أن نلفت الأنظار الى أن ابن جعفر الآخر وهو محمد أيضا كان منكرا لإمامة أبيه جعفر ومخالفا لأفكاره وآرائه كما ذكره الطبرسي والمفيد(١٢٣).

والفرقة الرابعة: الذين قالوا بإمامة موسى بن جعفر ـ وأنكروا إمامة عبد الله وخطؤوه فى فعله وجلوسه مجلس أبيه وادعائه الإمامة(١٢٤).

فسنذكر تفاصيل واختلافات هؤلاء فيما بعد تحت أيام موسى الملقب بالكاظم.

الإسماعيلية

وأما الفرقة الخامسة والسادسة التى حدثت ونشأت من بين الشيعة فهى الاسماعيلية فأولا نذكرهم من الشيعة أنفسهم، فيقول النوبختى:

وفرقة زعمت أن الامام بعد جعفر بن محمد ابنه اسماعيل بن جعفر، وأنكرت موت اسماعيل فى حياة أبيه وقالوا: كان ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس لأنه خاف فغيبه عنهم، وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض يقوم بأمر الناس وأنه هو القائم لأن أباه أشار إليه بالإمامة بعده وقلدهم ذلك له وأخبرهم أنه صاحبه، والإمام لا يقول الا الحق، فلما ظهر موته علمنا أنه قد صدق وأنه القائم وأنه لم يمت،

(١٢١) الارشاد للمفيد ص ٢٨٥.

(١٢٢) كشف الغمة للأربلى ج ٢ ص ٣٩٣.

(١٢٣) انظر اعلام الورى ص ٢٩١، الارشاد للمفيد ص ٢٨٦.

(١٢٤) فرق الشيعة للنوبختى ص ١٠٠.

وهذه الفرقة هى الاسماعيلية الخالصة»(١٢٥).

ثم لهم فرق كثيرة نذكر بعضها بالاختصار، فذكر المفيد تحت عنوان: أولاد أبى عبد الله عليه السلام وعددهم وأسماؤهم وطرف من أخبارهم:

وكان إسماعيل أكبر الاخوة وكان أبوعبد الله عليه السلام شديد المحبة له والبر به والاشفاق عليه وكان قوم من الشيعة يظنون انه القائم بعد أبيه والخليفة له من بعده إذ كان أكبر إخوته سناً ولميل أبيه اليه وإكرامه له فمات فى حياة أبيه عليه السلام بالعريض وحمل على رقاب الرجال الى أبيه بالمدينة حتى دفن بالبقيع.

وروى أن أبا عبد الله عليه السلام جزع عليه جزعاً شديداً، وحزن عليه حزناً عظيما وتقدم سريره بغير حذاء ولا رداء وأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً كثيرة وكان يكشف عن وجهه وينظر اليه يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظانين خلافته له من بعده وإزالة الشبهة عنهم فى حياته.

ولما مات إسماعيل (رحمه الله) انصرف عن القول بإمامته بعد أبيه من كان يظن ذلك فيعتقده من أصحاب أبيه وأقام على حياته شرذمة لم تكن من خاصة أبيه ولا من الرواة عنه وكانوا من الأباعد والأطراف.

فلما مات الصادق عليه السلام انتقل فريق منهم إلى القول بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام وافترق الباقون فريقين فريق منهم رجعوا عن حياة اسماعيل وقالوا بإمامة ابنه محمد بن اسماعيل لظنهم ان الإمامة كانت فى أبيه وأن الابن أحق بمقام الإمامة من الأخ.

وفريق ثبتوا على حياة اسماعيل وهم اليوم شذاذ لا يعرف منهم

(١٢٥) أيضا ص ٨٨، ٨٩.

أحد يومى اليه، وهذان الفريقان يسميان بالإسماعيلية والمعروف منهم الآن من يزعم أن الإمامة بعد إسماعيل فى ولده وولد ولده الى آخر الزمان»(١٢٦).

وذكر مثل ذلك فى كتب الشيعة الأخرى مثل (شرح ابن أبى الحديد) و(أعيان الشيعة) و(الشيعة فى التاريخ).

ولقد ذكر الإسماعيلية من السنة كل من الأشعرى والبغدادى والأسفرائينى والرازى والشهرستانى وغيرهم من المتقدمين، كما ذكرهم كثير من المتأخرين السنة ولكن نذكر ما ذكره ابن خلدون، فيقول:

فأما الإسماعيلية فقالوا بإمامة إسماعيل الإمام بالنص من أبيه جعفر، وفائدة النص عليه عندهم وإن كان قد مات قبل أبيه إنما هو بقاء الإمامة فى عقبه كقصة هارون مع موسى صلوات الله عليهما قالوا: ثم انتلقت الإمامة من إسماعيل إلى ابنه محمد المكتوم وهو أول الأئمة المستورين، لأن الإمام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستتر وتكون دعاته ظاهرين إقامة للحجة على الخلق، وإذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته، قالوا: وبعد محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق وبعده ابنه محمد الحبيب وهو آخر المستورين وبعده ابنه عبد الله المهدى الذى أظهر دعوته أبو عبد الله الشيعى فى كتامة وتتابع الناس على دعوته ثم أخرجه من معتقله بسجلماسة وملك القيروان والمغرب وملك بنوه من بعد مصر كما هو معروف فى أخباراهم، ويسمى هؤلاء نسبةً إلى القول بإمامة إسماعيل ويسمون أيضا بالباطنية نسبة إلى قولهم بالإمام الباطن أى المستور، ويسمون أيضا الملحدة لما فى ضمن مقالتهم من الإلحاد، ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا إليها الحسن بن محمد الصباح فى

(١٢٦) الارشاد للمفيد ص ٢٨٤، ٢٨٥.

آخر المائة الخامسة وملك حصونا بالشام والعراق ولم تزل دعوته فيها إلى أن توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر وملوك التتر بالعراق»(١٢٧).

وذكرهم الشهرستانى بقوله:

الإسماعيلية قالوا: إن الإمام بعد جعفر إسماعيل نصا عليه باتفاق من أولاده إلا أنهم اختلفوا فى موته فى حال حياة أبيه، فمنهم من قال: لم يمت إلا أنه أظهر موته تقية من خلفاء بنى العباس، وعقد محضرا وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة. ومنهم من قال: الموت صحيح، والنص لا يرجع القهقرى. والفائدة فى النص بقاء الإمامة فى أولاد المنصوص عليه دون غيره، فالإمام بعد إسماعيل محمد بن إسماعيل، وهؤلاء يقال لهم: المباركية، ثم منهم من وقف على محمد بن إسماعيل وقال برجعته بعد غيبته، ومنهم من ساق الإمامة فى المستورين منهم، ثم فى الظاهرين القائمين من بعدهم»(١٢٨).

ثم ساق أدلتهم لإثباتهم إمامة إسماعيل بن جعفر بقوله:

إسماعيل بن جعفر وهو ابنه الأكبر المنصوص فى بدء الأمر، قالوا: لم يتزوج الصادق على أمه بواحدة من النساء ولا اشترى جارية كسنة رسول الله فى حق خديجة وكسنة علي فى حق فاطمة، وذكرنا اختلافهم فى موته فى حال حياة أبيه، فمنهم من قال: إنه مات، وإنما فائد النص عليه انتقال الإمامة منه إلى أولاده خاصة كا نص موسى الى هارون عليهما السلام، ثم مات هارون فى حال حياة أخيه، وانما فائدة النص انتقال الإمامة منه الى أولاده فإن النص لا يرجع القهقرى والقول بالبدأ محال، ولا ينص الإمام على واحد من ولده إلا بعد السماع من آبائه، والتعيين لا يجوز على الإبهام والجهالة.

(١٢٧) مقدمة ابن خلدون ص ٢٠١.
(١٢٨) الملل والنحل للشهرستانى ج ٢ ص ٥.

ومنهم من قال: إنه لم يمت لكن أظهر موته تقية عليه حتى لا يقصد بالقتل، ولهذا القول دلالات: منها أن محمد كان صغيرا وهو أخوه لأمه مضى الى السرير الذى كان إسماعيل نائما عليه ورفع الملاءة فأبصره وهو قد فتح عينه وعدا الى أبيه مفزعا وقال: عاش أخى عاش أخى، قال والده: إن أولاد الرسول كذا يكون حالهم فى الآخرة قالوا: وما السبب فى الإشهاد على موته؟. وعن هذا لما رفع إلى المنصور أن اسماعيل بن جعفر رؤ ى بالبصرة مر على مقعد فدعى فبر ىء باذن الله بعث المنصور الى الصادق أن إسماعيل فى الاحياء، وانه رؤ ى بالبصرة؟ أنفذ السجل إليه وعليه شهادة عامله بالمدينة.

قالوا: وبعد إسماعيل محمد بن إسماعيل السابع التام، وإنما تم دور السبعة به، ثم ابتدىء منه بالأئمة المستورين الذين كانوا يسير ون فى البلاد ويظهرون الدعاة جهرا، قالوا: ولن تخلو الأرض قط من إمام حيّ، إما ظاهر مكشوف وإما باطن مستور، فإذا كان الإمام ظاهرا يجوز أن يكون حجته مستورة، وإذا كان الإمام مستورا فلابد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين، وقالوا: إنما الأئمة تدور أحكامهم على سبعة كأيام الأسبوع والسماوات السبع والكواكب السبع، والنقباء تدور أحكامهم على أثنى عشر، قالوا: وعن هذا وقعت الشبهة للإمامية القطعية حيث قرروا عدد النقباء للأئمة، ثم بعد الأئمة المستورين كان ظاهر المهدى والقائم بأمر الله وأولادهم نصا بعد نص على إمام بعد إمام. ومذهبهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وكذلك من مات ولم يكن فى عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية... وأشهر ألقابهم الباطنية، وانما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيلا تأويلا، ولهم ألقاب غير هذا من القرامطة والمزدكية والملحدة، وهم

يقولون: نحن اسماعيلية لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم... ثم أصحاب الدعوة الجديدة تنكبوا هذه الطريقة حين أظهر الحسن بن الصباح دعوته وقصر عن الالزامات كلمته واستظهر بالرجال وتحصن بالقلاع، وكان بدؤ صعوده الى قلعة ألموت فى شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وذلك بعد أن هاجر الى بلاد إمامه وتلقى منه كيفية الدعوة لأبناء زمانه، فعاد ودعا الناس أول دعوة الى تعيين إمام صادق قائم فى كل زمان وتمييز الفرقة الناجية من سائر الفرق بهذه النكتة وهو أن لهم إماما وليس لغيرهم إمام»(١٢٩).

القرامطة

وتفرعت على الاسماعيلية فرق عديدة، المشهور منها:

القرامطة المنسوبون إلى حمدان الأشعث المعروف بقرمط لقصر قامته ورجليه وتقارب خطوه، فى سنة أربع وستين ومائتين ٢٦٤هـ، وكان ظهوره بسواد الكوفة، فاشتهر مذهبه بالعراق، وقام ببلاد الشام صاحب الخال، والمدثر المطوق، وقام أبو سعيد الجنابى بالبحرين، وعظمت دولته ودولة بنيه حتى أوقعوا بعساكر الخلفاء العباسيين، وغزوا بغداد والشام ومصر والحجاز، وانتشرت دعاتهم بأقطار الأرض.

فدخل جماعة من الناس فى دعوتهم، ومالوا إلى قولهم الذى سموه علم الباطن وهو تأويل شرائع الاسلام، وصرفها عن ظواهرها الى أمور زعموها من عند أنفسهم، فضلوا وأضلوا عالما كثيرا.

وقيل غير ذلك فى تاريخ ظهور حمدان هذا وفى تسميته بقرمط، يقول الوطواط «ظهر فى أيام خلافة المعتمد سنة ٢٧٨هـ من سواد الكوفة

(١٢٩) الملل والنحل ج ٢ ص ٣٢، ٣٣.

رجل أحمر العينين يسمى كرميته ، فاستثقلوا هذه اللفظة فخففوها وقالوا قرمط ، ثم ذكر أنواع تعاليمه وبدعه الفاسدة ، وذكر أن المعز الفاطمى وقائده جوهر قد حاربا القرامطة حروباً دامية سنة ٣٦٢هـ» .

ويقول ابن خلكان «والقرامطة نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط بكسر القاف ، ولهم مذهب مذموم ، وكانوا قد ظهروا فى سنة ٢٨١هـ فى خلافة المعتضد ، وقيل كان ظهورهم فى سنة ٢٧٨هـ» .

ويرى أبو الفداء «أن ظهورهم كان فى هذه السنة أى سنة ٢٧٨هـ فى سواد الكوفة ، وأن الرجل الذى دعاهم إلى مذهبه كان شيخاً وقد تمرض بقرية من سواد الكوفة ، فحمله رجل من أهل القرية يقال له كرميته لحمرة عينيه وهو بالنبطية اسم لحمرة العين . فلما تعافى الشيخ المذكور سمى باسم ذلك الرجل الذى آواه ومرضه . ثم خفف فقالوا قرمط بكسر القاف . ودعا قوماً من أهل البادية ممن ليس لهم دين ولا عقل إلى دينه ، فأجابوه» .

ولا يهمنا أكان الرجل الذي دعا القرامطة هو نفس الرجل المسمى بقرمط أو غيره ولكنه سمى باسم قرمط؟ وإنما يهمنا أن نعرف تاريخ ظهورهم في أي سنة كان ، لنعرف أكان في زمن الأئمة من أهل البيت أم لا؟ وقد رأيت اختلاف الروايات فى تحديد زمان ظهورهم . والأرجح أنه كان فى سنة ٢٧٨ه أى بعد انقضاء زمن الأئمة الميامين وفى أثناء الغيبة الصغرى للامام الثانى عشر»(١٣٠) .

وقد ذكرهم الاشعرى بقوله :

القرامطة يزعمون أن النبى ﷺ نص على على بن أبى طالب ، وأن عليا نص على إمامة ابنه الحسن ، وأن الحسن بن على نص على

(١٣٠) الشيعة فى التاريخ ص ٢٣١ الى ٢٣٤ .

إمامة أخيه الحسين بن على ، وأن الحسين بن على نص على إمامة ابنه على بن الحسين ، وأن على بن الحسين نص على إمامة ابنه محمد بن على ، ونص محد بن على على إمامة ابنه جعفر، ونص جعفر على إمامة ابنه محمد بن اسماعيل ، وزعموا أن محمد بن اسماعيل حى الى اليوم ، لم يمت ، ولا يموت حتى يملك الأرض ، وأنه هو المهدى الذى تقدمت البشارة به ، واحتجت فى ذلك بأخبار رووها عن أسلافهم ، يخبرون فيها أن سابع الأئمة قائمهم»(١٣١) .

كما ذكرهم الآخرون :

ومنها المباركية وغيرها ، والموجود المشهور منها فرق ثلاثة : الآغاخانية أو النزارية أتباع آغاخان ، والبهرة أو المستعلية والسليمانية .

ولكل واحدة منها عقائد وآراء متفقة فى بعضها ومختلفة فى البعض الاخرى منها ، ولنا ، فيهم ، فى جميع فرقهم وعقائدهم ، آرائهم وأفكارهم والاسس التى قام عليها معتقداتهم ، وفى تاريخهم وفى بداية أمرهم كلام مستقل طويل ناقشنا فيه آراء المستشرقين والكتاب المصريين والاسماعيليين ، السوريين منها والهنديين ، وفندنا بعض الآراء التى ابتنوها عن هؤلاء القوم وأثبتنا أخطاءهم الفاحشة ، التاريخية منها والعقائدية ، كما أوردنا فى بحثنا ذاك معلومات جديدة حقيقية عن معتقدات القوم الأصلية من كتبهم العتيقة القديمة ، المخطوطة منها والمطبوعة ، وأثبتنا فيه جهالات كثيرة للأسماء الكبيرة وللأشخاص المشهورة المعروفة وحتى من يتربع على زعامة الاسماعيلية ويدعى أنه من أكابرها . وهذا فى كتاب مستقل(١٣٢) ولأجل ذلك تجنبنا إطالة القول فى

(١٣١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٩٨ .

(١٣٢) وسيصدر هذا الكتاب عما قريب ان شاء الله بعد صدور هذا الكتاب ، وكنا ننوى اصداره قبل هذا حيث كنا قد جمعنا كل شىء عن الاسماعيلية ولكننا تأخرنا بعدما سمعنا بوجود بعض المخطوطات الأخرى التى لم نحصل عليها حتى الآن ، فأردنا أن لا ينقصنا شىء من ذلك ، ويكون

كتابنا هذا عنهم وعقائدهم، واكتفينا بنقل الأقوال وسرد العبارات عمن كتب فى الفرق من الشيعة والسنة كيلا نخرج عن أصل الموضوع ولايطول بنا الحديث.

ألدروز

ومن الفرق التى تفرعت وخرجت من الاسماعيلية، ومنها أخذت أفكارها وعقائدها طائفة الدروز، وكانت نشأتها أيام الحاكم بأمر الله الفاطمى الذى تولى ملك مصر بعد وفاة أبيه سنة ٣٨٦ وكان عمره آنذاك أحد عشر عاما، واستقل به سنة ٣٩٠ بعد قتل أحد الأوصياء عليه(١٣٣).

فاستغل صغر عمره وطموحه وشذوذه فى المأكل والمشرب والسكن والقيام والهالة المقدسة التى كانت تحيطه بعض دعاة الاسماعيلية الملاحدة مرسلوا الفرس والمجوس، فأحاطوا به وزينوا له فكرة ألوهيته وبوبيته، وكان من أبرزهم حمزة بن على احمد الزوزنى ومحمد بن اسماعيل الدرزى والحسن بن حيدرة الفرغانى وغيرهم المشهور بالأخرم أو الأجدع(١٣٤).

فذهبوا شأوا بعيدا فى الانحراف والانحلال، ويقول المؤرخون: إن بداية الدعوة الى الوهية الحاكم كانت سنة ٤٠٨(١٣٥).

ومن أهم عقائدهم ألوهية الحاكم كما ورد فى مصحف الدروز ميثاق للدروزيين أن يقولوا: آمنت بالله، ربي الحاكم، العلي الأعلي،

البحث كاملا شاملا وجامعا مانعا قدر الاستطاعة وما ذلك على الله بعزيز.

واننا لنرى بأن هذا الكتاب سيثير ضجة كبرى فى الأوساط العلمية العالمية حيث اكتشفنا فيه بعض الحقائق المستورة التى لم يهتد اليها من اشتهر وعرف فى العالم بتخصصه من المستشرقين والمصريين، وحتى من الاسماعيلية أنفسهم، كما كشفنا فيه النقاب عن بعض البديهيات التى خفيت على هؤلاء الفئة من الناس. فهناك وفيه الملتقى ان شاء الله بالتفصيل.

(١٣٣) انظر سمط النجوم العوالى ج ٢ ص ٤١٤.

(١٣٤) انظر طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص ٧٥.

(١٣٥) أضواء على العقيدة الدرزية لأحمد فوزان، طائفة الدروز لمحمد كامل حسين.

رب المشرقين، ورب المغربين، واله الأصلين والفرعين، منشىء الناطق والأساس، مظهر الصورة الكاملة بنوره، الذي على العرش استوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى، وآمنت به، وهو رب الرجعى، وله الأولى والآخرة، وهو الظاهر والباطن.

وآمنت بأولي العزم من الرسل، ذوي مشارق التجلي المبارك حولها وبحاملي العرش الثمانية، وبجميع الحدود، وأومن عاملا قائما بكل أمر ومنع ينزل من لدن مولانا الحاكم، وقد سلمت نفسي وذاتي وذواتي، ظاهرا وباطنا، علما وعملا، وأن أجاهد في سبيل مولانا، سرا وجهرا بنفسي ومالي وولدي وما ملكت يداي، قولا وعملا، وأشهدت على هذا الاقرار جميع ما خلق بمشارقي ومات بمغاربي.

وقد التزمت وأوجبت على هذا نفسي وروحي بصحة من عقلي وعقيدتي، واني أقر بهذا، غير مكره أو منافق، وانني أشهد مولاي الحق الحاكم، من هو في السماء اله وفي الأرض اله، وأشهد مولاي هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين المرتدين، حمزة بن علي بن أحمد، من به أشرقت الشمس الأزلية، ونطقت فيه وله سحب الفضل: انني قد برئت وخرجت من جميع الأديان والمذاهب والمقالات والاعتقادات قديمها وحديثها، وآمنت بما أمر به مولانا الحاكم الذي لا أشرك في عبادته أحدا في جميع أدواري»(١٣٦).

ومن عقائدهم: التناسخ والحلول:

كلما مات انسان انتقلت روحه لمولود جديد(١٣٧).

كما أن من أهم عقائدهم الغيبة والرجعة، ويقولون بأن الحاكم بأمر الله غاب عن الأبصار، وسيرجع في آخر الزمان وسيحل عند الركن

(١٣٦) مصحف الدروز: عرف العهد والميثاق ص ١٠٧، ١٠٨.
(١٣٧) الدروز والثورة السورية لكريم ثاقب ص ٣٤.

اليمانى من الكعبة.

وغيره من العقائد المشتركة بينهم وبين الشيعة، ولقد ذكرهم شيخ الاسلام ابن تيمية، هؤلاء والنصيرية، فى جواب سائل سأله:

الدرزية هم أتباع هشتكين الدرزى، وكان من موالى الحاكم أرسله الى أهل وادى تيم الله بن ثعلبة، فدعاهم الى إلاهية الحاكم، ويسمونه البارى، العلام، ويحلفون به، وهم من الإسماعيلية القائلين بأن محمد بن اسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله، وهم أعظم كفرا من الغالية، يقولون بقدم العالم، وإنكار المعاد، وانكار واجبات الاسلام ومحرماته، وهم من القرامطة الباطنية الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركى العرب، وغايتهم أن يكونوا فلاسفة على مذهب أرسطو وأمثاله، أو مجوسا. وقولهم مركب من قول الفلاسفة والمجوس، ويظهرون التشيع نفاقا. والله أعلم».

فقال شيخ الاسلام ردا عليه: كفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون، بل من شك فى كفرهم فهو كافر مثلهم، لاهم بمنزلة أهل الكتاب ولا المشركين، بل هم الكفرة الضالون، فلا يباح أكل طعامهم، وتسبى نساؤهم، وتؤخذ أموالهم. فانهم زنادقة مرتدين لا تقبل توبتهم، بل يقتلون أينما ثقفوا، ويلعنون كما وصفوا، ولا يجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحفاظ، ويجب قتل علمائهم وصلحائهم لئلا يضلوا غيره، ويحرم النوم معهم فى بيوتهم، ورفقتهم، والمشى معهم، وتشييع جنائزهم اذا علم موتها. ويحرم على ولاة أمور المسلمين إضاعة ما أمر الله من إقامة الحدود عليهم بأى شىء يراه المقيم المقام عليه»(١٣٨).

فهذه هى الفرق التى افترقت وحدثت ونشأت بعد موت جعفر بن

(١٣٨) فتاوى شيخ الاسلام ج ٣٥ ص ١٦١، ١٦٢

البــاقــر، وتفـرقت آراؤهم واختلفت أقـوالهم مع اتفـاقهم على توارث الأفكار السبئية.

فرق الشيعة أيام موسى الكاظم

ثم الـذين قالـوا بإمـامـة موسى بن جعفـر أيضـا تفـرقوا الى فرق عديدة، فى حياته وبعد مماته. كما ذكر النوبختى الشيعى:

ثم ان جماعة من المؤتمين بموسى بن جعفر لم يختلفوا فى أمره فثبتوا على إمامته إلى حبسه فى المرة الثانية، ثم اختلفوا فى أمره فشكوا فى إمامته عند حبسه فى المرة الثانية التى مات فيها فى حبس الرشيد فصاروا خمس فرق»[١٣٩].

وذلك فى سنة ثلاث وثمانين ومائة.

فالفرقة الاولى قالت:

انه مات فى حبس السندى بن شاهك وان يحيى بن خالد البرمكى سمه فى رطب وعنب بعثهما اليه فقتله، وإن الإمام بعد موسى على بن موسى الرضا فسميت هذه الفرقة القطعية، لأنها قطعت على وفاة موسى بن جعفر وعلى إمامة علىّ ابنه بعده ولم تشك فى أمرها، ولا ارتابت ومضت على المنهاج الأول.

وقـالت الفـرقـة الثـانية: ان موسى بن جعفر لم يمت وانه حى ولا يمـوت حتى يملك شرق الأرض وغـربها ويملأهـا كلها عدلا كما ملئت جورا وأنـه القـائم المهدى. وزعموا أنه خرج من الحبس ولم يره أحد نهارا ولم يعلم به، وأن السلطـان وأصحـابـه ادعـوا موتـه ومـوهوا على الناس وكذبوا، وأنه غاب عن الناس واختفى. ورووا فى ذلك روايات عن أبيه

(١٣٩) فرق الشيعة للنوبختى ص ١٠٠.

جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: هو القائم المخمبها فان يدهده رأسه عليكم من جبل فلا تصدقوا فانه القائم»(١٤٠).

وسميت هذه الفرقة بالموسوية لانتظارها موسى بن جعفر»(١٤١).

كما تسمى المفضلية:

لأنهم نسبوا الى رئيس لهم يقال له المفضل بن عمر، وكان ذا قدر فيهم(١٤٢).

ويقال لهم الممطورة:

لأنهم لما أظهروا هذه المقالة قال لهم قوم: والله ما أنتم الا كلاب ممطورة يعنى أنهم من الكلاب المبتلة بالمطر من غاية ركاكة هذه المقالة(١٤٣).

ولأن الناس يطردونهم ويتحرزون منهم(١٤٤).

وقد ذكرهم ابن حزم فى الفصل(١٤٥).

والفرقة الثانية قالت:

انه القائم وقد مات، ولا تكون الامامة لغيره حتى يرجع فيقوم ويظهر، وزعموا أنه قد رجع بعد موته الا أنه مختف فى موضع من المواضع حى يأمر وينهى، وأن أصحابه يلقونه ويرونه. واعتلوا فى ذلك بروايات عن أبيه أنه قال: سمى القائم لأنه يقوم بعد ما يموت»(١٤٦).

والفرقة الثالثة قالت:

انه قد مات وانه القائم، وان فيه شبها من عيسى بن مريم صلى

---

(١٤٠) أيضا ص ١٠١.

(١٤١) الفرق بين الفرق ص ٦٣.

(١٤٢) مقالات الاسلاميين للأشعرى ج ١ ص ١٠١.

(١٤٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٤.

(١٤٤) التبصير ص ٤١.

(١٤٥) ج ٤ ص ١٧٩.

(١٤٦) فرق الشيعة ص ١٠١.

الله عليه وانه لم يرجع ولكنه يرجع فى وقت قيامه فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا، وان أباه قال: إن فيه شبها من عيسى بن مريم وإنه يقتل فى يدى ولد العباس فقد قتل»[١٤٧].

والرابعة قالت:

لا ندرى أهو حى أم ميت، لأنا قد روينا فيه أخبارا كثيرة تدل على أنه القائم المهدى فلا يجوز تكذيبها وقد ورد علينا من خبر وفاة أبيه وجده والماضين من آبائه عليهم السلام فى معنى صحة الخبر، فهذا ايضا مما لا يجوز رده وإنكاره لوضوحه وشهرته وتواتره من حيث لا يكذب مثله، ولا يجوز التوطؤ عليه، والموت حق والله عز وجل يفعل مايشاء، فوقفنا عند ذلك على إطلاق موته وعلى الاقرار بحياته، ونحن مقيمون على إمامته لا نتجاوزها حتى يصح لنا أمره وأمر هذا الذى نصب نفسه مكانه وادعى الامامة يعنون على بن موسى الرضا، فان صحت لنا إمامته كإمامة أبيه من قبله بالدلالات والعلامات الموجبة للإمامة بالاقرار منه على نفسه بإمامته وموت أبيه، لا بأخبار أصحابه سلمنا له ذلك وصدقناه»[١٤٨].

ومثل ذلك ذكر الرازى فى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين[١٤٩] والأشعرى فى مقالات الاسلاميين[١٥٠] والملطى فى التنبيه[١٥١] والاسفرائينى فى التبصير[١٥٢] والبغدادى فى الفرق بين الفرق[١٥٣] والمفيد فى الارشاد[١٥٤] والشهرستانى فى الملل والنحل[١٥٥].

---

(١٤٧) أيضا ص ١٠٢.
(١٤٨) أيضا ص ١٠٣، ١٠٤.
(١٤٩) ص ٥٤.
(١٥٠) ج ١ ص ٨٨.
(١٥١) ص ٣٨.
(١٥٢) ص ٤٢.
(١٥٣) ص ٦٤.
(١٥٤) ص ٣٠٢.
(١٥٥) ج ٢ ص ٣، ٤. الهامش.

وكـانت هنـاك فرقـة أخـرى سادسـة وهى : البشـريـة ، ذكـرهـا النـوبختى بقـوله : «البشرية» أصحاب محمد بن بشير مولى بني أسد من أهل الكوفه قالت ان موسى بن جعفر لم يمت ولم يحبس وإنه حي غائب وأنـه القـائم المهـدي فى وقت غيبتـه استخلف على الأمـر محمد بن بشير وجعله وصيـه وأعطـاه خاتمـه وعلمـه جميع ما يحتاج اليه رعيته وفوض اليه أموره وأقامه مقام نفسه فمحمد بن بشير الامام بعده وأن محمد بن بشير لما توفى أوصى الى ابنـه سميـع بن محمـد بن بشير فهو الامام ومن أوصى اليـه(سميـع) فهـو الامـام المفترض الطاعة على الامة إلى وقت خروج موسى وظهوره فما يلزم الناس من حقوقه في أموالهم وغير ذلك مما يتقربون به الى الله عزوجـل فالفـرض عليهم اداؤه إلى هؤلاء إلى قيـام القائم ، وزعمـوا أن علي بن موسى ومن ادعى الامـامـة من ولد موسى بعده فغير طيب الولادة ونفوهم عن أنسابهم وكفروهم في دعواهم الإمامة ، وكفروا القـائلين بإمـامتهم واستحلوا دمـاءهم وأموالهم ، وزعموا أن الفرض من الله عليهم إقـامـة الصلوات الخمس وصـوم شهـر رمضان وأنكروا الزكاة والحـج وسـائـر الفـرائض ، وقـالـوا بإباحة المحارم من الفروج والغلمان ، واعتلوا فى ذلـك بقـول الله عزوجـل : اويزوجهم ذكرانا واناثا(٤٢ : ٥٠) وقـالـوا بالتنـاسـخ وأن الأئمة عندهم واحد إنما هم منتقلون من بدن الى بدن ، والمواساة بينهم واجبة في كل ما ملكوه من مال ، وكل شيء أوصى به رجل منهم فى سبيل الله فهو لسميع بن محمد واوصيائه من بعده»(١٥٦) .

ولقد ذكر محمد بن بشير هذا ، الكشى فى رجاله بقوله :

أن محمـد بشـير لما مضى أبـو الحسن«ع» ووقف عليـه الواقفة جاء

(١٥٦) فرق الشيعة ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

محمد بن بشير- وكان صاحب شعيذة ومخاريق معروفا بذلك فادعى أنه يقول بالوقف على موسى بن جعفر«ع» هوكان ظاهرا بين الخلق يرونه جميعا يتراءى لأهل النور بالنور ولأهل الكدورة فى مثل خلقهم بالانسانية والبشرية اللحمانية، ثم حجب الخلق جميعا عن إداراكه، وهوقائم فيهم موجود كما كان غير أنهم محجوبون عن إدراكه كالذى كانوا يدركونه.
وكان محمد بن بشير هذا من أهل الكوفة من موالى بنى اسد وله أصحاب، قالوا: إن موسى بن جعفر لم يمت ولم يحبس وإنه غاب واستتر وهو القائم المهدى، وانه فى وقت غيبته استخلف على الامة محمد بن بشير وجعله وصيه واعطاه خاتمه وعلمه جميع ما يحتاج اليه رعيته فى أمر دينهم ودنياهم وفوض إليه جميع أمره وأقامه مقام نفسه، فمحمد بن بشير الامام بعده. . . وكفروا القائلين بإمامتهم واستحلوا دماءهم وأموالهم . . . . وزعموا أن كل من انتسب إلى محمد فهم ثبوت وطروق وأن محمدا هورب حل فى كل من انتسب اليه وأنه لم يلد ولم يولد وأنه محتجب فى هذه الحجب. وزعمت هذه الفرقة والمخسمة والعلياوية وأصحاب أبى الخطاب أن كل من انتسب إلى أنه من آل محمد فهومبطل فى نسبته مفتر على الله كاذب، وانهم الذين قال الله تعالى فيهم انهم يهود ونصارى فى قوله: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق﴾ «محمد» فى مذهب الخطابية و«على» فى مذهب العلياوية فهم ممن خلق. هذان كاذبون فيما ادعوا إذ كان محمد عندهم وعلى هورب لا يلد ولا يولد ولا يستولد، تعالى الله عما يصفون وعما يقولون علوا كبيرا. وكان سبب قتل محمد بن بشير لعنه الله لانه كان معه شعبذة ومخاريق فكان يظهر الواقفة انه ممن وقف على على بن موسى «ع» وكان يقول فى موسى بالربوبية ويدعى

لنفســه انــه نبى ، وكان عنده صورة قد عملها واقامها شخصا كأنه صورة ابى الحسن «ع» من ثياب حرير وقد طلاها بالأدوية وعالجها بحيل عملها فيها حتى صارت شبه صورة انسان ، وكان يطويها فاذا أراد الشعبذة نفخ فيها فأقامها فكان يقول لاصحابه : ان أبا الحسن «ع» عندى فان أحببتم أن تروه وتعلمـوا أنى نبى فهلمـوا أعـرضه عليكم ، وكان يدخلهم البيت والصورة مطوية معه فيقول لهم : هل ترون فى البيت مقيما أوترون غير ى وغـيركم؟ فيقـول : فاخـرجوا فيخرجون من البيت فيصير هووراء الستر بينه وبينهم ثم يقدم تلك الصورة ثم يرفع الستر بينهم وبينه فينظرون الى صورة قائمـة وشخص كأنـه شخص أبى الحسن لا ينكـرون منـه شيئا ، ويقف هو معـه بالقـرب فيريهم من طريق الشعبـذة انـه يكلمـه ويناجيه ويدنو منه كأنه يساره ، ثم يغمزهـم أن يتنحوا فيتنحون ويسبل الستر بينه وبينهم فلا يرون شيئا ، وكانت معه أشياء عجيبة من صنوف الشعبذة ما لم يروا مثلهــا فهلكـوا بها ، فكـانت هذه حالـه مدة حتى رفـع خبره الى بعض الخلفـاء ـ أحسبـه هارون أوغيره ممن كان بعـده من الخلفـاء ـ أنـه زنديق ، فأخذه وأراد ضرب عنقه فقال له : ياأمير الؤمنين استبقنى فانى أتخذ لك أشياء يرغب الملوك فيها ، فأطلقه فكان أول ما اتخذ له الدوالى فانـه عمـد الى الدوالى فسواها وعلقها وجعل الزيبق بين تلك الالواح ، فكـانت الـدوالى تمتلىء من المـاء وتملى الالواح وينقلب الزيبق من تلك الالواح وينقلب الزيبق من تلك الالواح فيتسع الدوالى لذلك ، فكانت تعمل من غير مستعمل لها وتصب الماء فى البستان فأعجبه ذلك مع أشياء عملها ، يضاهى الله بها فى خلقه الجنة فقواه وجعل له مرتبة ، ثم انه يوما من الايــام انكســر بعض تلك الالــواح فخـرج منهــا الـزيبق فتعطلت فاستراب أمره ، وظهر عليه التعطيل والاباحات(١٥٧) .

(١٥٧) رجال الكشي ص ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧ .

هذا وقد ادعى الامامة فى عهده آخران من بنى عمومته . أحدهما حسين بن على بن الحسن بن الحسن المثنى بن الحسن بن على . وأمه زينب بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ، فلقد ادعى الامامة أيام أبى موسى الهادى العباسى حفيد أبى جعفر المنصور(١٥٨) .

وبايعه على إمامته يحيى وسليمان وإدريس بنو عبد الله بن الحسن بن بن الحسن ، وعبد الله الحسن الافطس ، وابراهيم بن اسماعيل الطباطبا ، وعمر بن الحسن بن على بن الحسن بن الحسين ، وعبد الله بن اسحاق بن ابراهيم بن الحسن المثنى ، وعبد الله بن جعفر بن محمد ، وعبد الله بن جعفر بن الباقر ، وعبد الله وعمر ابنا اسحاق بن الحسن بن على زين العابدين وغيرهم(١٥٩) .

حتى قال الاصفهانى :

ولم يتخلف عنه أحد من الطالبيين الا الحسن بن جعفر بن حسن المثنى فانه استعفاه ولم يكرهه .

وموسى بن حعفر بن محمد ـ الامام السابع المزعوم عند الشيعة ـ قال عنيزة القصبانى : رأيت موسى بن جعفر بعد عتمة وقد جاء الى الحسين صاحب فخ ، فانكب عليه شبه الركوع ، وقال : أحب أن تجعلنى فى سعة وحل من تخلفى عنك ، فأطرق الحسين طويلا لا يجيبه ، ثم رفع رأسه اليه ، فقال : أنت فى سعة»(١٦٠) .

وقد ذكر هذا الكلينى فى (كافيه) حيث قال :

حدثنا عبد الله بن المفضل مولى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب قال :

---

(١٥٨) انظر مروج الذهب والطبرى وابن كثير وغيرها من الكتب .
(١٥٩) انظر مقاتل الطالبيين للأصفهانى الشيعى ص ٤٤٦ و ٤٥٦ .
(١٦٠) أيضا ص ٤٤٧ .

لما خرج الحسين بن على المقتول بفخ واحتوى على المدينة، دعا موسى بن جعفر الى البيعة، فأتاه فقال له: يا ابن عم لا تكلفنى ما كلف ابن عمك أبا عبد الله، فيخرج منى مالا اريد كما خرج من أبى عبد الله مالم يكن يريد، فقال له الحسين: انما عرضت عليك أمرا فان أردته دخلت فيه، وان كرهته لم أحملك عليه والله المستعان»(١٦١).

والثانى الذى ادعى الامامة أيامه يحيى بن عبد الله بن الحسن المثنى. وقد ذكره الكينى أيضا حيث قال:

كتب الى موسى بن جعفر يدعوه: خبرنى من ورد علىّ من أعوان الله على دينه ونشر طاعته بما كان من تحننك مع خذلانك، . . . . . وقد احتجبتها واحتجبها أبوك من قبلك، وقديما ادعيتم ماليس لكم وبسطتم أعمالكم الى ما لم يؤتكم الله، فاستهويتم وأضللتم وأنا محذرك ما حذرك الله من نفسه، فكتب اليه ابو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: من موسى بن جعفر. . . ذكرت أنى ثبطت الناس عنك لرغبتى عما فى يديك. . . واحذرك معصية الخليفة(١٦٢) وأحثك على بره وطاعته وأن تطلب لنفسك أمانا قبل أن تأخذك الأظفار ويلزمك الخناق من كل مكان، فتروّح الى النفس من كل مكان ولا تجده، حتى يمن الله عليك بمنه وفضله ورقة الخليفة أبقاه الله، فيؤمنك ويرحمك ويحفظ فيك أرحام رسول الله والسلام على من اتبع الهدى»(١٦٣).

فهذه هى الفرق الشيعية أيام موسى وبعده، وهذه هى عقائدهم وأفكارهم المثبتة من كتب الشيعة والسنة أيضا، والذى قيل: حمله الرشيد

---

(١٦١) الاصول من الكافي ج ١ ص ٣٦٦.

(١٦٢) انظر الى الصدق كيف يتطلع وحتى من الكذابين، امام معصوم للشيعة يمنع الناس عن معصية الخليفة العباسى والخروج عليه، فهل هناك شك بأنه لم يكن أولاد علي يدعون فى أنفسهم ما ينسب اليهم هؤلاء القوم.

(١٦٣) الاصول من الكافي ج ١ ص ٣٦٧.

من المدينة وقد قدم اليها منصرفا من العمرة، ثم شحص هارون للحج وحمله معه، ثم انصرف على طريق البصرة، فحبسه عند السندى بن شاهك فتوفى فى حبسه ببغداد لخمس ليال بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وهو ابن خمس أو أربع وخمسين سنة، ودفن فى مقابر قريش»(١٦٤).

الشيعة أيام على بن موسى الملقب بالرضا

وحصل الاختلاف فى الشيعة الذين اجتمعوا حول على بن موسى الرضا ختن المأمون على ابنته بعد وفاته.

ففرقة قالت بأن الامام بعده أخوه احمد بن موسى بن جعفر:

«أوصى اليه والى الرضا عليه السلام وأجازوها فى أخوين. فهى: المؤلفة، فقطعوا على امامة على بن موسى.

وفرقة منهم تسمى المحدثة، كانوا من أهل الأرجاء وأصحاب الحديث، فدخلوا فى القول بامامة موسى بن جعفر وبعده بامامة على بن موسى، وصاروا شيعة رغبة فى الدنيا وتصنعا، فلما توفى على بن موسى عليه السلام رجعوا الى ما كانوا عليه.

وفرقة كانت من الزيدية الأقوياء منهم والبصراء، فدخلوا فى امامة على بن موسى عليه السلام عندما أظهر المأمون فضله وعقد بيعته تصنعا للدنيا واستكانوا الناس بذلك دهرا، فلما توفى على بن موسى عليه السلام رجعوا الى قومهم من الزيدية(١٦٥).

وفرقة اخرى قالت:

ان الامامة بعد على بن موسى عليه السلام لابنه محمد بن على

---

(١٦٤) فرق الشيعة ص ١٠٥، ١٠٦.

(١٦٥) أيضا ص ١٠٧.

عليه السلام، ولم يكن لغيره[١٦٦].

وكانت هناك فرق اخرى غير هذه الفرق اتبعت فريقا من الطالبيين الذين ادعوا الامامة فى أيام الرضا ودعوا الناس اليهم، فمنهم محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن ابى طالب، وهو المعروف بابن الطباطبا.

ومحمد بن يحيى بن يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على.

ومحمد بن جعفر عم على الرضا.

وابراهيم بن موسى بن جعفر أخو على الرضا.

وحسين بن الحسن بن على بن على زين العابدين وغيرهم.

وقد ذكرهم جميعا ودعوتهم الناس اليهم وخروجهم على المأمون وتسلطهم على بعض المدن والناطق، ومعاركهم مع عساكر العباسيين من الشيعة، الأصفهانى فى مقاتل الطالبيين[١٦٧]، والمسعودى فى كتابه مروج الذهب. ولقد ننقل عنه خروج هؤلاء العلويين وادعاءهم الامامة بايجاز واختصار، فيقول:

وفى سنة تسع وتسعين ومائة خرج ابو السرايا السرى بن منصور الشيبانى بالعراق، واشتد أمره، ومعه محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبي طالب، وهو ابن طباطبا، ووثب بالمدينة محمد بن سليمان بن داود ابن الحسن بن الحسن بن علي رحمهم الله، ووثب بالبصرة على بن محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسن بن على غليهم السلام، وزيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على، فغلبوا على البصرة.

وفي هذه السنة مات ابن طباطبا الذي كان يدعو اليه ابو السرايا،

(١٦٦) أيضا ص ١٠٦.

(١٦٧) ص ٥١٣ وما بعد.

وأقام أبو السرايا مكانه محمد بن محد بن يحى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي .

وظهر في هذه السنة باليمن - وهي سنة تسع وتسعين ومائة - إبراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي ، وظهر في أيام المأمون بمكة ونواحي الحجاز محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رحمهم الله ، وذلك في سنة مائتين ، ودعا لنفسه ، واليه دعت السبطية من فرق الشيعة وقالت بإمامته وقد افترقوا فرقا : فمنهم من غلا ، ومنهم من قصر ، وسلك طريق الإمامية ، وقد ذكرنا في كتاب «المقالات في أصول الديانات» وفي كتاب «أخبار الزمان» من الأمم الماضية والأجيال الخالية والمالك الدائرة ، في الفن الثلاثين من أخبار خلفاء بني العباس ومن ظهر في أيامهم من الطالبيين ، وقيل : إن محمد بن جعفر هذا دعا في بدء أمره وعنفوان شبابه الى محمد بن ابراهيم بن طباطبا صاحب أبي السرايا ، فلما مات ابن طباطبا ، وهو محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن دعا لنفسه ، وتسمى بأمير المؤمنين ، وليس في آل محمد ممن ظهر لإقامة الحق ممن سلف وخلف قبله وبعده من تسمى بأمير المؤمنين غير محمد بن جعفر هذا ، وكان يسمى بالديباجة ؛ لحسنه وبهائه . . . . وظهر في أيام المأمون أيضا بالمدينة الحسين بن الحسن ابن علي بن علي بن الحسين بن علي ، وهو المعروف بابن الأفطس ، وقيل : انه دعا في بدء أمره الى ابن طباطبا ، فلما مات ابن طباطبا دعا إلى نفسه والقول بإمامته وسار الى مكة فأتى الناس وهم بمنى ، وعلى الحاج داود بن عيسى بن موسى الهاشمي ، فهرب داود ، ومضى الناس الى عرفة ، ودفعوا الى مزدلفة بغير إنسان عليهم من ولد العباس ، وقد كان ابن الأفطس وافى الموقف بالليل ، ثم صار الى المزدلفة والناس بغير إمام

فصلى بالنـاس، ثم مصى الى منى، فنحـر ودخـل مكة وجرد البيت مما عليه من الكسوة إلا القباطي البيض فقط. (١٦٨).

والجدير بالذكر أن على بن موسى هو الذى جعل المامون العباسى فيه ولاية العهد بعده:

وأمر المامون الحسن بن سهل والفضل بن سهل وزيريه أن يعرضا ذلك عليه فامتنع منه فلم يزالا به حتى أجاب ورجعا إلى المامون فعرفاه إجـابتـه، فسـر بذلـك وجلس للخـاصة فى يوم خميس وخرج الفضل بن سهـل فأعلم برأى المـامـون فى على بن موسى عليـه السلام وانه قد ولاه عهده وسماه الرضا وأمرهم بلبس الخضرة والعود لبيعته فى الخميس الآخر على أن يأخذوا رزق سنة، فلما كان اليوم ركب الناس على طبقاتهم من القـواد والحجـاب والقضـاة وغـيرهم فى الخضرة، وجلس المامون ووضع للرضا عليه السلام وسادتين عظيمتين حتى لحق بمجلسه وفرشه وأجلس الرضا(ع) عليهما فى الخضرة وعليه عمامة وسيف، ثم أمر ابنه العباس بن المامون أن يبايع له أول الناس. . . . فبايعه الناس ووضعت البذر وقامت الخطبـاء والشعـراء، فجعلوا يذكـرون فضل الرضا عليه السلام وما كان عليـه من أمـره. . . . ثم قال المامون للرضا عليه السلام: اخطب الناس وتكلم فيهم، فحمد الله وأثنى عليه وقال: ان لنا عليكم حقا برسول الله ولكم علينا حقا به، فاذا أنتم أديتم الينا ذلك وجب علينا الحق لكم، ولم يذكـر عنـه غير هذا فى ذلـك المجلس، وأمر المامون فضربت له الدراهم وطبع عليها اسم الرضا عليه السلام، وزوج اسحاق بن موسى بن جعفر بنت عمـه اسحـاق بن جعفر بن محمد وأمره فحج بالناس وخطب للرضا عليه السلام فى كل بلد بولاية العهد» (١٦٩).

(١٦٨) مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص٤٣٩، ٤٤٠.

(١٦٩) الارشاد للمفيد ص ٣١٠، ٣١١، اعلام الورى للطبرسي ص ٣٣٤.

ولكنه مات قبل أن ينال الخلافة، فى حياة المامون.

«ولما توفى الرضا عليه السلام كتم المأمون موته يوما وليلة ثم أنفذ الى محمد بن جعفر الصادق عليه السلام وجماعة من آل أبى طالب الذين كانوا عنده فلما حضروه نعاه اليهم وبكى وأظهر حزنا شديدا وتوجعا وأراهم إياه صحيح الجسد، قال يعز على ياأخى ان أراك فى هذه الحال قد كنت أؤمل ان أقدم قبلك فأبى الله إلا ما أراد، ثم أمر بغسله وتكفينه وتحنيطه وخرج مع جنازته يحملها حتى انتهى الى الموضع الذى هو مدفون الآن، فدفنه والموضع دار حميد بن قحطبة فى قرية يقال لها سناباد على قربة من نوقان بأرض طوس. وفيها قبر هارون الرشيد وقبر أبى الحسن عليه السلام بين يديه فى قبلته.

ومضى الرضا علي بن موسى عليهما السلام ولم يترك ولدا نعلمه إلا الإمام بعده أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام وكانت سنه يوم وفاة أبيه سبع سنين وأشهرا»(١٧٠).

وكان ذلك فى صفر سنة ثلاث ومائتين وله يومئذ خمسة وخمسون سنة، وأمه أم ولد يقال لها أم البنين.

الشيعة أيام محمد بن على الملقب بالجواد أو التقى

ولقد حصل الاختلاف الشديد بين الشيعة فى امامة محمد بن على لأنه لم يكن بلغ الحلم عند وفاة أبيه، ولذلك اختلف الشيعة فى امامته وتفرقوا عنه كما مر وقالوا :

لا يجوز الامام إلا بالغا ولو جاز أن يأمر الله عز وجل بطاعة غير بالغ

(١٧٠) الارشاد للمفيد ص ٣٠٤، اعلام الورى للطبرسى ص ٣١٣، عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٤٧، كشف الغمة ج ٣ ص ٧٢، جلاء العيون ج ٢ ص ٧٣٩، منتهى الآمال ص ١٠٤٩.

لجاز أن يكلف الله غير بالـغ فكـما لا يعقـل أن يحتمل التكليف غير بالغ فكـذلـك لا يفهم القضـاء بين النـاس ودقيقـه وجليله وغامض الأحكام وشـرائـع الـدين وجميع ما اتى به النبي صلى الله عليه وآله وما تحتاج اليه الامة الى يوم القيامه من أمر دينها ودنياها طفل غير بالغ ولو جاز أن يفهم ذلك من قد نزل عن حد البلوغ درجة لجاز أن يفهم ذلك من قد نزل عن حد البلوغ درجتين وثلاثا وأربعا راجعا إاى الطفولية ، حتى يجوز أن يفهم ذلك من طفل في المهد والخرق وذلك غير معقول ولا مفهوم ولا متعارف .

ثم إن الذين قالوا بامامة ابي جعفر محمد بن علي بن موسى عليهم السلام اختلفوا فى كيفية علمه لحداثة سنه ضروبا من الاختلاف : فقال بعضهم لبعض : الامـام لا يكـون إلا عالمـا وابـو جعفر غير بالغ وأبوه قد توفي فكيف علم ومن اين علم ، فأجابوا :

فقـال بعضهم : لايجـوز أن يكـون علمه من قبل ابيه لأن أباه حمل إلى خرسـان وأبـو جعفـر ابن أربـع سنـين وأشهر ومن كان في هذه السن فليس فى حد من يستفرغ تعليم معرفة دقيق الدين وجليله ولكن الله عز وجـل علمـه ذلـك عند البلوغ بضروب مما يدل على جهات علم الإمام مثـل الإلهـام والنكت في القلب والنقـر في الأذن والرؤ يا الصادقة فى النوم والملك المحدث له ووجوه رفع المنار والعمود والمصباح وعرض الأعمال لأن ذلك كله قد صحت الأخبار الصحيحة القوية الاسانيد فيه التي لا يجوز دفعها ولا رد مثلها .

وقـال بعضهم : قبـل البلوغ هو إمام على معنى أن الامر له دون غيره إلى وقت البلوغ فاذا بلغ علم لا من جهة الالهام والنكت ولا الملك ولا لشىء من الـوجـوه التي ذكـرتهـا الفـرقة لأن الوحي منقطع بعد النبي صلى الله عليـه وآلـه بإجمـاع الامـة ولأن الالهـام انما هو ان يلحقك عند

الخاطر والفكر معرفة بشيء قد كانت تقدمت معرفتك به من الأمور النافعة فذكرته وذلك لا يعلم به الاحكام وشرائع الدين على كثرة اختلافها وعللها قبل أن يوقف بالسمع منها على شيء، لان أصح الناس فكرا وأوضحه خاطرا وعقلا وأحضره توفيقا لو فكر وهو لا يسمع بأن الظهر أربع والمغرب ثلاث والغداة ركعتان مااستخرج ذلك بفكره ولا عرفه بنظره ولا استدل عليه بكمال عقله ولاأدرك ذلك بحضور توفيقه ولا لحقه علم ذلك من جهة التوفيق أبدا، ولا يعقل أن يعلم ذلك إلا بالتوقيف والتعليم فقد بطل أن يعلم شيئا من ذلك بالالهام والتوفيق، لكن نقول: أنه علم ذلك عند البلوغ من كتب أبيه وما ورثه من العلم فيها ومارسم له فيها من الاصول والفروع، وبعض هذه الفرقة تجيز القياس في الاحكام للامام خاصة على الاصول التي في يديه لأنه معصوم من الخطأ والزلل فلا يخطيء فى القياس وانما صاروا الى هذه المقالة لضيق الأمر عليهم فى علم الامام وكيفية تعليمه إذ ليس هو ببالغ عندهم.

وقال بعضهم: الامام يكون غير بالغ ولو قلت سنه لأنه حجة الله فقد يجوز أن يعلم وإن كان صبيا ويجوز عليه الاسباب التي ذكرت من الالهام والنكت والرؤيا والملك المحدث ورفع المنار والعمود وعرض الاعمال كل ذلك جائز عليه وفيه كما جاز ذلك عن سلفه من حجج الله الماضين، واعتلوا في ذلك بيحيي بن زكريا وأن الله آتاه الحكم صبيا وبأسباب عيسى بن مريم وبحكم الصبي بين يوسف بن يعقوب وامرأة الملك وبعلم سليمان بن داود حكما من غير تعليم وغير ذلك فانه قد كان في حجج الله ممن كان غير بالغ عند الناس»[171].

وولد محمد بن على هذا سنة خمس وتسعين ومائة بالمدينة، وقبض

(١٧١) فرق الشيعة للنوبختى ص ١١٠، ١١١، ١١٢.

ببغداد سنة عشرين ومائتين وله يومئذ خمس وعشرون سنة، وأمه أم ولد يقال لها سميكة وكانت نوبية[١٧٢].

وكان متزوجا من ابنة المامون أم الفضل.

«فكانت إحدى الأختين تحت محمد بن على بن موسى والأخرى تحت أبيه على بن موسى»[١٧٣].

وفى أيامه ادعى الإمامة واحد من الحسينيين وهو محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب[١٧٤].

«وانقاد إليه وإلى إمامته خلق كثير من الناس، ثم حمله عبد الله بن طاهر إلى المعتصم، فحبسه في أزج اتخذه في بستان بسر من رأى، وقد تنوزع في محمد بن القاسم، فمن قائل يقول: انه قتل بالسم، ومنهم من يقول: ان ناسا من شيعته من الطالقان أتوا ذلك البستان فتأتوا للخدمة فيه من غرس وزراعة، واتخذوا سلالم من الحبال واللبود والطالقانية ونقبوا الأزج وأخرجوه فذهبوا به، فلم يعرف له خبر الى هذه الغاية، وقد انقاد إلى إمامته خلق كثير من الزيدية الى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - ومنهم خلق كثير يزعمون ان محمدا لم يمت، وأنه حي يرزق، وأنه يخرج فيملؤها عدلا كما ملئت جورا، وأنه مهدي هذه الأمة، وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان»[١٧٥].

---

(١٧٢) الارشاد للمفيد ص ٣١٦، اعلام الورى ص ٣٤٤، ٣٤٥، مروج الذهب ج ٣ ص ٤٦٤.

(١٧٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٤٤١.

(١٧٤) مقاتل الطالبيين ص ٥٧٧، أيضا الطبرى وابن الاثير وغيرهما.

(١٧٥) مروج الذهب ج ٣ ص ٤٦٥.

الشيعة فى أيام على بن محمد
المكنى بأبى الحسن والملقب بالهادى أو النقى

ولما مات محمد بن على خلف ابنيه عليا وموسى ، وكان الأكبر منهما لا يتجاز الثامنة من العمر حسب قول الشيعة ، وكانا من الصغر. بمكان حتى «أوصى أبوهما على تركته من الضياع والأموال والنفقات والرقيق إلى عبد الله بن المساور الى أن يبلغا(١٧٦) الحلم»(١٧٧) .

فاختلف الشيعة فى أمرهما ، فقوم قالوا بامامة محمد بن على ، وقوم ذهبوا الى امامة أخيه موسى بن محمد(١٧٨) .

النصيرية

وفى حياة على بن محمد الهادى المكنى بأبى الحسن ظهرت من الشيعة فرقة اخرى، فقالت :

بنبوة رجل يقال له محمد بن نصير النميرى، وكان يدعى أنه نبى بعثه أبو الحسن العسكرى عليه السلام ، وكان يقول بالتناسخ والغلوفى أبى الحسن ويقول فيه بالربوبية ويقول بالإباحة للمحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضا فى أدبارهم ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل وأنه إحدى الشهوات والطيبات ، وأن الله عز وجل لم يحرم شيئا من ذلك ، وكان يقوى أسباب هذا النميرى محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات ، فلما توفى قيل له فى علته وقد كان اعتقل لسانه : لمن هذا الامر من بعدك؟ فقال : لأحمد ، فلم يدروا من هو، فافترقوا ثلاث فرق ، فرقة قالت :

(١٧٦) ولا ندرى كيف يعتمد على صبي فى أمور الدين من لم يعتمد عليه أبوه ـ وهو إمام معصوم عند الشيعة ــ فى أمر دنياه .

(١٧٧) الكافى ج ١ ص ٣٢٥ .

(١٧٨) انظر فرق الشيعة ص ١١٣ .

انه(احمد) ابنه ، وفرقة قالت : هو احمد بن موسى بن الحسن بن الفرات ، وفرقة قالت : احمد بن ابى الحسين محمد بن محمد بن بشير بن زيد ، فتفرقوا فلا يرجعون إلى شىء ، وادعى هؤلاء النبوة عن أبى محمد فسمت النميرية أو النصيرية(١٧٩) .

ولقد ذكر الشهرستانى النصيرية فى ملله ، وذكر مذهبهم أنهم يقولون :

إن الله تعالى ظهر بصورة اشخاص ولما لم يكن بعد رسول الله ﷺ شخص افضل من علي عليه السلام وبعده اولاده المخصوصون هم خير البرية فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم واخذ بأيديهم فعن هذا اطلقنا اسم الالهية عليهم ، وانما اثبتنا هذا الاختصاص لعلى دون غيره لانه كان مخصوصا بتأييد من عند الله تعالى مما يتعلق بباطن الاسرار ، قال النبى ﷺ انا احكم بالظاهر والله يتولى السرائر ، وعن هذا كان قتال المشركين الى النبي ﷺ وقتال المنافقين إلى علي ، وعن هذا شبهه بعيسى ابن مريم وقال لولا ان يقول الناس فيك ما قالوا فى عيسى بن مريم وإلا لقلت فيك مقالا وربما اثبتوا له شركة في الرسالة ، اذ قال فيكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله الا وهو خاصف النعل ، فعلم التأويل وقتال المنافقين ومكالمة الجن ، وقلع باب خبير لا بقوة جسدانية من ادل الدليل على ان فيه جزء آلهيا وقوة ربانية ، اويكون هو الذي ظهر الإله بصورته وخلق بيده وامر بلسانه ، وعن هذا قالوا كان هو موجود قبل خلق السموات والارض ، قال كنا اظلة على يمين العرش فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا فتلك الظلال وتلك الصور العرية عن الاظلال هي حقيقة وهي مشرقة بنور الرب تعالى اشراقا لا ينفصل عنها سواء كانت في

(١٧٩) فرق الشيعة للنوبختى ص ١١٥، ١١٦ .

هذا العالم او في ذلك العالم، وعن هذا قال انا من احمد كالضوء من الضوء يعني لا فرق بين النورين الا ان احدهما اسبق والثاني لا حق، به قال له وهـذا يدل على نوع شركـة، فالنصـير يـة اميـل الى تقرير الجزء الآلهي والاسحاقية اميل الى تقرير الشركة فى النبوة»(١٨٠).

وذكر الرازى أن هذه الطائفة موجودة فى حلب ونواحى الشام الى يومنا هذا(١٨١).

ونحن نقول: أنها موجودة حتى اليوم فى سوريا وتركيا، ويعرفون بالعلويين.

وأمـا النصـير يـة فيقـولون: إن محمد بن النصير النميرى لم يدع النبوة، بل انه كان بابا للامام الحادى عشر الحسن العسكرى»(١٨٢).

ويقولون: إنه كان ينافسه رجل اسمه ابو يعقوب اسحاق بن محمد النخعى، فادعى هو الثانى هو الباب للحسن العسكرى.

فالحاصل أن هؤلاء الذين يقولون ويصرحون بالوهية على، وكان رسول الله هو رسوله هو كما يقولون:

ان عليـا أرسـل جابر بن يزيد الجعفى فى قضاء غرض له، فلما أن وصـل الى الـوضـع المقصود رأى على بن أبى طالب جالسا على كرسى من نور والسيـد محمـد (يعنى سيدنا محمدا) عن يمينه والسيد سلمان (يعنى الصحابى الجليل سلمان الفارسى) عن شماله، ثم التفت جابر الى ورائه فرآه هكـذا، ثم نظـر عن يمينـه فرآه هكـذا، ثم نظـر الى السماء فرآه فى السماء والملائكة حوله يسبحون بحمده ويسجدون له»(١٨٣).

---

(١٨٠) الملل والنحل للشهرستانى ج ٢ ص ٢٥، ٢٦.
(١٨١) اعتقادات فرق المسلين والمشركين للرازى ص ٦١.
(١٨٢) تاريخ العلويين للطويل ص ٢٠٢.
(١٨٣) الباكورة السليمانية ص ٨٧.

وقد دونوا لهم قرآنا مستقلا، ومنها هذه الآيات: ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين. . . . اشهد عليّ أيها الحجاب العظيم أشهد عليّ أيها الباب الكريم اشهد عليّ يا سيدى المقداد اليمين، اشهد عليّ يا سيدى أبو الدر الشمال. . . . . بأن ليس إلهاً إلا علي بن أبي طالب الأصلع المعبود، ولا حجاب إلا السيد محمد، المحمود، ولا باب إلا السيد سلمان الفارسى المقصود، وأكبر الملائكة الخمسة الأيتام، ولا رأي إلا رأي شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصبي الذي شرع الأديان في سائر البلدان، أشهد بأن الصورة المرئية التي ظهرت في البشرية هي الغاية الكلية وهي الظاهرة بالنورانية وليس إله سواها وهي علي بن ابي طالب، وأنه لم يحاط ولم يحصر ولم يدرك ولم يبصر، أشهد بأني نصيرى الدين جندبي الرأي جنبلاني الطريقة خصيبي المذهب جلي المقال ميموني الفقه وافر الرجعة البيضاء والكرة الزهراء وفي كشف الغطاء وجلاء العماء وإظهار ما كتم وإجلاء ما خفي وظهور علي بن أبي طالب من عين الشمس قابض على كل نفس، الأسد من تحته وذو الفقار بيده والملائكة خلفه والسيد سلمان بين يديه والماء ينبع من بين قدميه والسيد محمد ينادي ويقول: هذا مولاكم علي بن أبي طالب فاعرفوه وسبحوه وعظموه وكبروه. هذا خالقكم ورازقكم فلا تنكروه: اشهدوا علي يا أسيادي أن هذا ديني واعتقادي وعليه اعتمادي وبه أحيا وعليه أموت وعلي بن أبي طالب حي لا يموت بيده القدرة والجبروت، إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤ ولا علينا من ذكرهم السلام»(١٨٤).

وغير ذلك من الخرافات.

«وتوفى على بن محمد هذا بسرمن رأى فى رجب سنة أربع وخمسين

(١٨٤) الباكورة السليمانية ص ٢٦.

ومـائتـين ، وولـد سنة اثنتى عشرة ومائتين ، وكان المتوكل قد أشخصه مع يحيى بن أكثم الى سرمن رأى ، فأقام بها وأمه»[١٨٥] .

هذا ولقد ادعى فى أيامه كثير من العلويين الامامة وبايعهم خلق من الشيعـة ومن أهـل بيت على رضى الله عنـه ، منهم يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن على زين العابدين[١٨٦] .

فاستـولى على الكـوفة وما حولها ، ولما قتل أيام المستعين العباسى رثاه كثير من الشعراء حتى قال الاصفهانى :

وما بلغنى أن أحدا ممن قتل فى الدولة العباسية من آل أبى طالب رثى بأكثر مما رثى به يحيى ، ولا قيل فيه الشعر بأكثر مما قيل فيه»[١٨٧] .

ووافق على ذلك إبن الأثير فى تاريخه الكامل[١٨٨] .

وكـذلـك ادعى الامـامـة حسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن المثنى :

ظهـر ببـلاد طهـرستـان وغلب عليهـما وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد[١٨٩] .

وكذلك حسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن على سنة احدى وخمسين ومائتين[١٩٠] .

الشيعة فى أيام الحسن بن على العسكرى

ولما توفى ابو الحسن بن على الهادى افترقت الشيعة الى فرق

(١٨٥) الارشـاد ص ٣٢٧ ، اعـلام الـورى للطبرسى ص ٣٥٥ ، كشف الغمة ج ٣ ص ١٦٦ ، جلاء العيون ج ٢ ص ٧٥٤ .

(١٨٦) مقاتل الطالبين للأصفهانى ص ٦٣٩ ، مروج الذهب ج ٤ ص ٦٣ .

(١٨٧) مقاتل الطالبين ص ٤٦٥ ، وبمثل ذلك فى مروج الذهب ج ٤ ص ٦٤ .

(١٨٨) ج ٥ ص ٣١٥ .

(١٨٩) مروج الذهب ج ٤ ص ٦٨ .

(١٩٠) أيضا ص ٦٩ ، ومقاتل الطالبين للاصفهانى ص ٦٦٥ .

عديدة.

«ففرقة قالت بامامة ابنه محمد، وقد كان توفى فى حياة أبيه بسرمن رأى، وزعموا أنه حى لم يمت واعتلوا فى ذلك بأن أباه أشار اليه وأعلمهم أنه الامام من بعده، والامام لا يجوز عليه الكذب ولا يجوز البداء فيه فهو وان كانت ظهرت وفاته لم يمت فى الحقيقة ولكن أباه خاف عليه فغيبه وهو القائم المهدى، وقالوا فيه بمثل مقالة أصحاب اسماعيل بن جعفر»(١٩١).

والجدير بالذكر أن محمدا هذا وهو المكنى بأبى جعفر كان وصى أبيه والخليفة بعده حسب تصريحات الشيعة ولكنه مات قبل أن يصل اليه الامامة وخلافة أبيه فشك القوم فى أمره وامامة أبيه، فقال أبوه على الهادى المكنى بأبى الحسن:

بدا الله فى أبى محمد بعد أبى جعفر عليه السلام مالم يكن يعرف له، كما بدا فى موسى بعد مضى اسماعيل ما كشف عن حاله وهو كما حدثتك نفسك وان كره المبطلون، وأبو محمد ابنى الخلف من بعدى، عنده علم ما يحتاج اليه ومعه آلة الامامة»(١٩٢).

وفرقة قالت بامة جعفر بن على- وهو الملقب بجعفر الكذاب عند الشيعة، وقالوا:

أوصى اليه أبوه بعد مضى محمد وأوجب امامته وأظهر أمره وأنكروا امامة محمد أخيه وقالوا: انما فعل ذلك أبوه اتفاقا عليه ودفاعا عنه، وكان الامام فى الحقيقة جعفر بن على»(١٩٣).

وفرقة قالت بامامة الحسن العسكرى ابن على، وكان يكنى بأبى محمد(١٩٤).

وقال المفيد:

(١٩١) فرق الشيعه ص ١١٦، ١١٧.
(١٩٢) الاصول من الكافى، كتاب الحجة، باب الاشارة والنص على أبى محمد ج ١ ص ٣٢٧.
(١٩٣) النوبختى ص ١١٧، ١١٨.
(١٩٤) أيضا ص ١١٧.

وكـان الامـام بعد أبى جعفر عليه السلام ابنه أبو الحسن على بن محمـد(ع) لاجتـماع خصـال الامامة فيه وتكامل فضله وانه لا وارث لمقام أبيه سواه وثبوت النص عليه بالامامة والاشارة اليه من أبيه بالخلافة»(١٩٥).

وتوفى يوم الجمعة سنة ستين ومائتين، وكان مولده بالمدينة فى شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، ودفن فى داره بسرمن رأى فى البيت الذى دفن فيه أبوه، وأمه أم ولد يقال لها حديثة(١٩٦).

وعمره يومئذ ثمانى وعشرون سنة.

وقال النوبختى:

قيل: يقال لامه اصفان، وقيل: سليل وقيل غير ذلك.

وصلى عليه ابو عيسى بن المتوكل.

وكـانت فى سنى امـامتـه بقية ملك المعتز أشهرا، ثم ملك المهتدى أحد عشر شهرا وثمانية وعشرين يوما، ثم ملك احمد المعتمد على الله بن جعفر المتوكل عشرين سنة وأحد عشر شهرا»(١٩٧).

وفى أيامه ادعى كثير من العلويين الامامة، منهم على بن زيد بن الحسين العلوى(١٩٨).

وكـذلـك الكثيرون الذين ذكرهم الاصفهانى فى مقاتل الطالبيين والمسعودى فى مروج الذهب. وأما من السنة فذكرهم جميع المؤرخين.

الشيعة بعد وفاة الحسن العسكرى

مات الحسن العسكرى بدون خلف ولا عقب كما نص على ذلك

---

(١٩٥) الارشاد ص ٣٢٧.
(١٩٦) ايضا ص ٣٣٥.
(١٩٧) اعلام الورى ص ٣٦٧.
(١٩٨) مقاتل الطالبيين ص ٦٧٥، مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٩٤

النوبختى :

توفى ولم ير له أثر، ولم يعرف له ولد ظاهر، فاقتسم ميراثه أخوه جعفر وأمه»(١٩٩) .

فأوجد موته خلافا شديدا فى شيعته لأن التشيع بعد تطوره يوجب على مدعى الامامة أن يكون بعده عقب، وكذلك أن يكون عليه نص من الذى قبله، وهو الذى يقوم بتجهيزه وتكفينه، فكيف وهنا لا يرى له أثر فالتجؤوا لتأويل ذلك الى سخافات عديدة، كل قوم حسب أهوائهم ومزاعمهم يهوون. فقال النوبختى :

فافترق أصحابه بعده أربع عشرة فرقة، ففرقة قالت: ان الحسن بن على حى لم يمت، وانما غاب وهو القائم، ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر لأن الأرض لا تخلو من امام . . . .

وقالت الفرقة الثانية : ان الحسن بن على مات وعاش بعد موته وهو القائم المهدى لأننا روينا أن معنى القائم هو أن يقوم بعد الموت ويقوم ولا ولد له، لأن الامامة كانت تثبت لولده ولا أوصى الى أحد فلا شك أنه القائم . . . .

وقالت الفرقة الثالثة :

ان الحسن بن على توفى، والامام بعده أخوه جعفر واليه أوصى الحسن . . . . فلما قيل له ان الحسن وجعفر ما زالا متهاجرين متصارمين متعادين طول زمانهما وقد وقفتم على صنائع جعفر وسوء معاشرته له فى حياته ولهم من بعد وفاته فى اقتسام مواريثه، قالوا : انما ذلك بينهما فى الظاهر، وأما فى الباطن فكان متراضيين متصافيين لا خلاف بينهما . . . . وممن قوى امامة جعفر وأمال الناس اليه على بن الطاهر الخزاز، وكان متكلما محجاجا وأعانته على ذلك اخت الفارس بن حاتم بن ماهويه القزوينى .

(١٩٩) فرق الشيعة للنوبختى ص ١١٨، ١١٩ .

وقالت الفرقة الرابعة :

ان الامام بعد الحسن جعفر وان الامامة صارت اليه من قبل أبيه ، لا من قبل الحسن ، وان الحسن كان مدعيا باطلا ، لأن الامام لايموت حتى يوصى ويكون له خلف ، والحسن قد توفى ولا وصية له ولا ولد ، والامام لا يكون من لا خلف له ظاهر، معروف مشار اليه ، كما لا تجوز أن تكون الامامة فى الأخوين بعد الحسن والحسين كما نص عليه جعفر.

وأما الفرقة الخامسة : فانها رجعت الى القول بامامة محمد بن على أخى الحسن المتوفى فى حياة أبيه ، وأما الحسن وجعفر فانهما ادعيا مالم يكن لهما لأن جعفرا فيه خصال مذمومة وهو بها مشهور، ظاهر الفسق وغير صائن لنفسه ، معلن بالمعاصى ، ومثل هذا لا يصلح للشهادة على درهم فكيف يصلح لمقام النبى صلى الله عليه وآله؟ وأما الحسن فقد توفى ولا عقب له . وقالت الفرقة السادسة :

ان للحسن بن على ابنا سماه محمدا و ولد قبل وفاته بسنين ، وزعموا أنه مستور، لا يرى خائف من جعفر. وقالت الفرقة السابعة :

بل ولد بعد وفاته بثمانية أشهر، وان الذين ادعوا له ولدا فى حياته كاذبون مبطلون فى دعواهم ، لأن ذلك لو كان لم يخف غيره ولكنه مضى ولم يعرف له ولد ، ولا يجوز أن يخفى ذلك وقد كان الحبل فيما مضى قائما ظاهرا ثابتا عند السلطان وعند سائر الناس ، وامتنع من قسمة ميراثه من أجل ذلك حتى بطل ذلك عند السلطان وخفى أمره ، فقد ولد له ابن بعد وفاة أبيه بثمانية أشهر وقد كان أمر أن يسمى محمدا وأوصى بذلك وهو مستور لا يرى .

وقالت الفرقة الثامنة :

انه لا ولد لحسن أصلا لأنا قد امتحنا ذلك وطلبناه بكل وجه فلم

نجده ولو جاز لنا ان نقول في مثل الحسن وقد توفي ولا ولد له أن له ولدا خفيا لجاز مثل هذه الدعوى في كل ميت عن غير خلف ولجاز مثل ذلك في النبي صلى الله عليه وآله أن يقال خلف ابنا نبيا رسولا ، وكذلك في عبد الله بن جعفر بن محمد أنه خلف ابنا ، وأن ابا الحسن الرضا عليه السلام خلف ثلاثة بنين غير ابي جعفر احدهم الامام ، لأن مجيي الخبر بوفاة الحسن بلا عقب كمجييء الخبر بأن النبي صلى الله عليه وآله لم يخلف ذكرا من صلبه ولا خلف عبد الله بن جعفر ابنا ولا كان للرضا اربعة بنين ، فالولد قد بطل لا محالة ولكن هناك حبل قائم قد صح فى سرية له وستلد ذكرا إماما متى ما ولدت فانه لا يجوز أن يمضي الامام ولا خلف له فتبطل الامامة وتخلو الارض من الحجة ، واحتج اصحاب الولد على هؤلاء فقالوا : انكرتم علينا امرا قلتم بمثله ثم لم تقنعوا بذلك حتى اضفتم اليه ما تنكره العقول ، قلتم أن هناك حبلا قائما فان كنتم اجتهدتم فى طلب الولد فلم تجدوه فانكرتموه لذلك فقد طلبنا معرفة الحبل وتصحيحه أشد من طلبكم واجتهدنا فيه أشد من اجتهادكم فاستقصينا في ذلك غاية الاستقصاء فلم نجده فنحن في الولد أصدق منكم لأنه قد يجوز في العقل والعادة والتعارف أن يكون للرجل ولد مستور لا يعرف فى الظاهر ويظهر بعد ذلك ويصح نسبه ، والامر الذي ادعيتموه منكر شنيع ينكره عقل كل عاقل ويدفعه التعارف والعادة مع ما فيه من كثرة الروايات الصحيحة عن الأئمة الصادقين أن الحبل لا يكون اكثر من تسعة اشهر وقد مضى للحبل الذى ادعيتموه سنون وإنكم على قولكم بلا صحة ولا بينة .

وقالت الفرقة التاسعة : ان حسن بن على قد صحت وفاة أبيه وجده وسائر آبائه عليهم السلام ، فكما صحت وفاتهم بالخبر الذى لا

يكـذب مثله فكـذلك صح أنه لا امام بعد الحسن . . . . . والأرض اليوم بلا حجة الا أن يشاء الله فيبعث القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله فيحيى الارض بعـد موتهـا كما بعث محمـد صلى الله عليه وآله على حين فترة من الرسل .

وقالت الفرقة العاشرة : .

ان أبا جعفر محمد بن على كان الميت فى حياة أبيه وهو الذى كان الامام بوصية من أبيه ، ثم أوصى هو الى غلام له صغير كان فى خدمته يقال له نفيس ، ثم بعد وفاته نقل هذا الغلام الوصية الى جعفر.

وقالت الفرقة الحادية عشرة :

قد اشتبـه علينـا الامـر ، ولا ندرى من هو الامام ، وان الأرض لا تخلو من حجة فنتوقف ولا نقدم على شىء حتى يصح لنا الأمر ويتبين .

وقالت الفرقة الثانية عشر:

ليس القول كما قال هؤلاء بل لا يجوز أن تخلو الأرض من حجة ، ولو خلت لساخت الارض ومن عليها . وأما هو خائف مستور بستر الله لا يجوز ذكر اسمه ولا السؤال عن مكانه ، وليس علينا البحث عن أمره بل البحث عن ذلك وطلبه محرم .

وقالت الفرقة الثالثة عشرة :

ان الحسن بن على توفى وانـه كان الامـام بعـد أبيـه وأن جعفر بن على الامام بعده ، كما كان موسى بن جعفر اماما بعد عبد الله بن جعفر للخبـر الـذى روى أن الامـامـة فى الأكبر من ولد الامام اذا مضى ، وأن الخبر الذى روى عن الصادق عليه السلام أن الامامة لا تكون فى أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام صحيح لا يجوز غيره ، وانما ذلك اذا كان للماضى خلف من صلبـه فانهـا لا تخرج منـه الى أخيـه بل تثبت فى

خلفـه، واذا توفى ولا خلف له رجعت الى أخيـه ضرورة لأن هذا معنى الحـديث عنـدهم، وكـذلـك قالـوا فى الحـديث الذى روى أن الامام لا يغسله الا امـام، وان هذا عنـدهم صحيـح لا يجوز غيره وأقروا أن جعفر بن محمـد عليهـما السلام غسله موسى وادعوا أن عبد الله أمره بذلك لأنه كان الامـام بعـده وان جاز أن لا يغسله لأنـه امـام صامت فى حضرة عبد الله، فهـؤلاء الفطحيـة الخلص الـذين يجيـزون الامامة فى أخوين اذا لم يكن الأكـبر منهـما خلف ولـدا والامـام عنـدهم جعفر بن علي على هذا التأويل ضرورة.

وأما الفرقة الرابعة عشرة فقالت:

ان الامام بعده ابنه محمد وهو المنتظر غير أنه مات وسيجىء ويقوم بالسيف ويملأ الارض قسطا وعدلا كم ملئت الارض ظلما وجورا[٢٠٠].

فهذه هى الفرق المشهورة للشيعة ذكرناها من كتب القوم أنفسهم مع سرد الروايات والعبارات من كتب السنة أيضا تأييدا وتوثيقا، لا أصلا واستدلالا، غير أن هنالك فرقا شيعية اخرى ذكرها أصحاب الفرق من السنـة من البيـانيـة والجنـاحيـة والـرزاميـة والمقنعية والحلمانية والحلاجية والأزافـرة وغـيرهم، لم نذكـرهـا لانقـراضهـا ولعدم ورود ذكرها فى كتب الشيعة وكى لا يقول قائل:

يعلم الله أن هذه الاسماء كلها لم نسع بها ولم نرها فى كتب الشيعة ومـا هى الا مختلقـة لا يقصـد من ذكـرهـا غير التشنيع والتهجين، وهى أسـماء بلا مسميـات، ولم يذكرها أحد من المؤرخين، ولا نقلها من كتب فى المـلل والنحـل من الشيعـة كالشيـخ أبى محمـد الحسن بن موسى النوبختى من أهل القرن الرابع فى كتاب الفرق والمقالات المتكفل بذكر

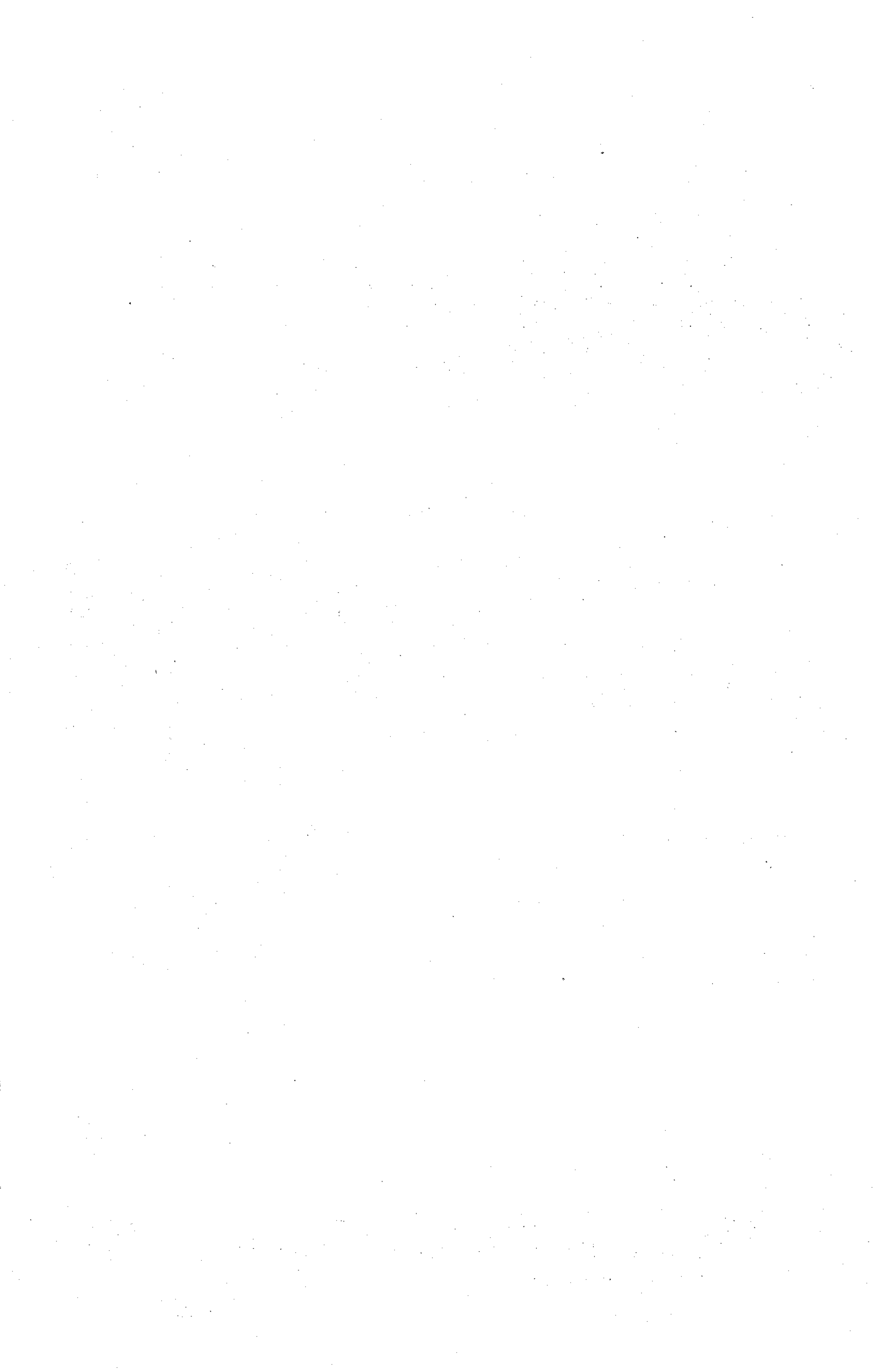
(٢٠٠) ملخصا فرق الشيعة للنوبختي ص ١١٩ وما بعد.

فرق الشيعة وغيره(٢٠١).

وبقيت هناك فرقة اخرى ألا وهى : الاثنا عشرية أو الجعفرية أو الامامية فانها ذكرت ضمن الأربع عشرة فرقة التى افترقت بعد موت الحسن العسكرى، ولكن لما لها من أهمية، وان هذا السرد الطويل لم يكن الا لأجلها، لأنه عند اطلاق لفظ الشيعة لا يتبادر الى الذهن الآن الا هذه الفرقة. فنخصص لها بابا مستقلا فى تاريخها وعقائدها وعلاقتها بالسبئية وتوارثها جميع الأفكار الموجودة فى الفرق البائدة من الغلاة والمتطرفين، كما سنذكر الفرق التى تفرقت منها وهى موجودة حتى الآن.

ونلفت ههنا أنظار القراء والباحثين الى أمر هام يجب الانتباه اليه وهو أن كل فرقة من فرق الشيعة التى ذكرناها فى هذا الباب سيجد القارىء من مطالعة موجز المعتقدات والعقائد التى حملها اولئك، أن كل واحدة منها أخذ حظا وافرا من السبئية أبناء اليهود، واغترفت غرفا كثيرة من الأديان الباطلة الاخرى من النصرانية والمجوسية والأفكار المدسوسة من الهندوس والبابليين والعاشوريين والكلدانيين وغيرهم، كما أن الشيعة بعد تطور التشيع الاول فى جميع أدوارهم وعصورهم التزموا بقول الرجعة والغيبة والولاية والبراءة والوصاية والتوارث كما أرسخها مؤسس القوم عبد الله بن سبأ وشلته الماكرة.

(٢٠١) أعيان الشيعة للسيد محسن أمين القسم الأول الجزء الأول ص ٢٤.



الباب السادس

الشيعة الإثنا عشرية

إن الطائفة الإمامية الذين قالوا بإمامة الموهوم الذى سموه محمد بن الحسن العسكرى، يقول فيهم السمعانى فى (الأنساب) :

الإمامية جماعة من غلاة الشيعة، وإنما لقبوا بهذا اللقب لأنهم يرون الإمامة لعلىّ وأولاده ويعتقدون أنه لابد للناس من إمام وينتظرون إماما سيخرج فى آخر الزمان[١] ».

وهى الطائفة التى تسمى بالاثنى عشرية لاعتقادهم إمامة الاثنى عشر من على بن أبى طالب والحسن بن على وإمامة أخيه الحسين وإمامة زين العابدين على بن الحسين وإمامة محمد بن على الباقر وإمامة جعفر بن محمد الصادق وإمامة موسى بن جعفر الكاظم وإمامة على بن موسى الرضا وإمامة محمد بن على الجواد وإمامة على بن محمد الهادى وإمامة الحسن بن على العسكرى وإمامة محمد بن الحسن المهدى وهو الإمام الثانى عشر[٢] ».

ويسمون أيضا : الجعفرية باعتبار أن مذهبهم فى الفروع هو مذهب الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، ونسب مذهبهم فى الفروع إليه باعتبار أن أكثره مأخوذ عنه[٣] » .

(١) الانساب للسمعانى .

(٢) الشيعة فى التاريخ ص٤٥ ـ٤٦ .

(٣) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الأول ص٢٠

ويسمون أيضا : الرافضة أو الروافض لرفضهم مناصرة أئمتهم ومتابعتهم وغدرهم بهم وعدم وفائهم لهم كما وصفهم عليّ رضى الله عنه بقوله :

لو ميزت شيعتى لما وجدتهم إلا واصفة ، ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين ، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد[٤] » .

وكما قال على بن الحسين الملقب بزين العابدين أنه لم يبق أحد من شيعة الحسين إلا ارتدّ تخاذلا وجبنا ورفضا لنصرتهم إياه ، أللهم إلا الخمسة : أبو خالد الكابلى ويحيى ابن أم الطويل وجبير بن مطيع وجابر بن عبد الله وشبكة التى كانت زوجة الحسين[٥] » .

ورفضهم مناصرة أئمتهم وخذلانهم إياهم وتركهم أوحادا فى المعارك والحروب التى هم أسعروا نيرانها معروف ومشهور ، ولقد ذكرنا بعض الوقائع منها فيما سبق ، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب (مقاتل الطالبيين) للأصفهانى ، فإنه ليجد هناك المئات من أولاد على بن أبى طالب الذين دعوا إلى الخلافة والحكم ، ثم خذلوا ورفضوا من قبل الشيعة وقيل إنهم سموا بالروافض لرفضهم زيد بن على بن الحسين على مدحه أبابكر وعمر فقال زيد :

رفضبونا اليوم ، ولذلك سموا هذه الجماعة بالرافضة[٦] .

وذكر الرازى مثل ذلك حيث قال :

إنما سموا بالروافض لأن زيد بن على بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه خرج على هشام بن عبد الملك ، فطعن عسكره فى أبى بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه ولم يبق معه إلا مائتا

(٤) كتاب الروضة من الكافى ج٨ ص٣٣٨ .
(٥) مجالس المؤمنين ص١٤٤ ط . طهران .
(٦) ناسخ التواريخ للمرزه تقى خان الشيعى ج٢ ص٥٩٠ .

فارس. فقال لهم: ـ أي زيد بن على ـ رفضتمونى؟. قالوا: نعم، فبقى عليهم هذا الأسم[٧]».

وأما قول من قال:

الـرافضـة لقب ينبز به من يقدّم عليا عليه السلام فى الخلافة وأكثر ما يستعمل للتشفى والانتقام، وإذا هاجت هائجة العصبية لم يتوقف فى إطلاقه على كل شيعى[٨]».

فليس إلا مبنيا على الجهل أو التجاهل فرارا من العار الذى لصق بهم أبد الدهر لأنه ورد فى بخارى القوم:

عن محمد بن سليمان عن أبيه أنه قال: قلت لأبى عبد الله جعفر ـ الإمـام السـادس المعصـوم حسب زعم الشيعـة ـ: جعلت فداك فإنا قد نبـزنـا نبـذاً أثقـل ظهـورنا وماتت له أفئدتنا واستحلت له الولاة دماءنا فى حديث رواه لهم فقهـاؤهم، قال: فقـال أبـو عبـد الله عليـه السـلام: الـرافضـة؟ قلت: نعم، قال: لا والله ماهم سمـوكم ولكن الله سماكم به[٩]».

ويسمون أنفسهم الخاصة وغيرهم العامة ـ فعل اليهود ـ[١٠].

فهـذه هى الاسماء المشهـورة لهذه الطـائفـة، فالقـائلون بالغائب المـوهـوم يسمـون بهذه الاسـماء التى ذكـرناها، ثم إنهم تحيروا فى إثبات وجوده وولادته قبل ثبوت إمامته للشيعة وزعامته التشيع، فاضطربت فيه أقوالهم وتضاربت فيه آراؤهم، فقائل يقول: بأن أباه مات ولم ير له أثر ولم يعرف له ولد ظاهر[١١]».

(٧) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى ص٥٢.
(٨) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الأول ص١٧.
(٩) كتاب الروضة من الكافى ج٥ ص٣٤.
(١٠) أنظر أعيان الشيعة ج١ ص٢٠.
(١١) فرق الشيعة للنوبختى ص١١٨ ـ١١٩.

وقائل قال :

كان منه الحمل فى جارية له ولكنه بطل ذلك الحمل أو سقط كما ذكره الكلينى فى رواية طويلة له عن أحمد بن عبيد الله بن خاقان أنه قال : إن الحسن العسكرى لما مات :

صارت سرّ من رأى ضجة واحدة وبعث السلطان إلى داره من فتشها وفتش حجرها وختم على جميع ما فيها وطلبوا أثر ولده وجاءوا بنساء يعرفن الحمل ، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن ، فذكر بعضهن أن جارية هنا بها حمل ، فجعلت فى حجرة ووكل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوه معهم ، ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التى توهم عليها الحمل لازمين حتى تبيّن بطلان الحمل[١٢] » .

وقائل قال منهم : بل ولد لحسن بعده بثمانية أشهر[١٣] » .

والآخرون قالوا : ولد ذلك الموهوم قبل وفاته بسنتين :

فأما مولده بسرّمن رأى فى ثالث وعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين[١٥] » .

وقال قائلهم : كان مولده فى سنة ست وخمسين[١٥] » .

وقال قائل : لا بل ولد قبل وفاته بخمس سنوات :

وكان مولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين[١٦] » .

وهكذا اختلف فى اسم الجارية التى قالوا إنها ولدته ، فقال

---

(١٢) كتاب الحجة من الكافى ج١ ص١٢٦ .

(١٣) فرق الشيعة ص١٢٦ .

(١٤) كشف الغمة للاربلى ج٣ ص٢٢٧ .

(١٥) منتهى الآمال للعباس القمى ص١١٩٨ الفارسى .

(١٦) الارشاد للمفيد ص٣٤٦ ، اعلام الورى للطبرسى ص٤١٩ .

قائلهم : إن اسمها نرجس[١٧] » .

وقيل : اسمها صقيل أو صيقل[١٨] » .

وقيل : حكيمة[١٩] » .

وقيل غير ذلك .

وعلى ذلك قال ابن حزم :

وقالت القطيعية من الإمامية الرافضة كلهم وهم جمهور الشيعة ومنهم المتكلمون والنظارون والعدد العظيم بأن محمد بن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب حى لم يمت ولا يموت حتى يخرج فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وهو عندهم المهدى المنتظر، ويقول طائفة منهم : إن مولد هذا الذى لم يخلق قط فى سنة ستين ومائتين سنة موت أبيه ، وقالت طائفة منهم : بل بعد موت أبيه بمدة. وقالت طائفة منهم : بل فى حياة أبيه ورووا ذلك عن حكيمة بنت محمد بن على بن موسى وانها شهدت ولادته وسمعته يتكلم حين سقط من بطن أمه ويقرأ القرآن ، وان أمه نرجس ، وانها كانت هى القابلة ، وقال جمهورهم : بل أمه صقيل ، وقالت طائفة منهم : بل أمه سوسن . وكل هذا هوس ، ولم يعقب الحسن المذكور لا ذكراً ولا انثى ، فهذا أول نوك الشيعة ومفتاح عظيماتهم وأخفها وان كانت مهلكة[٢٠]

ثم القصص التى اختلقت واخترعت لولادة هذا المولود الذى لم يولد قط وعن اختفائه عن الأعين، عن الخاصة والعامة وعن الأقارب والأباعد، وعدم علم أهل البيت وأهل الدار وعدم معرفتهم به . ثم

(١٧) الارشاد للمفيد ص٣٤٦ .

(١٨) كشف الغمة ج٣ ص٢٢٧ .

(١٩) أيضـــا .

(٢٠) الفصل لابن حزم ج٤ ص١٨١ .

وكيفيـة بلوغـه إلى درجـة الإمـامة والاحاطة بجميع العلوم التى هى من خواص الإمـامـة ولـوازمهـا عنـد القـوم ، كل ذلك جعل القوم ينسجون الاساطير ويبالغون فى الأكاذيب لإثبات مدعاهم الذى لم يثبت ولن يثبت لأن حكـايـاتهم الجـديرة أن توصف بأنها خرافات وخزعبلات هى نفسها تشهد على فشلهم وخذلانهم فى إيجاد اللاموجود . ونسردللقارىء بعض هذه الخـرافـات لكى يعـرف ويعلم كذب القـوم وحقيقتهم الأصليـة . ولأهمية الموضوع أردنا بعض التفصيل وخاصة إنها ـ أى الاثنى عشرية ـ هى الطـائفـة الـوحيـدة التى تدّعى التشيـع الأصلى وكـونهم الشيعـة الأصليين وعلى وجود معدومهم يتأسس مذهبهم وتقوم ديانتهم .

ولقـد ذكـر مفسـر الشيعة وعلم من أعلامهم ، الذى يلقبونه بأمين الإسلام ومن علمائهم فى القرن السادس من الهجرة أبوعلى الطبرسى فى كتابه نقلا عن صدوق الشيعة وأحد أئمتهم فى الحديث ، الذى جعلوه فى الصحاح الأربعة لهم ، ابن بابويه القمى :

فمن الأخبـار التى جاءت فى ميـلاده (ع) ما رواه الشيخ أبو جعفر بن بابويه عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن محمد بن يحيى العطار عن الحسـين بن رزق الله عن موسى بن محمـد بن القـاسم بن حمزة (عن حكيمـة بنت محمـد بن على) بن موسى ابن جعفـر بن محمد بن على بن الحســين بن على بن أبى طالب عليهم السـلام قال : حدثتنى حكيمـة بنت محمد بن الرضا (ع) قالت : بعث إلى أبومحمد الحسن بن على (ع) فقـال : ياعمـة اجعلى إفطارك الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان وإن الله تعـالى سيظهـر فى هذه الليلة الحجـة وهـو حجـة الله فى أرضه ، قالت فقلت له : ومن أمه؟ . قال : نرجس ، فقلت له : جعلنى الله فداك ما بها أثر، فقال : هو ما أقول لك ، قالت : فجئت فلما سلمت وجلست

جاءت تنـزع خفى وقالت لى : ياسيدتى كيف أمسيت؟ . فقلت : بل أنت سيدتى وسيدة أهلى ، قالت : فأنكرت قولى وقالت : ما هذا ، فقلت لها : يابنية إن الله تعالى سيهب لك فى ليلتك هذا غلاما سيداً فى الدنيا والآخرة ، قالت : فخجلت واستحييت ، فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعى فرقدت فلما كان فى جوف الليل قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتى وهى قائمة ليس بها حادث ثم جلست معقبة ثم اضطجعت ، ثم انتبهت أخرى وهى راقدة ، ثم قامت فصلت ونامت ، قالت حكيمة : وخرجت اتفقد الفجر فإذا أنا بالفجر الأول كذنب السرحان وهى نائمة ، قالت حكيمة : فدخلتنى الشكوك فصاح بى أبو محمد من المجلس فقال : لا تعجلى ياعمة فإن الأمر قد قرب ، قالت : فجلست فقرأت (الم السجدة) و (يس) فبينا أنا كذلك إذا انتبهت فزعة فوثبت إليها ، فقلت : اسم الله عليك ، ثم قلت لها : تحسين شيئا؟ قالت : نعم ، فقلت لها : اجمعى نفسك واجمعى قلبك فهوما قلت لك .

قالت حكيمة : ثم أخذتنى فترة وأخذتها فترة فانتبهت بحس سيدى فكشفت الثوب عنها فإذا به عليه السلام ساجداً يتلقى الأرض بمساجده فضممته إلى فإذا أنا به نظيف منظف ، فصاح بى أبو محمد هلمى إلى ابنى ياعمة! فجئت به إليه فوضع يديه تحت أليتيه وظهره ووضع قدميه على صدره ، ثم أدلى لسانه فى فيه وأمر يده على عينيه وسمعه ومفاصله ثم قال : تكلم يابنى فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . ثم صلى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة (ع) إلى أن وقف على أبيه ثم أحجم .

ثم قال أبو محمد : ياعمة! اذهبى به إلى أمه ليسلم عليها وائتينى

به فذهبت به فسلم ورددته ووضعته فى المجلس .

ثم قال عليه السلام : ياعمة إذا كان يوم السابع فائتينا ، قالت حكيمة : فلما أصبحت جئت لأسلم على أبى محمد وكشفت الستر لأتفقد سيدى فلم أره فقلت له : جعلت فداك ما فعل سيدى؟ . قال : ياعمة استودعناه الذى استودعت أم موسى ، قالت حكيمة : فلما كان يوم السابع جئت وسلمت على أبى محمد فقال : هلمى إلى ابنى فجئت بسيدى وهو فى الخرقة ففعل به كفعلته الأولى ثم أدلى لسانه فى فيه كأنما يغذيه لبناً أو عسلا ، ثم قال : تكلم يابنى فقال أشهد أن لا إله إلا الله وثنى الصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة حتى وقف على أبيه (ع) ثم تلا هذه الآية (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون»[٢١] .

وروى مثل ذلك بزيادات كثيرة خاتمة محدثى الشيعة ملاباقر المجلسى عن الكلينى صاحب (الكافى) ، وعن ابن بابويه القمى ، وعن شيخ الطائفة الطوسى ، وعن السيد مرتضى الذى لقبوه بعلم الهدى وغيرهم[٢٢] .

ومؤرخ الشيعة ورجاليّهم ومحدثهم عباس القمى فى منتهى الآمال[٢٣] .

وروى القوم عن كبار محدثيهم ، عن ابن بابويه القمى ، وعن شيخ الطائفة الطوسى بأسانيد معتبرة معتمدة كما ذكروا خرافات كثيرة يخجل الإنسان بذكرها ويمجّها العقل ويزدريها الفكر ولكن أنّى لشاتمى

(٢١) أعلام الورى للطبرسى ص٤١٨ ـ٤٢٠ ، روضة الواعظين للفتال النيسابورى الشيعى ص٢٥٦ ـ٢٥٧ .

(٢٢) جلاء العيون فارسى ص٧٧٠ وما بعد .

(٢٣) ص ١٢٠٤ وما بعد .

أصحاب الرسول الحياء والخجل، ومما ورد فيه أن حكيمة تقول :

بدأت أقرأ على نرجس : إنا أنزلناه فى ليلة القدر، فأجابنى الجنين من بطنها يقرأ بمثل ما أقرأ، وسلمّ علىّ، ففزعت لما سمعت، فصاح بى أبو محمد عليه السلام : لا تعجبى من أمر الله إن الله تعالى ينطقنا صغارا بالحكمة ويجعلنا حجة فى أرضه كبارا، فلم يستتم الكلام حتى غيّبت عنى نرجس، فلم أرها كأنه ضرب بينى وبينها حجاب فعدوت نحو أبى محمد (ع) وأنا صارخة فقال لى : ارجعى ياعمة فإنك ستجدينها فى مكانها قالت : فرجعت فلم ألبث إلى أن كشف الغطاء الذى بينى وبينها وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشى بصرى فإذا أنا بالصبى عليه السلام ساجداً لوجهه جاثياً على ركبتيه رافعاً سبابته نحو السماء وهو يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن جدى رسول الله (ص) وأن أبى أمير المؤمنين ثم عد إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه فقال : اللهم أنجز لى وعدى وأتمم لى أمرى، وثبت وطأتى وأملأ الأرض بى عدلا وقسطا فصاح بى أبو محمد (ع) وقال : ياعمة تناوليه وهاتيه فتناولته وأتيت به نحوه فلما مثلت بين يدى أبيه وهو على يدى فسلم على أبيه فتناوله الحسن (ع) منى والطير يرفرف على رأسه ويناوله لسانه فيشرب منه ثم قال : امض به إلى أمه لترضعه ورديه إلى قالت فناولته أمه فأرضعته ورددته إلى أبى محمد والطير يرفرف على رأسه فصاح طير منها فقال له : احمله واحفظه ورده إلينا فى كل اربعين يوما فتناوله الطير وطار به فى جو السماء واتبعه سائر الطيور فسمعت أبا محمد يقول : أستودعك الذى اودعته أم موسى، فبكت نرجس فقال : اسكتى فإن الرضاع محرم عليه إلا من ثديك وسيعاد إليك كما رد موسى إلى أم موسى وذلك قول الله عز وجل : ﴿**فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن**﴾، قالت حكيمة : قلت

فما هذا الطير؟ قال هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم ويربيهم العلم قالت حكيمة: فلما أن كان بعد أربعين يوماً رد الغلام ووجهه إلى ابن أخى فدعانى فدخلت عليه فإذا أنا بصبى متحرك يمشى بين يديه فقلت ياسيدى هذا ابن سنتين فتبسم عليه السلام ثم قال: إن أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشئون بخلاف ما ينشأ غيرهم وان الصبى منا إذا أتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنة وإن الصبى منا ليتكلم فى بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد الله تعالى عند الرضاع وتطيف به الملائكة وتنزل عليه بالسلام صباحاً ومساءاً قالت حكيمة: فلم أزل أرى ذلك الصبى فى كل اربعين يوماً إلى أن رأيته رجلا قبل مضى أبى محمد بأيام قلائل فلم اعرفه فقلت لابن اخى (ع) من هذا الذى تأمرنى أن أجلس بين يديه؟ فقال لى: هذا ابن نرجس وهذا خليفتى من بعدى وعن قليل تفقدوننى فاسمعى وأطيعى»[٢٤].

ومثل ذلك روى الطبرسى أيضا فى أعلام الورى[٢٥].

وزاد: حدثنى نسيم الخادم قال: قال لى صاحب الزمان وقد دخلت بعد مولده بليلة، فعطست فقال: يرحمك الله، قال نسيم: ففرحت بذلك فقال: ألا أبشرك بالعطاس؟ فقلت: بلى، فقال: هو أمان من الموت إلى ثلاثة أيام»[٢٦].

وابن الفتال قال:

لما ولد السيد عليه السلام قال أبو محمد: ابعثوا إلى أبى عمرو، فبعث إليه فصار إليه، فقال له: اشتر أربعة آلاف رطل خبز وعشرة آلاف

(٢٤) جلاء العيون للمجلسى ص٧٧٢، منتهى الآمال للقمى ص١٢٠٦، روضة الواعظين ج٢ ص٢٥٩.

(٢٥) ص٤٢٠.

(٢٦) اعلام الورى ص٤٢٠.

رطل لحم وفرقه واحسبه .

قال على بن هاشم : وعق عنه بكذا وكذا شاة .

وروى أنه لما ولد السيد (ع) رأيت له نورا ساطعا قد ظهر منه وبلغ أفق السماء، ورأيت طيورا بيضا تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده ثم تطير، فأخبرنا أبا محمد بذلك فضحك، ثم قال: تلك ملائكة السماء نزلت للتبرك بهذا المولود، وهى أنصاره إذا خرج»[٢٧] .

ولعاقل أن يعقل ويسأل : ولماذا الخوف، ثم الدخول فى السرداب مادامت الملائكة حاميته وأنصاره؟ .

ثم ولماذا كان البحث والتفتيش والتنقيب عن مولود للحسن العسكرى مادام أنه كان موجودا وقد بلغ الرشد وشبّ وترعرع؟ .

ثم وكيف حاز تركة الحسن أخوه جعفر مع وجود من يكون وارثا له من أولاده؟ .

ورابعا : ولماذا لم يشب ولم ينم الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ ولهما من مكانة ومنزلة لا تخفى على أحد؟ . كما أن الحسين حسب زعم القوم هو أب الأئمة الذين خلفوا بعده ومع وجود رسول الله آنذاك، فكان صبيا عندما غادر رسول الله الدنيا وحتى بروايات القوم، ثم ومن غير المعدوم نمى هذا النمو وترعرع وشبّ بهذه العجلة؟ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا .

خامسا : وهل يصدّق بهذه الأقاصيص التى لم يحسن واضعوها صناعتها وصياغتها شخص لديه شىء من التعقل وقليل من الفكر؟ .

وهل حكايات الطير وغياب النرجس إلا الأباطيل التى يسامر بها

(٢٧) روضة الواعظين ص٢٦٠ .

المسامرون ويحيون بها الليالى فى الأندية والمقاهى؟ .

ثم وكيف خفى كل هذا على الهاشميين والأسرة العلوية مع من فيهم من أم الحسن وأخيه وعلى رأسهم نقيب الطالبيين أحمد بن عبد الصمد المعروف بابن الطومار الذى كان لديه سجلّ يدوّن فيه مواليد العلويين. وعلى ذلك لما ادعى أحد من الأدعياء أنه محمد بن الحسن العسكرى سنة ٣٠٢ وصل خبره إلى الخليفة المقتدر العباسى، فأمر باحضار مشائخ آل أبى طالب ونقيبهم للبتّ فى أمره، فشهد الجميع على كذبه بدليل أن الحسن العسكرى لم يعقب، فحبس الدعىّ وضرب شهر بين الناس(٢٨).

فهذه القصص وهذه الخرافات بنفسها تشهد على فشل القوم فى إثبات المدّعى .

هذا وزيادة على ذلك اختلاف الشيعة أنفسهم وذهاب أكثرهم إلى إمامة الآخرين، والآراء المتعددة، بعد يأسهم عن ولادة ابن الحسن العسكرى وعن وجوده بعده .

وأخيرا ننقل ذلك الخبر الموثوق، المعتمد لدى القوم والمنقول فى أصح كتبهم، فى (الكافى) ما هو فصل قاطع فى الموضوع، وذلك ما رواه الكلينى عن أحمد بن عبيد الله بن خاقان وهو شيعى مشهور معلن تشيعه وموالاته للحسن العسكرى أن الحسن العسكرى :

لما اعتل بعث السلطان إلى أبيه أن ابن الرضا قد اعتل، فركب من ساعته فبادر إلى دار الخلافة ثم رجع مستعجلا ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصته، فيهم نحرير فأمرهم بلزوم دار الحسن وتعرف خبره وحاله، وبعث إلى نفر من المتطببين فأمرهم

(٢٨) تاريخ طبرى ج١٣ ص٢٦ -٢٧ تحت حوادث سنة ٣٠٢هـ .

بالاختلاف إليه وتعاهده صباحا ومساء، فلما كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أخبر أنه قد ضعف، فأمر المتطببين بلزوم داره وبعث إلى قاضى القضاة فأحضره مجلسه وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممن يوثق به فى دينه وأمانته وورعه، فأحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن وأمرهم بلزومه ليلا ونهارا، فلم يزالوا هناك حتى توفى عليه السلام فصارت سرمن رأى ضجة واحدة وبعث السلطان إلى داره من فتشها وفتش حجرها وختم على جميع ما فيها وطلبوا أثر ولده وجاءوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن، فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل فجعلت فى حجرة ووكل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم، ثم أخذوا بعد ذلك فى تهيئته وعطلت الأسواق وركبت بنو هاشم والقواد وأبى وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سرمن رأى يومئذ شبيها بالقيامة، فلما فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلى أبى عيسى بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه، فلما وضعت الجنازة للصلاة عليه دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه فعرضه على بنى هاشم من العلوية والعباسية والقواد والكتاب والقضاة والمعدلين وقال :

هذا الحسن بن على بن محمد بن الرضا مات حتف أنفه على فراشه حضره من حضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان ومن القضاة فلان وفلان ومن المتطببين فلان وفلان، ثم غطى وجهه وأمر بحمله من وسط داره ودفن فى البيت الذى دفن فيه أبيه .

ولما دفن أخذ السلطان والناس فى طلب ولده وكثر التفتيش فى المنازل والدور وتوقفوا عن قسمة ميراثه ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التى توهم عليها الحمل لازمين حتى تبيّن بطلان الحمل، فلما بطل الحمل عنهن قسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر وادعت أمه وصيته وثبت

ذلك عند القاضى»[٢٩] .

وذكر هذا الخبر جميع مؤرخى الشيعة ومؤلفيهم ومحدثيهم من المفيد فى الإرشاد[٣٠] والطبرسى فى أعلام الورى[٣١] والأربلى فى كشف الغمة [٣٢] والملا باقر المجلسى فى جلاء العيون[٣٣] وصاحب الفصول فى الفصول المهمة[٣٤] والعباس القمى فى منتهى الآمال[٣٥] .

فهذا هو الخبر الذى رواه جميع مؤرخى الشيعة ومحدثيها قد يهدم ما أرادوا بناءه على الأساطير والقصص والحكايات والخرافات من ولادة الثانى عشر المعدوم ونشأته وإمامته .

ثم ولقد أقرّ بهذه الحقيقة الناصعة كبار القوم وزعماؤهم بأن الحسن العسكرى مات :

فلم يظهر ولده فى حياته ، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته ، وتولى جعفر بن على أخو أبى محمد (ع) وأخذ تركته ، وسعى فى حبس جوارى أبى محمد واعتقال حلائله . . . وحاز جعفر ظاهرا تركة أبى محمد عليه السلام واجتهد فى القيام عند الشيعة مقامه»[٣٦] .

ولماذا قالوا بولادة هذا المعدوم ؟

ثم ان القوم لم يضطروا إلى إيجاد هذا المعدوم واختلاق هذا الموهوم إلا فرارا من الاسئلة التى تطرح عليهم من قبل مخالفيهم وهربا من المآزق

(٢٩) كتاب الحجة من الكافى ص٥٠٥ .
(٣٠) ص٣٣٩ .
(٣١) ص٣٧٧ ـ ٣٧٨ .
(٣٢) ج٣ ص١٩٨ ـ ١٩٩ .
(٣٣) تحت ذكر المهدى .
(٣٤) أيضـــا .
(٣٥) أيضـــا .
(٣٦) الارشاد للمفيد ص٣٤٥، اعلام الورى للطبرسى ص٣٨٠، كشف الغمة ج٣ ص٢٠٥.

التى كانوا يقعون فيها حسب الأسس التى اخترعوها والقواعد التى ابتدعوها والأصول التى أوجدوها هم أنفسهم لبيان أوصاف الإمام وخصائله والشروط التى توجد فيه واللوازم التى تلزمه إياه، فإنهم قالوا :

ان الإمام لا يموت حتى يوصى، ويكون له خلف[٣٧] .

وذكر الكلينى عن جعفر أنه قال :

لا يموت الإمام حتى يعلم من يكون بعده، فيوصى إليه»[٣٨] .

ثانيا : لا يكون إلا فى الأعقاب وأعقاب الأعقاب كما روى الكلينى عن جعفر أنه قال :

لا تعود الإمامة فى أخوين بعد الحسن والحسين أبدا، إنما جرت من على بن الحسين كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله﴾، فلا تكون بعد على بن الحسين إلا فى الأعقاب وأعقاب الأعقاب»[٣٩] .

وروى الكلينى عن عيسى بن عبد الله بن عمر بن على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال :

قلت لأبى عبد الله عليه السلام : إن كان كون ـ ولا أرانى الله ـ فبمن أئتم؟ فأومأ إلى ابنه موسى، قال : قلت : فإن حدث بموسى حدث فبمن أئتم؟ قال : بولده، قلت : فإن حدث بولده حدث وترك أخا كبيرا وابنا صغيرا فبمن أئتم؟ قال : بولده ثم واحدا فواحدا . وفى نسخة الصوافى : ثم هكذا أبدا»[٤٠] .

(٣٧) فرق الشيعة للنوبختى ص١٢٣ .

(٣٨) الأصول من الكافى كتاب الحجة، باب ان الإمام يعرف الإمام الذى يكون من بعده ج١ ص٢٧٧ .

(٣٩) أيضا، باب اثبات الإمامة فى الأعقاب وأعقاب الأعقاب وانها لا تعود فى أخ ولا عم ج١ ص٢٨٦ .

(٤٠) أيضـــا .

وتوثيقا لهذه القاعدة وتأكيدا لها نقلوا عن على بن موسى الرضا أنه سئل :

أتكون الإمامة فى عمّ أوخال؟ فقال: لا، قيل: ففى أخ؟ قال: لا، قيل: ففيمن؟ قال: فى ولدى، وهو يومئذ لا ولد له»[٤١] .

ويقصد بذلك لابد أن يولد له ولد لأن وجوده من أحد الأدلة على صحة الإمامة .

ثالثا : ولا يكون إلا فى الكبير. كما روى الكلينى عن على بن موسى أنه قال :

للإمام علامات، منها أن يكون أكبر[٤٢] ولد أبيه»[٤٣] .

وكما رووا عن جعفر أنه قال :

ان الأمر فى كبير ما لم تكن فيه عاهة»[٤٤] .

ومثل ذلك قال على بن موسى بن جعفر حينما سئل عن دلالة صاحب هذا الأمر فقال :

الدلالة عليه الكبر»[٤٥] .

رابعا : قالوا : إن الإمام لا يغسّله إلا الإمام. كما نقلوا عن على الرضا أنه قال :

إن الإمام لا يغسّله إلا إمام من الأئمة عليهم السلام»[٤٦] .

خامسا : يستوى عليه درع رسول الله ﷺ كما رووا عن الباقر أنه بيّن علامات الإمام فقال: ومنها: وإذا لبس درع رسول الله صلى الله

(٤١) أيضـــا .

(٤٢) وهذا هو الدليل القوى والحجة القاطعة للاسماعيلية بأن الإمام كان بعد جعفر اسماعيل ابنه لأنه هو أكبر أبنائه .

(٤٣) الأصول من الكافى ج١ ص٢٨٤ .

(٤٤) الأصول من الكافى كتاب الحجة، باب الأمور التى توجب حجة الإمام ج١ ص٢٨٤ .

(٤٥) أيضـــا .

(٤٦) أيضا، باب ان الامام لا يغسله إلا إمام ص٣٨٤ .

عليـه وآلـه كان عليه وفقا، وإذا لبس غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليهم شبرا»[٤٧] .

ومثـل ذلـك روى ابن بابـويـه القمى عن على بن موسى الرضا ـ الإمام الثامن للشيعة ـ أنه قال :

ويستوى عليه درع رسول الله صلى الله عليه وآله»[٤٨] .

وبـذلـك استـدل جعفـر بن الباقر على إمامة موسى ابنه ـ حسب زعمهم ـ كما يروى عبد الرحمن بن الحجاج أنه قال لجعفر :

جعلنى الله فداك، قد عرفت انقطـاعى إليـك، فمن ولى الناس بعدك؟ فقال : إن موسى قد لبس الدرع وساوى عليه»[٤٩] .

سادسـا : ويكـون عنـده سلاح رسـول الله كما روى الكلينى عن على بن موسى بن جعفر أنه قال :

والسـلاح فينـا بمنزلة التابوت فى بنى اسرائيل، تكون الإمامة مع السلاح حيث ما كان»[٥٠] .

وبمثل ذلك قال جعفر :

يعـرف صاحب هذا الأمـر بثلاث خصال : لا تكون إلا فيه : هو أولى الناس بالذى قبله وهو وصيه وعنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله»[٥١] .

سابعـا : لا يكـون الإمـام إلا من يكـون أشجـع النـاس وأعلم الناس، كما روى الكلينى عن أبى الحسن أنه قال :

(٤٧) أيضا، باب مواليد الأئمة ج١ ص٣٨٩ .

(٤٨) عيون أخبار الرضا، باب ما جاء عن الرضا فى علامات الإمام ج١ ص٢١٣ .

(٤٩) الأصول من الكافى ج١ ص٣٠٨ .

(٥٠) أيضـــا ص٢٨٤ .

(٥١) أيضـــا ص٣٧٩ .

نحن فى العلم والشجاعة سواء»(٥٢) .

وكما روى الحر العاملى عن على بن موسى بن جعفر أنه قال :

الإمـام أحـد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له مثـل ولا نظـير مخصـوص بالفضـل كله من غير طلب منـه له ولا اكتساب، بل اختصاص من الفضل الوهاب»(٥٣) .

وروى ابن بابويه القمى أيضا عن على بن موسى بن جعفر أنه قال :

للإمام علامات، يكون أعلم الناس وأشجع الناس»(٥٤) .

ثامنـا : إن الإمـام لا يحتلم ولا يجنب كما رووا ذلـك عن على بن موسى بن جعفر»(٥٥) .

تاسعـا : إن الإمـام يعلم بما كان ومـا يكـون وأنـه لا يخفى عليـه شىء، وعنده جميع الكتب التى نزلت من عند الله عز وجل ويعرفها على اختلاف ألسنتها(٥٦) .

وأشياء كثيرة كثيرة .

ولقد ذكر ابن بابويه القمى عن على بن موسى بن جعفر أنه قال :

للإمـام علامـات : يكـون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى النـاس، وأحلم النـاس، وأشجـع النـاس، وأسخى النـاس، وأعبـد النـاس، ويـولد مختوناً، ويكون مطهراً، ويرى من خلفه كما يرى من بين

(٥٢) أيضـــا ص٢٧٥ .

(٥٣) الفصول المهمة، باب يجب أن يكون الإمام أعلم الناس ص١٤٢ ط. قم. إيران .

(٥٤) كتاب الخصال لابن بابويه القمى ج٢ ص٥٢٨ ط. طهران .

(٥٥) أنظر عيون أخبار الرضا ج١ ص٢١٣، كتاب الخصال ج٢ ص٥٢٨ .

(٥٦) الكافى للكلينى، كتاب الحجة ج١ ص٢٢٧، ٢٦٠، الفصول المهمة للحر العاملى ص١٥٥ .

يديه، ولا يكون له ظلّ، وإذا وقع على الأرض من [بطن] أمّه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادة، ولا يحتلم، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ويكون محدَّثاً ويستوى عليه درع رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يرى له بول ولا غائط لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد وكّل الأرض بابتلاع ما يخرج منه، ويكون له رائحة أطيب من رائحة المسك، ويكون أولى الناس منهم بأنفسهم وأشفق عليهم من آبائهم، وأُمّهاتهم، ويكون أشدَّ الناس تواضعاً لله عزَّ وجلَّ، ويكون آخذ الناس بما يأمرهم به وأكفَّ الناس عمّا ينهى عنه، ويكون دعاؤه مستجاباً حتّى لو أنّه دعا على صخرة لانشقّت نصفين، ويكون عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه ذو الفقار، ويكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة وصحيفة فيها أسماء أعدائهم إلى يوم القيامة، ويكون عنده الجامعة وهى صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم، ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر إهاب ماعز وإهاب كبش فيهما جميع العلوم حتّى أرش الخدش وحتّى الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة، ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام.

وفى حديث آخر إنَّ الإمام مؤيد بروح القدس وبينه وبين الله عزَّ وجلَّ عمود من نور يرى فيه أعمال العباد وكلّما احتاج إليه لدلالة اطّلع عليه»(٥٧).

وأخيرا عن جعفر أنه قال :

لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»(٥٨).

وقال :

(٥٧) كتاب الخصال للقمى ص٥٢٧، ٥٢٨.

(٥٨) الأصول من الكافى، باب ان الأرض لا تخلو من حجة ج١ ص١٧٩.

لو لم يبق من الأرض إلا اثنان فأحدهما الحجة»(٥٩) .

هذه هى الأسس الكبيرة التى وضعوا عليها بناء إمامة أئمتهم ، ولما وجدوا أن أكثر الذين يعتقدون فيهم الإمامة ولا تنطبق عليهم هذه الصفات ولا يصدق عليهم هذه الشروط حيث إن بعضهم ليس بأكبر ولد أبيه مثل موسى الكاظم والحسن العسكرى ، وبعضهم لم يغسّله إمام مثل على بن موسى بن جعفر ، فإن ابنه محمد الجواد لم يتجاوز الثامنة من عمره آنذاك .

وكذلك موسى بن جعفر فإن ابنه على الرضا لم يغسّله لغيابه عنه عندئذ .

والجدير بالذكر أن محمد بن الرضا ـ الإمام الثامن من عندهم ـ كان بالمدينة حين وفاته(٦٠) .

وكذلك الحسين بن على لم يثبت أنه غسّله ابنه على زين العابدين لملازمته الفراش ولحيلولة عساكر ابن زياد دون ذلك .

وبعضهم لايستوى عليه درع رسول الله مثل محمد بن على الرضا ، فإنه لم يتجاوز الثامنة عند وفاة أبيه ، وكذلك ابنه على بن محمد مات عنه وهو صغير .

ومنهم مَن لم يكن عنده سلاح رسول الله ، ولو كان عنده لما نازعه فى الأمر أخوه زيد ، وكموسى بن جعفر حيث نازعه عبد الله الأفطح وغيره .

ومنهم من لم يكن أعلم الناس ، فكيف يكون الصبى أعلمهم ، وقد نقل عن القوم أنفسهم بأن من يظنونه إماما من الصبيان قد وكل أمرهم إلى الآخرين إلى أن يستأنس منهم الرشد والعلم ، وكذلك فقد

(٥٩) أيضـــا .

(٦٠) عيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٤٩ .

شكّ كبار الشيعة وزعماؤهم حتى فى علم جعفر بن الباقر، فهذا هو زرارة بن أعين كبير رواة القوم، الذى قال فيه جعفر نفسه :

رحم الله زرارة بن أعين، لولا زرارة ونظراؤه لاندرست أحاديث أبى »[٦١] .

فهذا زرارة قال عن جعفر وأبيه :

رحم الله أبا جعفر، فإن فى قلبى عليه لفتة »[٦٢] .

وقال فيه أيضا : وصاحبكم أيضا ليس له بصر بكلام الرجال »[٦٣]

ومثل ذلك حكموا فى علم ابنه موسى ، والقائل هو أبو بصير المرادى أحد الأركان الأربعة فى رواية الحديث الشيعى ، وأبو بصير هذا هو الذى بشره جعفر بن محمد بالجنة[٦٤] .

فلقد ذكر الكشى عن شعيب الأقرقوفى أنه ذكر أبا الحسن عنده، فقال أبو بصير : أظن صاحبنا ماتناهى حكمه بعد، وفى رواية أظن صاحبنا ما تكامل علمه »[٦٥] .

وأما الشجاعة فبعد الحسين بن على لم يكن واحد منهم معروفا بهذا الوصف بين الناس حسب روايات الشيعة ، بل كل ما نقل عنهم يدل على عكس ذلك ، فلم يخرج واحد منهم ضد الحكام ولا السلاطين، بل خلاف ذلك ، كان منهم من أقرّ بعبوديته لهم ، ومنهم متخاذل عن نصرة بنى عمومته الخارجين على الأمراء والولاة ، ومنهم متجنب محترز محتاط ومنهم داع إلى التزام الولاء والإطاعة لهم كما ذكرنا كل ذلك فى الباب السابق .

(٦١) رجال الكشى ص١٢٤ .
(٦٢) أيضا ص١٣١ ، تحت ترجمة زرارة ابن أعين .
(٦٣) أيضا ص١٣٣ .
(٦٤) أنظر رجال الكشى ص١٥٢ تحت ترجمة ابى بصير المرادى .
(٦٥) أيضا ص١٥٤ .

وهذا كله حسب روايات القوم أنفسهم، وما فعله الحسن وما قالوه له وفيه فمعروف ومشهور .

ومنهم من جاء النص بأنه كان يجنب ويحتلم كعلى بن أبى طالب والحسن والحسين، ورووا النص عن رسول الله ﷺ أنه قال :

لا يحل لأحد يجنب فى هذا المسجد إلا أنا وعلى وفاطمة والحسن والحسين»(٦٦) .

وأما العلم بما كان وما يكون فلو كان كذلك لم يختلف أجوبتهم على السائلين لعلمهم أنهم من مخلصى شيعتهم، لأنهم عند ذاك علموا بأنهم ليسوا من المخالفين كما ذكر ذلك النوبختى :

«عمر بن رياح» زعم أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن مسألة فأجابه فيها بجواب، ثم عاد إليه فى عام آخر فسأله عن تلك المسألة بعينها فأجابه فيها بخلاف الجواب الأول، فقال لأبى جعفر: هذا خلاف ما أجبتنى فى هذه المسألة العام الماضى، فقال له: ان جوابنا ربما خرج على وجه التقية فشكك فى أمره وإمامته فلقى رجلا من أصحاب أبى جعفر يقال له (محمد بن قيس) فقال له: انى سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابنى فيها بجواب ثم سألته عنها فى عام آخر فأجابنى بخلاف جوابه الأول، فقلت له: لم فعلت ذلك؟ فقال: فعلته للتقية، وقد علم الله أنى ما سألته عنها إلا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتينى به وقبوله والعمل به فلا وجه لاتقائه إياى وهذه حالى فقال له محمد بن قيس: فلعله حضرك من اتقاه؟ فقال: ما حضر مجلسه فى واحدة من المسألتين غيرى لا ولكن جوابيه جميعاً خرجا على وجه التبخيت ولم يحفظ ما أجاب به فى العام الماضى فيجيب بمثله، فرجع عن إمامته وقال: لا يكون إماماً

(٦٦) عيون أخبار الرضا ج٢ ص٦٠ .

من يفتى بالباطل على شىء»(٦٧) .

ومثل ذلك ذكر الكلينى فى (الكافى) عن زرارة بن أعين عن أبى جعفر قال :

سألته عن مسألة فأجابنى ، ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابنى ، ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابنى وأجاب صاحبى ، فلما خرج الرجلان قلت :

يا ابن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه؟ فقال : يا زرارة ، ان هذا خير لنا وابقى لنا ولكم ، ولو أجتمعتم على أمر واحد لصدّقكم الناس علينا ولكان أقل لبقائنا وبقائكم .

قال : ثم قلت لأبى عبد الله عليه السلام : شيعتكم لو حملتموهم على الأسنة أو على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين؟ قال : فأجابنى بمثل جواب أبيه»(٦٨) .

وكذلك لو كانوا يعلمون الغيب لما قتل البعض منهم ومات الآخرون مسمومين حسب روايات القوم ، فانهم قالوا :

لم يكن إمام إلا مات مقتولا أو مسموما(٦٩) .

لأنهم عند ذلك علموا بذلك .

وأما التكلم بجميع اللغات فليس إلا من الأساطير التى اختلقها القوم للضحك على عقول الناس .

فهذه هى الأشياء التى جعلت الشيعة فى موقف حرج ومأزق لا يرجى منه الخروج .

(٦٧) فرق الشيعة للنوبختى ص٨٠ - ٨١ .

(٦٨) الأصول من الكافى ، كتاب العلم باب اختلاف الحديث ج١ ص٦٥ .

(٦٩) الأصول من الكافى ج١ ص٣٧٥ ، عيون أخبار الرضا ج١ ص٢١٤ .

وعندما لم يولد مولود للحسن العسكرى رأوا أن جميع قواعدهم قد انهارت، وأسسهم قد انهدمت، ولم يبق مجال للتأويل الذى كانوا يتأولون به فى السابق والسابقين، ورأوا أنه لا مخلص ولا منجى منه إلا أن يوجدوا معدوما ليتخلصوا به فى المستقبل عن جميع الاسئلة التى تنجم عن عدم وجود تلك الأوصاف التى وضعوها كالعلامات للإمام، هذا وزيادة على ذلك كانت إمامة الحسن العسكرى معرضة للخطر حيث لم تنطبق عليه علامات كثيرة، منها أنه لم يعقب ولم يخلف .

ثم ولم يوص إلى من بعده .

ولم يغسّله إمام كذلك .

ولم يستو بعده على أحد درع رسول الله .

ومن لا يكون موجودا كيف يحكم عليه بأنه عالم وشجاع .

وأخيرا خليت الأرض من حجة، وبقيت بلا إمام ولم تسخ .

فحاروا واضطربوا ولم يجدوا جوابا لأن عدم وجود المولود للحسن العسكرى لم يكن ليقضى على إمامة الحسن العسكرى فحسب، بل كان يتخطى إلى هدم إمامة الآخرين أيضا حيث إنهم هم الذين رسخوا هذه القواعد التى ـ طالما انكسرت وانعدمت فى الكثيرين منهم ـ لأنه بذلك يخطى نبوءاتهم ويغلط أقاويلهم وهم معصومون عن الخطأ والزلل، لا ينطقون إلا بما يُلهَمون، فهذا هو النوبختى وهو الشيعى المتعصب المشهور، من أكابر هذه الطائفة وعظماء هذه السلالة، متكلم فليسوف إمامى الاعتقاد(٧٠) يصرّح بعبارة واضحة لا غبار عليها بأن الشيعة تحيّروا بعد موت الحسن وذهبوا إلى آراء مختلفة متعددة، وتفرقوا فرقا كثيرة متنوعة :

(٧٠) مجالس المؤمنين للتسترى ص١٧٧ .

ففرقة قالت : إن الحسن حىّ لم يمت وإنما غاب وهو القائم - وسبب هذا القول؟ - ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر لأن الأرض لا تخلو من إمام .

وفرقة قالت : إن الحسن بن على مات وعاش بعد موته . . . ولو كان له ولد لصحّ موته ولا رجوع ، لأن الإمامة تثبت لخلفه وما أوصى لأحد .

وفرقة قالت : إن جعفر هو الإمام لا الحسن ، وتوفى الحسن لا عقب عليه ، وإن الإمام لا يموت حتى يوصى ، ويكون له خلف .

وفرقة قالت : إن الإمام بعد على لم يكن جعفراً لأن فيه خصالا مذمومة وهو بها مشهور ، ولا الحسن لأنه قد توفى ، ولا يجوز أن يموت الإمام بلا خلف ، ولذلك الإمام بعد على هو ابنه محمد المتوفى فى حياة أبيه .

وفرقة قالت : إن الإمام بعد على الحسن وبعد الحسن أخوه جعفر ، وأما ما روى عن جعفر بأنه لا تكون الإمامة فى أخوين بعد الحسن والحسين عندما يكون للماضى خلف من صلبه ، وإذا لم يكن رجعت إلى أخيه ضرورة .

وأقاويل كثيرة .

فعند ذلك اضطروا إلى أن يقولوا إن للحسن ابنا ، كيف يكون امام قد ثبتت إمامته ووصيته وجرت أموره على ذلك وهو مشهور عند الخاص والعام ، ثم يتوفى ولا خلف له .

وفرقة منهم ردّت عليهم وقالوا :

لا ولد للحسن أصلا لأنا قد امتحنا ذلك وطلبناه بكل وجه فلم نجده ولو جاز لنا أن نقول فى مثل الحسن وقد توفى ولا ولد له أن له ولداً

خفياً لجاز مثل هذه الدعوى فى كل ميت عن غير خلف ولجاز مثل ذلك فى النبى صلى الله عليه وآله أن يقال خلف ابناً وأن أبا الحسن الرضا عليه السلام خلف ثلاثة بنين غير أبى جعفر أحدهم الإمام لأن مجىء الخبر بوفاة الحسن بلا عقب كمجىء الخبر بأن النبى صلى الله عليه وآله لم يخلف ذكراً من صلبه ولا خلف عبد الله بن جعفر ابنا ولا كان للرضا اربعة بنين فالولد قد بطل لا محالة ولكن هناك حبل قائم قد صح فى سرية له وستلد ذكراً إماما متى ولدت فانه لا يجوز أن يمضى الإمام ولا خلف له فتبطل الإمامة وتخلو الأرض من الحجة .

وردّت عليهم طائفة فقالوا : واحتج أصحاب الولد على هؤلاء فقالوا : انكرتم علينا أمراً قلتم بمثله ثم لم تقنعوا بذلك حتى أضفتم إليه ما تنكره العقول ، قلتم أن هناك حبلا قائماً فإن كنتم اجتهدتم فى طلب الولد فلم تجدوه فانكرتموه لذلك فقد طلبنا معرفة الحبل وتصحيحه أشد من طلبكم واجتهدنا فيه أشد من اجتهادكم فاستقصينا فى ذلك غاية الاستقصاء فلم نجده فنحن فى الولد اصدق منكم لأنه قد يجوز فى العقل والعادة والتعارف أن يكون للرجل ولد مستور لا يعرف فى الظاهر ويظهر بعد ذلك ويصح نسبه والأمر الذى ادعيتموه منكر شنيع ينكره عقل كل عاقل ويدفعه التعارف والعادة مع ما فيه من كثرة الروايات الصحيحة عن الأئمة الصادقين أن الحبل لا يكون اكثر من تسع أشهر وقد مضى للحبل الذى ادعيتموه سنون وإنكم على قولكم بلا صحة ولا بينة .

وفرقة قالت : ولد للحسن ولد بعده بثمانية أشهر، وان الذين ادعوا ولدا فى حياته كاذبون مبطلون فى دعواهم ، لأن ذلك لو كان لم يخف ولكنه مضى ولم يعرف له ولد ، وقد كان الحبل فيما مضى قائما ظاهرا ثابتا عند السلطان وعند سائر الناس ، وامتنع من قسمة ميراثه من أجل ذلك

حتى بطل بعد ذلك عند السلطان وخفى أمره فقد ولد بعد وفاته بثمانية أشهر وقد كان أمر أن يسمى محمدا وأوصى بذلك وهو مستورا لا يرى .

وأخيرا قالت الفرقة الثانية عشرة وهم الإمامية : ليس القول كما قال هؤلاء كلهم بل لله عز وجل حجة من ولد الحسن بن على ، ولا تكون الإمامة فى الاخوين بعد الحسنين ، ولو جاز ذلك لصحّ قول أصحاب إسماعيل بن جعفر ومذهبهم ، ولثبت إمامة محمد بن جعفر ، وأيضا لا يجوز أن تخلو الأرض من حجة ، ولو خلت لساخت الأرض ومن عليها .

وعلى ذلك نحن مقرّون بوفاة الحسن ، معترفون أن له ولدا قائما من صلبه وأنه مخفىّ ، وليس للعباد أن يطالبوا آثار ما سترت عنه ، ولا يجوز ذكر اسمه ، ولا السؤال عن مكانه ، وطلبه محرّم لا يحل ولا يجوز»(٧١) .

فهذه هى الحقيقة الناصعة التى تنبىء عن ضرورة إيجاد المولود للحسن العسكرى مستغنية عن التعليق والتعقيب عليه .

بماذا أثبتوا إمامة أئمتهم؟

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى إن القوم لم يثبتوا إمامة أئمتهم مع ادعائهم النص والإشارة بأنه لا يكون الشخص إماما إلا حينما يكون منصوصا عليه من قبل إمام قبله وهو يشير إليه بأنه هو المنصوص ، ولقد بوّب القوم فى كتبهم أبوابا مستقلة فى هذا المعنى مثل الكلينى وغيره فإنهم بوّبوا بعنوان «باب الإشارة والنص» لكل واحد من أئمتهم المزعومين ، ولكنه من العجائب أنّ أئمتهم أنفسهم من قبلهم لم يثبتوا إمامتهم بهذا حسب روايات القوم ولا بالشروط التى ذكروها من الوصية

(٧١) ملخص ما كتبه النوبختى فى كتابه (فرق الشيعة) ص١١٩ وما بعد .

والكبر واستواء درع الرسول عليهم ووجود سلاح رسول الله عندهم وغسلهم آباءهم، وكونهم الأعلم والأشجع وإحاطتهم علم الغيب وغير ذلك من الأوصاف والخصائل التى جعلوها علائم للإمامة وشروطا لها، والتى ذكرناها آنفا، بل عكس ذلك إلتجئوا لإثبات مدعاهم إلى الشعبذات والنيرنجيات وفنون من السحر حسب زعم الشيعة، ولو عندهم الوصية وعليهم النص وإليهم الإشارة لما التجئوا إليها. فمثلا يذكرون أن على بن الحسين الملقب بزين العابدين جاءت إليه امرأة من شيعة على والحسن والحسين، وقد بلغت من الكبر عتيا، فقالت:

أتيت على بن الحسين عليهما السلام وقد بلغ بى الكبر إلى أن أرعشت وأنا أعدّ يومئذ مائة وثلاث عشرة سنة، فرأيته راكعا وساجدا أو مشغولا بالعبادة فيئست من الدلالة فأومأ إلىّ بالسبابة فعاد الىّ شبابى»[٧٢].

ومثل ذلك ذكروا لما قتل الحسين أرسل محمد بن الحنفية إلى على بن الحسين وقال له:

قتل أبوك رضى الله عنه وصلى على روحه ولم يوص وأنا عمك وصنو أبيك، وولادتى من على عليه السلام فى، سنّى وقديمى أحق بها منك فى حداثتك، فلا تنازعنى فى الوصية ولا الإمامة ولا تحاجّنى... فردّ عليه على بن الحسين ـ انطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم عليه ونسأله عن ذلك، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال على بن الحسين لمحمد بن الحنفية: ابدأ أنت فابتهل إلى الله عز وجل وسله أن ينطق لك الحجر، ثم سل، فابتهل محمد فى الدعاء وسأل الله، ثم دعا الحجر فلم يجبه... ثم دعا الله على بن الحسين عليهما السلام...

(٧٢) الكافى فى الأصول، باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل فى أمر الإمامة ج١ ص٣٤٧.

فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه، ثم أنطقه الله عزوجل بلسان عربى مبين، فقال: اللهم إن الوصية والإمامة إلى على بن الحسين»(٧٣) .

وكما نقلوا عن موسى بن جعفر أنه لما حصل بينه وبين أخيه عبد الله ـ وكان أكبر ولد جعفر ـ خلاف فى الإمامة :

أمر موسى بجمع حطب فى وسط الدار وأرسل إلى أخيه عبد الله يسأله أن يصير إليه، فلما صار إليه ومع موسى جماعة من الإمامية، فلما جلس موسى أمر بطرح النار فى الحطب فاحترق ولا يعلم الناس السبب فيه حتى صار الحطب كله جمرا، ثم قام موسى وجلس بثيابه فى وسط النار وأقبل يحدث الناس ساعة، ثم قام فنفض ثوبه ورجع إلى المجلس، فقال لأخيه عبد الله: ان كنت تزعم أنك الإمام بعد أبيك فاجلس فى ذلك المجلس»(٧٤) .

وذكر الكلينى قصة أخرى لإثبات إمامة موسى بن جعفر وأحقيته بها من موسى وإسماعيل وغيرهما من إخوته الكبار بأن شخصا جاء إلى موسى بن جعفر فسأله عن الإمام من هو؟ . فقال :

إن أخبرتك تقبل؟ . قال: بلى جعلت فداك؟ قال: أنا هو، قال: فشيىء أستدل به؟ قال: اذهب إلى تلك الشجرة ـ وأشار بيده إلى أم غيلان ـ فقل لها: يقول لك موسى بن جعفر: أقبلى، قال: فأتيتها فرأيتها والله تخدّ الأرض خدّا حتى وقفت بين يديه، ثم أشار إليها فرجعت»(٧٥) .

وكذلك أثبتوا إمامة محمد بن على الرضا أنه جاء إليه شخص

(٧٣) أيضا ج١ ص٣٤٨، اعلام الورى للطبرسى ص٢٥٨ ـ٢٥٩ .
(٧٤) كشف الغمة للأربلى ج٣ ص٣٧ .
(٧٥) الأصول من الكافى ج١ ص٢٥٣، اعلام الورى للطبرسى ص٣٠٢ .

فقـال: والله إنى اريـد أن أسألـك مسألة وانى والله لاستحيى من ذلك، فقـال لى: أنـا أخـبرك قبل أن تسألنى، تسألنى عن الإمام؟ فقلت: هو والله هذا، فقـال: أنـا هو، فقلت علامـة؟ فكـان فى يده عصـا فنطقت وقالت: إن مولاى إمام هذا الزمان وهو الحجة»(٧٦) .

وبهـذا عارضـوا أصولهم وأساسهم بأن الإمامة لا تثبت إلا بالنص والاشارة، ولا يكون الإمام إلا منصوصا، مشار إليه من الإمام الذى قبله حيث إن أئمتهم حسب روايـاتهم لم يختلفـوا مع أئمتهم ولم يحصل النزاع بينهم إلا لعدم وجود النص والوصية والإشارة وعدم شهرتها حتى بين أبناء أب واحد وإلا لما اضطروا إلى هذه الخزعبلات .

هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى النص الذى جعلوه مثبتا لإمامة أئمتهم ليس إلا مجرد الـدعـوى ولا دليـل قائم معـه كما ذكـر ابن حزم فى فصله رادّا على الشيعة وعلى ادعائهم النص :

ان عمدة احتجاجكم فى ايجاب إمامتكم التى تدعيها جميع فرقكم انما هى وجهان فقط، أحدهما النص عليه باسمه والثانى شدة الفاقة إليه فى بيـان الشـريعـة إذ علمها عنده لا عند غيره ولا مزيد، فأخبر ونى بأي شيء صار محمـد بن على بن الحسـين أولى بالإمامة من إخوته زيد وعمر وعبد الله وعلى والحسين فان ادعوا نصاً من أبيه عليه أو من النبى ﷺ أنه البـاقـر، لم يكن ذلـك ببدع من كذبهم ولم يكونوا أولى بتلك الدعوى من الكيسانية فى دعواهم النص على ابن الحنفية، وان ادعوا أنه كان أفضل من اخوته كانت أيضاً دعوى بلا برهان والفضل لا يقطع على ما عند الله عز وجل فيه بما يبدو من الإنسان فقد يكون باطنه خلاف ظاهره، وكذلك يسألون أيضاً ما الذى جعل موسى بن جعفر أولى بالإمامة من أخيه محمد

(٧٦) الأصول من الكافى ج١ ص٣٥٣ .

أو اسحاق أو على؟ فلا يجدون إلى غير الدعوى سبيلا، وكذلك أيضاً يسألون ما الذى خص على بن موسى بالإمامة دون اخوته وهم سبعة عشر ذكراً؟ فلا يجدون شيئاً غير الدعوى، وكذلك يسألون ما الذى جعل محمد بن على بن موسى أولى بالإمامة من اخيه على بن على وما الذى جعل على بن محمد أولى بالإمامة من أخيه موسى بن محمد وما الذى جعل الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى أحق بالإمامة من أخيه جعفر بن على؟ فهل هاهنا شىء غير الدعوى الكاذبة الذى لا حياء لصاحبها، والتى لو ادعى مثلها مدع للحسن بن الحسن أو لعبد الله بن الحسن أو لأخيه الحسن بن الحسن أو لابن أخيه على بن الحسن أو لمحمد بن عبد الله القائم بالمدينة أو لأخيه إبراهيم أو لرجل من ولد العباس أو من بنى أمية أو من أى قوم من الناس كان لساواهم فى الحماقة، ومثل هذا لا يشتغل به من له مسكة من عقل أو منحة من دين، ولو قلت أو رقعة من الحياء، فبطل وجه النص»(٧٧).

وعلاوة على ذلك يقول الإمامية أو الاثنا عشرية أو الجعفرية أو الروافض - كما سماهم الله - ان الإمام لا يكون إلا معصوما من الاخطاء ومنصوبا من قبل الله عز وجل، ولا يكون فى عنقه بيعة أحد غيره.

أما كونه معصوما من قبل الله عز وجل فلا يخلو كتاب من كتبهم التى تذكر مسألة الإمامة إلا وقد ذكروا فيه هذا، وهذا أمر مشهور مستغن عن ذكر مصدره ومرجعه.

وأما أن الإمام لا يكون فى عنقه بيعة أحد فكما ذكر الكلينى أن هشام بن سالم دخل على موسى بن جعفر بعد وفاة أبيه وهو باك حيران لا يدرى إلى أين يتوجه ولا من يقصد، إلى المرجئة؟ . إلى القدرية؟ . إلى

(٧٧) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج٤ ص١٠٢ -١٠٣ .

الزيدية؟ . إلى المعتزلة؟ . إلى الخوارج؟ . فقال له :

جعلت فداك فمن لنا من بعده؟ . قال : إن شاء الله أن يهديك هداك ، قال : قلت : جعلت فداك فأنت هو؟ . ما أقول ذلك ، قال : قلت فى نفسى : لم أصب طريق المسألة ، ثم قلت له : جعلت فداك عليك إمام؟ قال : لا ، فداخلنى شىء لا يعلم إلا الله عز وجل إعظاما له وهيبة أكثر مما كان يحلّ بى من أبيه إذا دخلت عليه»(٧٨) .

وقد ورد مثل ذلك فى كثير من كتب الشيعة بأن الإمام لا يكون إماما وفى عنقه بيعة أحد .

هذا وإكمالا للبحث وإتماما للفائدة نلقى نظرة عابرة حول هذه الأوصاف ولوازم الإمامة الثلاثة ليشمل البحث جميع الجوانب المهمة فى هذا المبحث ، فنقول :

إن العصمة التى جعلوها من خواص الإمام ولوازمه ، واحتجوا بها على إمامة أئمتهم بأنه لم يكن أحد معصوما غيرهم(٧٩) .

فإنها لم تثبت لهم أيضا ، وأحوالهم وأقوالهم تشهد على ذلك ، فان عليا رضى الله عنه ـ وهو الإمام المعصوم الأول حسب زعم الشيعة ـ اختلف معه ابنه الأكبر حسن السبط ـ وهو الإمام الثانى المعصوم عند القوم ـ فى مسألة أخذه البيعة من الناس بعد استشهاد عثمان ذى النورين رضى الله عنه ، وكما اختلف معه أيضا فى خروجه لمحاربة مطالبى دم عثمان كما مرّ ذكره فى الباب الثانى من هذا الكتاب . ويلزم من ذلك أن واحدا منهما كان مصيبا والثانى مخطئا أعنى الإمام الأول وهو على ، أو الإمام الثانى وهو الحسن ، لأن واحدا منهما يرى رأيا والثانى يخالفه فلابد

(٧٨) الأصول من الكافى ، كتاب الحجة ، باب ما يفصل به بين دعوة الحق والمبطل فى أمر الإمامة ج١ ص٣٥١ ـ ٣٥٢ .

(٧٩) أنظر منهاج الكرامة للحلى ص٧١ وغيره .

من أن يكون أحدهما على صواب والآخر على خطأ .

ثم ولقد ثبت فى التاريخ أن عليا رضى الله عنه صوّب رأى الحسن بعد كارثة الجمل وتأسف على عدم أخذه برأى الحسن وتقيده به .

وثانيا : لقد أقر بصدور خطأ وامكان الوقوع فيه ، على رضى الله عنه نفسه حيث قال :

لا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل ، فإنى لست آمن أن أخطىء[٨٠]

.

وثالثا : لقد ذكر المؤرخون أن الحسن رضى الله عنه لما أراد الصلح مع معاوية خالفه فى ذلك مع من خالفه أخوه الحسين ـ وكلاهما إمامان معصومان عند الشيعة ـ لكن الحسن لم يلتفت إلى رأى الحسين وصالح معاوية وكان الحسين يبدى الكراهة من صلح الحسن مع معاوية ويقول :

لو جزّ أنفى كان أحب إلىّ مما فعله أخى»[٨١] .

والظاهر أن واحدا منهما كان مصيبا والآخر مخطئا .

هذا ومثل هذا كثير .

وأما كونه منصوبا من قبل الله عز وجل فأيضا ليس إلا دعوى مجردة عن الدليل ، ولم ينزل الله به من سلطان ، ولكل أن يدعى بأن الله هو الذى نصبه مادام أن الوحى منقطع ونزول جبريل على أحد مسدود .

وأما أن الإمام لا يكون إماما إلا ولا يكون فى عنقه بيعة أحد فهذا لم يتحقق ولا فى واحد من أئمة القوم من على رضى الله عنه إلى الحسن العسكرى ، اللهم إلا أن يقال فى ذلك الموهوم المعدوم الذى لم يولد ، لأنه

(٨٠) الكافى فى الأصول نقلا عن أعيان الشيعة لمحسن الأمين ج١ ص١٣٦ .

(٨١) أعيان الشيعة الجزء الأول ـ القسم الأول ص٦٥ .

قد ثبت تاريخيا ومن كتب القوم أنفسهم بأن كل واحد منهم بايع أئمة زمانهم وخلفاءهم .

فإن الإمام الأول المعصوم حسب زعم الشيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه بايع أبابكر ثم عمر ثم عثمان[٨٢] .

كما بايع الحسن وهو الإمام المعصوم الثانى لدى الشيعة معاوية رضى الله عنه[٨٣] .

وكما بايعه الحسين أيضا وهو الإمام الثالث المعصوم[٨٤] .

وبايع على بن الحسين يزيد وأقرّ بعبوديته له حسب رواية الشيعة - وهو الإمام المعصوم الرابع عند القوم[٨٥] .

وهلمّ جرا .

فهذه هى حقيقة شروط القوم اللازمة للائمة ، المنفية فى أئمتهم باعترافهم وإقرارهم وثبوتهم من كتبهم أنفسهم .

لماذا أوجبوا إمامة أئمتهم؟

إن الشيعة يقولون :

ان الإمامة واجبة وانها رئاسة عامة فى أمور الدين والدنيا لشخص من الاشخاص نيابة عن النبى (ص) ، وإنما وجبت لأنها لطف واللطف واجب كما تقدم فى النبوة ، وانما كانت لطفا لأن الناس إذا كان لهم رئيس مطاع مرشد يردع الظالم عن ظلمه ويحملهم على الخير ويردعهم عن الشر كانوا أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وهو اللطف ، فالدليل

(٨٢) أنظر لتفصيل ذلك النصوص الثابتة من كتب القوم أنفسهم فى كتابنا «الشيعة وأهل البيت» . ط . لاهور - باكستان .

(٨٣) مروج الذهب للمسعودى الشيعى ج٢ ص٤٣١ ، رجال الكشى ١٠٢ .

(٨٤) رجال الكشى ص١٠٢ .

(٨٥) الكافى الكلينى ج٨ ص٢٣٤ - ٢٣٥ .

الدال على وجوب النبوة يدل على وجوب الإمامة»(٨٦) .

ويقول السيد الزين :

أما الإمامة فهى واجبة . . . لأن الإمام نائب عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حفظ الشرع الإسلامى وتيسير المسلمين على طريقه القويم، وفى حفظ وحراسة الأحكام عن الزيادة والنقصان والإمام موضح للمشكل من الآيات والأحاديث ومفسر للمجمل والمتشابه ومميز للناسخ من المنسوخ»(٨٧) .

وقال الحلىّ :

إن الإمام يجب أن يكون حافظا للشرع لانقطاع الوحى بموت النبى صلى الله عليه وآله وقصور الكتاب والسنة عن تفاصيل أحكام الجزئيات الواقعة إلى يوم القيامة، فلابد من إمام منصوب من الله تعالى وحاجة العالم داعية إليه ولا مفسدة فيه فيجب نصبه . . . وأما الحاجة فظاهرة أيضا لما بيناه من وقوع التنازع بين العالم، وأما انتفاء المفسدة فظاهر أيضا لأن المفسدة لازمة لعدمه، وأما وجوب نصبه فلأن عند ثبوت القدرة والداعى وانتفاء الصارف يجب الفعل»(٨٨) .

فقالوا بهذه الأقوال إثباتا لإمامة أئمتهم مع أن الوجوه والأسباب والعلل التى بيّنوها لوجوب الإمامة هى التى تنفى إمامة أكثر أئمتهم، بل إمامة جميعهم غير علىّ رضى الله عنه حيث إن أئمتهم الاثنى عشر المزعومين لم يملكوا الرئاسة العامة فى أمور الدين والدنيا ولم يملكوا ردع الظالم عن ظلمه وحمل الناس على الخير وردعهم عن الشر طبق روايات القوم أنفسهم، فان واحدا منهم لم يولد على القول الصحيح، ولو

(٨٦) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الثانى ص٦ .

(٨٧) الشيعة فى التاريخ ص٤٤ ـ٤٥ .

(٨٨) منهاج الكرامة للحلى ص٧٢ ـ٧٣ .

سلمّت ولادته تنازلا لم يملك الظهور خوفا على حفظه وبقائه فضلا عن حفظ الشرع الإسلامى وحراسة الأحكام عن الزيادة والنقصان ، والبعض الآخر مثل الإمام الحادى عشر والعاشر كانوا أطفالا صغارا حتى احتاج آباؤهم أن يجعلوا القيّمين عليهم وعلى أموالهم وودائعهم حتى يبلغوا الحلم لعدم قدرتهم على حفظ تركة الآباء وإرثهم ، فمن لا يكون حافظا على تركته وماله وأمور دنياه أجدر أن لا يكون حافظا على أمور الآخرين ، أمور دنياهم ودينهم .

ثم قد ثبت من كتب القوم أنفسهم أن أئمتهم كانوا يفتون حتى خاصتهم وشيعتهم خلاف ما أنزل الله وما بيّنه الرسول وخلاف ما كانوا يرونه فى قلوبهم صيانة على أنفسهم وحفاظا على حياتهم كما مرّ سابقا عن جعفر وأبيه الباقر (وطالما كانوا يحلون الحرام ويحرّمون الحلال لهذا الغرض) وكما رواه الكلينى فى كافيّه عن موسى بن أشيم قال :

كنت عند أبى عبد الله عليه السلام فسأله رجل عن آية من كتاب الله عز وجل فأخبره بها ، ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر الأول ، فدخلنى من ذلك ما شاء الله حتى كأن قلبى يشرح بالسكاكين ، فقلت فى نفسى : تركت أبا قتادة بالشام لا يخطىء فى الواو وشبهه ، وجئت إلى هذا يخطىء هذا الخطأ كله فبينا أنا كذلك إذا دخل آخر فسأله عن تلك الآية ، فأخبره بخلاف ما أخبرنى وأخبر صاحبى »[٨٩] .

وكما رواه أيضا عن محمد بن مسلم قال :

دخلت على أبى عبد الله عليه السلام وعنده أبو حنيفة ، فقلت له : جعلت فداك رأيت رؤيا عجيبة ، فقال لى : يا ابن مسلم هاتها ، ان

(٨٩) الكافى فى الأصول ج١ ص٦٦

العالم بها جالس وأومأ بيده إلى أبى حنيفة، فقلت: رأيت كأنى دخلت دارى وإذا أهلى قد خرجت على فكسرت جوزا كثيرا ونثرته على فتعجبت من هذه الرؤيا، فقال أبو حنيفة: أنت رجل تخاصم وتحاول أن تنال مالك فى مواريث أهلك فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أصبت والله يا أبا حنيفة .

قال: ثم خرج أبو حنيفة من عنده، فقلت له: جعلت فداك انى كرهت تعبير هذا الناصب، فقال: يا ابن مسلم لا يسوءك الله فما يواطىء تعبيرهم تعبيرنا ولا تعبيرنا تعبيرهم وليس التعبير كما عبره، قال: فقلت له: جعلت فداك فقولك: أصبت وتحلف عليه وهو مخطىء؟ قال: نعم حلفت عليه أنه أصاب الخطأ»(٩٠) .

وأخيرا ننقل ما نقلناه سابقا وما رواه الكلينى :

عن زرارة بن أعين عن أبى جعفر عليه السلام قال: سألته عن مسألة فأجابنى، ثم جاء رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابنى، ثم جاء رجل آخر فسأله فأجابه بخلاف ما أجابنى وأجاب صاحبى، فلما خرج الرجلان قلت: يابن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه؟ فقال: يازرارة إن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدّقكم الناس علينا ولكان أقل لبقائنا وبقائكم .

قال: ثم قلت لأبى عبد الله عليه السلام: شيعتكم لو حملتموهم على الأسنة أو على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين؟ قال: فأجابنى بمثل جواب أبيه»(٩١) .

فهل عن مثل هؤلاء يقال إنهم يحفظون ويحرسون الأحكام عن

(٩٠) كتاب الرضة من الكافى ج٨ ص٢٥٢ .
(٩١) الأصول من الكافى، باب اختلاف الحديث ج١ ص٦٥ .

الـزيادة والنقصان ، ثم والبقية الآخرون مثل الحسن تنازلوا عن رئاستهم الدنيوية علنا وجهرا رغم أنوف المنكرين ، وسلّموا إليهم أُمورهم وأُمور غيرهم الـدنيـويـة ، وقـد اعـترف بعضهم بعبـوديتهم للآخرين حسب روايـات القـوم عن على بن الحسين الملقب بزين العابدين ، وبعضهم لم ينلها أى الرئاسة الدنيوية مع جدّه وجهده لنيلها وإدراكها كحسن السبط رضى الله عنه حسب تصريحات القوم ، فهذه حقيقة معتقدهم فى الإمامة ووجوبها ، وعلى ذلك قال ابن حزم :

وأما وجه الحاجة إلى الإمامة فى بيان الشريعة فما ظهر قط من أكثر أئمتهم بيـان لشىء مما اختلف فيـه الناس وما بايديهم من ذلك شىء إلا دعـاوى مفتعلة قد اختلفـوا أيضـاً فيهـا كما اختلف غيرهم من الفـرق سواء ، إلا أنهم اسوأ حالا من غيرهم لان كل من قلد إنساناً كاصحاب أبى حنيفـة لأبى حنيفـة وأصحـاب مالـك لمالـك وأصحـاب الشـافعى للشـافعى وأصحـاب أحمد لأحمد فان لهؤلاء المذكورين اصحاباً مشاهير نقلت عنهم اقـوال صاحبهم ونقلوهـا هم عنـه ولا سبيل إلى اتصال خبر عنـدهم ظاهـر مكشوف يضطر الخصم إلى ان هذا قول موسى بن جعفر ولا انه قول على بن موسى ولا انه قول محمد بن على بن موسى ولا انه قول على بن محمـد ولا انـه قول الحسن بن على وأما من بعد الحسن بن على فعدم بالكلية وحماقة ظاهرة ، واما من قبل موسى بن جعفر فلو جمع كل ما روى فى الفقـه عن الحسن والحسـين رضى الله عنهـما لما بلغ عشـر اوراق ، فما ترى المصلحـة التى يدعـونهـا فى إمـامهم ظهـرت ولا نفع الله تعالى بها قط فى علم ولا عمل لا عندهم ولا عند غيرهم ، ولا ظهر منهم بعد الحسين رضى الله عنه من هؤلاء الذين سموا أحد ولا أمر منهم احد قط بمعـروف معلن ، وقـد قرأنـا صفـة هؤلاء المخـاذلـين المنتمـين إلى

الإمامية، القائلين بان الدين عند أئمتهم، فما رأينا إلا دعاوى باردة وآراء فاسـدة كأسخف ما يكـون من الأقـوال، ولا يخلو هؤلاء الأئمـة الـذين يذكـرون من ان يكـونـوا مأمـورين بالسكـوت أو مفسـوحاً لهم فيه، فان يكـونـوا مأمـورين بالسكوت فقد ابيح للناس البقاء فى الضلال وسقطت الحجـة فى الـديـانة عن جميع الناس وبطل الدين ولم يلزم فرض الإسلام وهذا كفر مجرد، وهم لا يقولون بهذا، أو يكونوا مأمورين بالكلام والبيان فقد عصوا الله إذ سكتوا وبطلت إمامتهم، وقد لجأ بعضهم إذ سئلوا عن صحة دعواهم فى الأئمة إلى أن ادعوا الالهام فى ذلك فإذا قد صاروا إلى هذا الشغب فإنـه لا يضيق عن أحـد من الناس ولا يعجز خصومهم عن ان يدعـوا أنهـم ألهمـوا بطـلان دعـواهم . . . ثم أن بعض أئمتهم المـذكـورين مات أبـوه وهـو ابن ثلاث سنين، فنسألهم من أين علم هذا الصغـير جميـع علوم الشريعة وقد عدم توقيف أبيه له عليها لصغره، فلم يبق إلا ان يدعوا له الوحى، فهذه نبوة وكفر صريح»[٩٢] .

الشـــــيخية

ثم افترقت الشيعة الاثنا عشرية إلى فرق كثيرة من أهمها الشيخية نسبة إلى الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائى البحرانى المولود سنة ١١٦٦هـ[٩٣] المتوفى سنة ١٢٤٣هـ[٩٤] .

وسمّاه الخوانسارى «تـرجمـان الحكـماء المتألهـين ولسـان العـرفاء والمتكلمين، غرة الدهر وفيلسوف العصر، العالم لأسرار المبانى والمعانى» وكتب فى ترجمته :

لم يعـد فى هذه الأواخـر مثله فى المعـرفة والفهم، والمكرمة والحزم،

(٩٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج٤ ص١٠٣ ـ١٠٤ .
(٩٣) دائرة المعارف الإسلامية الاردية ج٢ ص٨٢ ط. جامعة بنجاب ـ باكستان .
(٩٤) روضات الجنات للخوانسارى ج١ ص٩٤ .

وجـودة السليقـة ، وحسن الطـريقـة ، وصفـاء الحقيقـة ، وكثرة المعنويّة ، والعلم بالعـربيـة ، والأخـلاق السّنية ، والشيم المرضيّة ، والحكم العلميّة والعمليّـة ، وحسن التعبـير والفصاحة ولطف التقرير والملاحة ، وخلوص المحبّة والوداد ؛ لأهل بيت الرسول الأمجاد ، بحيث يرمى عند بعض أهل الظاهر من علمائنا بالافراط والغلوّ ؛ مع أنّه ـ لاشكَّ ـ من أهل الجلالة والعلوّ .

ورد بلاد العجم فى أواسـط عمـره ، وكـان بها فى نهايـة القرب من ملوكها وأربابها . وكان أكثر مقامه فيها بدار العبادة يزد . ثمّ انتقل منها إلى إصبهان ، وتوقّف فيها أيضاً برهة من الزمان .

ولمّـا أراد أن يرجـع إلى أصله الـذى كان فى وصـل الحسـين عليـه السـلام وورد بلدة قرميسـين ـ التى هى واقعـة فى البـين ـ استـدعى منه الـوقـوف بها أمـيرهـا العـادل الكبـير المغـوار المغيار محمد على ميرزا بن السلطان فتحعلي شاه قاجار. فأجابه إلى ذلك ـ لما استلزمه من المصالح أو صرف المهـالـك ـ إلى أن توفّى الـوالى المـذكـور فى سفر منه إلى حرب بغداد ، وآل الأمر فى تلك المملكة إلى الفتنة والفساد .

فارتحـل منهـا إلى أرض الحـائر الشريف ، ليصرف فيها بقيّة عمره الطريف ، ويجمع أمره على التصنيف والتأليف ، والقيام بحقّ التكليف . . .

وقـد يذكـر فى حقّه أيضاً أنّه كان ماهراً فى أغلب العلوم ، بل واقفاً على جملة من الحـرف والـرسـوم ، وعـارفـاً بالطبّ والقـرائـة والـرياضيّ والنجوم ، ومدّعياً لعلم الصنعة والأعداد والطلسمات ونظائرها من الأمر المكتوم »(٩٥) .

(٩٥) أيضا ص٨٨ ـ٨٩ ، ٩١ .

ويذكر ان له من المؤلفات ما يقارب المائة[٩٦].

وقيل: أكثر من ذلك[٩٧].

وذكر عنه تلميذه السيد كاظم الرشتى:

إن مولانا رأى الإمام الحسن عليه السلام ذات ليلة وضع لسانه المقدس فى فمه. فمن ريقه المقدس ومعونة الله، تعلم العلوم. وكان فى فمه كطعم السكر وأحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك، ولما استيقظ أصبح فى خاصته محاطا بأنوار معرفة الله، طافحا بأفضاله، منفصلا عن كل ما هو مغاير لله، وزاد اعتقاده فى الله فى نفس الوقت الذى ظهر فيه استسلامه لارادة العلى. وبسبب ازدياد شوقه والرغبة الشديدة التى استولت على قلبه نسى الأكل واللبس الا ما يسدّ به حاجته الضرورية»[٩٨].

فالأحسائى هذا كان له بجانب الكتب والمؤلفات دروس فى كربلاء وطوس وغيرها من البلاد الشيعية، وفيها ينشر أفكاره وعقائده ومعتقداته، فانه كان يقول:

إن الله تجلى فى على وفى أولاده الأحد عشر. وإنهم مظاهر الله وأصحاب الصفات الإلهيه والنعوت الربانية، وهم أئمة الهدى، مختلفون فى الصورة متفقون فى الحقيقة»[٩٩].

وكان يقول:

إن الأئمة هم العلة المؤثرة فى وجود المخلوقات، وهم مظهر الإرادة الالهية والمعبرون عن مشيئة الله، ولولاهم ما خلق الله شيئا. ولذلك فهم

(٩٦) دائرة المعارف الإسلامية، اردوج٢ ص٨٣.

(٩٧) هداية الطالبين لحاجى محمد كريم خان.

(٩٨) مطالع الأنوار للزرندى البهائى ص٣، نقلا عن كتاب دليل المتحيرين وارشاد المسترشدين للسيد كاظم الرشدى.

(٩٩) مقدمة نقطة الكاف للمستشرق الانجليزى براؤن ص يح الفارسية ط. ليدن.

الغـايـة من الخلق ، وكـل ما يفعله الله فهويفعله بواسطتهم ، ولكن ليس لهم من ذاتهم قوة ، وهم مجرّد وسائط .

ولمـا كانت ذات الله لا تدرك وكـانت لا تحيـط بها أفهـام جميع المخلوقات ، فإن الإنسان لا يستطيع معرفتها إلا بتوسط الأئمة الذين هم فى الحقيقـة محال للذات العليـة ، ومن أخطأ فى حقهم أخطأ فى حق الله ، واللوح المحفـوظ هو قلب الإمـام المحيط بكل السماوات وكل الأرضين ، والأئمة هم أول المخلوقات والسابقون على كل شىء»(١٠٠) .

ثم كان يعتقد فى الغائب المزعوم الثانى عشر :

أولا : أنه ميت ، كما كان يقول :

إن المهـدى الغـائب المنتظر ظهوره عند الشيعة هو الآن من سكان العالم الروحانى غير هذا العالم الذي يسمونه بجابلقاء وجابر ساء»(١٠١) .

وإن الإمـام روحى له الفـداء لما خاف من أعـدائـه خرج من هذا العالم ودخل فى جنة الهورقلياء»(١٠٢) .

ثانيا : كان يقول إن الراجع لا يكون ذلك ابن الحسن العسكرى بل يكون أحد غيره الذى حلّ فيه روحه ، كما قال :

وسيعـود فى هذا العـالم بصـورة شخص من أشخـاص هذا العـالم يعنى بطريق ولادة عامة الناس»(١٠٣) .

ثالثـا : يكـون ذلـك الشخص هونفس الإمـام محمـد بن الحسن العسكرى ولو ولد من أب وأم آخرين جديدين :

---

(١٠٠) دائرة المعارف الإسلامية لأحمد الشنتاوى ج١٤ ص١٢ ط. طهران .

(١٠١) دائرة المعارف للبستانى ج٥ ص٢٦ .

(١٠٢) الكواكب الدرية ص٢٠ الفارسى. ط. القاهره .

(١٠٣) أيضـا ص٢٠ .

انـه المهـدى بعينـه وان ذلك الجسم اللطيف الروحانى قد ظهر فى هذا الجسم الكثيف المادى»(١٠٤) .

رابعا : يطلق عليه اسم القائم :

لانه يقوم بعدما يموت .

ولما سئل : أيقوم من القبر؟ .

أجـاب : يقـوم من قبره أى من بطن أمـه ، وقـال : ان جابلسـا وجابلقا منزل الموعود ومحل المنتظر فى السماء لا فى الأرض كما يعتقدو يظن أكثر الناس»(١٠٥) .

وكـان ينكـر المعـاد والبعث الجسمانى مطلقا لأن الجسم يتكون من العناصر الأربعة وبعد خروج الروح تنحل الأجزاء والعناصر، ولا تبقى لها أثر، فتصير إلى الفناء الابدى .

والشىء الذى يبقى ويعود هو الجسم اللطيف الروحانى هو جوهر الجـواهـر عنـده ، والـذى يسمونه الجسم الهورقليائى تبعا للمصطلحات الكيماوية القديمة .

«فجـوهـر الجـواهـر هو الجسم الهـورقليـائى الـذى يحشـر ويعاد ، والعناصر الباقية التى هى أعراض ولواحق فهى تنتشر وتنحل وتندمج فى أصلهـا كالمـاء فى الماء والطين فى الطين ، والروح البالية أيضا تفنى ويبقى الجسم الأصلى الذى يظهر فى عرض الجسم من الأبعاد الثلاثة»(١٠٦) .

ومن العقـائـد التى نشـرهـا بين النـاس أن الإمام المهدى يتجلّى ويظهـر فى كل مكـان فى صورة رجل يكون هو المؤمن الكامل أو الباب أو

---

(١٠٤) دائرة المعارف للبستانى ج٥ ص٢٦ .

(١٠٥) الكواكب ص٢٠ ـ٢١ .

(١٠٦) دائرة المعارف الإسلامية للاردية نقلا عن مجلة (يغما) الفارسية رقم ١٦٢ ص٨٢ .

الولى ، ولابد من الإيمان به .

فالأركان الأربعة التى هى أصل الدين وأصوله عندهم هى :

(١) التوحيد .

(٢) النبوة .

(٣) والإمامـــة .

(٤) والاعتقاد بالرجل الكامل(١٠٧) .

ولقد حلت هذه الشخصية فى عصر الأحسائى فى جسمه ، ولأجل ذلـك يسمى ركنـا رابعـا أو البـاب فالبـاب فى رأيه شخص حلّ فيه روح البـاب ، والمهـدى الـذى حل فيـه روح المهدى ، والإمام والنبى كذلك ، وهم مع ذلك مختلفون فى الصورة متحدون فى الحقيقة كما ذكرنا سابقا لأن الله تعالى هو المتجلى فى الجميع على اختلاف المراتب والمناصب .

وكـان ينكـر المعـراج الجسمانى والروحى ، بل كان يقول ان رسول الله موجـود فى كل مكـان فى كل آن ، وعلى ذلـك لا معنى لهذا القول انه كان فى الأرض وعـرج به إلى السـماء لأنـه ليس بمقيّـد فى مكان وزمان ، فمن رآه فى السماء رآه واللواحق السماوية وعوارضها ملتصقة به»(١٠٨) .

وبعـد أن مات الأحسـائى تولىّ زعـامة الشيخية ومنصبه ، تلميذه السيـد كاظم الـرشتى سنة ١٢٤٢هـ ونهج منهجه وسلك مسلكه ، وصار ركنا رابعا للشيخية غير أنه زاد الطين بلّة حيث قال :

حل فيـه روح الأبـواب كما حلّ فى الأحســائى ولكن آن الآوان لانقطاع الأبواب ومجىء المهدى نفسه»(١٠٩) .

ويقول الشيخية :

(١٠٧) دائرة المعارف الإسلامية مادة احسائى ، والعقيدة والشريعة لجولد زيهر ص١٠٣ .

(١٠٨) فهرست لأبى القاسم إبراهيمى شيخ الشيخية ص١٩٦ . ط. إيران .

(١٠٩) انظر الكواكب ص٢٤ ط. فارسى .

العالم قديم بالزمان حادث بالذات، لأن الأعراض لا يمكن أن توجد بدون الجوهر، والصور لا يمكن أن توجد بدون محلها. والأعراض حادثة زائلة توجد تارة وتنعدم تارة، تأتى من العدم وتعود إلى العدم. أما الجوهر فليس شيئا حادثا زائلا، وعلى هذا فإن المادة فى ذاتها حادثة. هى موجودة أبدا فى المستقبل لا فى الماضى وإلا لكان للحياة الأخرى نهاية وفنيت الجنة والنار، والجنة هى محبة أهل البيت، أهل بيت النبى عليه السلام، الأئمة. والجنة والنار تحدثان بسبب أفعال الإنسان»(١١٠).

ولقد ذكره الخوانسارى فى كتابه بقوله:

ان تلميذه العزيز، وقدوة أرباب الفهم والتمييز، بل قرّة عينه الزاهرة، وقوة قلبه الباهرة الفاخرة، بل حليفه فى شدائده ومحنه، ومن كان بمنزلة القميص على بدنه، أعنى السيد الفاضل الجامع البارع الجليل الحازم، سليل الأجلة السادة القادة الأفاخم الأعاظم، ابن الأمير سيد قاسم الحسينى الجيلانى الرشتى، الحاجّ سيد كاظم، النائب فى الأمور منابه، وإمام أصحابه المقتدين به بالحائر المطهّر الشريف إلى زماننا هذا»(١١١).

وروّج هذا الرشتى أفكار شيخه وأدخل الكثيرين فى مذهبه ومذهب الأحسائى، وصارت فرقة مستقلة حتى دخل فيه الكثيرون من شيعة إيران وعربستان والعراق وآذربائيجان والكويت(١١٢) ثم خلف الرشتى محمد كريم خان الكرمانى ابن ظهير الدولة حاكم كرمان، ثم ابن محمد كريم خان محمد خان، وبعده أخوه زين العابدين، ثم ابن زين العابدين قاسم خان ابراهيمى.

---

(١١٠) دائرة المعارف العربية ج١٤ ص١٣ لأحمد الشنتاوى ط. طهران.

(١١١) روضات الجنات للخوانسارى ج١ ص٩٢.

(١١٢) فهرست ج١ ص٢١٧.

ومن الجـديـر بالذكر أن الباب على محمد الشيرازى أيضا كان من تلامذة السيد كاظم الرشتى ومن المعتنقين بأفكار الشيخية وكل من قبلوا دعوته كانوا من الشيعة الشيخية أيضا(١١٣) .

ومن الطـرائف أن عامـة الشيعـة الاثنى عشرية فى باكستان والهند يعتقـدون نفس الاعتقـادات التى روّجها الأحسائى والرشتى ولوأنهم لا ينسبـون أنفسهم إلى الشيخيـة ، فإنهم شيخيـة اعتقادا ولو أن بعضا من علمائهم تجاهروا بالقول إنهم يعتقدون اعتقادالشيخية ، وفتحوا مراكز لها فى مختلف المـدن ، وفى باكستـان لهم مركـز كبـير فى ملتـان وفى كراتشي أيضـا ، وأن أكثـر المسـاعدات والإمدادات كتبا ومالا تأتى إليهم من دولة الكـويت . ونكتفى بهذا القـدر من البيـان عن الشيخيـة مع أننـا ننـوى اصدار كتاب مستقل ولوفى المستقبل البعيد ان شاء الله حول هذه الطائفة لما عمّ صيتها وكثر معتنقوها من الشيعة أنفسهم .

النوربخشـــية

وهنـاك طائفـة أخـرى توجـد فى وديـان هملايا وكوهستان بلتستان المتصلة بتبت الصينيـة ، يدعى الشيعـة الاثنا عشرية بأنها فرقة من فرقهم لأنهم يسمـون أنفسهم الشيعـة النـوربخشيـة نسبة إلى محمد نوربخش القوهستانى من مواليد سنة ٧٩٥هـ ، ويقولون :

أنه ولد فى قاوين قصبة قوهستان ، وكان أبوه هاجر من الأحساء ، وقيل : إن أباه عبد الله ولد فى الأحساء وجدّه محمد ولد فى القطيف»(١١٤)

وكـان محمـد نوربخش مريـدا لخواجـه اسحـاق الختلانى تلميذ السيد على الهمدانى الذى أعجب بقابلياته حتى لقبه بنوربخش بمعنى

---

(١١٣) انظر لذلـك كتـابنـا (البـابيـة) ط . ادارة ترجمـان السنـة لاهـور باكستـان ، وكذلك كتابنا (البهائية) . ط . باكستان .

(١١٤) أنساب بيوتات سكان قاين ص١٥٩ ط . طهران ١٣٦٩ .

واهب الأنوار» (١١٥) .

ويقولون : إن نسبه اكتشف عن طريق الكشف الصوفى بأنه علوى»(١١٦) .

ثم ادعى محمد نوربخش هذا بأنه هو المهدى الذى أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام بمجيئه فى آخر الزمان لأن اسمه يواطىء اسمه، واسم أبيه يواطىء اسم أبيه فهو محمد وأبوه عبد الله، وكذلك كنيته حيث سمى أحد أبنائه القاسم، ولقبه أنصاره بالإمام والخليفة على كافة المسلمين(١١٧) .

وكان يقول : لقد كنت أخفى حالى ولكن وجب إظهارها لتقوم الحجة على الناس كافة على صورة تعرّفهم بمظهر الكل والهادى إلى السبيل»(١١٨) .

وقد قام بالثورة العلنية الكبيرة ضد حكومة إيران آنذاك وقبض عليه، ولما اطلق سراحه ذهب إلى كردستان وبدأ يبثّ دعوته فيها فانقاد إليه سكانها، وضرب النقود باسمه»(١١٩) .

ثم ألقى القبض عليه وأعلن على منبر هرات وهو فى قيده يوم الجمعة سنة ٨٤٠هـ تنازله عن دعوى الخلافة وما يستتبعها، ثم سيّر إلى كيلان، ومن هناك إلى الريّ، وتوفى هناك سنة ٨٦٩هـ(١٢٠) .

وكان أتباعه موجودين آنذاك بكثرة فى بلاد العراق وإيران .

ويظهر من هذا السرد الموجز السريع أن محمد نوربخش لم يكن

---

(١١٥) طرائق الحقائق للحاج معصوم على ج٢ ص١٤٣ .

(١١٦) مجالس المؤمنين للتسترى ص٣١٤ .

(١١٧) هامش ديوان شمس تبريزى، نقلا عن الفكر الشيعى والنزعات الصوفية للدكتور كامل مصطفى الشيبى ص٣٣٥ .

(١١٨) أيضا ص٣٣٦ .

(١١٩) مجالس المؤمنين ص٣١٤ .

(١٢٠) ملخص ما ذكره كامل مصطفى الشيبى فى الفكر الشيعى ص٣٣٣ .

اثنى عشريا لأن الاثنى عشرية لا يرون المهدى إلا ابن الحسن العسكرى المزعوم، وهذا عكس هؤلآء يعدّ نفسه مهديا وأكثر من ذلك أنه ردّ فى كتابه على من يزعم أن ابن الحسن العسكرى هو المهدى الموعود، فقال :

وزعم بعض الناس أن محمد بن الإمام العسكرى عليهما السلام هو المهدى الموعود وليس كذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فى محمد المهدى الموعود: يواطىء اسمه اسمى وكنيته كنيتى واسم أبيه اسم أبى، وقيل: اسم أمه اسم أمى، وفى هذا المهدى لا يواطىء شيئا منهم إلا اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم»[١٢١] .

«والحقيقة أن محمد نوربخش لم يكن شيعيا اثنى عشريا، بل كان صوفيا من أصحاب وحدة الوجود، عرض لانتقال الولاية من آدم والأنبياء إلى أقطاب التصوف وأخرجها من التناسخ واصطلح لها اسم البروز بدلا منه، فكان وصول الروح إلى الجنين فى الشهر الرابع عنده معادا إنسانيا يصل الوجود الإنسانى بالوجود الحقيقى وجود الله، وربما كان فى هذا عنصر يفيد صدور النوربخشية عن الفلسفة الاشراقية كما يفترض الدكتور محمد على أبوريان دون أن يجد مبررا واضحا يصحح افتراضه. وقد جاء فى غزل نوربخش شعر يتصل بوحدة الوجود قال فيه ما ترجمته :

سواء أكنا هادين أم مهديين
فنحن بالمقارنة بالقدم أطفال مهديون
قطرة نحن من محيط الوجود
ولا عبرة بمدى طاقتنا من الكشف والشهود

(١٢١) مشجر الاولياء ص١٦٤ ط. باكستان .

فيا إلهي متى أعــود من القطـــرة

ويا إلهي أبلغني بحر النور

وذكر نوربخش العشق على الصورة التى عبر عنها محمد بن عربى فى قوله :

ادين بديـن الحـب انـى توجـهت ركـــائبـه ، فالحب دينى وإيـمانى

ولكنه أخذ الجانب السلبى من المسألة وعبر عنها بأبيات لطيفة منها ما ترجمته :

منذ اليوم الذى استجليت فيه طلعة حبيبى

غدوت متميزا من الخلائق أجمعين

وذلك أني صرت مبرأ من العقيدة والمذهب

والملة كلية وأصبحت ولا دين لى

وذكـر استغـراقـه فى هذا العشق إلى الحـد الذى اضاع معه كيانه الشخصى فجعل يتساءل : أأنا نوربخش نفسه أم من أنا؟»[١٢٢] .

نعم لاشـك فى ذلـك أن الصفويين لما تسلطوا على إيران وأجبروا النـــاس على اعتنـــاق التشيـــع على حد السيف أعلن النـــوربخشيـــة تشيعهم ، ولذلك لما فتح إسماعيل الصفوى التستر كان يسأل الناس عن عقيـــدتهم ، فمن قال : نحن على مذهب نور الله الشيـــخ نوربخشى لم يكن يتعرض لهم»[١٢٣] .

وفرّ كثير من مريدى هذا الصوفى الوجودى إلى شبه القارة الهندية ولجئوا إلى الجبال ومناطق منعزلة ، فبقوا هناك على طريقتهم الصوفية .

وأكـــبر دليـــل على كون القـــوم غير الاثنى عشـــريـــة أن لهم فقهـــا خاصـــا ، وكـــذلك كيان مستقل ومدارس مستقلة ولو أنهم يقومون ببعض

(١٢٢) الفكر الشيعى والنزعات الصوفية للدكتور كامل مصطفى الشيبى ص٣٣٩ - ٣٤٠ .

(١٢٣) مجمع الأوصياء ص٣٠٢ ، نقلا عن الفكر الشيعى ص٣٤١ .

الأعمال التى يقوم بها الشيعة الاثنا عشرية من المآتم على الحسين، وغير ذلك ولكنهم يختلفون معهم فى أشياء كثيرة أيضا، ومنها الإغراق فى التصوف والسلسلة الصوفية التى تصل إلى السهروردى وجنيد البغدادى والسرّى السقطى، وكل هؤلاء ليسوا من الشيعة، وقد ذكر محمد نوربخش سلسلته الصوفية بعنوان السلسلة الذهبية، وننقلها من كتابه كما ذكرها :

محمد نور بخش. خواجه اسحاق الختلانى . حضرة امير الكبير السيد على الهمدانى . حضرة الشيخ محمد المزدقانى . حضرة الشيخ علاء الدولة السمنانى . حضرة الشيخ عبد الرحمان الاسفرانى . حضرة الشيخ أحمد الذاكر الجوزقانى . حضرة الشيخ على اللالا . حضرة الشيخ نجم الدين الكبرى. حضرة الشيخ عمار ياسر البديسى . حضرة الشيخ أبو النجيب السهروردى. حضرة الشيخ أحمد الغزالى . حضرة الشيخ أبوبكر النساجى . حضرة الشيخ أبو على الكاتبى . حضرة الشيخ أبو على الرودبارى. حضرة الشيخ جنيد البغدادى. حضرة الشيخ سرّى السقطى . حضرة الشيخ معروف الكرخى . حضرة الإمام علىّ الرضا»(١٢٤) .

ثم ولقد ذكر محمد نوربخش هذا فى كتابه عبارة صريحة تدّل على عدم تشيعه وهو يذكر الوقائع التى حدثت بعد وفاة رسول الله ﷺ فداه أبواى وروحى فقال :

ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بايع الأنصار والمهاجرون أبابكر رضى الله عنه على الإمارة بالاتفاق لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أمره بإمامة الصلاة الفريضة أيام مرضه،

(١٢٤) مشجر الاولياء ص٢ ط. باكستان .

فبايع أصحابه كله على أبى بكر اتباعا لأمره صلى الله عليه وآله وسلم لأن الصلاة عماد الدين وقوامه كما قال أمير المؤمنين على عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرض ليالى وأياما ينادى بالصلاة، فيقول عليه السلام: مروا أبابكر يصلى بالناس.

فلما قبض رسول الله عليه الصلاة وآله وسلم نظرت فإذا الصلاة علم الإسلام وقوام الدين فرضينا لدنيانا من رضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لديننا فبايعناه.

وذلك أن عليا عليه السلام لما رأى النزاع بين الصحابة بسقيفة بنى ساعدة فى الخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتجهيزه وقد نزع خاتم النبى صلى الله عليه وآله وسلم من يده المباركة، ففوّض الخاتم إلى أبى بكر رضى الله عنه وقال: فاذهب إلى الناس وأدركهم واجمعهم على إمارتك فذهب إليهم أبوبكر ومعه عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، فكلّم الناس عمر فى إمارة أبى بكر ورضوا بإمارة أبى بكر رضى الله عنه واتفقوا كلهم ببركة خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبتدبير علىّ المرتضى عليه السلام»(١٢٥).

وعلى كل فهذه هى الطائفة الأخرى التى اختلف(١٢٦). فى تشيعها، ونظن أن هذا القدر كاف فى هذا الموضوع.

---

(١٢٥) أيضا ص٥١ - ٥٢.

(١٢٦) لقينى كثير من علماء الشيعة فى باكستان فسألتهم عن النوربخشية فالأكثر قالوا بأنهم ليسوا من الاثنى عشرية ولكنهم يدعون التشيع الاثنى عشرى لجلب الأموال وحصول المنافع من شيعة الخليج والدول العربية الاثنى عشريين وشيعة إيران أيضا ولقد رضى علماء الشيعة الايرانيين بادعائهم هذا لاستكثار عدد الشيعة، والا فهم ليسوا من الامامية الاثنى عشرية.

وقال البعض: انهم من الشيعة الاثنى عشرية ولكنهم من الفرقة التى ابتعدت عن الاثنى عشرية الخلّص بنزعاتها الصوفية وبأفكارها المناوئة المختلفة للتشيع الاثنى عشرية.

الأخبارية والأصولية

وهنـاك اختلاف آخر حدث بين الاثنى عشرية فى القرون المتأخرة وهو اختلاف ما يسمى باختلاف الأخباريين والأصوليين، فافترقت الاثنا عشـريـة إلى فرقتـين متحـاربتين متعاديتين حملت إحداهما على الأخرى وشنعت الأخـرى على الأولى، وكثـر النـزاع حتى اتهم الأخبـاريـون الأصوليين بالخروج عن التشيع الحقيقى الأصلى، وكتبت الكتب وألفت الـرسـائـل وتحزبت الأحزاب، فقال الأخباريون: نعتقد بظاهر ما ورد به الأخبـار، متشـابهـة كانت أم غير متشـابهـة فنجـرى المتشـابهـات على ظواهرها ونقول فيها ما قاله سلفنا»(١٢٧).

وبعبارة صريحة أكثر:

إن الأخبـاريـين هم الـذين يتمسكون بظواهر الحديث مقابل الأصوليين الذين يرون الأدلة العقلية من الأدلة الشرعية(١٢٨).

ومعنـاه أن الأخبـاريـين لا يرون الأدلـة الشـرعيـة إلا الكتـاب والحـديث. والمعـروف أن الحـديث عنـد الشيعة ما نقل عن أحد أئمتهم المعصومين حسب زعمهم الاثنى عشري ومن رسول الله أيضا، فكل ما نقـل عن هؤلاء فهـو حديث عنـدهم وهـو حجة لأنه منقول عن معصوم وحجـة، ومـا نقـل عن الحجة حجة على اليقين، ثم لا ينظر عندهم أن هذا الحديث ما منزلته وشأنه مادام وجد فى الأصول الأربعمائة ونقل منها، والأصول عند القوم الكتب التى ألّفها وجمعها أصحاب الأئمة(١٢٩).

فمادام أصحـاب الأئمـة نقلوا هذه الـروايـات من الأئمـة فإنها لا

---

(١٢٧) موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية للشيخ التهانوى ج١ ص٩٣ ط. خياط. بيروت.

(١٢٨) لغت نامه دهخدا ص١٤٨٥ ط. طهران ١٣٢٦.

(١٢٩) أعيان الشيعة الجزء الأول، القسم الثانى ص٩٣.

تحتاج إلى النظر والبحث والتحقيق والتفتيش، لا عن السند لأنها من صاحب الإمام ولا عن المتن لأنه من الإمام، وعقول الناس قاصرة عن إدراك كنه ما يقوله الإمام حسب رواية الإمام المعصوم الخامس عند الشيعة محمد الباقر :

إن حديث آل محمد صعب مستعصب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبى مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردّوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد، وإنما الهالك أن يحدّث أحدكم شىء منه لا يحتمله، فيقول: والله ما كان هذا والله ما كان هذا، والإنكار هو الكفر»(١٣٠) .

وقد نقلوا عن موسى الكاظم ـ الإمام السابع المعصوم حسب زعمهم ـ أنه قال لأحد شيعته على بن سويد السائى :

ادع إلى صراط ربك فينا من رجوت إجابته ولا تحصر حصرنا، ووال آل محمد ولا تقل لما بلغك عنا أو نسب إلينا: هذا باطل وإن كنت تعرف خلافه، فإنك لا تدرى لم قلناه، وعلى أى وجه وصفناه، آمن بما أخبرتك ولا تكشف بما استكتمتك»(١٣١) .

وعلى ذلك فإن الرجوع إلى دليل آخر من الأدلة العقلية ليس إلا جهل وضلال فى نظر هؤلاء وإذا لم يوجد فى المسألة شىء فعليه الارجاء حتى يأتى فيه خبر عن إمام من الأئمة كما رووا عن جعفر بن الباقر أنه سئل عن رجل اختلف عليه رجلان فى دينه من أمر كلاهما يرويه، أحدهما يأمر بأخذه والآخر ينهاه عنه كيف يصنع؟ فقال: يرجئه حتى

(١٣٠) الأصول من الكافى ج١ ص٤٠١، باب ما جاء أن حديثهم صعب مستعصب .

(١٣١) رجال الكشى ص٣٨٦ ط. كربلاء .

يلقى من يخبره فهو فى سعة حتى يلقاه»(١٣٢) .

وذكـر ابن بابـويـه القمى عن على بن موسى ـ الإمـام الثـامن المعصوم عنده ـ أنه قال :

وما لم تجدوه فى شيء من هذه الـوجـوه فردّوه علينـا ، فنحن أولى بذلـك ، ولا تقـولوا فيه بآرائكم ، وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتى يأتيكم البيان من عندنا»(١٣٣) .

وإن رجع إلى شيء آخر ضلّ وأضلّ كما نقلوا عن موسى الكاظم عن محمد بن حكيم أنه قال :

«قلت لأبى الحسن موسى عليـه السلام : جعلت فداك فقّهنـا فى الدين وأغنانا الله بكم عن الناس حتى إن الجماعة منا لتكون فى المجلس ما يسأل رجـل صاحبـه تحضـره المسألـة ويحضـره جوابها فيما منّ الله علينا بكم ، فربّما ورد علينا شيء لم يأتنا فيه عنك ولا عن آبائك شيىء فنظرنا إلى أحسن ما يحضرنا وأوفق الأشياء لما جاءنا عنكم فنأخذ به؟ .

فقـال : هيهـات هيهـات فى ذلـك والله هلك من هلك يا ابن حكيم ، قال : ثم قال : لعن الله أبا حنيفة»(١٣٤) .

وأيضـا :

عن سمعـة بن مهـران عن أبى الحسن موسى عليـه السلام قال : قلت : أصلحـك الله إنـا نجتمـع فنتذاكر ما عندنا فلا يردّ علينا شيء إلا وعنـدنـا فيـه شيء مسطـر وذلك مما أنعم الله به علينا بكم ، ثم يرد علينا الشيء الصغير ليس عندنا فيه شيء فينظر بعضنا إلى بعض ، وعندنا ما يشبهه فنقيس على أحسنه؟ .

(١٣٢) الأصول من الكافى ، كتاب فضل العلم ج١ ص٦٦ .
(١٣٣) عيون أخبار الرضا للقمي ـ نقلا عن الكافى فى الأصول ، الهامش ص٦٦ .
(١٣٤) الكافى فى الأصول ج١ ص٥٦ .

فقــال : ومــالـكم وللقيــاس؟ إنــما هلك من هلك من قبلكم بالقياس، ثم قال: إذا جاءكم ما تعلمون، فقولوا به ، وان جاءكم مالا تعلمـون فيهـا ـ وأهـوى بيـده إلى فيه ـ ثم قال: لعن الله أبا حنيفة كان يقـول: قال على وقلت أنـا ، وقـالت الصحـابـة وقلت، ثم قال: أكنت تجلس إليــه؟ فقلت: لا ولكن هذا كلامـه ، فقلت: أصلحـك الله أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس بما يكتفون به فى عهده؟ .

قال : نعم وما يحتاجون إليه يوم القيامة ، فقلت: فضاع من ذلك شىء؟ فقال: لا هو عند أهله»[١٣٥] .

هذا هومذهب الأخبارية من الإمامية ، أى العمل بالأخبار المنقولة عن المعصومين حسب زعمهم أو المنسوبة إليهم بدون النظر إلى شىء آخر .

وأمـا الأصـوليـين فرأوا أن هنـاك دليل العقل ومنه البراءة الأصلية والاستصحاب وغيرها ، ومثل للبراءة الأصلية السيد محسن أمين فى كتابه بقوله :

الـبراءة الأصليـة فيـما لا نص فيه بوجوب ولا تحريم بعد الفحص لاستقـلال العقـل بقبـح العقاب بلا بيان ، ومنه قولهم عدم الدليل على كذا فيجب انتفاءه وهذا يكون مع الشك فى الوجوب ، ومثل له المحقق فى المعتبر بقولنا : ليس الوتر واجبا لأن الأصل براءة العهدة ، ومنه أن يختلف الفقهــاء فى حكم بالأقـل والأكثـر فنقتصـر على الأقـل كما يقـول بعض الأصحـاب فى عين الـدابـة نصف قيمتها ، ويقول الآخر: ربع قيمتها ، فيقـول المستـدل : ثبت الـربـع إجمـاعـا ، فينتفى الزائد نظرا إلى البراءة الأصلية ويكون مع الشك فى التحريم كالشك فى حرمة التدخين وحرمة

(١٣٥) أيضـــا ص٥٧ .

شرب قهوة البنّ، فيقال: لم يقم دليل على التحريم والأصل براءة الذمة»(١٣٦) .

ثم ذكر الأخباريين ومذهبهم بقوله :

الأخبارية الإمامية أنكروا البراءة الأصلية وأوجبوا الاحتياط فى مواردها للأخبار الآمرة بالاحتياط الحاثة عليه المحمولة على الاستحباب أومورد العلم بالتكليف والشك فى المبرىء المعارضه بقولهم عليهم السلام: كل شىء فيه حلال وحرام فهولك حلال حتى تعرف الحرام منه فتدعه وأمثاله»(١٣٧) .

وكذلك ذكر مغنية «أن الأخباريين ينكرون الاستصحاب فى الحكم الشرعى الكلى»(١٣٨) .

واتهم الأخباريون الأصوليين :

ان الباعث لهم على الاختراع هذه القواعد الأصولية والأدلة الأربعة الشرعية هوأنسهم بكتب المخالفين للإمامية بلا ضرورة داعية إليه وبدون قيام حجة حاكمة»(١٣٩) .

فألف كل فئة كتبا كثيرة لتأييد مسلكهم، فمن الأخباريين ألف محمد أمين بن محمد شريف الاسترا آبادى كتابه المشهور (الفوائد المدنية) .

وردّ عليه نور الدين العاملى بكتابه (الفوائد المكية فى مداحض حجج الخيالات المدنية ونقض أدلة الأخبارية)(١٤٠) .

(١٣٦) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الثانى ص١٨ .

(١٣٧) أيضـــا .

(١٣٨) علم أصول الفقه فى ثوبه الجديد لمحمد جواد مغنية ص٣٥٤ ط. دار العلم. بيروت .

(١٣٩) الفوائد المدنية فى الرد على القائل بالاجتهاد والتقليد فى الاحكام الالهية لمحمد امين ط. طهران .

(١٤٠) انظر لذلك كتاب الذريعة للطهرانى ج١٦ ص٣٥٩ .

وردّ عليه أيضا السيد دلدار على اللكهنوى بكتاب سمّاه (أساس الأصول)، وهذا الكتاب موجود بين أيدينا طبع فى الهند، وذكره صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة(١٤١).

ثم ردّ عليه ميرزه محمد عبد النبى النيسابورى الهندى الشهير بالأخبارى بكتاب سمّاه (معاول العقول لقلع أساس الأصول) ودافع فيه عن (الفوائد المدنية) وعنّف القول على مؤلف الأساس، وهذا الكتاب موجود مطبوع أيضا، وقد ذكره صاحب الذريعة فى كتابه(١٤٢).

ثم ردّ عليه السيد نظام الدين حسين والسيد أحمد على وغيرهم بكتاب (مطارق الحق واليقين لكسر معاول الشياطين) وقد ذكر هذا الكتاب الطهرانى فى موسوعته(١٤٣).

فهاتان هما فرقتان أخريان انبثقتا عن الشيعة الاثنى عشرية أيضا، ويعدّ مِنْ أعيان الطائفة الأخبارية الحر العاملى صاحب (وسائل الشيعة)، والنورى الطبرسى صاحب (مستدرك الوسائل)، ومحمد حسين كاشف الغطاء، ونعمت الله الجزائرى وغيرهم.

ومن أعيان الطائفة الثانية فى الآونة الأخيرة السيد دلدار على، والطباطبائى، ومحسن الحكيم، والخوئى، وشريعت مدارى، والخمينى، وغيرهم.

أهم كتب الشيعة الاثنى عشرية ورجالاتهم

وأهم كتب الشيعة الاثنى عشرية فى الحديث:

(الكافى) للكلينى - وهذا الكتاب يشتمل على أقسام ثلاثة: الأصول والفروع والروضة: القسم الأول يشتمل على العقائد،

(١٤١) ج٢ ص٥٠٤.

(١٤٢) ج٢١ ص٢٠٧.

(١٤٣) ج١ ص٣٨.

والقسم الثانى على الأحكام، والثالث على الخطب والمكاتيب وعلى الحكم والآداب، ويقولون : فيه ١٦١٩٩ حديثا .

الثانى : (من لا يحضره الفقيه) لابن بابويه القمى، وفيه ٦٥٩٣ حديثا .

الثالث : (تهذيب الأحكام) لابى جعفر الطوسى، وفيه ١٣٥٩٠ حديثا .

الرابع : (الاستبصار) وهذا أيضا للطوسى، وفيه ٦٥٣١ حديثا .

وهذه هى كتب الحديث الأربعة التى يطلق عليها الصحاح الأربعة الشيعية .

وهناك كتب أخرى فى الحديث منها :

(الأول) : الوافى تأليف الشيخ محمد بن مرتضى المدعو بملا محسن الكاشى جمع فيه ما فى الكتب الأربعة من أحاديث الأصول والفروع ورتبها وبوبها وشرح بعض ما يلزمه الشرح والتفسير من المهمات وبين بعض وجوه الجمع بين المتعارضات وله نحو مائتى مصنف .

(الثانى) : وسائل الشيعة إلى أحاديث الشريعة تأليف الشيخ محمد بن الحسن بن الحر العاملى جمع فيه ما فى الكتب الأربعة وغيرها فى الفروع خاصة من ثمانين كتابا كانت عنده وسبعين نقل عنها بالواسطة ورتبه وبوبه على ترتيب كتب الفقه أحسن ترتيب وشرح بعض المهمات وجمع المتعارضات فصار كتابه هذا هو المعول والمرجع ولم يرزق الوافى ما رزقته الوسائل من الحظ لان ترتيبها أسهل مع ان تفسيرات الوافى اوفى وله مع ذلك الحظ الوافى لكن حظ الوسائل اوفى وبقية الكتب الأربعة يرجع إليها أيضا(١١٠٤) .

(الثالث) : بحار الأنوار فى أحاديث النبى والأئمة الاطهار تأليف الشيخ محمد باقر ابن الشيخ محمد تقى المعروف بالمجلسى فى ستة وعشرين مجلداً ضخما كثير منها وحده عشرات المجلدات ويستغرق نسخه فقط العمر فضلا عن تأليفه جمع فيه فنوناً من العلم جلها فى غير الأحكام الفرعية وقليل منها فى الفروع ومن جملتها تواريخ النبى والزهراء والأئمة الاثنى عشر صلى الله عليه وعليهم، وأحوالهم ومناقبهم وما أثر عنهم من المواعظ والحكم والآداب جمعه من كل ما عثر عليه بدون انتقاء كما هو شأن البحار، ولم ينقل فيه من الكتب الأربعة المتقدمة إلا قليلا لان غرض مؤلفيها الأهم الفروع وغرضه الأهم غيرها فهو أجمع كتاب فى فنون الحديث وأنواع العلوم ومتفرقات الأخبار يستمد منه العالم والمؤلف والواعظ وتستخرج منه الدرر والجواهر، فالمحمدون الثلاثة الأولون مع المحمدين الثلاثة الآخرين هم الذين حفظوا اخبار أهل البيت وآثارهم من الضياع وجمعوها ورتبوها والأولون منهم انتقوها واختاروها بحسب أسانيدها وكذا الأولان من الآخرين (١١١٠) .

(الرابع) : العوالم فى الحديث تأليف المحدث المتبحر المولى عبد الله بن نور الله البحراني فى مائة مجلد ولم يرزق من الحظ ما رزق البحار (اوائل المائة الثانية) .

(الخامس) : الشفا فى حديث آل المصطفى جامع كبير يشتمل على عدة مجلدات للمتضلع فى الحديث الشيخ محمد الرضا بن الفقيه الشيخ عبد الله التبريزى فرغ منه (١١٥٨) .

(السادس) : جامع الأحكام فى الحديث تأليف السيد عبد الله الشبرى فى خمسة وعشرين مجلداً كباراً مؤلفه من أكثر الناس تأليفا (١٢٤٢) .

(السابع) : مستدركات الوسائل تأليف المحدث المتتبع البصير بالحديث والرجال الميرزا حسين النوري المعاصر جمع فيه ما فات صاحب الوسائل ورتبه على أبوابها فى قريب من مجلداتها لكنه أدرج فيه الفقه الرضوى الذى لم يثبت أنه تصنيف الإمام الرضا (ع) وكثيراً مما هو من هذا القبيل مما لم يكن معتبر الاسناد عند صاحب الوسائل فليس هو فى الحقيقة استدراكا عليه فى كثير مما فيه وأفاد فى آخره فوائد رجالية لا توجد فى غيره والظاهر ان معظمها مأخوذ من جامع الرواة للحاج محمد الاردبيلى معاصر المجلسى (١٣٢٠)[١٤٤] .

ويدعى الشيعة أن الكتب التى تشتمل على الأحاديث المروية من المعصومين حسب زعمهم تزيد على ستة آلاف وست مائة كتاب[١٤٥] .

وأما شيخهم المفيد فقال :

صنف الإمامية من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى عهد أبى محمد الحسن العسكرى أربع مائة كتاب تسمى الأصول، قال: فهذا معنى القول: له أصل»[١٤٦] .

هذا فى الحديث، وأما فى الرجال فلهم (معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين) لأبى عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشى، والمعروف برجال الكشى ـ من علماء القرن الرابع .

والثانى : (كتاب الرجال) لأبى العباس أحمد بن على النجاشى المتوفى سنة ٤٠٥هـ، المعروف برجال النجاشى .

والثالث : (كتاب الرجال) لشيخ الطائفة أبى جعفر الطوسى المتوفى سنة ٣٦٠، والمعروف برجال الطوسى .

(١٤٤) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الثانى ص١١٣ ـ ١١٤ .
(١٤٥) أيضـــا ص٩٣ .
(١٤٦) أيضـــا .

والرابع : (كتاب الفهرست) للطوسى أيضا .
وهذه الكتب الأربعة هى الأصول، وعليها المعول عند القوم[١٤٧]
وهنـاك كتب أخـرى : مثـل (معـالم العلماء) لابن شهـر آشـوب المازندرانى المتوفى سنة ٥٨٨ .
و (خلاصة الأقوال فى الرجال) للحسن بن مطهر الحلى المتوفى ٧٢٦هـ .
و (منهج المقال) للمامقانى .
و (روضات الجنات) للخوانسارى .
و (الكنى والألقاب) للقمى، وغيرها .
ومن كتبهم فى التفسير المشهورة :
(تفسير العياشى) .
و (تفسير فرات بن إبراهيم الكوفى) .
و (تفسير القمى) .
و (تفسير مجمع البيان) للطبرسى .
و (تفسير البرهان فى تفسير القرآن) .
و (تفسير الصافى) .
و (نور الثقلين) للحويزى .
و (منهج الصادقين) لملا فتح الله الكاشانى .
ومن أهم كتبهم فى الفقه :
(شرائع الإسلام) لجعفر بن الحسين الحلّى .
(جامع المقاصد) لعبد العالى الكركى المتوفى ٩٣٧هـ .
و (المسالك) لزين الدين العاملى .

(١٤٧) انظر مقدمة رجال الكشى لأحمد الحسينى ص٤ .

وكذلك (شروح اللمعة الدمشقية) .

ومن أهم كتبهم فى التاريخ :

(تاريخ اليعقوبى) .

و (مروج الذهب) و (أخبار الزمان) للمسعودى .

و (ناسخ التواريخ) لمبرزه تقى خان معاصر ناصر الدين القاجارى .

وأهم كتبهم (نهج البلاغة) الذى يعدّونه أقدس كتاب عندهم ويدعون أنه كتاب مشتمل على خطب ومكاتيب على رضى الله عنه، جمعه شريف الرضى ، ومن شروحه الهامة :

شرح ابن أبى الحديد المعتزلى الشيعى ، وشرح ابن الميثم وغيرها من الشروح .

وأما أعيانهم فهم مؤلفو هذه الكتب التى ذكرناها آنفا ، وقد ذكرنا تراجمهم فى هذا الكتاب وفى الكتب الأخرى التى ألفناها حول هذه الطائفة من الناس .

وبهذا يعرف الشيعة الاثنا عشرية بالإيجاز والاختصار، وفيما أوردناه كفاية لمن أراد ذلك .

ونلحق هذا الباب بابا آخر لبيان صلة الاثنى عشرية بالعقائد السبئية وغيرهم من المنحرفين الضالين، والمؤامرين الماكرين ضد الإسلام ومؤسسى الفرقة والاختلاف بين المسلمين .

الباب السابع

الشيعة الإثنا عشرية والعقائد السبائية

إننا ذكرنا السبئية وقائدها عبد الله بن سبأ فيما مضى بالتفصيل، ونضطر إلى أن نعيد ذكر السبئية والأفكار التى حملوها والعقائد التى روّجوها بين الناس وعارضها علىّ وأولاده الطيبون منهم رضوان الله عليهم، وردّوا عليها، وقاوموها بكل عنف وشدة، ولكنها تسرّبت فيما بعد بين الذين يزعمون أنهم شيعتهم والموالون لهم باسم حب أهل البيت - وأهل البيت منها براء .

نضطر إلى إعادتها لوضع النقاط على الحروف ولإثبات أن الشيعة وخصوصا الاثنى عشرية منهم الذين يعدّون أنفسهم معتدلين، وقد يخدع بهم الكثيرون من المغفلين من الناس، ليسوا الاّ ورثة أولئك القوم الذين ضلوّا وأضلوّا، ولا يوجد فى أيديهم إلا تركتهم التى تركوها للفرقة والاختلاف بين المسلمين ولإبعاد بعض الناس عن العقائد الصحيحة التى نزلت من السماء وجاء بها جبرئيل، وبلغّها رسول الله ﷺ، وكلام الله، القرآن، وسنة رسول الله الثابتة، خالية من ذكرها وتذكرتها .

ونحاول فى هذا الباب أيضا أن لا نكون إلا منصفين، ولا نلزم

القوم مالا يلتزمون به، ولا ننسب إليهم مالا يثبتونه فى كتبهم أنفسهم، كما تعوّدنا ذلك بفضل الله، وكما لاحظ القارىء فى هذا الكتاب وفى غيره.

وتجنبا لسرد العبارات التى سقناها من قبل - نلخص ما كان يقوم به من المخططات ويروّجه عبد الله بن سبأ وما كانت تنشره السبئية من عقائد وآراء، ثم نقارن تلك العقائد والآراء بأفكار الشيعة الاثنى عشرية الموجودين حاليا وعقائدهم، وهل هى موجودة فيهم أم لا؟. فنقول:

أولا: قيام السبئية بتكوين جمعيات سرّية يهودية باسم الإسلام تحت راية عبد الله بن سبأ.

ثانيا: إظهار الحب والولاء والمشايعة والموالاة لعلى وأولاده والانضمام إلى شيعتهم.

ثالثا: الحقد والبغض لأصحاب رسول الله ﷺ والبراءة من أبى بكر وعمر وعثمان خلفاء نبى الله فى أمته، الثلاثة الراشدين المهديين، والطعن فيهم وتفسيقهم وتكفيرهم.

رابعا: تأليب الناس وتحريضهم على عثمان واتهامه بتهم باطلة لإيقاع الفرقة بين الأمة الواحدة والشقاق فى المسلمين، والتشنيع على العمال، وتشويه سمعة الحكام، وخصوصا الذين قادوا المعارك الحاسمة وفازوا فيها.

خامسا: ترويج العقائد اليهودية والنصرانية والمجوسية بين المسلمين، التى لا تمت إلى الإسلام بصلة، لا قريبة ولا بعيدة. والكتاب المنزل من السماء على محمد ﷺ خال منها، وكذلك تعليمات الرسول الناطق بالوحى نزيهة وبريئة من التلوث بها مثل قولهم بالوصاية والولاية والعصمة والرجعة وعدم الموت وملك الأرض والحلول والاتحاد

وتأليه الخلق واتصافهم بصفات الله وجريان النبوة بعد محمد ﷺ ونزول الوحى .

فهـذه هى الأفكـار السبئيـة التى اقتبسنـاهـا من عبـارات الشيعة وأئمتهم حول عبـد الله بن سبأ والعقـائـد التى دعـوا إليهـا وروجوها بين المسلمـين ، والعبـارات والنصـوص التى سردنـاها فى الباب الثانى حيث ذكـرنـا عبـد الله بن سبأ والسبئيـة بالتفصيل . وهذه هى خلاصة أقوالهم التى قالوها والأعمال التى قاموا بها ، والآن لنضع النقاط على الحروف ونقول :

أما الأول : أى تكوين اليهود جمعيات تحت قيادة عبد الله بن سبأ للدس والفتنـة فلا نحتـاج لاثبـاتهـا إلى أى شىء بعدما أثبتناها من أئمة الشيعـة فى الفـرق والـرجـال والتـاريخ والنقد ، غير السنة ، وتصريحاتهم وبعدما أطنبنا القول فيه فيما مرّ .

والثانى : أى أظهار الحب والولاء والموالاة لعلى وأولاده ، فهذا هو الـذى جعله الشيعـة شعـارا لهم ومـا أكثـر ما قالوه فى هذا وتقوّلوا به على علىّ وأولاده ـ كذبـا وزورا ـ حتى جعلوا الـدين كله موالاة لعلى وأولاده دون الإيـمان بالقـرآن والسنـة ، بل ودون الإيـمان بالله ورسـوله والامتثال بأوامـرهما والتجنب عن النـواهى ، وبـدون العمـل الصالح والسعى إلى المكارم والفضائل والحسنات ، فلقد قالوا فيها قالوا وما أكثره وما أشنعه .

عن أبى جعفر أنه قال :

هل الدين إلا الحب»(١) .

فالحب هو الـدين ، لا الصـلاة ولا الـزكاة ولا الحج ولا الصوم ولا غير ذلـك من العبـادات التى أمر الله باتيانها وأدائها ، ولا الأمر بالمعروف

(١) كتاب الروضة من الكافى للكلينى ، باب وصية النبي لأمير المؤمنين ج ٨ ص ٨٠ ط طهران .

والنهى عن المنكـر، ولا التجنب للبغى والفحشـاء، ولا التقيـد بالقيود فى المعاملات، ولا المراعاة التى أمر بها الإنسان للتعايش مع ذويه وعشيرته وجـيرانــه ومجتمعــه، ولا الحقـوق ولا الفـرائض، ولا الـواجبـات ولا المحرمات، فإن الدين هو الحب وحده .

وهـو الإيـمان أيضـا كما نقلوه عن أبى جعفـر محمـد الباقر - الإمام الرابع المزعوم :

حبّنا إيمان وبغضنا كفر»(٢) .

لا الإيـمان بالله ولا بالـرسل ولا بسيد الأنبياء وخاتم المرسلين، ولا بالكتاب المنزل عليه ولا بالتعاليم التى منحها لأصحابه وتلاميذه لأنه ما أرسـل الـرسـل ومـا نزلت الكتب ولم يأت الأنبيـاء إلا للدعـوة إلى علىّ وأولاده وحبهم والموالاة لهم .

ولقد ذكر المفسر الشيعى الكبير البحرانى فى مقدمة تفسيره الكبير عن واحد من أصحاب علىّ، حبة العوفى أنه قال :

قال أمـير المؤمنـين عليـه السلام : إن الله عز وجل عرض ولايتى على أهل السماوات وعلى أهل الأرض، » أقرّ بها من أقر بها وأنكرها من أنكرها، أنكرها يونس فحبسه فى بطن الحوت حتى أقر بها»(٣) .

وذكر عن (البصائر) عن محمد بن مسلم أنه قال :

سمعت أبـاجعفـر عليـه السلام يقول : إن الله أخذ ميثاق النبيين على ولاية على، وأخذ عهد النبيين على ولاية على»(٤) .

وليس هذا فحسب، بل وأكثر من ذلك كما قال :

وفى كنـز الفـوائـد نقـلا من خط الشيخ الطوسى من كتاب مسائل

(٢) الاصول من الكافى ج ١ ص ١٨٨ .
(٣) بصائر الدرجات ج ٢ ص ١٠ ط ايران نقلا عن تفسير البرهان، مقدمة ص ٢٥ .
(٤) ايضا ص ٢٦ .

البلدان عن جابر الجعفى عن رجل من آصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قال دخل سلمان على على، فسأله عن نفسه؟ فقال: ياسلمان! أنا الذى دعيت الأمم كلها إلى طاعتى فكفرت فعذبت فى النار وأنا خازنها عليهم حقا أقول ياسلمان انه لا يعرفنى أحد حق معرفتى إلا كان معى، أخذ الله على الناس الميثاق لى فصدق من صدق وكذب من كذب، قال سلمان: لقد وجدتك يا أمير المؤمنين فى التوراة كذلك وفى الإنجيل كذلك بأبى أنت وأمى ياقتيل كوفة! أنت حجة الله الذى تاب به على آدم، وبك أنجى يوسف من الجب، وأنت قصة أيوب، وسبب تغير نعمة الله عليه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أتدرى ما قصة أيوب؟. قال: الله أعلم وأنت يا أمير المؤمنين، قال: لما كان عند الانبعاث للمنطق شك أيوب فى ملكى فقال: هذا خطب جليل وأمر جسيم، فقال الله: ياأيوب! أتشك فى صورة أقمته انا، إنى ابتليت آدم بالبلاء فوهبته له وصفحت عنه بالتسليم عليه بأمرة المؤمنين فانت تقول خطب جليل وأمر جسيم فوعزتى لاذيقنك من عذابى أوتتوب إلى بالطاعة لأمير المؤمنين ثم ادركته السعادة بى يعنى انه تاب واذعن بالطاعة لعلى عليه السلام»(٥).

وغير هذا أيضا :

ففى سرائر ابن ادريس من جامع البزنطى عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

ما من نبى ولا من آدمى ولا من إنسى ولا جنى ولا ملك فى السماوات والأرض إلا ونحن الحجج عليهم، وما خلق الله خلقا إلا وقد عرض ولايتنا عليه واحتج بنا عليه، فمؤمن بنا وكافر جاحد حتى

(٥) تفسير البرهان للبحرانى، مقدمة ص ٢٧.

السماوات والأرض»[٦] .

وتتمة هذا الخبر فى مناقب ابن شهر آشوب عن محمد بن الحنفية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : عرض الله امانتى على السموات السبع بالثواب والعقاب فقلن ربنا لاتحملنا بالثواب والعقاب لكننا نحملها بلا ثواب ولا عقاب ، وان الله عرض ولايتى وأمانتى على الطيور فأول من آمن بها البزاة البيض والقنابر، وأول من جحدها البوم والعنقا فلعنهما الله من بين الطيور، فأما البوم فلا تقدر أن تطير بالنهار لبغض الطير له ، وأما العنقا فغابت فى البحار لا ترى ، وان الله عرض أمانتى على الأرض فكل بقعة آمنت بولايتى جعلها طيبة زكية وجعل نباتها وثمرها حلواً عذباً وجعل ماءها زلالا وكل بقعة جحدت إمامتى وأنكرت ولايتى جعلها سبخاً وجعل نباتها مرّاً وعلقماً وجعل ثمرها العوسج والحنظل وجعل ماءها ملحاً اجاجاً»[٧] .

وأما بخاريهم الكلينى فروى فى صحيحه عن أبى عبد الله جعفر ـ الإمام السادس عندهم ـ أنه قال :

ولايتنا ولاية الله التى لم يبعث نبيا قط إلا بها»[٨] .

وعن أبيه أبى جعفر ـ محمد الباقر ـ أنه قال :

والله إن فى السماء لسبعين صفا من الملائكة ، لو اجتمع أهل الأرض كلهم يحصون عدد كل صف منهم ما أحصوهم ، وانهم ليدينون بولايتنا»[٩] .

وعنه أيضا أنه قال :

(٦) ايضا ص ٢٦ .
(٧) ايضا .
(٨) كتاب الحجة من الكافى ج ١ ص ٤٣٧ .
(٩) ايضا ص ٤٣٧ .

ان الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ»[١٠] .

وأخيراً روى الكلينى عن إمامه المعصوم، عن أبى الحسن أنه قال :

ولاية على عليه السلام مكتوبة فى صحف جميع الأنبياء»[١١] .

وكما روى أيضا عن سالم الحناط قال :

قلت لأبى جعفر عليه السلام : أخبرنى عن قول الله تبارك وتعالى : نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين، قال: هى الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام»[١٢] .

وكذلك سئل أبو جعفر عن قول الله عزوجل : ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم، قال: الولاية»[١٣] .

وابنه جعفر قال :

ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى»[١٤] .

وروى الكلينى عن الصومالى :

عن أبى جعفر عليه السلام قال : أوحى الله إلى نبيّه صلى الله عليه وآله : فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم، قال: إنك على ولاية علىّ، وعلىّ هو الصراط المستقيم»[١٥] .

وإن لم يأت العبد بولاية على لم يسأله عن شىء، وأمر به إلى

---

(١٠) ايضا ص ٤٣٨ .
(١١) كتاب الحجة من الكافى ج ١ ص ٤٣٧
(١٢) ايضا، باب فيه نكت من التنزيل فى الولاية ج ١ ص ٣١٢ .
(١٣) ايضا ص ٤١٣ .
(١٤) ايضا ص ٤١٨ .
(١٥) ايضا ص ٤١٧ .

النار .

وعلى ذلك قال البحرانى مفسر الشيعة :

إن الله لم يبعث نبيا قط إلا بعد ما أقر بالولاية لأهل البيت ، وإن بعثة الأنبياء كانت لذلك أيضا»[١٦] .

وإن هذه الموالاة هى سبب دخول الجنة والنجاة من النار. لا الأعمال ولا الحسنات ، فمن والى عليا وأولاده فهو من أهل الجنة ، وغيره يدخل النار ولو صام وصلى كما نقلوا عن أبى جعفر أنه قال :

سواء على من خالف لنا أهل البيت لا يبالى صلى أو صام ، أو زنى أو سرق ، إنه فى النار ، إنه فى النار»[١٧] .

وكذبوا على رسول الله أنه قال لعلىّ رضى الله عنه :

من أحبّك كان مع النبيين فى درجتهم يوم القيامة ، ومن مات يبغضك فلا يبالى مات يهوديا أو نصرانيا»[١٨] .

وكذلك روى صدوقهم ـ وهو كذوبهم :

قال رسول الله (ص) : يا على إن الله تعالى قد غفر لك ولأهلك ولشيعتك ومحبى شيعتك ومحبّى محبّى شيعتك ، فابشر»[١٩] .

وذكر العياشى فى تفسيره عن أبى عبد الله جعفر أنه قال :

المؤمنون بعلىّ هم الخالدون فى الجنة وإن كانوا فى أعمالهم مسيئة»[٢٠] .

وحب على حسنة لا تضر معها سيئة[٢١] وبغضه معصية لا تنفع

---

(١٦) انظر البرهان فى تفسير القرآن للسيد هاشم البحرانى ، مقدمة ص ٣٣٩ ط ايران .
(١٧) ايضا ، الفصل الثانى فى بيان فرض ولاية أهل البيت ص ٢١ .
(١٨) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٥٨ . ط طهران .
(١٩) ايضا ج ٢ ص ٤٧ .
(٢٠) تفسير العياشى ج ١ ص ١٣٩ .
(٢١) ويجب الانتباه أنه لم يرو هذه الروايات الا الوضاعون الدجالون من الشيعة الذين ينقلون عن

معها حسنة»(٢٢) .

وأخيرا ما كذبوه على رسول الله ﷺ أنه قال :

سمعت الله عز وجل يقول :

على بن أبى طالب حجتى على خلقى ، ونورى فى بلادى وأمينى على علمى ، لا أدخل النار من عرفه وإن عصانى ، ولا أُدخل الجنة من أنكره وان اطاعنى »(٢٣) .

فالقضية واضحة بأن طاعة الله ليست بطاعة ، ومعصية الله ليست بمعصية مادام الحب والولاء لعلى وأولاده موجود ، وهذا ما كان يقصده اليهودية البغضاء لابعاد أمة محمد ﷺ عن الشريعة السماوية التى لا تفرق بين شخص وشخص ، ولا تجعل مدار العز والشرف إلا على العمل والتقوى كما قال جل من قائل :

﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾(٢٤) .

وقال : ﴿أزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين﴾(٢٥) .

وقال : ﴿لقد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم

دجاجلة كذابين مثلهم ، وقد وردت هذه الروايات بطرق الشيعة الكذابين أيضا فى بعض كتب السنة الذين لم يلتزموا بايراد الروايات الصحيحة ، ولم يلزموا أنفسهم تنقيد الرواة وتنقيح أحوالهم ، فلا يعتمد على تلك المرويات لأنها منقولة ومروية من الشيعة لترويج باطلهم ونشر أباطيلهم . ولله الحمد والمنة ان عند السنة معيارا قويا ومحكا صالحا لتنقية هذه الروايات وتنقيحها لتمييز الحق من الباطل ، كما عندهم أصول وضوابط وقواعد لنقد الرجال جرحا وتعديلا ، فلا تقبل الروايات والرواة عندهم الا الصادقة عن الصدوق ، ولا يلتفت الى الضعاف والضعفاء والوضع والوضاع ، والى الأكاذيب والكذبة .

(٢٢) منهج الصادقين ج ٨ ص ١١٠ .

(٢٣) البرهان ، مقدمة ص ١٣ .

(٢٤) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢٥) سورة الشعراء الآية ٩٠ .

لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم على صلواتهم يحافظون. أولئك هم الوارثون. الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾(٢٦).

وقال: ﴿ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرة يره﴾(٢٧).

وقال: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾(٢٨).

وقال: ﴿فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى. وكذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى. وما يغنى عنه ماله إذا تردى﴾(٢٩).

وقال: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة. إلا أصحاب اليمين. فى جنات يتساءلون. عن المجرمين. ما سلككم فى سقر. قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخاضعين. وكنا نكذب بيوم الدين. حتى أتانا اليقين. فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾(٣٠)

نعم الشريعة التى لم تفرق بين شخص وشخص لحسبه ونسبه، فلم تفرق بين أبى لهب بأنه يدخل الجنة لأنه عم النبى ﷺ، ولم تقتصر على البيان بأنه من أهل النار بل قرن ذكره باللعن فى الكتاب الذى يبقى أبد الدهر حيث قال:

﴿تبت يدا أبى لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى نارا ذات لهب. وامرأته حمالة الحطب. فى جيدها حبل من مسد﴾(٣١).

ولم تفرق تلك الشريعة السمحاء بين بلال وغيره لأنه حبشى وغير

---

(٢٦) سورة المؤمنون الآية ١ الى ١١.
(٢٧) سورة الزلزال الآية ٧،٨.
(٢٨) سورة الأنعام الآية ١٦٤.
(٢٩) سورة الليل الآية ٩.
(٣٠) سورة المدثر الآية ٣٨ الى ٤٨.
(٣١) سورة تبت.

عربى وقرشى وغير مكى ، جاء مكة وهو مملوك لغيره ، بل بُشر بالجنة بلسان الناطق بالوحى لأن أعماله أهلته لذلك .

وهم الذين كانوا يرون الإيمان بالله وبالرسول وبالكتاب الذى نزل عليه والأعمال الصالحة حسب أوامر الله وأوامر الرسول ﷺ سببا لدخول الجنة كانوا يقومون ليلا ويصومون نهارا ، ويرفعون رأيات الجهاد ، وينزل عليهم النصر من فوق السماء ، ويؤيدهم ملائكة الرب وجنود الرحمان ، وهم الذين كانوا يرون الجنة تحت ظلال السيوف لإحقاق الحق وإبطال الباطل ولإظهار دين الله على الدين كله ، وهم الذين كانوا يقهرون سلاطين الأمم وملوكها وجبابرة الأرض وطغاتها ، وهم الذين اندحرت أمامهم فلول اليهودية وجيوش النصرانية وعساكر المجوسية ، وهم الذين أريد بهم وبأخلافهم أن يبعدوا عن هذه الشريعة الحية المحيية الأموات ، والباعثة فيهم الأرواح ، أرادوا إماتة هذه الأمة المقدامة لردهم عن دينهم وإبعادهم عن تعاليم الإسلام الحقيقية ، عن الإيمان والعمل والجد والجهد والجهاد ، فقالوا : لا يحتاج لدخول الجنة وإرضاء الرب إلى كل هذه المشقة والعناء ، بل يكفى لها حب أشخاص والولاية لهم ، ففازوا فى مقاصدهم الخبيثة بعض الفوز وانطلت مكايدهم على بعض السذج الغفلة من الناس ، والمغرورين والمخدوعين بأسماء أشخاص لم يكونوا إلا عباداً لله المتقين ، العاملين المؤمنين . فبدل أن يكون أمام أعينهم أن أول ما يسأل العبد عنه الصلاة ، كى يصلوا ويجتهدوا فى التقرب إلى الله بالركوع والسجود والقيام إليه قالوا :

قال أبو الحسن عليه السلام ـ الإمام الثامن عندهم ـ : أول ما يسأل عنه العبد حبنا أهل البيت»(٣٢) .

(٣٢) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٦٥ ، ايضا البرهان ، مقدمة ص ٢٢ .

وعلى ذلك جعلت الولاية أهم من الصلاة والزكاة وعن كل شيء
كما ذكرناه آنفا، وكما ورد فى الكافى للكلينى عن أبى جعفر أنه قال :
بنى الإسلام على خمس، على الصلاة والزكاة والصوم والحج
والولاية، ولم يناد بشيء كما نودى بالولاية»(٣٣) .

بل وهى المقصود كما كذبوا على النبى ﷺ أنه قال :
أتانى جبريل عليه السلام وقال : يامحمد ربك يقرئك السلام
ويقول: فرضت الصلاة ووضعتها عن المريض، وفرضت الصوم
ووضعته عن المريض والمسافر، وفرضت الحج ووضعته عن المقل المدقع،
وفرضت الزكاة ووضعتها عن من لا يملك النصاب، وجعلت حب على
بن أبى طالب عليه السلام ليس فيه رخصة»(٣٤) .

ولذلك جعلوها مدار الكفر والإيمان كما هو ظاهر من هذه الروايات
وكما بيناه آنفا .

وأما من قال من الشيعة المعاصرين(٣٥) بأن الاعتقاد بالولاية ليس
بالضرورى وأنه بعدم الاعتقاد بها لايخرج عن كونه مسلما ليس إلا خداعاً
وتزويراً، ولا يتفوه بمثل هذه الكلمات إلا فى كتب الدعاية ولإيقاع
السذج من المسلمين فى شراكهم وحبائلهم وإلا فهم لا يعتقدون بمثل
هذه الاعتقادات كما ذكر، وصرح به أئمة الشيعة .

ولقد ذكر السيد البحرانى عن عديد من أئمة الشيعة بأن هذه
العقيدة اليهودية التى أوجدها وأنشأها عبد الله بن سبأ اليهودى لتعطيل
الشريعة وإبعاد المسلمين عنها هى مدار الإيمان وهى مدار النجاة، والمنكر

(٣٣) الكافى فى الاصول، باب دعائم الاسلام ج ٢ ص ١٨ .
(٣٤) البرهان، مقدمة ص ٢٢ .
(٣٥) ألا وهو الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء فى كتابه (أصل الشيعة وفروعها) ص ١٠٣، ١٠٤ الطبعة التاسعة بيروت ١٩٦٠م، وكذلك السيد محسن الأمين فى كتابه (أعيان الشيعة) ج ١ ص ٦٩ .

بها لا يعد مؤمنا . ونذكر ههنا عن إمامهم وشيخهم المفيد أنه ذكر فى كتاب المسائل :

اتفقت الإمامية على أن من ينكر إمامة إمام وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض طاعته فهو كافر ضال مستحق الخلود فى النار . . . وقال : لا يجوز لأحد من أهل الإيمان أن يغسل مخالفا للحق فى الولاء ، ولا يصلى عليه »(٣٦) .

ونقل مثل ذلك عن بابويه القمى شيخ الطائفة الطوسى ، والملا باقر المجلسى ، والسيد شريف المرتضى وغيرهم من الكثيرين مثله .

وأما البغض والحقد لأصحاب النبى ﷺ والطعن فيهم والعيب عليهم وشتمهم فصار من لوازم مذهب الشيعة ، وقلما يوجد كتاب من كتبهم إلا وهو ملىء بالطعن والتعريض بهم ، بل ولقد خصص أبواب مستقلة لتكفير وتفسيق أصحاب النبى ﷺ ، ولا يذكرهم أحد من القوم إلا ويسبق ذكرهم بالشتيمة ويلحق بالسباب . ولقد مثلنا لهذا فى كتابنا (الشيعة والسنة) فى الباب الأول منه ، كما فصلنا القول فى هذا الخصوص فى كتابنا (الشيعة وأهل البيت) فى الباب الثانى منه ولا نريد أن نعيد ما ذكرناه هناك تجنبا للإطالة . فليرجع القارىء فى معرفة ذلك إلى هذين الكتابين . ونقتصر على ما كتبه إمام شيعة اليوم السيد الخمينى فى كتابه (كشف الأسرار) وهو مع كونه رجلا سياسيا ـ والسياسة تتطلب بعض الملاينة والمهادنة والمراعاة للآخرين ـ يذكر بكل صراحة ووضوح :

أن أبا بكر وعمر وعثمان لم يكونوا خلفاء رسول الله ﷺ ، بل وأكثر من ذلك أنهم غيروا أحكام الله وحللوا حرام الله ، وظلموا أولاد الرسول ، وجهلوا قوانين الرب وأحكام الدين(٣٧) .

---

(٣٦) البرهان ، مقدمة ص ٢٠ .

(٣٧) ملخص ما قاله السيد الخمينى فى كتابه (كشف الاسرار) ص ١١٠ وما بعد ط فارسى .

وبعـد ذلـك يذكر عقيدته وعقيدة الشيعة فى الإمامة، فيقول تحت عنوان: لماذا لم يذكر اسم الإمام فى القرآن صريحا:

ولقد ظهر مما ذكر أن الإمامة أصل من الأصول المسلمة الإسلامية بحكم العقـل والقـرآن، وأن الله قد ذكر هذا الأصل المسلم فى عديد من مواضـع القـرآن، فيمكن أن يسأل سائـل: مادام هذا فلماذا لم يذكر اسم الإمام فى القرآن لكى لا يقع خلافات وحروب حوله كما وقعت، فالجواب على ذلك بوجوه، وقبل حل هذا الإشكال نريد أن نقول جهرا: إن كل الخلافات التى حلت بين المسلمين فى جميع أمورهم وشئونهم لم تقع بينهم إلا من أثـــر يوم السقيفـة، ولـو لم يكن ذلـك اليـوم لم يكن بين المسلمـين خلاف فى القوانين السماوية، فنقول: لو ذكر اسم الإمام فى القرآن فرضا لم يكن يرفـع النـزاع بين المسلمـين لأن الـذين لم يدخلوا فى الإسـلام إلا طمعا فى الرئاسة وتجمعوا وتحزبوا لنيلها لم يكونوا مقتنعين بنصوص القرآن وآيـاتـه، ولم يكونوا منتهين عن أطماعهم وأغراضهم، بل كان من الممكن أن يزدادوا فى مكرهم ويصلوا إلى هدم أساس الإسلام لأن الطامعين فى الـرئـاسة والطالبين لها لو رأوا مقصودهم لا يحصل باسم الإسلام لشكلوا آنـذاك حزبـا معـارضـا للإسـلام ومخـالفه، وآنذاك لم يكن لعلى بن أبى طالب أن يسكت فكان من نتيجة ذلك أن يحصل النزاع والخلاف الذى يقلع جذرة الإسـلام ويقطـع دابـره، وعلى ذلـك كان ذكر اسم على بن أبى طالب فى القرآن خلاف مصلحة أصل الإمامة.

وأيضـا لو كان اسم الإمـام مذكـورا فى القرآن لم يكن مستبعدا من الـذين لم يكن علاقتهم بالإسـلام والقـرآن غير الـدنيـا والرئاسة، الذين جعلوا القـرآن وسيلة لاجـراء نيـاتهم الفـاسـدة لم يكن مستبعدا منهم أن يحذفوا تلك الآيات من القرآن ويحرفوا كتاب الله ويبعدوه عن أنظار الناس

إلى الأبد .

وأيضا لو لم يحدث من هذا شىء على الفرض والتقدير لم يكن من غير المتوقع من ذلك الحزب الطامع الحريص على الرئاسة أن يختلقوا حديثا كاذبا على رسول الله أنه قال قبيل وفاته إن الله خلع على بن أبى طالب من منصب الإمامة وجعل الأمر شورى بينكم .

ولا ينبغى لأحد أن يقول : لو ورد ذكر الإمام فى القرآن لما استساغ الشيخان أن يخالفاه ، ولو خالفاه فرضا لم يقبله المسلمون وقاموا ضدهما ، فنحن نقول : إنه لا ينبغى القول بهذا ، لاننا نعرف أنهما خالفا صريح القرآن جهرا وعلنا والناس لم يردوا عليهما ، بل قبلوا مخالفتهما للقرآن»(٣٨)

ثم مثل بأمثلة كثيرة حسب زعمه لإثبات مخالفة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما القرآن بعنوان «مخالفة أبى بكر النصوص القرآنية» و«مخالفة عمر قرآن الرب»(٣٩) .

وأخيرا قال بعد ذكر هذه المخالفات المزعومة :

ويعلم بهذا كله مخالفة أبى بكر وعمر القرآن فى حضور المسلمين ولم يكن هذا الأمر ذا بال عندهم ، بل كانوا هم معهما وفى حزبهما مناصرين مساعدين لهما فى نيل المقصود ، ويعرف بهذا كله أنه لو ورد ذكر الإمام فى

(٣٨) كشف الاسرار للسيد الخمينى(*) ص ١١٢، ١١٣، ١١٤ ط فارسى .

(٣٩) انظر ص ١١٤ و ١١٧ ـ كشف الاسرار.

(*) والمفروض أن يسمى هذا الكتاب كشف أسرار الخمينى ، لا كشف الأسرار للسيد الخمينى لأنه فعلا يكشف الأسرار عن هذا الرجل زعيم الشيعة ومصلح الأمة كما يزعمه بعض المغفلين والسذج من أهل السنة فى مختلف بقاع الأرض من العالم الاسلامى وغير الاسلامى . وأتمنى أن يقوم بترجمة هذا الكتاب أحد من العارفين ، يكون له معرفة باللغة الفارسية فينقله إلى اللغات العالمية الأخرى حتى تكون أسرار السيد الخمينى مكشوفة عندهم .

والجدير بالذكر أن هذا الكتاب لازال يطبع فى إيران ويوزع من قبل الحكومة الإيرانية فى الداخل والخارج بدون أي تغيير وتبديل فيه ، وواعجبا للموجدين للأعذار، الذين يختلقونها من عند أنفسهم ، والكاتب المؤلف حي لا ينطق ببنت شفة فى هذا الموضوع ، وكيف ينطق وهذه هى العقائد التى يبتنى عليها مذهبه ومسلكه ، وهذه هى الأسس التى يقوم عليها دينه وموقفه ، وإن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار.

القرآن لم يكونوا تاركين للرئاسة لقول الله عز وجل، ولا معطين له أى اهتمام، وكما أن أبابكر الذى كان خداعه ظاهرا وزائدا استطاع أن يحرم ابنة رسول الله من ارثها الثابت بالقرآن والعقل باختلاق حديث مكذوب، لم يكن مستبعدا من عمر أن يقول بأن الله أو جبريل أو الرسول أخطأوا فى ذكر إسم الإمام فى القرآن وآياته، ولذلك لا ينظر إليه ولا يعمل به، وآنذاك قام حزب السنة وتابعوه على قوله وتركوا القرآن مهجورا، كما أنهم تابعوه فى جميع التغييرات التى أتى بها فى دين الإسلام ورجحوا قوله على القرآن وآياته وقدموه على أحاديث رسول الإسلام وأقواله»(٤٠) .

وهناك كثير وكثير من هذا القبيل .

فهذه هى عقيدة القوم فى أبى بكر وعمر وعثمان وفى أصحاب رسول الله ﷺ رضى الله عنهم ورضوا عنه، قد ذكرناها من رجل سياسى بارز يعد نائب الإمام الغائب عند الشيعة، ومصلح الأمة عند بعض السنة طبق ما توراثه من السبئية وعبد الله بن سبأ، وعليها يقاس عقيدة الآخرين من القوم الذين لم يمارسوا السياسة ولم يستلموا الزعامة الدينية والدنيوية ولم يتسلطوا على البلاد التى يسكنها كثير من السنيين الذين لا يحتاجون إلى المداهنة والمراعاة .

وأما الطعن فى عثمان ذى النورين رضى الله عنه، واللعن عليه وعلى عماله فإنها أمور لا تحتاج إلى البيان وخصوصا بعد ما ذكرنا فى الباب الأول والثانى من المثالب والمطاعن المنقولة من كتب القوم أنفسهم بذكر الصفحات والمجلدات، ومن أراد الاستزادة فليرجع إليهما وإلى كتابنا (الشيعة والسنة) و (الشيعة وأهل البيت) .

والجدير بالذكر أن كتب الشيعة الاثنى عشرية لا يخلو كتاب من

---

(٤٠) كشف الأسرار ص ١١٩، ١٢٠ .

كتبهم سواء كان فى التفسير أو الحديث أو التاريخ أو السيرة أو الرجال أو الكلام أو العقائد أو غير ذلك من نفس المطاعن التى كان يرددها السبئيون ضد عثمان رضى الله عنه وحكومته وعماله، لا فرق بين هؤلاء وأولئك إلا الاضافات والزيادات التى اختارها شيعة اليوم ولم تكن معروفة أيام السبئية .

وأما الوصاية والغيبة والرجعة التى نادى أول من نادى بها عبد الله بن سبأ وشلته، وكذلك العقائد الأخرى المنافية للإسلام، والأجنبية على المسلمين، والمروجة من قبل اليهودية والمجوسية من اتصاف الخلق بأوصاف الخالق وتأليه العباد، والحلول، والاتحاد، والتناسخ، وجريان النبوة بعد محمد ﷺ ونزول الوحى على أحد، وإتيان الكتاب وغيرها من الأمور هى عين تلك العقائد التى انتقلت إلى شيعة اليوم وإلى الشيعة الاثنى عشرية خاصة .

وعلى ذلك قال كبير الشيعة فى الرجال المامقانى فى كتابه (تنقيح المقال) :

إن ما كان يعد يومئذ غلوا صار يعد الآن من ضروريات المذهب»(٤١) .

وصحيح ما قاله المقامانى، فإنه لم يكن يعرف هذه الأمور فى التشيع الأول لدى الشيعة الأولى فإن القوم أخذوها من السبئية وجعلوها عقائد لهم ومعتقدات، وملئوا بها كتبهم ورسائلهم فقالوا : إن عليا رضى الله عنه كان وصى رسول الله ﷺ واختلقوا لذلك روايات موضوعة كثيرة. منها ما رواه الكلينى فى كافيه عن جعفر أنه قال :

كان حيث طلقت آمنة بنت وهب وأخذها المخاض بالنبى صلى

(٤١) تنقيح المقال للمامقانى نقلا عن هامش المنتقى للذهبى ص ١٩٣ .

الله عليه وآله حضرتها فاطمة بنت أسد إمرأة أبى طالب فلم تزل معها حتى وضعت فقالت أحدهما للأخرى: هل ترين ما أرى؟. قالت: هذا النور الذى قد سطع ما بين المشرق والمغرب، فبينما هما كذلك إذ دخل عليهما أبو طالب فقال لهما: مالكما من أى شيء تعجبان؟. فأخبرته فاطمة بالنور الذى رأت، فقال لها أبو طالب: ألا أبشرك؟ فقالت: بلى، فقال: أما انك ستلدين غلاما يكون وصى هذا المولود»(٤٢).

وأيضا ما اختلقوه بأنه لما نزل قوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين:

دعاهم رسول الله (ص) فأكلوا ولم يبين فى الطعام الا أثر أصابعهم وكانوا نحوا من أربعين رجلا وشربوا شنة من قدح كفاهم جميعا وزاد عنهم. فلما فرغوا قال لهم فى آخر كلامه: انى والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به فأيكم يؤزرانى على أمرى هذا على أن يكون أخى ووصى وخليفتى فيكم؟ فسكتوا جميعا، فقام على (ع) وقال: أنا يارسول الله أؤ ازرك عليه، فأخذ رسول الله (ص) برقبته وقال: ان هذا أخى ووصي وخليفتى فيكم فأسمعوا له وأطيعوا، فقاموا يضحكون ويقولون لأبى طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع»(٤٣).

ثم قالوا بنفس ما قاله عبد الله بن سبأ وبألفاظه كذبا على أبى جعفر محمد الباقر أنه قال:

وأيم الله لقد نزل الروح والملائكة بالأمر فى ليلة القدر على آدم، وأيم الله ما مات آدم إلا وله وصى وكل من جاء بعد آدم من الأنبياء قد

(٤٢) الروضة من الكافى للكلينى ج ٨ تحت عنوان اخبار أبى طالب بولادة علي وأنه وصى النبي ص ٣٠٢.

(٤٣) الارشاد المفيد ص ١١، اعلام الورى للطبرسى ص١٦٢، الصافى ج ٢ ص ٢٢٧، تفسير القمى ج ٢ ص ١٢٤، نور الثقلين ج ٤ ص ٦٧، منهج الصادقين ج ٦ ص ٤٨٧، أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الأول ص ٢٠٩.

أتاه الأمر فيه ووضع له وصياً من بعده، وأيم الله إن كان النبى ليؤمر فيما يأتيـه من الأمـر فى تلك الليلة من آدم إلى محمـد صلى الله عليـه وآله أن أوص إلى فلان»(٤٤) .

وعن جعفر أنه قال :

أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع بن نون، وأوصى يوشع بن نون إلى ولده هارون. . . فلم تزل الوصية فى عالم بعد عالم حتى دفعوها إلى محمد صلى الله عليه وآله .

فلما بعث الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وآله، أسلم له العقب من المستحفظين وكذبه بنو اسرائيل ودعا إلى الله عز وجل وجاهد فى سبيله، ثم أنزل الله جل ذكره عليه أن أعلن فضل وصيك، فقال: رب ان العرب قوم جفاة، لم يكن فيهم كتاب ولم يبعث إليهم نبى ولا يعرفون فضل نبوات الأنبياء عليهم السلام ولا شرفهم، ولا يؤمنون بى إن أنا أخبرتهم بفضل أهل بيتى، فقال الله جل ذكره: ولا تحزن عليهم وقل سلام فسوف تعلمون فذكر من فضل وصيه ذكراً فوقع النفاق فى قلوبهم، فعلم رسول الله صلى الله علي وآله ذلك ما يقولون، فقال الله جل ذكره: يامحمد ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بغير حجة لهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتألفهم ويستعين ببعضهم على بعض، ولا يزال يخرج لهم شيئا فى فضل وصيه حتى نزلت هذه السورة، فاحتج عليهم حين أُعلم بموته، ونعيت إليه نفسه، فقال الله جل ذكره: ﴿فإذا فرغت فانصب. وإلى ربك فارغب﴾ يقول: إذا

(٤٤) كتاب الحجة من الكافى ج ١ ص ٢٥٠ ط ايران.

فرغت فانصب علمـك ، وأعلن وصيـك فأعلمهم فضله علانيـة ، فقال صلى الله عليه وآله : من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعـاد من عاداه ـ ثلاث مرات ـ ثم قال : لابعثن رجـلا يحب الله ورسوله ويحبـه الله ورسـولـه ، ليس بفـرار يعـرّض بمن رجـع ، ويجّبن أصحـابـه ويجبّنـونـه ، وقال صلى الله عليـه وآله : على سيد المؤمنين ، وقال : على عمـود الـدين ، وقـال : هذا هو الـذى يضرب الناس بالسيف على الحق بعدى وقال : الحق مع على أينما مال»(٤٥) .

وعنه أيضا أنه قال :

ان الـوصيـة نزلت من السماء على محمد كتابا ، لم ينزل على محمد صلى الله عليه وآله كتاب مختوم إلا الوصية ، فقال جبرئيل عليه السلام : يامحمد هذه وصيتك فى أمتك عند أهل بيتك ، فقال رسول الله صلى الله عليـه وآلـه : أى أهـل بيتى ياجـبرئيـل؟ قال : نجيب الله منهم وذريتـه ، ليرثـك علم النبـوة كما ورثـه إبـراهيم عليـه السـلام ومـيراثه لعلى عليه السلام وذريتك من صلبه ، قال : وكان عليها خواتيم ، قال : ففتح على عليـه السـلام الخـاتم الأول ومضى لما فيها ، ثم فتح الحسن عليه السلام الخاتم الثانى ومضى لما أمر به فيها ، فلما توفى الحسن ومضى فتح الحسين عليه السلام الخاتم الثالث فوجد فيها أن قاتل فاقتل وتقتل واخرج بأقوام للشهادة ، لا شهادة لهم إلا معك ، قال : ففعل عليه السلام ، فلما مضى دفعهـا إلى على بن الحسـين عليه السلام قبل ذلك ، ففتح الخاتم الرابع فوجـد فيهـا أن اصمت وأطرق لما حجب العلم ، فلما توفى ومضى دفعها إلى محمد بن على عليه السلام ففتح الخاتم الخامس فوجد فيها أن فسر كتـاب الله تعـالى وصدق أباك وورث ابنك واصطنع الأمة وقم بحق الله

(٤٥) كتاب الحجة من الكافى ج ١ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

عز وجل وقل الحق فى الخوف والأمن ولا تخش إلا الله ، ففعل ، ثم دفعها إلى الذى يليه»[٤٦] .

وأخيرا ما رواه عن أبى جعفر قال :

لما أن قضى محمد نبوته ، واستكمل أيامه ، أوحى الله تعالى إليه أن يامحمد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك ، فاجعل العلم الذى عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة فى أهل بيتك عند على بن أبى طالب ، فانى لن أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريتك كما لم أقطعها من ذريات الأنبياء»[٤٧] .

هذا عين ما قاله عبد الله بن سبأ والسبئية : أن يوشع بن نون وصى موسى وعلى وصى رسول الله ، وإن إمامة على لفرض من الله عز وجل[٤٨] .

الغيبة

وأما القول بالغيبة والرجعة فلقد تلقفه الشيعة من السبئية منذ تطور التشيع وانقراض الشيعة الأولى فلقد قالوا فى كل من زعموا إمامته من على رضى الله عنه إلى الغائب الموهوم الذى لم يولد ، ولقد ذكرنا فيما مر أقوالهم فى واحد واحد من أئمتهم ونقتصر ههنا على ما يقوله الشيعة الاثنا عشرية فى غائبهم الموهوم ، فيقولون : إنه ولد للحسن العسكرى ولد ، على اختلاف مقولاتهم فى ذلك كما سبق ذكره فى الباب السابق ، ثم يقولون : أنه غاب عن الأعين، وله غيبتان : الغيبة الصغرى والغيبة

(٤٦) ايضا، باب ان الأئمة لم يفعلوا شيئا ولا يفعلون الا بعهد من الله ج ١ ص ٢٨٠ .

(٤٧) ايضا، باب الاشارة والنص على أمير المؤمنين ج ١ ص ٢٩٣ .

(٤٨) انظر لذلك رجال الكشى ص ١٠٩ ط كربلاء - العراق، فرق الشيعة للنوبختى ص ٤٣، ٤٤ ط النجف - العراق، تنقيح المقال للمامقانى ج ٢ ص ١٤٣، ط. إيران وغيرها من الكتب.

الكبرى. كما كذبوا على جعفر انه قال :

للقـائم غيبتان : إحداهما قصيرة والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه»(٤٩) .

وعنه أيضا أنه قال :

لصـاحب هذا الأمـر غيبتـان : إحـداهما يرجـع منهـا إلى أهله، والأخـرى يقـال: هلك، فى أى واد سلك؟ قلت: كيف نصنـع إذا كان كذلك؟ قال: إذا ادعاها مدع فاسألوه عن أشياء يجيب فيها مثله»(٥٠) .

وعن أبيه مثله(٥١) .

«أمـا غيبتـه الصغرى منهما فهى التى كانت فيها سفراؤ ه موجودين وأبـوابـه معـروفـين، لا تختلف الإمـامية القائلون بإمامة الحسن بن على فيهم فمنهم أبـو هاشم داود بن القـاسم الجعفـرى، ومحمـد بن على بن بلال، وأبـو عمـرو عثـمان بن سعيـد السـمان، وابنـه أبـو جعفر محمد بن عثـمان، وعمـر الأهـوازى، وأحمـد بن اسحـاق، وأبـو محمد الوجنانى، وإبراهيم بن مهزيار، ومحمد بن إبراهيم فى جماعة أخرى ربما يأتى ذكرهم عند الحاجة إليهم فى الرواية عنهم، وكانت مدة هذه الغيبة اربعاً وسبعين سنة، وكان أبو عمر وعثمان بن سعيد العمرى باباً لأبيه وجده من قبل وثقة لهما، ثم تولى البـاقيـة من قبله وظهـرت المعجـزات على يده، ولما مضى لسبيله قام ابنـه محمـد مقـامـه رحمهما الله بنصه عليه، ومضى على منهاج أبيه فى آخر جمادى الآخرة من سنة اربع أو خمس وثلاثمائة، وقام مقامه أبو القاسم الحسين بن روح من بنى نوبخت بنص أبي جعفر محمد بن عثمان

---

(٤٩) كتـاب الحجـة من الكـافى ص ٣٤٠، كتـاب الغيبـة لمحمـد بن ابراهيم النعمانى ص ١٧٠ ط مطبعة الصدوق طهران.

(٥٠) كتاب الحجة من الكافى ص ٣٤٠.

(٥١) كتاب الغيبة للنعمانى ص ١٧٣.

عليه، وأقامه مقام نفسه، ومات فى شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة، وقام مقامه أبو الحسن على بن محمد العمرى بنص أبى القاسم عليه، وتوفى لنصف من شعبان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

فروى عن أبى محمد الحسن بن أحمد المكتب أنه قال: كنت بمدينة السلام فى السنة التى توفى فيها على بن محمد السمرى فحضرته قبل وفاته بأيام فخرج وأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم ياعلى بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص لأحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتى شيعتى من يدعى المشاهدة، ألا فمن يدعى المشاهدة قبل خروج السفيانى والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

قال: فانتسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو بنفسه فقيل له: من وصيك؟ قال: لله أمر هو بالغه فقضى، فهذا آخر كلام سمع منه ثم حصلت الغيبة الطولى التى نحن فى أزمانها، والفرج يكون فى آخرها بمشيئة الله تعالى»[٥٢].

وأما أين يستقر غائبهم وماذا يعمل فيقولون: إنه مستقر فى سرداب سامراء كما يروى القطب الراوندى «أن العباسيين بعثوا عسكرا، فلما دخلوا الدار سمعوا من السرداب قراءة القرآن، فاجتمعوا على بابه وحفظوه حتى لا يصعد ولا يخرج وأميرهم قائم حتى يصل العسكر كلهم، فخرج من السكة على باب السرداب ومر عليهم، فلما غاب قال

(٥٢) اعلام الورى للطبرسى ص ٤٤٥.

الأمير : انزلوا عليه فقالوا : أليس هوقد مر عليك؟ فقال : ما رأيت وقال : ولم تركتموه؟ قالوا : انا حسبنا أنك تراه»(٥٣) .

أو بالمدينة(٥٤) .

أوفى مكة(٥٥) .

أو برضوى ـ الجبل الذى يقولون فيه أنه غاب فيه محمد بن الحنفية كما نقلنا عن السيد الحميرى شاعر الشيعة أنه قال :

تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء(٥٦) .

ويقولون : فى ذى طوى . كما يذكر النورى الطبرسى :

ان للشيعة دعاء مشهورا رووه عن الأئمة عليهم السلام يعرف بدعاء الندبة ، أمروا بقراءته فى الأعياد الأربعة ، وفيه ما يخاطب به إمام زمانه الحجة عليه السلام :

ليت شعرى استقرت بك النوى بل أى أرض تقلك أو ثرى

أبرضوى أم بغيرها ، أم بذى طوى(٥٧) .

أوفى اليمن بواد يقال له شمروخ(٥٨) .

أو الجزيرة الخضراء(٥٩) .

وأما الجزرى فقد ذكر قصة طويلة غريبة عجيبة أنه يذكر الجزر التى مسيرة مدنها سنة :

لايوجد فى أهل تلك الخطط والضياع غير المؤمن الشيعى الموحد ، القائل بالبراءة والولاية . . . سلاطينهم أولاد إمامهم يحكمون

(٥٣) كتاب الخرائج للراوندى نقلا عن كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار للنورى الطبرسى ص ٢١١ ط طهران ، الفصول المهمة ص ٢٩٣ ط منشورات الاعلمى طهران .

(٥٤) الكافى فى الاصول ، كتاب الحجة ج ١ ص ٣٢٨ ، الفصول المهمة ص ٢٩٢ .

(٥٥) كشف الأستار ص ٢١٥ .

(٥٦) فجر الاسلام لأحمد أمين ص ٢٧٣ .

(٥٧) كشف الأستار ص ٢١٥ .

(٥٨) الانوار النعمانية للجزائرى ج ٢ ص ٦٥ .

(٥٩) بحار الانوار للمجلسى ج ١٣ باب جزيرة الخضراء .

بالعـدل وبـه يأمـرون ولـو جمع أهل الدنيا لكانوا أكثر منها على اختلاف الأديان والمذاهب»(٦٠) .

وكذلك يقولون : إنه فى جابلقاء أو فى جابلساء وغيرها من الخرافات .

وأما ماذا يعمل فيقولون :

إنه يشهد الموسم (الحج) فيراهم ولا يرونه»(٦١) .

ويروون أن خادمة إبراهيم بن عبدة قالت :

كنت واقفة مع إبراهيم على الصفا فجاء عليه السلام حتى وقف على إبراهيم وقبض على كتاب مناسكه وحدثه بأشياء»(٦٢) .

ويكذب آخر ـ وهو أبو عبد الله الصالح ـ فيقول :

إنـه رآه عنـد الحجـر الأسود والناس يتجاذبون إليه وهو يقول : ما بهذا أمروا»(٦٣) .

ويقول الآخر :

شاهـدت سيـماء (اسم رجل من أتباع السلطان) آنفا بسرمن رأى وقد كسر باب الدار، فخرج عليه وبيده طبرزين فقال له : ما تصنع فى دارى؟ فقال سيماء : ان جعفرا زعم أن أباك مضى ولا ولد له، فان كانت دارك فقد أنصرفت عنك، فخرج عن الدار»(٦٤) .

ويحكى الآخر :

كنت حاجا مع رفيق لى، فوافينا إلى الموقف فإذا شاب قاعد عليه

---

(٦٠) انظر الانوار النعمانية لمحدث الشيعة الجزائرى، باب نور فى ولادة عليه السلام ج ٢ ص ٥٨ وما بعد.

(٦١) الاصول من الكافى، كتاب الحجة، باب فى الغيبة ج ١ ص ٣٣٨.

(٦٢) ايضا، باب فى تسمية من رآه ص ٣٣١.

(٦٣) ايضا.

(٦٤) ايضا.

إزار ورداء، وفى رجليه نعلُ صفراء، قومت الازار والرداء بمائة وخمسين ديناراً وليس عليه أثر السفر، فدنا منا سائل فرددناه، فدنا من الشاب فسأله، فحمل شيئا من الأرض وناوله، فدعا له السائل واجتهد فى الدعاء وأطال، فقام الشاب وغاب عنا، فدنونا من السائل فقلنا له ويحك ما أعطاك؟ فأرانا حصاة ذهب مضرسة، قدرناها عشرين مثقالا، فقلت لصاحبى : مولانا عندنا ونحن لا ندرى، ثم ذهبنا فى طلبه فدرنا الموقف كله، فلم نقدر عليه، فسألنا كل من حوله من أهل مكة والمدينة، فقالوا شاب علوى يحج، فى كل سنة ماشيا»(٦٥) .

ثم يحكون وينسبونه إلى على الرضا أنه قال :

لا يرى جسمه ولا يسمى اسمه»(٦٦) .

كما نقلوا عن الحسن العسكرى أنه قال :

إنكم لا ترون شخصه، ولا يحل لكم ذكره باسمه، قيل : فكيف نذكره؟ فقال : قولوا : الحجة من آل محمد»(٦٧) .

ويقول الأربلى :

إنه حى موجود، يحل ويرتحل، ويطوف فى الأرض ببيوت وخيم وخدم وحشم وإبل وخيل وغير ذلك»(٦٨) .

ثم حكى قصة أن شمس الدين الهرقلى قال :

حكى لى والدى أنه خرج فيه - وهو شاب - على فخذه الايسر توثة (بثرة متقرحة) مقدار قبضة الإنسان، وكانت فى كل ربيع تشقشق ويخرج منها دم وقيح، ويقطعه ألمها عن كثير من أشغاله؛ وكان مقيماً بهرقل، فحضر الحلة يوما ودخل إلى مجلس السعيد رضى الدين على بن

---

(٦٥) ايضا ص ٣٣٢.
(٦٦) ايضا ص ٣٣٣.
(٦٧) ايضا، باب النهى عن الاسم ص ٣٣٢، ٣٣٣.
(٦٨) كشف الغمة للاربلى ج ٣ ص ٢٨٣.

طاوس رحمه الله وشكا إليه ما يجده منها ، وقال : أريد أن أداويها فاحضر له أطبـاء الحلة وأراهم المـوضـع ، فقـالـوا : هذه التوثة فوق العرق الاكحل وعـلاجهـا خطـر ومتى قطعت خيف ان ينقطـع العرق فيموت ، فقال له السعيد رضى الدين قدس روحه : أنا متوجه إلى بغداد وربما كان أطبائها اعـرف وأحـذق من هؤلاء فاصحبنى فاصعد معه واحضر الاطباء فقالوا كما قال أولئـك فضـاق صدره ، فقال له السعيد : ان الشرع قد فسح لك فى الصلوة فى هذه الثيـاب وعليـك الاجتهـاد فى الاحـتراس ولا تغـرر بنفسـك فالله تعـالى قد نهى عن ذلـك ورسـوله فقال له والدى : إذا كان الأمر على ذلك وقد وصلت إلى بغداد فأتوجه إلى زيارة المشهد الشريف بسر من رأى على مشرفه السلام ، ثم أنحدر إلى أهلى فحسن له ذلك ، فترك ثيـابـه ونفقتـه عنـد السعيد رضى الدين وتوجه ، قال : فلما دخلت المشهـد وزرت الأئمـة عليهم السـلام ونـزلت السـرداب واستغثت بالله تعـالى وبـالإمام عليه السلام وقضيت بعض الليل فى السرداب وبت فى المـشـهـد إلى الخميس ، ثم مضيت إلى دجلة واغتسلت ولبست ثوبـا نظيفا ، وملاءت ابريقا كان معى ، وصعدت أريد المشهد .

فرأيت أربعة فرسان خارجين من بات السور ، وكان حول المشهد قوم من الشـرفـاء يرعـون اغنـامهم فحسبتهم منهم فالتقينا فرأيت شابين أحدهما عبد مخطوط وكل واحد منهم متقلد بسيف وشيخاً منقباً بيده رمح والآخـر متقلد بسيف ، وعليـه فرجيـة ملونـة فوق السيف وهـو متحنـك بعـذبتـه ، فوقف الشيـخ صاحب الـرمـح يمـين الطريق ووضع كعب فى الأرض ، ووقف الشابان عن يسار الطريق ؛ وبقى صاحب الفرجية على الطـريق مقـابـل والـدى ، ثم سلمـوا عليـه فردّ عليهم السلام ، فقال له صاحب الفـرجيـة : أنت غداً تروح إلى أهلك؟ فقـال : نعم ، فقـال له

تقـدم حتى أبصـر ما يوجعك؟ قال: فكرهت ملامستهم وقلت في نفسى أهـل البـاديـة ما يكـادون يحترزون من النجاسة وأنا قد خرجت من الماء وقميصى مبلول، ثم انى بعد ذلك تقدمت إليه فلزمنى بيده ومدنى إليه وجعل يلمس جانبى من كتفى إلى أن أصابت يده التوثة فعصرها بيده، فأوجـعنى ثم استـوى فى سرجـه كما كان فقـال لى الشيـخ: أفلحت ياإسـماعيـل، فعجبت من معـرفته باسمى، فقلت: أفلحنا وأفلحتم إن شاء الله؛ قال: فقـال لى الشيـخ: هذا هو الإمـام، فتقـدمت إليـه فاحتضنته وقبلت فخذه .

ثم أنـه ساق وأنـا أمشى معـه محتضنـة فقـال: ارجع، فقلت: لا أفـارقـك أبـداً، فقـال: المصلحـة رجـوعـك، فأعدت عليه مثل القول الأول؛ فقال الشيخ: ياإسماعيل ما تستحي يقول لك الإمام مرتين ارجع وتخالفه؟ فجبهنى بهذا القول، فوقفت فتقدم خطوات والتفت إلى وقال: إذا وصلت بغداد فلابد أن يطلبك أبو جعفر يعنى الخليفة المستنصر رحمه الله؛ فإذا حضـرت عنـده وأعطـاك شيئـاً فلا تأخـذه وقـل لولدنا الرضى ليكتب لك إلى على بن عوض، فإننى أوصيه يعطيك الذى تريد ثم سار وأصحابه معه، فلم أزل قائماً أبصرهم إلى أن غابوا عنى وحصل عندى أسف لمفـارقتـه فقعـدت إلى الأرض ساعة مشيت إلى المشهد، فاجتمع القـوّام حولى وقـالوا: : نرى وجهك متغير أوجعك شىء؟ قلت قلت لا قالـوا أأخـاصمـك أحـد؟ قلت: لا ليس عنـدى مما تقـولـون خبر لكن أسألكم هل عرفتم الفرسان الذين كانوا عندكم فقالوا: هم من الشرفاء أربـاب الغنم، فقلت: لا، بل هو الإمـام عليـه السلام، فقالوا: الإمام هو الشيخ أو صاحب الفرجية فقلت: هو صاحب الفرجية فقالوا: أريته المـرض الـذى فيك؟ فقلت: هو قبضه بيده واوجعنى؛ ثم كشف رجلى

فلم ار لذلك المرض أثراً فتداخلنى الشك من الدهش، فأخرجت رجلى الأخرى فلم أر شيئا»(٦٩) .

كما حكى ان أبا عطوة كان به أدرة، وكان زيدى المذهب، وكان ينكر على بنيه الميل إلى مذهب الإمامية، ويقول: لا أصدقكم ولا أقول بمذهبكم حتى يجيىء صاحبكم يعنى المهدى، فيبرأنى من هذا المرض، وتكرر هذا القول منه فبينا نحن مجتمعون عند وقت عشاء الآخرة إذا أبونا يصيح ويستغيث بنا؛ فأتيناه سراعاً فقال: ألحقوا صاحبكم فالساعة خرج من عندى، فخرجنا فلم نر أحداً، فعدنا إليه وسألناه فقال: أنه دخل إلى شخص، وقال: ياعطوة فقلت: من أنت؟ فقال: أنا صاحب بنيك قد جئت لابرئك مما بك، ثم مد يده فعصر قروتى ومشى ومددت يدى فلم أر لها أثراً قال لى ولده: وبقى مثل الغزال ليس به قلبه واشتهرت هذه القصة وسألت عنها غير ابنه فاخبر عنها فاقر بها والاخبار عنه عليه السلام فى هذا الباب كثيرة، وأنه رآه جماعة قد انقطعوا فى طرق الحجاز وغيرها فخلصهم، وأوصلهم إلى حيث أرادوا(٧٠) .

فهذا هو غائبهم، وهذه هى الأساطير والقصص التى يحكونها عن غيبته .

الرجعـــة

وأما الرجعة فقال بها الشيعة الاثنا عشرية طبق ما قاله عبد الله بن سبأ بفرق أنه قال فى على رضى الله عنه وهؤلاء قالوا فى معدومهم، والجدير بالذكر أن هذه العقيدة من العقائد التى فشت وانتشرت فى جميع

(٦٩) كشف الغمة للأربلى ج ٣ ص ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، منتهى الآمال للعباس القمى ص ١٢٤٤ .

(٧٠) كشف الغمة للأربلى ج ٣ ص ٢٨٧ .

فرق الشيعة فى مختلف العصور غير الشيعة الأولى كما ذكرناها فى الأبواب السابقة .

ثم لم يكتف الشيعة الاثنا عشرية بالقول إن معدومهم الغائب هو الذى سيرجع ، بل قالوا أكثر من ذلك وهو أنه يرجع ، ويرجع الآخرين من الشيعة وأئمتهم وأعدائهم حسب زعمهم ، وهناك روايات وأكاذيب لا تعد ولا تحصى فى هذا المعنى ، وقد صنف فى هذا الخصوص كتب مستقلة عديدة ، فنختار من الأساطير المضحكة والقصص المبكية أخبارا قليلة لوضع النقاط على الحروف ولتمييز الحقائق عن أن القوم ماذا يقولون وبماذا يعتقدون ، وإلى أى حد ينقمون قوم رسول الله وقبيلته ، أصحابه وأزواجه ، أمته وشريعته التى جاء بها من الله عز وجل ، والقرآن الذى نزل عليه ، والأمر الذى أعطاه متبعيه والمؤمنين به .

عقيدة الشيعة التى توارثوها من اليهودية وعملاء اليهودية عبد الله بن سبأ وطائفته ، وتناقلوها جيلا بعد جيل ، والتى قال عنها كبيرهم وخاتمة محدثيهم الملا باقر المجلسى صاحب (بحار الأنوار) بعد سرد الأخبار الكثيرة عن الرجعة :

اعلم ياأخى أنى لا أظنك ترتاب بعد ما مهدت وأوضحت لك بالقول فى الرجعة التى أجمعت عليها الشيعة فى جميع الأعصار ، واشتهرت بينهم كالشمس فى رابعات النهار . . . وكيف يشك مؤمن بأحقية الأئمة الأطهار فيما تواترت عنهم من مائتى حديث صريح رواها نيف وأربعون من الثقات العظام والعلماء الأعلام فى أزيد من خمسين من مؤلفاتهم[٧١] .

فيروى القوم عن الحسين بن على بن أبى طالب أنه قال :

---

(٧١) بحار الانوار للمجلسى ج ١٣ ص ٢٢٥ الطبعة الأولى .

لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدى فيملأها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما»(٧٢) .

وكذبوا على نبى الله ﷺ أنه قال :

القائم من ولدى اسمه اسمى وكنيته وكنيتى ، وشمائله شمائلى ، وسنته سنتى ، يقيم الناس على ملتى وشريعتى ، يدعوهم إلى كتاب الله ربى ، من أطاعه أطاعنى ، ومن عصاه عصانى ، ومن أنكر غيبته فقد أنكرنى ، ومن كذبه فقد كذبنى ، ومن صدقه فقد صدقنى ، إلى الله أشكو المكذبين لى فى أمره ، والجاحدين لقولى فى شأنه والمضلين لأمتى عن طريقته ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون»(٧٣) .

من يكون المهدى؟

فلقد كذب الشيعة على الحسن بن على رضى الله عنهما أنه لما صالح معاوية دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته ، فقال : ويحكم ما تدرون ما عملت ، والله ، الذى عملت خير لشيعتى مما طلعت عليه الشمس أوغربت ، ألا تعلمون أنى امامكم ومفترض الطاعة عليكم وأحد سيدى شباب أهل الجنة بنص من رسول الله علىّ؟ قالوا : بلى ، قال : أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار كان ذلك سخطاً لموسى إذ خفى عليه وجه الحكمة فى ذلك وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصوابا؟ أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع فى عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذى يصلى روح الله عيسى بن مريم خلفه ، فإن الله عز وجل يخفى ولادته ، ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد فى عنقه بيعة إذا خرج ذلك التاسع من ولد أخي الحسين بن

(٧٢) اعلام الورى للطبرسى ص ٤٢٧ .
(٧٣) ايضا ص ٤٢٥ .

سيدة الإماء، يطيل الله عمره فى غيبته، ثم يظهره بقدرته فى صورة شاب دون اربعين سنة، ذلك ليعلم أن الله على كل شىء قدير»[٧٤].

ومثل ذلك ما رووه عن جعفر أنه قال:

من أقر بجميع الأئمة وجحد المهدى كان كمن أقر بجميع الأنبياء وجحد محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبوته، فقيل له: ياابن رسول الله فمن المهدى من ولدك؟ قال: الخامس ولد السابع يغيب عليكم شخصه ولا يحل لكم تسميته»[٧٥].

منزلته وشأنه

ورووا فى مقامه وشأنه عن على بن الحسين أنه قال:

فى القائم منا سنن من ستة من الأنبياء عليهم السلام: سنة من نوح، وسنة من إبراهيم، وسنة من موسى، وسنة من عيسى، وسنة من أيوب، وسنة من محمد، فأما من نوح فطول العمر، وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس، وأما من موسى فالخوف والغيبة، وأما من عيسى فاختلاف الناس فيه، وأما من أيوب فالفرج بعد البلوى، وأما من محمد فالخروج بالسيف. . . والقائم منا تخفى على الناس ولادته حتى يقولوا: لم يولد بعد ليخرج حين يخرج وليس لأحد فى عنقه بيعة. . . ومن ثبت على موالاتنا فى غيبته أعطاه الله أجر الف شهيد مثل شهداء بدر»[٧٦].

وأيضا كما روى النعمانى فى (غيبته) أنه قال بأن مهديهم يكون مسندا ظهره إلى بيت الحرام ويقول:

(٧٤) اعلام الورى للطبرسى ص ٤٢٧.
(٧٥) اعلام الورى للطبرسى ص ٤٢٩.
(٧٦) اعلام الورى للطبرسى ص ٤٢٧، ٤٢٨.

أنـــا بقيـــة من آدم ، وذخـيرة من نوح ، ومصطفى من إبـراهيم ، وصفوة من محمد»[٧٧] .

ويقـــول :

أنا بقية الله وخليفته وحجته عليكم»[٧٨] .

ويكون جبرئيل بين يديه[٧٩] .

ويقولون :

نظر موسى بن عمران فى السفر الأول إلى ما يعطى قائم آل محمد من التمكين والفضل ، فقال موسى : رب اجعلنى قائم آل محمد ، فقيل له : ان ذاك من ذرية أحمد ، ثم نظر فى السفر الثانى فوجد فيه مثل ذلك . فقال مثله ، فقيل له مثل ذلك ، ثم نظر فى السفر الثالث فرأى مثله ، فقال مثله ، فقيل له مثله[٨٠] .

ومتى يرجـــع؟

فيروى الكلينى فى كافيه عن الأصبغ بن نباتة أنه قال :

أتيت أمـــير المؤمنـــين عليـه السـلام فوجـدتـه متفكـرا ينكت فى الأرض ، فقلت ياأمـــير المؤمنـين مالى أراك متفكـرا تنكت فى الأرض ، أرغبـة منـك فيهـا؟ فقـال : لا والله ما رغبت فيهـا ولا فى الـدنيـا يوما قط ولكنى فكـرت فى مولـود يكـون من ظهـرى ، الحـادى عشـر من ولدى ، هوالمهدى الذى يملأ الأرض عدلا قسطا كما ملئت جورا وظلما ، تكون له غيبـة وحـيرة ، يضـل فيهـا أقـوام ويهتـدى فيهـا آخرون ، فقلت : ياأمير المؤمنين وكم تكون له الحيرة والغيبة؟ قال : ستة أيام أوستة أشهر أوست

(٧٧) كتاب الغيبة للنعمانى ، ايضا بحار الانوار للمجلسى ج ١٣ ص ١٧٩ .
(٧٨) الفصول المهمة ص ٣٢٢ .
(٧٩) كتاب الغيبة للطوسى ص ٢٧٤ .
(٨٠) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٤٠ .

سنين، فقلت: وان هذا لكائن؟ فقال: نعم كما أنه مخلوق وأنى لك بهذا الأمر ياأصبغ أولئك خيار هذه الأمة مع خيار أبرار هذه العترة»(٨١).

وروى أيضا عن أبى جعفر الباقر أنه قال:

ياثابت ان الله تعالى قد كان وقت هذا الأمر فى سبعين، فلما أن قتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض، فأخره إلى أربعين ومائة، فحدثناكم فأذعتم الحديث فكشفتم قناع الستر ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتا عندنا ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب»(٨٢).

وروى ابنه جعفر أنه قال:

وقد كان لهذا الأمر وقت كان فى سنة اربعين ومائة فحدثتم به وأذعتموه فأخره الله عز وجل»(٨٣).

ورووا عن أبى جعفر أنه قال:

ليس بين القائم عليه السلام وقتل النفس الزكية أكثر من خمس عشرة ليلة»(٨٤).

وذكر أيضا رواية عن ابنه جعفر أنه قال:

إذا هدم حائط مسجد الكوفة مما يلى دار ابن مسعود فعند ذلك زوال ملك القوم وعند زواله خروج القائم»(٨٥).

والمعروف أن النفس الزكية قتل ومضى على قتله آلاف الليالى، كما هدم حائط مسجد الكوفة وقد مضى على هدمه مئات السنين ولكن لم يكن لموهوم أن يخرج.

---

(٨١) الاصول من الكافى، كتاب الحجة ج ١ ص ٣٣٨.
(٨٢) الاصول من الكافى ج ١ ص ٣٦٨.
(٨٣) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٩٢ ط طهران.
(٨٤) الارشاد المفيد ص ٢٦٠.
(٨٥) أيضا.

ورووا عن إسحاق بن عمار أنه قال :

قال لى أبـو عبـد الله عليه السلام : ياأبا إسحاق إن هذا الأمر قد أخر مرتين»(٨٦) .

وهكـذا كان الشيعـة يعلّلون بالأمـانى بخـروج قائمهم ورجـوع مهديهم كما أقر بذلك إمامهم السابع موسى بن جعفر. كما رواه الكلينى فى (كـافيـه) والنعـمانى(٨٧) فى (غيبته) كى لايرجع الشيعة عن تشيعهم، فهذا هو النص :

عن يقطين أنه قال لابنه على بن يقطين :

ما بالنـا قيـل لنـا فكـان، وقيـل لكم فلم يكن - يعنى أمـر بنى العباس -؟ فقال له على : ان الذى قيل لكم ولنا كان من مخرج واحد، غير أن أمركم حضر (وقته) فأعطيتم محضه فكان كما قيل لكم، وإن أمرنا لم يحضـر فعللنـا بالأمـانى، فلو قيـل لنـا : إن هذا الأمر لا يكون إلا إلى مائتى سنـة أوثلاثـمائـة سنـة لقست القلوب ولـرجـع عامـة النـاس عن الإسلام، ولكن قالوا : ما أسرعه وما أقربه، تألفا لقلوب الناس وتقريبا للفرج»(٨٨) .

ولقـد نقـل الجزائرى عن المجلسى أنه كان يرى وقت خروجه أيام الدولة الصفوية مستدلا من الأحاديث الثلاثة، فهذه هى عبارته :

اعلم أنه قد وردت أخبار مجملة وقد نقلها الأصحاب على إجمالها

(٨٦) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٩٤، ٢٩٥.

(٨٧) «هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن جعفر الكاتب النعمانى، وكان من كبار محدثى الامامية فى أوائـل القـرن الـرابـع، وانه من تلامذة ثقة الاسلام محمد بن اسحاق بن يعقوب الكلينى، كان مؤلفا جيـد النظـر، حسن الاستنبـاط وافر السهم فى معرفة الرجال وأحاديثهم، ومن أهم مؤلفاته كتاب الغيبة، قال فيه النجاشى :

النعـمانى شيـخ من أصحـابنـا، عظيم القـدر، شريف المنـزلـة، صحيح العقيدة، كثير الحديث» (مقدمة كتاب الغيبة ص ١١، ١٢).

(٨٨) الكافى للكلينى كتاب الحجة، باب كراهية التوقيت ج ١ ص ٣٦٩، كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٩٥، ٢٩٦ - واللفظ له.

ولم يتعرضوا لبيان معناها وذلك أنها أخبار متشابهة يجب علينا الاذعان لها من باب التسليم؛ ولما انتهت النوبة إلى شيخنا المحقق رئيس المحدثين وخاتمة المجتهدين المولى المجلسى صاحب كتاب بحار الأنوار أدام الله أيام إفاداته؛ وأجزل فى الاخرة مثوباته وسعادته، توجه إلى إيضاحها وتفسيرها، وطبق بعضها على وقت تعيين ظهور الدولة الصفوية أعلى الله منار بنيانها، وشيد رفيع أركانها، وطبق البعض الآخر على تعيين وقت ظهور مولانا صاحب الزمان عليه ألف سلام فلننقل تلك الأخبار على وجهها ثم نذكر ما أفاده سلمه الله تعالى من البيان والإيضاح .

الحديث الأول : ما رواه الشيخ الأجل المحدث محمد بن إبراهيم النعمانى فى كتاب الغيبة بسنده إلى أبى خالد الكابلى عن الباقر عليه السلام أنه قال كأنى بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم، فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يقوموا ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم قتلاهم شهداء؛ قال أدام الله أيامه أنه لا يخفى على أهل البصائر أنه لم يخرج من المشرق سوى أرباب السلسلة الصفوية وهو الشاه إسمعيل أعلى الله مقامه فى دار المقامة؛ وقوله عليه السلام لا يدفعونها الا إلى صاحبكم : المراد به القائم عليه السلام، فيكون فى هذا الحديث إشارة إلى اتصال دولة الصفوية بدولة المهدى عليه السلام؛ فهم الذين يسلمون الملك له عند نزوله بلا نزاع وجدال .

الحديث الثانى : ما رواه النعمانى أيضا فى ذلك الكتاب باسناد معتبر إلى الصادق عليه السلام قال بينا أمير المؤمنين عليه السلام يحدث فى الوقائع التى تجرى بعده إلى ظهور المهدى عليه السلام فقال له الحسين عليه السلام : ياأمير المؤمنين فى أى وقت يطهر الله الأرض من

الظالمين؟ فقال عليه السلام : لا يكون هذا حتى تراق دماء كثيرة على الأرض بلا حق ، ثم إنه عليه السلام فصل أحوال بنى أمية وبنى العباس فى حديث طويل اختصره الراوى ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام إذا قام القائم بخراسان وغلب على أرض كوفان وملطان ، وتعدى جزيرة بنى كاوان وقام منها قائم بجيلان ، وأجابته الأبروالديلم ، وظهرت لولدى رايات الترك متفرقات فى الاقطار والحرمات ، وكانوا بين هنات وهنات إذا خربت البصرة وقام أمير الأمرة ؛ فحكى عليه السلام حكاية طويلة ثم قال إذا جهزت الألوف وصفت الصفوف ، وقتل الكبش الخروف هناك يقوم الآخر ويثور الثائر ويهلك الكافر؛ ثم يقوم القائم المأمول والإمام المجهول له الشرف والفضل ، وهو من ولدك ياحسين لا ابن مثله ، يظهر بين الركنين فى ذر يسير يظهر على الثقلين ولا يترك فى الأرض الادنين ؛ طوبى لمن أدرك زمانه ولحق أوانه وشهد أيامه .

قال ضاعف الله أيام سعادته : جزيرة بنى كاوان جزيرة حول البصرة ، وأهل الأبر جماعة فى قرب استر آباد ، والديلم هم أهل قزوين وماوالاها ؛ والحرمات الأمكنة الشريفة ، قوله هنات وهنات أى حروب عظيمة ووقايع كثيرة فى وقت خراب البصرة ؛ والمراد بالقائم المأمول هو المهدى عليه السلام ، والمراد بالركنين ركنا الكعبة وهو الركن والحطيم الذى هو محل خروجه عليه السلام ، وقوله ذر يسير المراد به الجماعة القليلة وهم عدد شهداء بدر، وقوله يظهر على الثقلين يعنى به انه عليه السلام يغلب على الجن والإنس سميا به لأنهما يثقلان الأرض بالاستقرار فوقها ؛ أو لأنهما أشرف المخلوقات السفلية والعرب تسمى الشريف ثقلا لحلمه ورزانته ، وقيل إنما سميا به لأنهما قد ثقلا بالتكاليف فهما ثقلان بمعنى مثقلان ؛ وقوله الادنين جمع أدنى وهم أرذال الناس وأدناهم والمراد بهم

الظالمون الكافرون، ثم قال سلمه الله تعالى : الظاهر ان المراد بأهل الخروج من خراسان هم أمراء الترك مثل جنكيز خان وهلا كوخان، والمراد بالخارج من جيلان هو الشاه المؤيد الشاه إسمعيل، ومن ثم أضافه عليه السلام إلى نفسه وسماه ولده، والمراد بأمير الأمرة اما ذلك السلطان المذكور أو غيره من السلاطين الصفوية؛ وقوله وقتل الكبش الخروف الظاهر انه إشارة إلى المرحوم صفى ميرزا فان أباه وهو المرحوم الشاه عباس الأول قد قتله، وقوله يقوم الأخر المراد به المرحوم الشاه صفى فإنه أخذ دمه، وأول من قتله هو الذى باشر قتل أبيه صفى ميرزا؛ وقوله عليه السلام ثم يقوم القائم المأمول إشارة أيضا إلى اتصال الدولة الصفوية بالدولة المهدوية على صاحبها السلام .

الحديث الثالث : رواه الشيخ الأجل محمد بن مسعود العياشى وهو من ثقات المحدثين فى كتاب التفسير عن أبى لبيد المخزومى عن الباقر عليه السلام بعدما ذكر ملك شقاوة بنى العباس قال: ياأبا لبيد! ان حروف القرآن المقطعة لعلما جما، إن الله تعالى أنزل الم ذلك الكتاب، فقام محمد صلى الله عليه وآله حتى ظهر نوره وثبتت كلمته وولد يوم ولد؛ وقد مضى من الألف السابع مأة سنة وثلث سنين؛ ثم قال وتبيانه فى كتاب الله فى الحروف المقطعة إذا عددتها من غير تكرار، وليس من الحروف المقطعة حرف ينقضى الا وقيام قائم من بنى هاشم عند إنقضائه، ثم قال الألف واحد، واللام ثلثون، والميم اربعون، والصاد تسعون فذلك مأة وواحد وستون؛ ثم كان بدو خروج الحسين بن على عليه السلام الم الله، فلما بلغت مدته قام قائم ولد العباس عند المص؛ ويقوم قائمنا عند إنقضائها بالر؛ فافهم ذلك وعه واكتمه .

قال ذلك المحقق أيده الله تعالى : قوله عليه السلام من الألف

السابع المراد به من إبتداء خلق أبينا آدم عليه السلام ، ثم قال أيده الله تعالى : إن هذا الحديث فى غاية الاشكال ؛ وقد ذكرنا له وجوهاً فى كتاب بحار الأنوار ولنذكر هنا وجها واحداً ولكنه مبنى على تمهيد مقدمة : وهى أن المعلوم من كتب الحساب المعتبرة أن حساب أبجد له إصطلاحات مختلفة ، ومناط حساب هذا الحديث على إصطلاح أهل المغرب ، وقد كان شائعا بين العرب فى الأعصار السابقة ، وهو هذا صعفض قرست ثخذ ظغش ، فالصاد عندهم ستون ، والضاد تسعون ، والسين ثلثمأة والظاء ثمانمأة والغين تسعمأة ، والشين ألف وباقى الحروف على موافقة المشهور .

إذا عرفت هذه المقدمة فاعلم أن تاريخ ولادة نبينا صلى الله عليه وآله يظهر من جميع فواتح السور ولكن باسقاط الحروف المكررة مثلا الم والروحم وغيرها من المكررات لا يؤخذ منه بالحساب إلا واحد ؛ وكذلك الحروف المبسوطة مثل ألف را لا يحسب منه الا ثلثة وكذا لام راو نحو ذلك وحينئذ فألف لام ميم ألف لام ميم صاد ألف لام را ألف لام ميم را كاف ها ياعين صاد طا ها طا سين ياسين صاد حا ميم حا ميم عين سين قاف قاف نون ، إذا عددت حروفها تكون مأة وثلثاً من وقت خلق أبينا آدم عليه السلام إلى وقت ولادة النبى صلى الله عليه وآله يكون على وفق هذا الحديث ستة الآف سنة ومأة وثلثون (ثلث سنين ظ) والأول من كل ألف سنة تاريخ ، وأول كل سابع من آلاف مأة وثلاث سنين يكون قد مضت ؛ وعدد هذه الحروف أيضا يكون مأة وثلاثة على ما عرفت ، فيكون الم الذى فى أول سورة البقرة إشارة إلى مبعث نبينا صلى الله عليه وآله ، وقوله عليه السلام وليس حرف ينقضى الا وقيام قائم من بنى هاشم عند إنقضائه واضح على هذا ؛ وذلك أول دولة بنى هاشم

ابتـداؤ هـا من عبـد المطلب ومن ظهـور دولة عبد المطلب إلى ظهور دولة نبينا صلى الله عليه وآله إحدى وسبعين سنة تقريباً عدد الم بحساب أبجد على ترتيب القـرآن بعـد الم البقـرة والم آل عمران ، وهو إشارة إلى خروج الحسين عليه السلام فانه من إبتداء رواج دولة النبى صلى الله عليه وآله إلى وقت خروج الحسين عليه السلام إحدى وسبعون سنة تقريباً ، وأيضا بحسب ترتيب سور القـرآن المص وهـو إشـارة إلى خروج بنى العبـاس فانهم من بنى هاشم أيضا وإن كانوا غير محقين فى أمر الخروج وبحساب أبجد على طريق المغاربة مأة وواحد وثلاثون ، ومن أول بعثة النبى صلى الله عليـه وآلـه إلى وقت ظهـور دولتهم مأة وواحـد وثلثـون وإن كان إلى زمان بيعتهم أكثر .

ويحتمـــل أن يكـــون إبتـــداء هذا التـاريـخ من وقت نزول سورة الأعـراف فيكـون مطـابقا لوقت بيعتهم وعلى حساب المص على طريق المغـاربـة يبنى الحـديث المروى فى كتاب معانى الأخبار وسنذكره إن شاء الله تعـالى ، وأمـا كون قيـام القـائم عليـه السـلام مبنيا على حساب الر فالذى يخطر بخاطرى ان الر قد وقع فى القرآن فى خمسة مواضع وينبغى ان يحسب بقـرينـة أنـه عليـه السـلام لم يتعـرض لبيـانه كما تعرض لبيان الم ومجمـــوعـه ألف ومأة وخمس وخمســون سنـة تقـريبـاً من سنـة تحريـر هذه الرسالة ، وهو سنة ألف وثمان وسبعون من الهجرة فيكون قد بقى من وقت خروجـه عليـه السلام (سبعة وسبعون ظ) خمس وستون سنة لما كان مبدأ هذه التواريخ من أوائل البعثة ؛ هذا محصل كلامه سلمه الله تعالى»(٨٩)

وقد مضى خمس وستون سنة وسبع وسبعون سنة وأكثر على ذلك

(٨٩) الأنوار النعمانية لنعمت الله الجزائرى ص ٧٦ الى ٨٠.

الوقت ولم يأن لقائمهم أن يرجع، وليس لمعدوم أن يوجد .

وما أحسن ما قاله القائل :

ما آن للسرداب أن يلد الذى صيرتموه بزعمكم إنسانا
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثلثتم العنقاء والغيلانا

كيف يرجع وأين يرجع؟

فيعتقد القوم أن جعفراً قال :

ينادى باسم القائم فى يوم ستة وعشرين من شهر رمضان، ويقوم فى يوم عاشوراء، وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين بن على (ع) لكأنى به يوم السبت العاشر من المحرم قائما بين الركن والمقام، جبرئيل بين يديه ينادى بالبيعة له فتسير شيعته من أطراف الأرض تطوى لهم طيا حتى يبايعوه، فيملأ الله به الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما»[٩٠] .

ثم بينوا كيف يجتمع الشيعة للقائم فقالوا :

إذا أذن الإمام، دعا الله باسمه العبرانى[٩١] فاتيحت (فانتخب) له صحابته الثلاثمائة والثلاثة عشر، قزع كقزع الخريف . فهم أصحاب الالوية . منهم من يفقد عن فراشه ليلا فيصبح بمكة . ومنهم من يرى يسير فى السحاب نهارا يعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبته . قلت : جعلت فداك أيهم أعظم إيماناً؟ قال : الذى يسير فى السحاب نهارا . . . وهم المفقودون، وفيهم نزلت هذه الآية : ﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا﴾[٩٢] .

ويروى الطوسى شيخ الطائفة :

ينادى منادى من السماء باسم القائم، فيسمع من بين الشرق

(٩٠) اعلام الورى للطبرسى ص ٤٥٩، ومثله فى الارشاد للمفيد ص ٣٦١، ٣٦٢ .
(٩١) ألا يدل هذه اللفظة على معنى متوارث عن القوم الذين يتكلمون بالعبرانية .
(٩٢) الغيبة للنعمانى ص ١٦٩ نقلا عن كتاب تاريخ ما بعد الظهور ص ٣٧٢، ٣٧٣ .

والغرب فلا يبقى راقد الا استيقظ ولا قائم إلا قعد ولا قاعد إلا قام على رجليه فزعا من ذلك الصوت، وهو صوت جبرئيل الروح الأمين»(٩٣).

وزاد النعماني :

فلا يبقى شيء من خلق الله فيه إلا سمع الصيحة، فتوقظ النائم ويخرج إلى صحن داره، وتخرج الأذراع من خدرها، ويخرج القائم مما يسمع وهي صيحة جبرئيل»(٩٤).

وقد رووا عن المفضل بن عمر أنه قال : قلت لجعفر بن الباقر :

ففي أي بقعة يظهر المهدي؟ قال لا تراه عين وقتٍ ظهوره إلا رأته كل عين وذلك أنه يغيب آخر يوم من سنة ست وستين ومأتين ولا تراه عين أحد حتى يراه كل أحد، ثم يظهر بمكة ووالله يامفضل كأني أنظر إليه داخل مكة وعليه بردة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى رأسه عمامته وفي رجليه نعل رسول الله المخصوفة، وفي يده عصا النبي صلى الله عليه وآله يسوق بين يديه أعنزاً عجافاً حتى يصل بها نحو البيت حتى لا يعرفه أحد قال المفضل: ياسيدي كيف يظهر؟ قال: يظهر وحده ويأتي البيت وحده إلى الكعبة ويجن عليه الليل، وإذا نامت العيون وغسق الليل نزل إليه جبرئيل وميكائيل والملئكة صفوفا، فقول له جبرئيل ياسيدي قولك مقبول وأمرك جار، فيمسح يده على وجهه ويقول الحمد الله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين، ويقف بين الركن والمقام ويصرخ صرخة يامعشر نقبائي وأهل خاصتي ومن خلقهم الله لظهوري على وجه الأرض إيتوني طائعين، فترد صيحته عليهم وهم على تجايرهم وعلى فرشهم في شرق الأرض وغربها، فيسمعونه في صيحة واحدة في أذن كل رجل فيجيئون نحوه ولا

(٩٣) الغيبة للنعماني ص ٢٥٤.

(٩٤) كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٧٤.

يمضى لهم الا كلمحة بصر حتى يكونوا كلهم بين يديه بين الركن والمقام، فيأمر الله عز وجل بنور فيصير عمودا من الأرض إلى السماء يستضيء به كل مؤمن على وجه الأرض، ويدخل عليه نور فى جوف بيته فتفرح نفوس المؤمنين بذلك وهم لا يعلمون بظهور قائمنا، ثم يصبحون وقوفا بين يديه وهم ثلثمأة وثلثة عشر رجلا بعدة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر»(٩٥) .

ويقول وهو مسند ظهره إلى الكعبة :

يامعشر الخلائق ألا من أراد أن ينظر إلى آدم وشيث فهاأنا ذا آدم وشيث، ألا من أراد أن ينظر إلى إبراهيم وولده إسماعيل فهاأنا ذا إبراهيم وإسماعيل، ألا من أراد أن ينظر إلى عيسى وشمعون فهاأنا ذا عيسى وشمعون، ألا من أراد أن ينظر إلى محمد وأمير المؤمنين فهاأنا ذا محمد وأمير المؤمنين، ومن أراد أن ينظر إلى الحسن والحسين فهاأنا ذا الحسن والحسين ألا من أراد أن ينظر إلى الأئمة من ولد الحسين فهاأنا ذا الأئمة، أجيبوا مسألتى فإنى أنبئكم بما نبئتم به أولم تنبأوا به، ومن كان يقرأ الكتب والصحف فليسمع منى، ثم يبتدىء بالصحف التى أنزلها الله لآدم وشيث، فتقول أمة آدم وشيث: هذه والله الصحف حقا، ولقد رأينا مالم نعلمه فيها وما كان أسقط منها وبدل وحرف، ثم يقرأ صحف نوح وصحف إبراهيم حقا، ثم يقرأ التوراة والإنجيل والزبور، فيقول أهل التوراة والإنجيل والزبور: هذه والله التوراة الجامعة والإنجيل الكامل، وإنها أضعاف ما ترى فيها، ثم يتلو القرآن فيقول المسلمون: هذا والله القرآن وما حرف وما بدل»(٩٦) .

ويكون فى صورة شاب مؤنق ابن اثنتين وثلاثين سنة كما كذبوا عن

---

(٩٥) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٨٢.
(٩٦) الأنوار النعمانية ص ٨٣، ٨٤.

جعفر أنه قال :

لو قد قام القائم لأنكره الناس لأنه يرجع إليهم شابا مؤنقا لا يثبت عليه الا من قد أخذه الله ميثاقه فى الذر الأول ـ وفى رواية : القائم يعمر عمر الخليل عشرين ومائة سنة يدرى به ، ثم يغيب غيبة فى الدهر ويظهر فى صورة شاب مؤنق ابن اثنتين وثلاثين سنة»(٩٧) .

فيبايعه أول من يبايعه جبرئيل كما روى الطبرسى وغيره .

إن جبرئيل يأتيه ويسأله ويقوله :

إلى أى شىء تدعو؟ فيخبره القائم ، فيقول جبرئيل : فأنا أول من يبايع ، ثم يقول له : مد كفك ، فيمسح يده على يده»(٩٨) .

وذكر البحرانى : أن جبرئيل ينزل على الميزاب فى صورة طائر أبيض حتى يكون أول من خلق الله جبرئيل(٩٩) .

وهذا مع قولهم :

أتى جبرئيل (ع) إلى رسول الله (ص) يعوده . فقال : السلام عليك يامحمد هذا آخر يوم أهبط فيه إلى الدنيا . وعن عطاء بن يسار أن رسول الله (ص) لما حضر أتاه جبرئيل فقال : يامحمد الآن أصعد إلى السماء ، ولا أنزل إلى الأرض أبدا . وعن أبى جعفر (ع) قال : لما حضرت النبى الوفاة . . . إلى أن قال : فعند ذلك قال جبرئيل : يامحمد ، هذا آخر هبوطى إلى الدنيا ، إنما كنت أنت حاجتى فيها(١٠٠) .

ولا جبرئيل وحده ، بل الملائكة الآخرون أيضا كما روى الجزائرى عن جعفر أنه قال :

إن القائم يسنده ظهره إلى الحرم ويمد يده فترى بيضاء من غير سوء ،

(٩٧) كتاب الغيبة للطوسى ص ١٨٩ .

(٩٨) اعلام الورى للطبرسى ص ٤٦٠ ـ ٤٦١ ، الارشاد للمفيد ص ٣٦٤ ، روضة الواعظين ج ٢ ص ٢٦٥ ، اكمال الدين لابن بابويه القمى وغيره .

(٩٩) تفسير البرهان ج ٢ ص ٨٢ .

(١٠٠) كشف الغمة للأربلى ج ١ ص ١٩ نقلا عن كتاب تاريخ ما بعد الظهور ص ٣٥٢ .

فيقول: هذه يد الله . . . فيكون أول من يقبل يده جبرئيل، ثم يبايعه الملائكة، ثم نجباء الجن، ثم نقباء المؤمنين»[(١٠١)] .

ويؤيد هذا ما ذكره المفيد والطبرسى وابن الفتال والبحرانى والنعمانى وغيرهم كذبا على محمد الباقر أنه قال :

كأنى بالقائم على نجف الكوفة قد سار إليها من مكة فى خمسة آلاف من الملائكة، جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله، والمؤمنون بين يديه وهو يفرق الجنود فى البلاد»[(١٠٢)] .

ولا خمسة آلاف فقط، بل ينحط عليه ثلاثة عشر ألف ملك وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكا. قلت: كل هؤلاء الملائكة؟ قال: نعم، الذين كانوا مع نوح فى السفينة، والذين كانوا مع إبراهيم حين أُلقى فى النار، والذين كانوا مع موسى حين فلق البحر لبنى إسرائيل، والذين كانوا مع عيسى حين رفعه الله إليه. وأربعة آلاف ملك كانوا مع النبى صلى الله عليه وآله مسومين، وألف مردفين، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملائكة بدريين. وأربعة آلاف هبطوا يريدون القتال مع الحسين (ع) فلم يؤذن لهم فى القتال. . . وكل هؤلاء فى الأرض ينتظرون قيام القائم عليه السلام إلى وقت خروجه عليه صلوات الله والسلام»[(١٠٣)] .

وأورد مثل ذلك النعمانى فى كتاب (الغيبة)[(١٠٤)] .

وزاد على ذلك أن الذى يحمل رأيته يوم ذاك يكون جبرائيل، ويكون عمودها من عمد عرش الله تعالى»[(١٠٥)] .

---

(١٠١) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٨٣.

(١٠٢) الارشاد للمفيد ص ٣٦٢، اعلام الورى للطبرسى ص ٤٦٠، روضة الواعظين للفتال ص ٢٦٤، البرهان للبحرانى ج ٢ ص ٨٢، كتاب الغيبة للنعمانى ص ٣٣٤.

(١٠٣) كامل الزيارات لابن قولويه ص ١٢٠ .

(١٠٤) ص ٣٠٩، ٣١٠.

(١٠٥) انظر كتاب الغيبة للنعمانى ص ٣٠٩.

«وأن أربعة الآلاف الذين هبطوا يريدون القتال مع الحسين فلم يؤذن لهم بقوا عند قبره شعثاً غبراً إلى يوم القيامة ورئيسهم ملك يقال له منصور، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه، ولا يودعه مودع إلا شيعوه، ولا مريض إلا عادوه، ولا يموت ميت إلا صلوا عليه»(١٠٦) .

وماذا يعمل بعد رجعته؟

ومن أكاذيب الشيعة الشنيعة والكره الذى توارثوه عن اليهودية والمجوسية الذين دمرت شوكتهم، وقضى على سلطانهم وملكهم من قبل مسلمى العرب وعلى أيدى قادتهم من قريش، ومن شدة نقمتهم وحقدهم قالوا :

ان القائم يبدأ أول ما يبدأ بقتل قريش وصلبهم، الأحياء منهم والأموات، ويضع فى العرب السيف، فقالوا :

عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال :

لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه مما يقتل من الناس، أما أنه لايبدأ إلا بقريش فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس : هذا ليس من آل محمد ولو كان من آل محمد لرحم»(١٠٧) .

وروى المفيد والطبرسى عن جعفر أنه قال :

إذا قام القائم من آل محمد أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثم خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات، قلت : ويبلغ عدد هؤلاء هذا؟ قال : نعم منهم ومن مواليهم»(١٠٨) .

(١٠٦) ايضا ص ٣١١ .

(١٠٧) ايضا ص ٢٣٣ .

(١٠٨) الارشاد للمفيد ص ٣٦٤، اعلام الورى للطبرسى ص ٤٦١، ومثله فى كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٣٥ .

وأيضا أنه سيف قاطع بين العرب، وعلى العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف، ولا يستتيب أحدا[١٠٩].

ومثل ذلك ما رووه عن جعفر أيضا أنه قال:

إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين قريش إلا السيف، ما يأخذ منها إلا السيف، وما يستعجلون بخروج القائم؟ . . . وما هو إلا السيف، والموت تحت ظل السيف»[١١٠].

فانظر الحقد والوتر على العرب عامة وعلى قريش خاصة، وهل هناك شك بعد ذلك فى يهودية القوم ومجوسيتهم، أو تأسيس اليهودية وتكوين العنصر الايرانى عقائدهم ومعتقداتهم.

وأخرج المجلسى فى (البحار) عن جعفر أنه قال:

إن القائم يسير فى العرب فى الجفر الأحمر قال (أى الراوى، وهو رفيد مولى ابن هبيرة) قلت: جعلت فداك وما فى الجفر الأحمر؟ قال: فأمرّ اصبعه على حلقه قال: هكذا، يعنى الذبح»[١١١].

وروى أيضا عنه أنه قال:

إنه يخرج موتوراً غضباً أسفا . . . يجرد السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل هوجاء. فأول ما يبدأ ببنى شيبة فيقطع أيديهم ويعلقها فى الكعبة وينادى مناديه: هؤلاء سراق الله، ثم يتناول قريشا فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف»[١١٢].

يحيى الأموات ويقتل أصحاب النبى

ولا يكتفى بقتل الأحياء منهم، ولا يروى عطشه دم هذا القدر من

(١٠٩) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٣٥.
(١١٠) كتاب الغيبة للطوسى ص ٢٣٣، ٢٣٤.
(١١١) بحار الأنوار للمجلسى ج ١٣ ص ١٨١.
(١١٢) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٣٠٨.

الناس، بل يبدأ بالأموات ـ حسب أساطيرهم وأباطيلهم ـ فيحييهم ثم يقتلهم كما ذكروا أنه فى عصره يحيى يزيد بن معاوية وأصحابه فيقتلون حذو القذة بالقذة(١١٣).

وليس هذا فحسب، بل جازفوا فى القول حتى قالوا:

لو قام قائمنا رد بالحميراء (أى أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق رضى الله عنهما) حتى يجلدها الحد وينتقم لابنة محمد صلى الله عليه وآله»(١١٤).

وأكثر من ذلك بلغوا فى اللؤم والخبث والحقد لحاملى رايات الإسلام ومعلنى كلمته ومبلغى رسالته ومدمرى حضارة اليهودية وشوكة المجوسية، إلى حد لم يتصوره العقل ولم ترض بها الإنسانية، فقالوا:

إن القائم قال: ألا أنبئك بالخبر. أنه إذا فقد الصبى وتحرك المغربى وسار العمانى وبويع السفيانى يأذن الله لى فأخرج بين الصفا والمروة فى الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سواء، فأجىء إلى الكوفة وأهدم مسجدها وأبنيه على بنائه الأول، وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة وأحج بالناس حجة الإسلام، وأجىء إلى يثرب وأهدم الحجرة واخرج من بها وهما طريان فآمر بهما تجاه البقيع وآمر بالخشبتين يصلبان عليهما فتورق من تحتها فيفتتن الناس بهما أشد من الفتنة الأولى، فينادى مناد من السماء: أبيدى، وياأرض خذي، فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض إلا مؤمن قد خلص قلبه الإيمان. قلت: ياسيدى ما يكون بعد ذلك؟ قال: الكرة الكرة الرجعة»(١١٥).

---

(١١٣) انظر بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢١٩، تفسير العياشى ج ٢ ص ٢٨٢، البرهان ج ٢ ص ٤٠٨، الصافى ج ١ ص ٩٥٩.

(١١٤) تفسير الصافى ص ٣٥٩ مجلد كبير.

(١١٥) البرهان فى تفسير القرآن ج ٢ ص ٤٠٧.

وذكـر هذا الجزائرى بالتفصيل والصراحة حيث قال : ان المفضل بن عمر روى عن جعفر أنه قال :

ان بقـاع الأرض تفـاخـرت ففخـرت الكعبـة على بقعـة كربلا ؛ فأوحى الله عز وجل إليها أن أسكتى ياكعبة ولا تفخرى على كربلا فإنها البقعة المباركة التى قال فيها لموسى عليه السلام انى أنا الله ، وهى موضع المسيـح وأمـه وقت ولادتـه ؛ وانها الدالية التى غسل بها رأس الحسين بن على عليهـما السـلام ؛ وهى التى عرج منهـا محمـد صلى الله عليه وآله ؛ وقـال له المفضـل ياسيدى يسير المهدى إلى أين؟ ، قال إلى مدينة جدى رســول الله صلى الله عليــه وآلــه وسلم فإذا وردهـا كان له فيهـا مقـام عجيب ، يظهـر فيـه سرور المؤمنـين وخـزى الكـافـرين ، فقـال المفضل ياسيدى ما هو ذاك؟ قال يرد إلى قبر جده فيقول يامعشر الخلائق هذا قبر جدى ، فيقولون نعم يامهدى آل محمد ؛ فيقول ومن معه فى القبر فيقولون صاحبـاه (مصـاحبـاه خ) وضجيعاه أبوبكر وعمر فيقول عليه السلام وهو اعلم الخلق من أبـوبكـر وعمر وكيف دفنا من بين الخلق مع جدى رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم وعسى أن يكـون المـدفون غيرهما فيقول الناس يامهدى آل محمد ما هيهنا غيرهما وانهما دفنا معه لأنهما خليفتاه وآباء زوجتيه فيقول هل يعرفهما أحد فيقولون نعم نحن نعرفهم بالوصف ، ثم يقول هل يشك أحد فى دفنهما هنا؟ فيقولون لا ، فيأمر بعد ثلاثة أيام ويحفر قبرهما ويخـرجهـما ، فيخـرجـان طريـين كصورتهما فى الدنيا فيكشف عنهما أكفـانهـما ويأمـر برفعهما على دوحة يابسة نحزة فيصلبهما عليها ، فتتحرك الشجـرة وتـورق وتـرفع ويطول فرعها ، فيقول المرتابون من أهل ولايتهما هذه والله الشـرف حقـا ولقد فزنا بمحبتهما وولايتهما ؛ فينشر خبرهما فكل من بقلبـه حبـة خردل من محبتهـما يحضـر المـدينة فيفتتنون بهما فينادى مناد

المهدى عليه السلام هذان مصاحبا رسول الله صلى الله عليه وآله فمن أحبهما فليكن فى معزل ومن أبغضهما يكن فى معزل فيتجزء الخلق جزئين، موال ومعاد؛ فيعرض على أوليائهما البراءة منهما، فيقولون يامهدى ما كنا نبرأ منهما وما كنا نعلم ان لهما عند الله هذه الفضيلة فكيف نبرأ منهما وقد رأينا منهما ما رأينا فى هذا الوقت من نضارتهما وغضاضتهما وحياة الشجرة بهما؛ بلى والله نبرأ منك وممن آمن بك وممن لا يؤمن بهما وممن صلبهما وأخرجهما وفعل ما فعل بهما، فيأمر المهدى عليه السلام ريحاً فتجعلهم كاعجاز نخل خاوية ثم يأمر بانزالهما فينزلان فيحييهما باذن الله ويأمر الخلائق بالاجتماع، ثم يقص عليهم قصص فعالهم فى كل كور ودور حتى يقص عليهم قتل هابيل بن آدم وجمع النار لإبراهيم وطرح يوسف فى الجب وحبس يونس فى بطن الحوت، وقتل يحيى وصلب عيسى وعذاب جرجيس ودانيال، وضرب سلمان الفارسى وإشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسين عليهما السلام وإرادة إحراقهم بها، وضرب الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء بسوط ورفس بطنها وإسقاطها محسنا، وسم الحسن وقتل الحسين عليه السلام وذبح أطفاله وبنى عمه وسبى ذرارى رسول الله صلى الله عليه وآله وإراقة دماء آل محمد، وكل دم مؤمن وكل فرج نكح حراما وكل رباء أكل وكل خبث وفاحشة وظلم منذ عهد آدم إلى قيام قائمنا؛ كل ذلك يعدده عليهما ويلزمهما اياه ويعترفان به؛ ثم يأمر بهما فيقتص منهما فى ذلك الوقت مظالم من حضر ثم يصلبهما على الشجرة ويأمر ناراً تخرج من الأرض تحرقهما والشجرة ثم يأمر ريحا فتنسفهما فى اليم نسفا .

قال المفضل ياسيدى هذا آخر عذابهما؟ قال هيهات يامفضل والله ليردن وليحضرن السيد الأكبر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

والصديق الأعظم أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام وكل من محض الإيمان محضا وكل من محض الكفر محضا وليقتصن منهما بجميع المظالم ثم يأمر بهما فيقتلان فى كل يوم وليلة ألف قتلة ويردان إلى أشد العذاب»(١١٦) .

ظلمه وقسوته

ومن قسوته أنهم ينقلون عنه عن جعفر أنه قال :

بينا رجل على رأس القائم يأمره وينهاه إذ قال : أديروه ، فيديرونه إلى قدامه ، فيأمر بضرب عنقه ، فلا يبقى فى الخافقين شىء إلا خافه»(١١٧) .

أنه يقتل المولّى ويجهز على الجريح(١١٨) .

وذكروا فى رواية :

بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله رحمة ، وبعث القائم نقمة»(١١٩) .

يدعو إلى أمر جديد وكتاب جديد

ومن عقائد الشيعة الاثنى عشرية أن امامهم الموهوم وغائبهم المعدوم سيدعو الناس إلى كتاب جديد وأمر جديد ، وقد نقلوا فيه روايات عديدة ، منها ما رواها النعمانى عن أبى جعفر ـ الإمام الخامس المعصوم عند الشيعة ـ أنه قال :

يقوم القائم بأمر جديد ، على العرب شديد ، ليس شأنه إلا السيف ، ولا يستتيب أحدا»(١٢٠) .

(١١٦) الأنوار النعمانية للجزائرى ج ٢ ص ٨٦، ٨٧ .
(١١٧) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٣٩ .
(١١٨) ايضا ص ٢٣٢ .
(١١٩) تفسير الصافى ص ٣٥٩ مجلد كبير .
(١٢٠) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٣٣ .

وعنه أنه سئل : أيسير بسيرة محمد ﷺ ؟

قال : هيهات يازرارة ما يسير بسيرته ، قلت : جعلت فداك لم؟

قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سارفى أمته بالمن كان يتألف الناس ، والقائم يسير بالقتل ، بذاك أمر فى الكتاب الذى معه أن يسير بالقتل ولا يستتيب أحدا»(١٢١) .

وروى أيضا عنه أنه قال :

فوالله لكأنى أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس بأمر جديد شديد ، وكتاب جديد ، وسلطان جديد من السماء»(١٢٢) .

ومثل ذلك روى المجلسى فى بحار الأنوار(١٢٣) .

ورووا أيضا عن أبى عبد الله أنه سئل :

كيف سيرته؟ فقال : يصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله ، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الجاهلية ويستأنف الإسلام الجديد»(١٢٤) .

وهذه الروايات واضحة فى معناها تنبىء بما دست اليهودية الأثيمة من الدسائس الخبيثة بين الذين ينتسبون إلى الإسلام ، وتوضح معنى هذه الروايات رواية أخرى التى أوردها النعمانى والمجلسى وغيرهما عن أبى جعفر أنه قال :

لو قد خرج القائم من آلِ محمد عليهم السلام لنصره الله بالملائكة المسومين والمردفين والمنزلين والكروبيين ، ويكون جبرئيل أمامه ، وميكائيل عن يمينه ، واسرافيل عن يساره والرعب يسير مسيرة شهر أمامه وخلفه وعن يمينه وشماله ، والملائكة المقربون حذاه وأول من يتبعه محمد

(١٢١) أيضا ص ٢٣١ .

(١٢٢) أيضا .

(١٢٣) ج ١٣ ص ١٩٤ وما بعد .

(١٢٤) بحار الأنوار ج ١٣ ص ١٩٤ .

صلى الله عليه وآله وسلم ـ وفى رواية يتّبعه، وفى أخرى: يبايعه ـ وعلىّ الثانى ومعه سيف مخترط، يفتح الله له الروم والديلم والسند والهند وكابل شاه والخزر .

ياأبا حمزة لا يقوم القائم عليه السلام إلا على خوف شديد وزلازل وفتنة وبلاء يصيب الناس وطاعون قبل ذلك، وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد بين الناس، وتشتت فى دينهم، وتغير من حالهم حتى يتمنى المتمنى الموت صباحا ومساء من عظم ما يرى من كلب الناس، وأكل بعضهم بعضا، وخروجه إذا خرج عند الإياس والقنوط .

فياطوبى لمن أدركه وكان من أنصاره، والويل كل الويل لمن خالفه وخالف أمره وكان من أعدائه، ثم قال: يقوم بأمر جديد، وسنة جديدة، وقضاء جديد على العرب شديد، ليس شأنه إلا القتل ولا يستتيب أحدا ولا تأخذه فى الله لومة لائم»(١٢٥) .

فهذه هى حقيقة الأمر، وهذا هو أصل الشيعة الاثنى عشرية الذين يدعون بأنهم من الشيعة المعتدلين، وينفون انتسابهم إلى عبد الله بن سبأ اليهودى وكونهم من أصل مجوسى إيرانى، الناقمين على الإسلام، والباغين على الأمة الإسلامية، والطاعنين على أسلافهم وأعيانها، والشاتمين قوادها وسادتها، وقد بيناها من كتبهم أنفسهم وبعباراتهم هم .

رجعة الأئمة مع رجعة القائم

ثم إن الشيعة الاثنى عشرية لا يعتقدون برجعة القائم فحسب، بل وأكثر من ذلك يعتقدون بأن أئمتهم يرجعون أيضا إلى الدنيا مثل رجوع قائمهم، ويبقون، ويملكون، وينتقمون من الأعداء ويقتلونهم،

(١٢٥) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ . ومثله فى بحار الأنوار للمجلسى وغيره.

كما روى المجلسى عن جعفر أنه قال :

أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن على ، وان الرجعة ليست بعامة وهى خاصة ، لا يرجع إلا من محض الإيمان محضا أو محض الكفر محضا»(١٢٦) .

ورووا عن أبيه الباقر أنه قال :

إن أول من يرجع إلى الدنيا لجاركم الحسين بن على عليه السلام ، فيملك حتى يقع حاجباه على عينيه من الكبر»(١٢٧) .

ولا الحسين وحده فحسب ، بل يرجع معه سبعون رجلا من أصحابه الذين قتلوا معه(١٢٨) .

وفى رواية أن الحسين يرجع إلى الدنيا مع خمسة وسبعين ألفا من الرجال ويملك الدنيا كلها بعد وفاة المهدى عليه السلام ثلاث مائة سنة وتسع سنين(١٢٩) .

ويرجع معه يزيد بن معاوية وأصحابه ليأخذ الحسين وأصحابه ثأرهم منهم(١٣٠) .

ويساعد الحسين وأصحابه فى أخذ ثأرهم وانتقامهم من يزيد وعساكره سبعون نبيا ورسولا ويكون أحدهم إسماعيل ، كما حكى الجزائرى حكاية باطلة بقوله :

وفى الأخبار الكثيرة عن بريد العجلى أنه سأل الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى فى إسماعيل انه كان صادق الوعد ما المراد

(١٢٦) بحار الأنوار للمجلسى ج ١٣ ص ٢١٠ ، الصافى ج ١ ص ٩٥٩ .

(١٢٧) بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢١١ ، البرهان ج ٢ ص ٤٠٧ ، الصافى ج ١ ص ٩٥٩ ، اثبات الهداة للعاملى ج ٧ ص ١٠٢ .

(١٢٨) تفسير العياشى ج ٢ ص ١٨١ .

(١٢٩) الأنوار النعمانية للجزائرى ج ٢ ص ٩٨ ، ٩٩ .

(١٣٠) تفسير العياشى ج ٢ ص ٢٨٢ ، البرهان ج ٢ ص ٤٠٨ ، الصافى ج ١ ص ٢٥٩ تحت قوله تعالى : ثم رددنا لكم الكرة عليهم : ، بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢١٩ .

بإسماعيل هذا أهو ابن إبراهيم؟ فقال عليه السلام :

لا بل هو إسماعيل بن حزقيل بعثه الله إلى جماعة فكذبوه وسلخوا جلد وجهه ورأسه، فبعث الله عليهم ملك العذاب وهو سطاطائيل، فأتى إلى إسماعيل وقال: إن الله أرسلنى إليك بما تأمر فى عذابهم، فقال إسماعيل عليه السلام: لا حاجة لى فى عذابهم، فأوحى الله سبحانه إليه: إن كان لك حاجة إلى فاطلبها، فقال: يارب إنك أخذت علينا معاشر الأنبياء أن نوحدك ونقر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وبإمامة الأئمة عليهم السلام، وأخبرت الخلائق بما يفعل الظالمون بولده الحسين ووعدت الحسين عليه السلام بالرجوع إلى الدنيا ليأخذ ثأره وينتقم من ظالميه، فحاجتى يارب أن ترجعنى فى زمانه لأجل أخذ ثأرى وقتل من قتلنى، فقبل الله حاجته وجعله من الذين يرجعون فى زمان الحسين عليه السلام، وفى رواية أخرى أن الحسين عليه السلام يرجع إلى الدنيا مع خمسة وسبعين ألفا من الرجال»(١٣١) .

وقالوا :

إن الأئمة الاثنى عشرية كلهم يرجعون إلى الدنيا فى زمن القائم مع جماعتهم(١٣٢) .

ويرجع علىّ ونبىّ أيضا

ولا يرجع الحسين وأصحابه ومعاوية ويزيد وأصحابه وسبعون نبيا ممن مضوا فى سالف الزمان وحدهم، بل ويرجع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلىّ أيضا، كما روى المجلسى عن بكير بن أعين أنه قال :

قال لى من لاأشك فيه يعنى أبا جعفر (ع) أن رسول الله (ص)

(١٣١) الأنوار النعمانية للجزائرى ج ٢ ص ٩٨.
(١٣٢) الصافى ج ١ ص ٣٤٧.

وعليا سيرجعان»(١٣٣) .

ورووا عن جعفر أنه قال :

قال رسول الله (ص) : لقد أسرى بى ربى عزوجل ، فأوحى إلى من وراء حجاب ما أوحى وكلمنى بما كلم به وكان مما كلمنى به . . . يامحمد ، علىّ آخر من أقبض روحه من الأئمة»(١٣٤) .

وليس هذا فحسب ، بل وأكثر من ذلك وأدهى وأمر أنهم يروون عن جعفر أنه قال :

لم يبعث الله نبيا ولا رسولا إلا ردهم جميعا إلى الدنيا حتى يقاتلوا بين يدى على بن أبى طالب عليه السلام»(١٣٥) .

وعنه أيضا أنه قال :

لا يبعث الله نبيا ولا رسولا إلا رد إلى الدنيا من آدم فهلم جرا حتى يقاتل بين يدى على بن أبى طالب عليه السلام»(١٣٦) .

مع من فيهم سيد الأنبياء وإمام المرسلين .

كما روى الجزائرى عن الباقر أنه قال : إن عليا رضى الله عنه خطب خطبة ذات يوم ، فحمد الله فيها وقال فيها ما قال ، ومنه :

وقد أخذ الله الميثاق منى ومن نبيه لينصرن كل منا صاحبه ، فأما أنا فقد نصرت النبى صلى الله عليه وآله بالجهاد معه وقتلت أعداءه ، وأما نصرته لى وكذا نصرة الأنبياء عليهم السلام فلم تحصل بعد ، لأنهم ماتوا قبل إمامتى وبعد هذا سينصروننى فى زمان رجعتى ، ويكون لى ملك ما بين المشرق والمغرب ويخرج الله لنصرتى الأنبياء من آدم إلى محمد يجاهدون معى ، ويقتلون بسيوفهم الكفار الأحياء ، والكفار الأموات ،

(١٣٣) بحار الأنوار للمجلسى ج ١٣ ص ٢١٠ .

(١٣٤) بحار الأنوار للمجلسى ج ١٣ ص ٢١٧ .

(١٣٥) نور الثقلين ج ١ ص ٣٥٩ ، بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢١٠

(١٣٦) العياشى ج ١ ص ٢٨١ تحت قول الله : لتؤمنن به ولتنصرنه ، البرهان ج ١ ص ٢٩٥ ، بحار الأنوار ص ٢١٧ .

الـذين يحييهم الله تعـالى ، وأعجب وكيف لا أعجب من أمـوات يحييهم الله تعــالى يرفعـون أصـواتهم بالتلبيـة فوجـا فوجـا لبيـك ياداعى الله ، ويتخللون أسـواق الكـوفـة وطـرقهـا حتى يقتلون الكـافـرين والجبارين والظـالمـين من الأولـين والآخـرين ، حتى يحصـل لنـا ما وعـدنـا الله تعالى »(١٣٧) .

ولا هذا فحسب ، بل عمموا الرجعة حيث قالوا :

ليس أحـد من المـؤمنين قتل إلا سيرجع حتى يموت ولا أحد من المؤمنين مات إلا سيرجع حتى يقتل»(١٣٨) .

وروى الطبرسى والمفيـد :

إذا آن قيـام القـائم مطـر النـاس فى جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطـرا لم ير النـاس مثله ، فينبت الله به لحوم المـؤمنين فى أبدانهم فى قبورهم ، فكأنى أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون رؤ وسهم من التراب»(١٣٩) .

وروى المفيد أيضا :

يخرج إلى القـائم من ظهـر الكـوفـة سبعة وعشرون رجلا ، خمسة عشر من قوم موسى الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون»(١٤٠) .

دابّـــة الأرض

ويعتقـد الشيعـة الاثنا عشرية أن دابة الأرض التى تخرج قبل قيام الساعة تكلمهم يكون عليا رضى الله عنه كما رووا عن جعفر أنه قال :

أتى رسول الله (ص) إلى أمير المؤمنين (ع) وهو نائم فى المسجد ،

---

(١٣٧) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٩٩ .

(١٣٨) بحار الأنوار للمجلسى ج ١٣ ص ٢١٠ .

(١٣٩) اعلام الورى ص ٤٦٢ ، الارشاد للمفيد ص ٣٦٣ ، بحار الأنوارج ١٣ ص ٢٢٣ .

(١٤٠) الارشاد للمفيد ص ٣٦٥ ، اعلام الورى للطبرسى ص ٤٦٤ .

وقد جمع رملا ووضع رأسه عليه، فحركه برجله ثم قال: قم يادابة الله. فقال رجل من أصحابه: يارسول الله أيسمى بعضنا بعضا بهذا الاسم؟. فقال: لا والله ماهو إلا له خاصة، وهو الدابة التى ذكر الله فى كتابه: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم. ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ ثم قال: ياعلى، إذا كان آخر الزمان أخرجك الله فى أحسن صورة ومعك ميسم تسم به أعداءك»(١٤١).

ثم إن عليا ليست له رجعة واحدة، بل له رجعات كثيرة كما ذكروا أنه قال فى إحدى خطباته:

إن لى رجعة بعد رجعة، وحياة بعد حياة، أنا صاحب الرجعات وصاحب الصولات»(١٤٢).

هذا ومثل هذا فإنه لكثير.

ومن غرائب الاعتقادات التى يعتقدها القوم أنهم يقولون: إن بعد قائمهم اثنى عشر مهديا أخر، كما رووا عن جعفر عن أبائه عن على أنه قال:

قال رسول الله (ص) فى الليلة التى كانت فيها وفاته: ياأبا الحسن، أحضر صحيفة ودواة، فأملى رسول الله (ص) وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع. فقال: ياعلى، انه سيكون بعدى اثنا عشر إماما ومن بعدهم اثنا عشر مهديا. فأنت أول الاثنى عشر إماما... وساق الحديث، إلى أن قال: وليسلمها الحسن (يعنى الإمام العسكرى عليه السلام) إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد صلى الله عليه وعليهم، فذلك اثنا عشر إماما. ثم يكون من بعده اثنا عشر مهديا. فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المهديين. له ثلاثة اسامى: اسم كاسمى

(١٤١) بحار الأنوار للمجلسى ج ١٣ ص ٢١٣.
(١٤٢) الأنوار النعمانية للجزائرى ج ٢ ص ٩٩.

واسم أبى، وهو عبد الله، وأحمد، والاسم الثالث: المهدى، وهو أول المؤمنين»(١٤٣).

وروى الطوسى : انهم أحد عشر، كما حكى عن أبى حمزة عن أبى جعفر أنه قال له :

يأبا حمزة ان منا بعد القائم أحد عشر مهديا»(١٤٤).

وإلى ذلك يشير رواية النعمانى حيث يحكى عن أبى جعفر أنه قال :

والله ليملكن رجل منا أهل البيت ثلاثمائة سنة وثلاث عشرة سنة ويزداد تسعا، قال: فقلت له : ومتى يكون ذلك؟ قال: بعد موت القائم عليه السلام، قلت له: وكم يقوم القائم عليه السلام فى عالمه حتى يموت؟ فقال: تسع عشرة سنة من يوم قيامه إلى يوم موته»(١٤٥).

ويؤيد ذلك أيضا دعاء شيعى يدعونه للمهدى، فيقولون فى آخره :

الهم صل على ولاة عهده والأئمة من بعده، وبلغهم آمالهم وزد فى آجالهم، وأعز نصرهم وتمم لهم ما أسندت إليهم من أمرك لهم وثبت دعائهم، واجعلنا لهم أعوانا وعلى دينك أنصارا»(١٤٦).

وأخيرا نأتى برواية أوردها محدث القوم نعمت الله الجزائرى عن جعفر أنه قال :

إن الشيطان لما قال : رب أنظرنى إلى يوم يبعثون، قال: إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، فيخرج الشيطان مع جميع عساكره وتوابعه من يوم خلق آدم إلى يوم الوقت المعلوم وهو آخر رجعة يرجعها

(١٤٣) بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢٣٧.
(١٤٤) كتاب الغيبة للطوسى ص ٢٨٥.
(١٤٥) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٣٣٢.
(١٤٦) مفاتيح الجنان ص ٥٤٢.

أمير المؤمنين عليه السلام فقال الراوى: كم لأمير المؤمنين عليه السلام من رجعة؟ فقال: ان له رجعات ورجعات، وما من إمام فى عصر من الأعصار إلا يرجع معه المؤمنون فى زمانه والكافرون فيه حتى يستولى أولئك المؤمنون على أولئك الكافرون فينتقمون منهم، فإذا جاء الوقت المعلوم ظهر أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحابه وظهر الشيطان مع أصحابه، فيتلاقى العسكران على شط الفرات فى مكان اسمه الروحا قريب الكوفة، فيقع بينهم حرب لم يقع فى الدنيا من أولها وآخرها وكأنى أرى أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قد رجعوا منهزمين حتى تقع أرجلهم فى الفرات فعند ذلك يرسل الله سحابة مملوّة من الملئكة يتقدمها النبى صلى الله عليه وآله وبيده حربة من نور، فإذا نظر الشيطان أدبر فاراً، فيقول له أصحابه إلى أين تفر ولك الظفر عليهم؟ فيقول إنى أرى مالا ترون إنى أخاف من عقاب رب العالمين؛ فيصل النبى صلى الله عليه وآله ويضربه ضربة بالحربة بين كتفيه فيهلك بتلك الضربة هو مع جميع عساكره، فعند ذلك يعبد الله على الإخلاص ويرتفع الكفر والشرك، ويملك أمير المؤمنين عليه السلام الدنيا أربعين ألف سنة ويولد لكل واحد من شيعته ألف ولد من صلبه فى كل سنة ولد، وعند ذلك يظهر البستانان عند مسجد الكوفة الذى قال الله تعالى مدهامّتان؛ وفيهما من الاتساع مالا يعلمه إلا الله تعالى»(١٤٧).

وهذا آخر ما أردنا ذكره من خرافات القوم ومعتقداتهم انتخبناها من الكثير الكثير ولهم كتب مستقلة فى هذا الباب.

(١٤٧) الأنوار النعمانية للجزائرى ج ٢ ص ١٠١، ١٠٢.

الحلول والتناسخ واتصاف الخلق بأوصاف الله

وكى لا يطول بنا الحديث نذكر فقط رواية واحدة تشتمل على خطبة على رضى الله عنه حسب زعم القوم وفيها كل ما يعتقده القوم عن الحلول والتناسخ واتصاف الخلق بأوصاف الله ، تعالى عما يقولونه علوا كبيرا ، يذكر الجزائرى هذه الخطبة فى كتابه المشهور رواية عن محمد الباقر أنه قال :

إن أمير المؤمنين عليه السلام خطب خطبة ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه بالوحدانية ، وقال إن الله سبحانه قد تكلم بكلمة فصارت نوراً فخلق منه نور النبى ونورى ونور الأئمة وتكلم بكلمة أخرى فصارت روحاً فأسكنها فى ذلك النور وذلك النور مع تلك الروح ركبها فى أبداننا معاشر الأئمة ، فنحن الروح المصطفاة ونحن الكلمات التامات ونحن حجة الله الكاملة على الخلق ؛ فنحن كنا نورا أخضر حيث لاشمس ولا قمر ولاليل ولانهار ولا مخلوق ولامخلوقات ، وكنا نسبح الله ونقدسه قبل خلق الخلق ؛ فأخذ الله لنا العهد من أرواح الأنبياء على الإيمان بنا وعلى نصرتنا ؛ وهذا معنى قوله سبحانه ﴿وإذ أخذ ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ ، فقال عليه السلام يعنى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله ونصرة وصيه ؛ وهذه النصرة قد صارت قريبة ؛ وقد أخذ الله الميثاق منى ومن نبيه لينصرن كل منا صاحبه ؛ فأما أنا فقد نصرت النبى صلى الله عليه وآله بالجهاد معه وقتلت أعداءه وأما نصرته لى وكذا نصرة الأنبياء عليهم السلام فلم تحصل بعد ، لأنهم ماتوا قبل إمامتى وبعد هذا سينصروننى فى زمان رجعتى ، ويكون لى ملك ما بين المشرق والمغرب ويخرج الله

لنصرتى الأنبياء من آدم إلى محمد يجاهدون معى ، ويقتلون بسيوفهم الكفار الأحياء والكفار الأموات الذين يحييهم الله تعالى ؛ واعجب وكيف لا أعجب من أموات يحييهم الله تعالى يرفعون أصواتهم بالتلبية فوجاً لبيك لبيك ياداعى الله ، ويتخللون أسواق الكوفة وطرقها حتى يقتلون الكافرين الجبارين والظالمين من الأولين والأخرين ؛ حتى يحصل لنا ما وعدنا الله ثم تلا هذه الآية ﴿ثم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا﴾ .

قال عليه السلام يعنى يعبدوننى ولا يتقون من أحد لأن لى رجعة بعد رجعة ؛ وحيوة بعد حيوة ، انا صاحب الرجعات وصاحب الصولات وصاحب الانتقامات وصاحب الدولة العجيبة ، أنا حصن الحديد وأنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا أمين الله على علمه وصندوق سره وحجابه وصراطه وميزانه وكلمته ؛ أنا أسماء الله الحسنى وأمثاله العليا وآياته الكبرى ، أنا صاحب الجنة والنار أسكن أهل الجنة فى جنتهم وأهل النار فى نارهم ، وأنا الذى أزوج أهل الجنة وإلىّ مرجع هذا الخلق فى القيامة وعلىّ حسابهم .

وأنا المؤذن على الاعراف وأنا الذى أظهر آخر الزمان فى عين الشمس ، وأنا دابة الأرض التى ذكرها الله فى الكتاب أظهر آخر الزمان ، ومعى عصا موسى وخاتم سليمان أضعه فى وجه المؤمن والكافر فتنقش فيه هذا مؤمن حقا ، وهذا كافر حقا ، وأنا أمير المؤمنين وإمام المتقين ولسان المتكلمين وخاتم أوصياء النبيين ووارثهم وخليفة الله على العالمين وأنا الذى علمنى الله علم البلايا والمنايا وعلم القضا بين الناس ، وأنا الذى

سخر لى الرعد والبرق والسحاب والظلمة والنور، والرياح والجبال والبحار والشمس والقمر والنجوم أيها الناس إسألونى عن كل شىء»(١٤٨) .

فهذه الرواية ومثل هذه الرواية وإنها لكثيرة جدا موجودة منتشرة فى كتب القوم - يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون .

فهذه العقائد التى تتبناها الشيعة الاثنا عشرية، وتعتقدها، ويعتقدها الإماميون والجعفريون الذين يعدون من الشيعة المعتدلة وهى عين تلك العقائد التى وضع بذورها عبد الله بن سبأ، ونشرتها السبئية وروجتها بين الفئات الشيعية المختلفة، ولولا خوف الإطالة لأكثرنا الروايات التى وردت فى كتبهم المعتبرة المعتمدة الموثوقة لديهم، ولكننا نرى أن ماذكر فيه الكفاية لمن أراد أن يتثبت ويتحقق، وكذلك لمن أراد أن يتبصر ويهتدى والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

ونختم الكلام فى هذا الموضوع بنقل آراء بعض المستشرقين فى علاقة الشيعة بالسبئية أوبتعبير صحيح بالعقائد الأجنبية المدسوسة بين المسلمين، يهودية كانت أم إيرانية، التى لاتمت إلى الإسلام بصلة لا قريبة ولا بعيدة، فيقول المستشرق دوزى :

كانت الشيعة فى حقيقتها فرقة فارسية، وفيها يظهر أجلى ما يظهر ذلك الفارق بين الجنس العربى، الذى يحب الحرية، وبين الجنس الفارسى الذى اعتاد الخضوع كالعبيد، لقد كان مبدأ انتخاب خليفة للنبى أمراً غير معهود ولا مفهوم، لأنهم لم يعرفوا غير مبدأ الوراثة فى الحكم، لهذا اعتقدوا أنه مادام محمد لم يترك ولداً يرثه، فإن عليا هو الذى

(١٤٨) الأنوار النعمانية لنعمت الله الجزائري ج ٢ ص ٩٩، ١٠٠ .

يجب أن يخلفه وأن الخلافة يجب أن تكون وراثية فى آل على . ومن هنا فإن جميع الخلفاء ـ ماعدا علياً ـ كانوا فى نظرهم مغتصبين للحكم لا تجب لهم طاعة . وقوّى هذا الاعتقاد عندهم كراهيتهم للحكومة وللسيطرة العربية ، فكانوا فى الوقت نفسه يلقون بأنظارهم النهمة إلى ثروات سادتهم . وهم قد اعتادوا أيضاً أن يروا فى ملوكهم أحفاداً منحدرين من أصلاب الآلهة الدنيا ، فنقلوا هذا التوقير الوثنى إلى على وذريته . فالطاعة المطلقة «للإمام» الذى من نسل على ـ كانت فى نظرهم الواجب الأعلى ، حتى إذا ما أدى المرء هذا الواجب ، استطاع بعد ذلك بغير لائمة ضمير أن يفسر سائر الواجبات والتكاليف تفسيراً رمزياً وأن يتجاوزها ويتعداها . لقد كان «الامام» عندهم هو كل شىء ، إنه الله قد صار بشراً . فالخضوع الأعمى المقرون بانتهاك الحرمات ـ ذلك هو الأساس فى مذهبهم»(١٤٩) .

وبمثل ذلك قال المستشرق ملّر، وزاد عليه «أن الفرس كانوا تحت تأثير الأفكار الهندية قبل الإسلام بعهد طويل يميلون إلى القول بأن الشاهنشاه هو تجسيد لروح الله التى تنتقل فى أصلاب الملوك إلى الأبناء»(١٥٠) .

ويذكر هذه الآراء مستشرق ألمانى متعاطف على الشيعة ولهوزن ، فيقول :

أما أن آراء الشيعة كانت تلائم الإيرانيين ـ فهذا أمر لا سبيل إلى الشك فيه ، أما كون هذه الآراء قد انبعثت من الإيرانيين ، فليست تلك الملاءمة دليلاً عليه . بل الروايات التاريخية تقول بعكس ذلك ، إذ تقول أن التشيع الواضح الصريح كان قائماً أولاً فى الدوائر العربية ، ثم انتقل

(١٤٩) مقالة فى تاريخ الاسلام للدوزى ص ٢٢٠ وما بعد.
(١٥٠) كتاب ملر، ج ١ ص ٣٢٧.

بعد ذلك منها إلى الموالى ، وجمع بين هؤلاء وبين تلك الدوائر. وأولئك الذين كانوا يتواثبون حول الكرسى المقدس يذكرون أنهم «السبئية» (ص٧٠٣ س١٧ ، ص٧٠٤ س١١) ، ولم يكونوا من الموالى ، بل من العرب ، إذ كانوا من عشائر: نهد وخارف وثور وشاكر وشبام . وهؤلاء السبئية كانوا على علاقات سيئة بعشائرهم نتيجة لمذهبهم الغريب ، خصوصا شبام بالنسبة إلى قبيلة همدان ، بينما كانوا على علاقات وثيقة جداً بالمختار، ومن أجله خاضوا النار ووشوا بقبائلهم . ونجد حديثاً عن بطانة من الشيعة العرب كانت تجتمع فى منزلى امرأتين بارزتين . وتذكر أسماء بعض أفراد هذه البطانة ومنهم ابن نوف الهمدانى الذى كان ينافس مولاه وأستاذه (المختار) فى التنبؤ . لقد كان يصنع وحيا لدى الكرسى المقدس ، وكان أحد عمومة الأعشى ممن تأثر لهذا الوحى ، وكان أول سادن للكرسى هو موسى بن أبى موسى الأشعرى ، ثم تلاه حوشب البرسمى . والبيئة هنا كلها يمنية . ويقال إن المختار قد أظهر الكرسى على أنه كرسى على بن أبي طالب . ولكن ثمت روايات أخرى تقول بعكس ذلك ، وهذه الروايات الثانية أقرب إلى التصديق . وعلى كل حال فقد كان الكرسى فى حوزة اليمنيين ، وأصله إنما يبحث لديهم . ولم يكن اختراعاً أبدعه الهوى ، بل مثله مثل الحجر الأسود كان قطعة وثنية وفى الأصل كرسى الله ثم كرسى على ، لأنهم ألهوا عليا . وكراسى الله الخالية هذه نجدها كثيراً ، وإن لم تكن عادة من الخشب .

ومنشأ السبئية يرجع إلى زمان على والحسن وتنسب إلى عبد الله بن سبأ . وكما يتضح من اسمه الغريب ، فإنه كان أيضاً يمنياً ، والواقع أنه من العاصمة صنعاء . ويقال أيضا إنه كان يهودياً . وهذا يقود بالقول بأصل يهودية لفرقة السبئية»(١٥١) .

(١٥١) الخوارج والشيعة لولهوزن ص ١٦٩ ـ ١٧٠ . ط عربي

ثم يقول :

يلوح أن مذهب الشيعة ، الذى ينسب إلى عبد الله بن سبأ أنه مؤسسه ، إنما يرجع إلى اليهود أقرب من أن يرجع إلى الإيرانيين . والدليل على هذا ما سأحاول هنا إيراده بطريقة عارضة دون أن أعير المسألة من الأهمية أكبر مما تستحق .

كان القدماء من أنصار على يعدونه فى مرتبة مساوية لسائر الخلفاء الراشدين فى خلافته ـ فى سلك واحد ، وكان يوضع فى مقابل الأمويين . المغتصبين للخلافة بوصفه استمراراً للخلافة الشرعية . وحقه فى الخلافة ناشىء عن أنه كان من أفاضل الصحابة وأنهم وضعوه فى القمة وتلقى البيعة من أهل المدينة ، ولم ينشأ هذا الحق ـ أوعلى الأقل لم ينشأ مباشرة ـ عن كونه من آل بيت الرسول . ومع ذلك فيبدوا أن آل البيت أنفسهم قد ادعوا حق ميراث الخلافة عن رسول الله منذ البداية ، وبعد وفاة على كانت المعارضة ضد الأمويين تنظر إلى أبناء علىّ على أنهم المطالبون الشرعيون للخلافة . ولكن المسألة هنا كانت مقصورة على دعوى الخلافة . ولا بد أن نميز بين هذا وبين دعوى النبوة . وزعم أن النبوة لم تنته بمحمد ، بل استمرت فى على وبنيه ـ كان هذا الزعم هو الخطوة الأخيرة .

إن الفكرة القائلة بأن النبى ملك يمثل سلطان الله على الأرض قد انتقلت من اليهودية إلى الإسلام . ولكن الإسلام السنى يقول إن محمداً خاتم النبيين ، وبعد وفاته حلت محله الشريعة وهى أثر مجرد غير مشخص ، ومعوض عنه أقل قيمة بكثير جداً . فكان ذلك نقصاً ملموساً ، فمن هنا تبدأ نظريات الشيعة . وكان المبدأ الأساسى الذى بدأ منه مذهبهم هو : أن النبوة ، وهى المعرض الشخصى الحى للسلطة الإلهية ، تنتسب بالضرورة إلى الخلافة وتستمر تحيا فيها . وقبل محمد

وجـدت سلسلة طويلة متصلة من الأنبيـاء الـذين يتلو بعضهم بعضـاً ، على نحو مايقول اليهود ـ «سلسلة دقيقة من الأنبياء» .

وكما ورد فى أصحـاح ١٨ من سفـر «ثنية الاشتراع» من أنه لم يخل الزمان أبداً من نبى يخلف موسى ومن نوعه . وهذه السلسلة لا تقف عند محمـد . ولكـل نبى خليفتـه إلى جانبـه يعيش أثنـاء حيـاته (هذا الزميل الثـانى) هو أيضـا فكرة يهودية) فكما كان لموسى خليفة هو يوشع ، كذلك لمحمـد خليفـة هو على ، به يستمـر الأمر. على أن كلمة «نبى» لم تطلق على علىّ وبنيـه ـ بل أطلق عليهم أسـماء «الـوصى» أو «المهـدى» أو «الإمـام» عامـة ـ ولكن إن لم يطلق الاسم فإن الحقيقـة الفعليـة كانت مقصودة بوصفهم عارفين بالغيوب وتجسيدات للخلافة عن الله»[١٥٢] .

وأخيرا يذكر :

وأقيم تأليـه آل بيت الـرسول على أساس فلسفى بواسطة مذهب «الـرجعـة» أو (تنـاسـخ الأرواح) فالأرواح تنتقـل بالمـوت من جسم إلى جسم ، وثمت بعث مستمـر فى المجـرى الطبيعى للحياة الدنيا ، وهذا فى تنـاقض حاد مع القـول ببعث واحـد عنـد زوال الـدنيـا . ويستفيـد هذا المذهب أهمية عملية خصوصاً عن طريق رفعه إلى روح الله التى تحل فى نفـوس الأنبيـاء ، فهـذه الـروح تنتقـل من نبى إلى نبى آخـر بعـد وفـاة السـابق . ولا يـوجـد فى الـوقت الـواحد غير نبى واحد ، ويتتابعون حتى يبلغـوا ألف نبي . وتبعـاً لهذا فإن الأنبيـاء جميعا بما يُبْعَث فى كل منهم من روح الله ، والحق أن النبى الصـادق الحق واحـد يعـود أبـداً من جديـد . وبهذا المعنى قالوا إن محمداً يبعث فى علىّ وآل علىّ . ويبنون ذلك على الآيـة ٨٥ من السـورة ٢٨ والآيـة ٨ من السـورة ٨٢ . وهـذا يذكر كثيراً

(١٥٢) الخوارج والشيعة لولهوزن ص ١٧١، ١٧٢ .

بالفكرة (المحتمل جداً أنها) يهودية، وإن كانت من البدع اليهودية، التى وردت فى المواعظ المنحولة على كليمانس «Pscudoclementinen» فروح الله تتحد فى آدم مع شخص إنسان يظهر بصفة النبى الصادق فى صور متعددة وقد قدر له السيادة على الملكوت الدائم. راجع :

. (1,1,P.283 «Gieselers KG. (4.Aufl.)»

ولكن المتأخرين قد فهموا ـ فيما يبدو ـ «الرجعة» على نحو آخر. فقد تصوروها على نحو ديالكتيكي. فقالوا بفترة «غيبة» دورية للإمام الصادق، ثم سموها ـ فى مقابل ذلك ـ ظهوره من جديد «رجعة». والمعنى الأصيل للرجعة يظهر جلياً من مرادفتها لتناسخ الأرواح. والسيد الحميرى يؤمن أيضاً برجعته نفسه، ومن أجل ذلك كانوا يسخرون منه ويشنعون عليه («الأغانى» ج٧ ص٨). كما يتضح أيضاً من كون كثيّر كان يعد جميع أبناء الحسن والحسين أنبياء صغاراً، لأنه كان يؤمن بالرجعة (الأغانى ٨/ ٣٤)، وكذلك من كون محمد كان ينظر إليه على أنه يرجع، خصوصاً فى ورثة دمه (آله) ونبوته»[١٥٣].

ثم نقل ما قاله أبو حمزة الخارجى فى خطبة له على المنبر بالمدينة المنورة عن الشيعة نقلا عن (الأغانى) أنه قال :

شيعة ظاهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله، لا يرجعون إلى نظر نافذ فى القرآن، ولا عقل بالغ فى الفقه، ولا تفتيش عن حقيقة الصواب. قد قلدوا أمرهم أهواءهم، وجعلوا دينهم عصبية لحزب لزموه وأطاعوه فى جميع مايقوله لهم : غياً كان أو رشداً، أو ضلالة أو هدى. ينتظرون الدول فى رجعة الموتى، ويؤمنون بالبعث قبل الساعة، ويدعون علم الغيب لمخلوق لا يعلم أحدهم ما فى داخل بيته، بل لا

(١٥٣) أيضا ص ١٧٣، ١٧٤.

يعلم ما ينطوى عليه ثوبه أو يحويه جسمه . ينقمون المعاصى على أهلها ، ويعملون إذا ظهروا بها ، ولا يعرفون المخرج منها . جفاة فى الدين ، قليلة عقولهم ، قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم ، وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة»(١٥٤) .

وبمثل ذلك القول قال هشام بن عبد الملك الأموى فى كتاب له إلى يوسف بن عمر :

إن عبادة الشيعة لله كانت عبادة لبنى الإنسان . والنتيجة لذلك قيصرية بابوية معاً . كانوا يعترضون على إمامة السلطة القائمة ، ولكن إمامتهم الشرعية القائمة على دم الرسول (ذرية آل للبيت) لم تكن أفضل منها ، إذ كانت تفضى إلى إهدار القانون وكسر الشريعة . فالإمام عندهم كان فوق النصوص الحرفية وكان يعلم الغيب ، فمن اتبعه وأطاعه سقطت عنه التكاليف وخلا من المسئولية»(١٥٥) .

ولا بأس بنقل ما كتبه أحمد أمين فى كتابه (فجر الإسلام) عن الشيعة ولو أننا ذكرنا منه جزءاً فيما مر، فإنه قال :

والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد ، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزردشتية وهندية ، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته ، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم ؛ فاليهودية ظهرت فى التشيع بالقول بالرجعة ، وقال الشيعة : إن النار محرمة على الشيعى إلا قليلا ، كما قال اليهود : لن تمسنا

(١٥٤) الخوارج والشيعة ص ١٧٥ .
(١٥٥) أيضا ص ١٧٥ نقلا عن الطبرى ج ٢ ص ٨٨٢ .

النار إلا أياماً معدودات» ؛ والنصرانية ظهرت فى التشيع فى قول بعضهم : إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه ، وقالوا إن اللاهوت اتحد بالناسوت فى الإمام ، وإن النبوة والرسالة لا تنقطع أبداً ، فمن اتحد به اللاهوت فهو نبى ؛ وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول ، ونحو ذلك من الأقوال التى كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس من قبل الإسلام ؛ وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأموية ، وما فى نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم ، والسعى لاستقلالهم . قال المقريزى : «واعلم أن السبب فى خروج أكثر الطوائف عن ديانة الإسلام ، أن الفرس كانت سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر فى أنفسها بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب ، وكان العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً ، تعاظمهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة فى أوقات شتى ، وفى كل ذلك يظهر الله الحق . . . فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت واستشباع ظلم علىّ ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى أخرجوهم عن طريق الهدى .

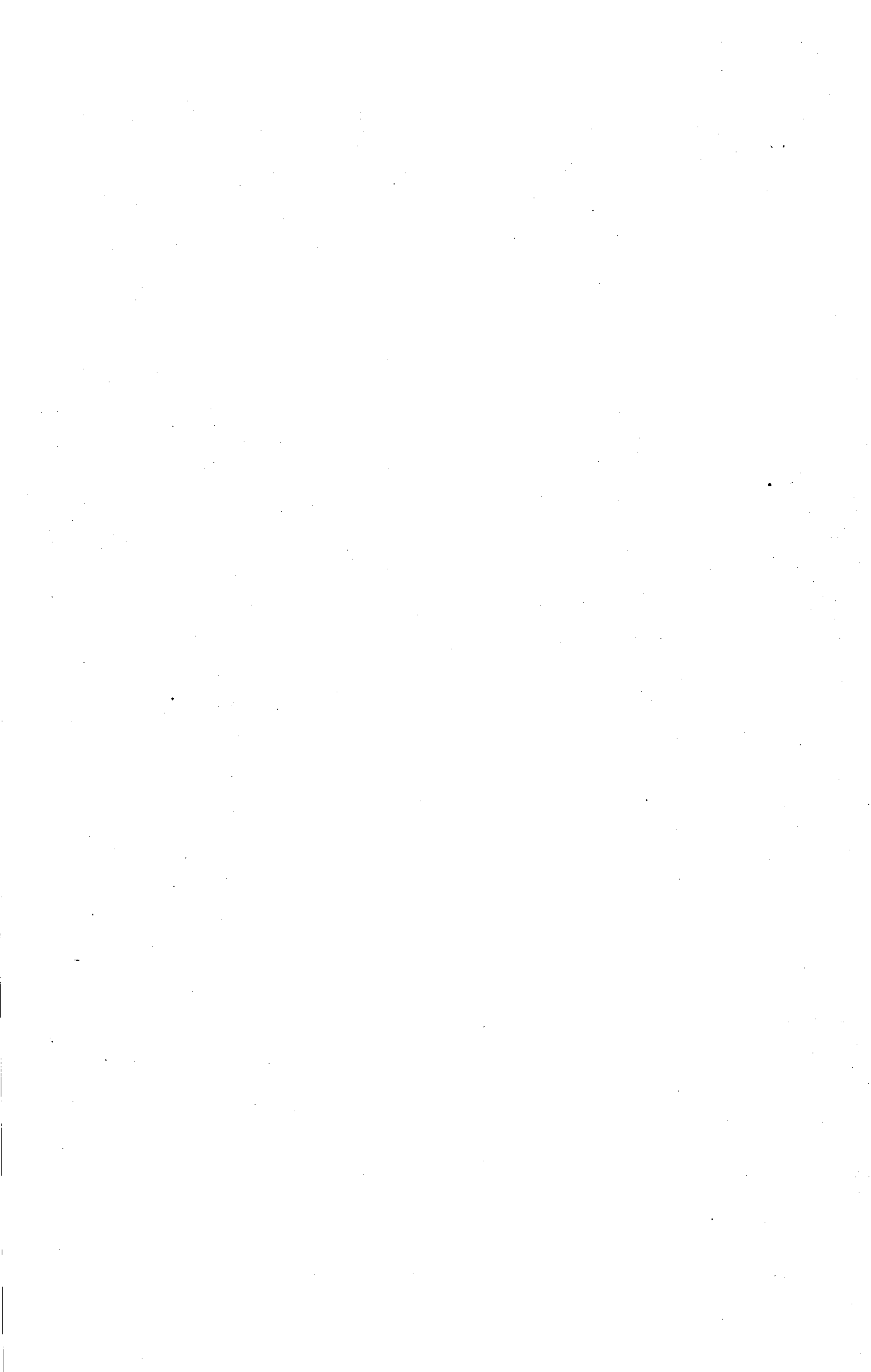
وقد ذهب الأستاذ «ولهوسن Wellhausin» إلى أن العقيدة الشيعية نبعت من اليهودية أكثر مما نبعت من الفارسية ، مستدلًّا بأن مؤسسها عبد الله بن سبأ وهو يهودى ، ويميل الأستاذ «دوزى Dozy» إلى «أن أساسها فارسى ، فالعرب تدين بالحرية ، والفرس يدينون بالْمَلِك ، وبالوراثة فى بيت المالك ، ولا يعرفون معنى لانتخاب الخليفة ، وقد مات محمد ولم يترك ولداً فأولى الناس بعده ابن عمه على بن أبى طالب ، فمن أخذ

الخلافة منه كأبى بكر وعمر وعثمان والأمويين، فقد اغتصبها من مستحقها. وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى إلهى، فنظروا هذا النظر نفسه إلى على وذريته وقالوا: إن طاعة الإمام أول واجب وإن إطاعته إطاعة الله» .

والذى أرى - كما يدلنا التاريخ - أن التشيع لعلى بدأ قبل دخول الفرس فى الإسلام، ولكن بمعنى ساذج، وهو أن عليا أولى من غيره من وجهتين، كفايته الشخصية، وقرابته للنبى، والعرب من قديم تفخر بالرياسة وبيت الرياسة، وهذا الحزب - كما رأينا - وجد من بعد وفاة النبى ﷺ ونما بمرور الزمان وبالمطاعن فى عثمان، ولكن هذا التشيع أخذ صبغة جديدة بدخول العناصر الأخرى فى الإسلام من يهودية ونصرانية ومجوسية، وأن كل قوم من هؤلاء كانوا يصبغون التشيع بصبغة دينهم، فاليهود تصبغ الشيعة يهودية، والنصارى نصرانية، وهكذا. وإذ كان أكبر عنصر دخل فى الإسلام هو عنصر الفارسى كان أكبر الأثر فى التشيع إنما هو الفرس»[١٥٦] .

وهذا آخر ما أردنا ثبته فى كتابنا هذا والله يهدينا إلى سبيل الرشاد، ووفقنا لما يحبه ويرضاه من خدمة دينه ورفع كلمته والدفاع عن شريعته وحملة شريعته محمد وأصحابه وأهل بيته أجمعين، وصلى الله على نبيه محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الطاهرين، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

(١٥٦) فجر الاسلام ص ٢٧٦ الىٰ ٢٧٨



مصادر الكتاب ومراجعه

١ - اثبات الوصية للمسعودى. ط : نجف
٢ - اجمع الفضائح للملا كاظم. ط : ايران
٣ - الاحتجاج للطبرسى . ط : قم ، ايران
٤ - احقاق الحق للشوسترى. ط : ايران
٥ - الاخبار الطوال للدينورى ط : بغداد
٦ - ادوار علم الفقه لآل كاشف الغطاء. ط: بيروت ١٣٩٩ﻫ
٧ - الارجوزة المختارة للقاضى النعمان. ط : مونتريال. كندا ١٩٧٠م
٨ - الارشاد للمفيد ط : ايران
٩ - اساس الاصول لدلدار على. ط : الهند
١٠ - الاستبصار للطوسى. ط : طهران طبعة ثالثه ١٣٩٠ﻫ
١١ - اسرار الشهادة للدربندى. ط : ايران
١٢ - الاشعثيات للاشعث الكوفى. ط:طهران،
١٣ - اصل الشيعة واصولها لآل كاشف الغطاء. ط : بيروت
١٤ - اصول العقيدة لمهدى الصدر ط:بيروت
١٥ - اصول الفقه لمحمد رضا المظفر. ط : القطيف ، السعودية
١٦ - الاعتقادات لابن بابويه. ط : طهران
١٧ - اعلام الورى للطبرسى . ط : دارالكتب الاسلاميه ، طبعه ثالثه ، ايران
١٨ - اعيان الشيعة لمحسن الامين ط : بيروت
١٩ - الاغانى للاصفهانى ط : بيروت ، لبنان
٢٠ - الامالى لابن بابويه القمى. ط : بيروت
٢١ - الامالى للطوسى ط : قم ، ايران
٢٢ - امالى المرتضى. ط : بيروت ١٣٨٧ﻫ
٢٣ - الامام الصادق والمذاهب الاربعة لأسد حيدر. ط : بيروت
٢٤ - أمل الآمل.
٢٥ - امير المومنين لمحمد جواد الشرى
٢٦ - الانتصار للمرتضى. ط : نجف ، ١٣٩١ﻫ
٢٧ - أنساب بيوتات قاين. ط: طهران ، ايران
٢٨ - الانوار النعمانيه للجزائرى . ط : تبريز
٢٩ - الايقان للحلى.
٣٠ - الايقاظ من الهجعة للحر العاملى. ط : قم ، ايران ١٣٨١ﻫ
٣١ - الباكورة السليمانية ط : بيروت
٣٢ - بحار الانوار للمجلسى. ط : قديم ، ايران
٣٣ - بشارة المصطفى لابى جعفر. ط : نجف
٣٤ - تاريخ الامامية لعبد الله فياض ط : بيروت ، لبنان
٣٥ - تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفرى ط: قم ، ايران
٣٦ - تاريخ ما بعد الظهور لمحمد الصدر. ط : بيروت
٣٧ - تاريخ طراز مذهب مظفرى ط : ايران
٣٨ - تاريخ العلويين للطويل. ط : بيروت
٣٩ - تاريخ اليعقوبى ط : بيروت ١٣٧٩ﻫ
٤٠ - تأسيس الشيعة للعلوم الاسلاميه للسيد حسن الصدر ط : بيروت
٤١ - تبصرة المعلمين لابن المطهر الحلى : مجمع الذخائر الاسلاميه ، ايران
٤٢ - تتمة المنتهى للعباس القمى ط : ايران
٤٣ - تحف العقول عن آل الرسول للمرانى. ط : نجف ١٣٨٠ﻫ

٤٤ ـ تحفة الاحباب ط : ايران
٤٥ ـ تفسير البرهان للبحراني. ط : قم ، ايران
٤٦ ـ تفسير البصائر لرستكار. ط : ايران
٤٧ ـ تفسير العياشي ط : ايران
٤٨ ـ تفسير العسكري. ط : الهند ، القديم
٤٩ ـ تفسير فرات الكوفي. ط : قم ، ايران
٥٠ ـ تفسير القمي ط : نجف ١٣٨٦هـ
٥١ ـ تفسير الصافي للفيض الكاشاني. ط: كبير ايران
٥٢ ـ تفسير الكاشف للمغنية. ط: بيروت
٥٣ ـ تفسير مجمع البيان للطبرسي. ط : بيروت
٥٤ ـ تفسير منهج الصادقين لفتح الله الكاشاني. ط : طهران ، ايران
٥٥ ـ تفسير الميزان للطباطبائي. ط : بيروت
٥٦ ـ تفسير نور الثقلين للحويزي. ط : قم ،
٥٧ ـ تلخيص الشافي للطوسي. ط: ايران
٥٨ ـ التنبيه والاشراف للمسعودي . ط : ايران
٥٩ ـ جامع الرواة للاردبيلي للحائري . ط : قم ، ايران ١٤٠٣هـ
٦٠ ـ جامع السعادات للنراقي . ط : بيروت
٦١ ـ الجامع في الرجال للزنجاني. ط : قم ،
٦٢ ـ جلاء العيون للمجلسي. ط:طهران، ايران
٦٣ ـ حجة اثنا عشرى لحقكو فارسي. ط:ايران
٦٤ ـ حديقة الشيعة للمقدس الاردبيلي. ط : طهران ، ايران
٦٥ ـ حق اليقين للمجلسي . ط : طهران
٦٦ ـ حق اليقين في معرفة اصول الدين لعبدالله الشبر. ط : ايران
٦٧ ـ حلية المتقين للمجلسي. ط : طهران
٦٨ ـ حملة حيدري للمرزه بازل. ط : ايران
٦٩ ـ حياة القلوب للمجلسي . طهران ، ايران
٧٠ ـ الخلاصه للحلي.
٧١ ـ دائرة المعارف الشيعية لحسن الامين الطبعة الثانية ١٤٩٣ بيروت
٧٢ ـ دعوة الحق وقول الصدق للصافي. ط بيروت
٧٣ ـ دلائل الصدق للمظفر.
٧٤ ـ ذخائر العقبى. ط : بيروت
٧٥ ـ ذرائع البيان للنجفي. ط : ايران
٧٦ ـ رجال الكشي. ط : كربلاء
٧٧ ـ رجال الطوسي. ط : نجف، ١٣٨٠
٧٨ ـ رجال النجاشي. ط : قم ، ايران
٧٩ ـ رجال ابي داؤد.
٨٠ ـ الرسائل للخميني. ط : قم ، ايران ١٣٨٥
٨١ ـ روضة الواعظين للفتال النيسابوري. ط قم ، ايران
٨٢ ـ روضة الصفا فارسي. ط : ايران
٨٣ ـ روضات الجنات للخوانساري. ط : قم
٨٤ ـ رياحين الشريعة للمحلاتي. ط : ايران
٨٥ ـ رياض العلماء.
٨٦ ـ الشافي للشريف المرتضى. ط : ايران
٨٧ ـ شرائع الاسلام للحلي. ط : ايران
٨٨ ـ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد. ط بيروت
٨٩ ـ شرح نهج البلاغة لابن الميثم. ط : ايران

٩٠ - شرح نهج البلاغة للدنبلي. ط : ايران
٩١ - شرح نهج البلاغة لعلي النقي. ط : ايران
٩٢ - شرح نهج البلاغة للكاشاني. ط : ايران
٩٣ - الشيعة في عقائدهم واحكامهم للقزويني. ط: الكويت
٩٤ - الشيعة في التاريخ لمحمد حسين الزين. ط : الطبعة الثانيه ، بيروت ، ١٣٩٩هـ
٩٥ - الشيعة في الميزان للمغنيه. ط : بيروت
٩٦ - شيعه در إسلام للطباطبائي. ط : ايران
٩٧ - الشيعة بين الحقائق والاوهام لمحسن الامين. ط : الطبعة الثالثة ، بيروت ١٣٩٧هـ
٩٨ - الصافي للقزويني في شرح اصول الكافي.
٩٩ - الصراط المستقيم للنباتي. ط: الطبعة الاولى ١٣٨٤هـ ايران
١٠٠ - الصحيفة الكاملة لزين العابدين. ط : بيروت
١٠١ - الصلح الحسن لآل ياسين. ط : ايران
١٠٢ - الصلة بين التصوف والشيعة. ط : بغداد
١٠٣ - الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاؤس. ط : قم ، ايران ١٤٠٠هـ
١٠٤ - طرائق الحقائق للحاج معصوم علي. ط : ايران
١٠٥ - عمدة الطالب في أنساب آل ابي طالب.
١٠٦ - عمدة الشيعة في الامامة لمحمد باقر الشريعتي. ط : قم، ايران
١٠٧ - علل الشرائع لابن بابويه القمي. ط : بيروت ، لبنان
١٠٨ - علل الشرائع للصدوق. ط: بيروت
١٠٩ - علم اصول الفقه للمغنيه ط: بيروت
١١٠ - عين الحياة للمحلي. ط : ايران
١١١ - عيون اخبار الرضا لابن بابويه القمي. ط : طهران ، ايران
١١٢ - عيون الاخبار وفنون الآثار للقرشي بيروت
١١٣ - عيون اخبار الرضا لابن بابويه القمي. ط : طهران ، ايران
١١٤ - الغارات للثقفي. ط : ايران
١١٥ - فرق الشيعة للنوبختي ط : كربلا ،
١١٦ - الفصول المهمة للحر العاملي. ط : قم ،
١١٧ - الفصول المهمة في معرفة الائمة لابن الصباغ. ط : ايران
١١٨ - فضائل امير المومنين لمحمد حسن المظفر.
١١٩ - فقه القرآن للراوندي. ط : قم ، ايران ١٣٩٩هـ
١٢٠ - فقه الشيعة للقزويني. ط : ايران
١٢١ - الفكر الشيعي والنزعات الصوفيه للشيبي. ط : بغداد ١٣٨٦هـ
١٢٢ - الفهرست للنجاشي. ط : نجف ،
١٢٣ - الفهرست لابن النديم. ط : بيروت لبنان
١٢٤ - فهرست لابي القاسم الابراهيمي. ط : ايران
١٢٥ - الفوائد الرضوية للقمي. ط : ايران
١٢٦ - الفوائد المدنية للاستر آبادي. ط : ايران
١٢٧ - قرب الاسناد للحميري القمي. طهران ،
١٢٨ - قصص الانبياء للراوندي. ايران
١٢٩ - قصص الانبياء للجزائري. ط : بيروت
١٣٠ - الكافي للكليني. ط : طهران ، ايران

١٣١ ـ كامل الزيارات لابن قلويه. ط : ايران
١٣٢ ـ كتاب سليم بن قيس العامرى . ط : بيروت ١٤٠٠هـ
١٣٣ ـ كتاب الخصال لابن بابويه القمى. ط: طهران ايران ١٣٨٩هـ
١٣٤ ـ كتاب الغيبة للطوسى. ط : ايران
١٣٥ ـ كتاب الغيبة للنعمانى. ط : ايران
١٣٦ ـ كتاب كمال الدين والنعمة لابن بابويه. ط : طهران طبعه ثانيه ١٣٩٥هـ
١٣٧ ـ كتاب الخرائج والجرائج للراوندى. ط: ايران
١٣٨ ـ كتاب المناقب لابن شهر آشوب. ط : قم ، ايران
١٣٩ ـ كتاب الخلاف للطوسى، ط : قم، ايران
١٤٠ ـ كتاب الرجال للحلى. ط : نجف ١٣٨١هـ
١٤١ ـ كتاب الشيعة والسنة فى الميزان لمؤلف مجهول. بيروت لبنان
١٤٢ ـ كتاب البلدان لليعقوبى. ط : مصر
١٤٣ ـ كشف الغمة للاردبيلى. ط: بيروت
١٤٤ ـ كتاب صفين لابن مزاحم. ط : بيروت
١٤٥ ـ كشف الاسرار عن وجه الغائب عن الابصار للنورى الطبرسى . ط : قم ١٤٠٠هـ
١٤٦ ـ كتاب الزهد للاهوازى . ط : ايران ١٤٠٢هـ
١٤٧ ـ لغت نامه دهخدا ط ! طهران .
١٤٨ ـ متشابه القرآن و مختلفه لابن شهر آشوب ط : قم ، ايران
١٤٩ ـ مجالس المؤمنين للشوسترى ط : ايران
١٥٠ ـ المجالس السنية لابن شهر آشوب ط : ايران
١٥١ ـ مجمع البيان للطبرسى ط : بيروت لبنان
١٥٢ ـ المحاسن للبرقى ط : قم ايران الطبعة الثانية
١٥٣ ـ مدارج نهج البلاغة لكاشف الغطاء ط : بيروت
١٥٤ ـ مرآة العقول للمجلسى ط : قديم ايران
١٥٥ ـ مروج الذهب للمسعودى ط : بيروت
١٥٦ ـ المراجعات لشرف الدين الموسوى
١٥٧ ـ مستدرك الوسائل للنورى الطبرسى .ط : مكبة دارالخلافة ، طهران
١٥٨ ـ مصائب النواصب للشوسترى ، ايران
١٥٩ ـ مشجر الاولياء لنور بخش ، باكستان
١٦٠ ـ مشارق انوار اليقين للبرسى ط : بيروت ١٩٧٨م
١٦١ ـ مصحف الدروز
١٦٢ ـ معالم الاصول لجمال الدين ط : ايران
١٦٣ ـ معراج السعادة للنراقى . ط ايران
١٦٤ ـ معالم العلماء
١٦٥ ـ معاشر الاصول
١٦٦ ـ معجم المؤلفين للكحالة ط : بيروت
١٦٧ ـ مع الشيعة الامامية للمغنية ط : بيروت
١٦٨ ـ مفاتيح الجنان ط : ايران
١٦٩ ـ المقالات والفرق لسعد بن عبدالله القمى ط : طهران ١٩٦٣
١٧٠ ـ مقاتل الطالبين للاصفهانى ط : بيروت

١٧١ ـ مقتل ابى مخنف ط : بيروت
١٧٢ ـ من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمى ، ط : طهران
١٧٣ ـ منار الهدى لعلى البحرانى
١٧٤ ـ منتهى الآمال للعباس القمى . ط : طهران ، ايران
١٧٥ ـ منهاج الكرامة للحلى . اوفست باكستان ١٣٩٦هـ
١٧٦ ـ ناسخ التواريخ للميزره تقى خان ط : قديم ايران
١٧٧ ـ النجم الثاقب للنورى الطبرسى . ط : نجف
١٧٨ ـ نهاية الدراية
١٧٩ ـ نقد الرجال للتفرشى . ط : ايران
١٨٠ ـ نقد الرجال . ط : ايران
١٨١ ـ نهج البلاغة بتحقيق صبحى صالح ط : بيروت
١٨٢ ـ نهج البلاغة ، بتحقيق محمد عبده ط : مصر
١٨٣ ـ هوية التشيع لاحمد الوائلى ط : بيروت
١٨٤ ـ وسائل الشيعة للحر العاملى ط : بيروت

كتب التاريخ والرجال والفرق للسنة

١٨٥ ـ اساس البلاغة للزمخشرى المعتزلى
١٨٦ ـ اسد الغابة لابن الأثير
١٨٧ ـ ازالة الخفاء عن خلافة الخلفاء للشاه ولى الله.
١٨٨ ـ الاصابة لابن حجر
١٨٩ ـ اصول الدين للبغدادى
١٩٠ ـ اضواء على العقيدة الدرزية لاحمد فوزان
١٩١ ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى ط : الازهر ، قاهرة ١٣٩٨هـ
١٩٢ ـ الاكمال لابن ماكولا .
١٩٣ ـ الأنساب للسمعانى
١٩٤ ـ انساب الاشراف للبلاذرى
١٩٥ ـ البداية والنهاية لابن كثير ط : بيروت
١٩٦ ـ البابية للمؤلف
١٩٧ ـ البهائية للمؤلف
١٩٨ ـ التاريخ الصغير
١٩٩ ـ تاريخ بغداد للخطيب
٢٠٠ ـ تذكرة الحفاظ للذهبى
٢٠١ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ط : حيدر آباد ، دكن ، الهند
٢٠٢ ـ تقريب التهذيب
٢٠٣ ـ تاريخ ابن عساكر
٢٠٤ ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر
٢٠٥ ـ تاريخ دمشق
٢٠٦ ـ تاريخ الامم والملوك للطبرى ط : بيروت
٢٠٧ ـ تاريخ ابن خلدون ط : بيروت ١٣٩٩هـ
٢٠٨ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطى
٢٠٩ ـ تاريخ خليفه ابن خياط
٢١٠ ـ التبصير فى الدين للاسفرائينى
٢١١ ـ تاج العروس للزبيدى
٢١٢ ـ تثبيت دلائل النبوة للهمذانى
٢١٣ ـ جمهرة انساب العرب لابن حزم
٢١٤ ـ الحور العين
٢١٥ ـ خلاصة تهذيب الكمال
٢١٦ ـ الخطط للمقريزى

٢١٧ ـ دائرة المعارف الاسلاميه اردو ط: لاهور
٢١٨ ـ سير أعلام النبلاء للذهبى
٢١٩ ـ السيرة لابن هشام
٢٢٠ ـ الشيعة والقرآن للمؤلف باكستان
٢٢١ ـ الشيعة والسنة للمؤلف « «
٢٢٢ ـ الشيعة واهل البيت للمؤلف
٢٢٣ ـ الصحاح للجوهرى
٢٢٤ ـ الصواعق المحرقة لابن حجر المكى
٢٢٥ ـ الطبقات لابن سعد
٢٢٦ ـ طائفة الدروز لمحمد كامل حسين
٢٢٧ ـ العواصم من القواصم
٢٢٨ ـ الفصل بين الملل والنحل لابن حزم
٢٢٩ ـ فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية
٢٣٠ ـ فجر الاسلام لاحمد امين
٢٣١ ـ فتوح البلدان للبلاذرى
٢٣٢ ـ القاموس للفيروز آبادى
٢٣٣ ـ كتاب الكنى ولاسماء للدولابى
٢٣٤ ـ كتاب الجرح والتعديل للرازى
٢٣٥ ـ كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائى
٢٣٦ ـ كتاب المجروحين لابن حبان
٢٣٧ ـ الكامل لابن الاثير
٢٣٨ ـ كتاب المحبر للبغدادى
٢٣٩ ـ لسان الميزان لابن حجر
٢٤٠ ـ لسان العرب لابن المنظور الافريقى
٢٤١ ـ ميزان الاعتدال للذهبى
٢٤٢ ـ مقدمة ابن خلدون
٢٤٣ ـ منهاج السنة لابن تيميه
٢٤٤ ـ مقالات الاسلاميين للاشعرى
٢٤٥ ـ الملل والنحل للشهرستانى
٢٤٦ ـ موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلاميه للتهانوى ط : بيروت
٢٤٧ ـ مختصر التحفة الاثنى عشرية للالوسى
٢٤٨ ـ معجم مقاييس اللغة
٢٤٩ ـ المخصص لابن سيده
٢٥٠ ـ النهاية لابن الاثير
٢٥١ ـ النجوم الزاهرة للتغرى البردى
٢٥٢ ـ نسب قريش لمصعب الزبيرى
٢٥٣ ـ وفيات الاعيان لابن خلكان

كتب المستشرقين

٢٥٤ ـ الخوارج والشيعة لولهوزن ترجمة عربى
٢٥٥ ـ عقيدة الشيعة لدونالدسن ترجمه عربى
٢٥٦ ـ العقيدة والشريعة لجولدزيهر ترجمه عربى
٢٥٧ ـ مقالات فى تاريخ الاسلام للدوزى
٢٥٨ ـ كتاب المستشرق ملر
٢٥٩ ـ مقدمه نقطة الكاف للبراؤن ط : فارسى

فهرست الكتاب